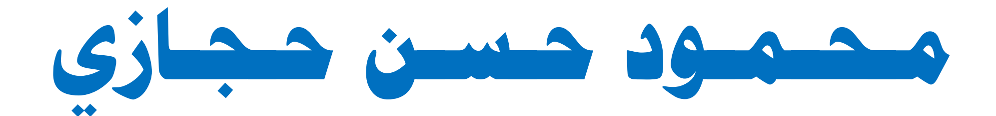

أمـــراض الـــقلـــوب
وعــلاجـهــا
مـحمود حــســن حـجازي
2023-1444
كل الحقوق محفوظة





# أمـراض الـقـلـوب
# وعـلاجـهـا



## محمود حسن حجازي

2023-1444









# خـــاطـــرة عـــن الـــقـــلـــوب

قلبي.... أعلم أني أذنبت كثيراً، وأن كل ذنب كانت سبباً في غفلتك ولكن ألا من طريق لمحو هذا السواد؟ تقول لي تب إلى الله ﷻ أقول لك تبت ثم تبت ثم تبت ولكن ما زال للذنب أثر فيك لا يريد أن يزول ما زال للماضي حيز بداخلك لا يريد أن يرحل فما هو الحل...كيف لي أن أطرد منك آثار كل ذنب أليم وكل ماض مظلم.

يا رب تعلم سبحانك ما سوف أكتبه قبل أن أكتبه تعلم ما أريد قوله قبل أن أقوله وتعلم ما أنويه قبل أن أنويه تعلم شكواي قبل أن أشكو تعلم حاجتي قبل أن أطلب تعلم دعائي قبل أن أدعو.





# المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله..

قَالَ تعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ آل عمران: ١٠٢

قَالَ تعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ النساء: ١

قَالَ تعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ الأحزاب: ٧٠ – ٧١

قَالَ تعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ ﴾ الحشر: ١٨



أما بعد:

فإنَّ أصدق الحديث كلام الله ﷻ، وخير الهدي هدي محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار..

مما هو مستقر عند أولي الألباب أن القلب يمرض، وقد يشتد مرضه ولا يشعر به صاحبه لاشتغاله وانصرافه عن معرفة صحته وأسبابها، بل قد يموت وصاحبه لا يشعر بموته، وأمراض القلوب أصعب من أمراض الأبدان، لأن غاية مرض البدن أن يفضي بصاحبه إلى الموت، وأما مرض القلب فقد يفضي بصاحبه إلى الشقاء الأبدي، عياذًا بالله سبحانه وتعالى، فأمراض القلب التي تزول بالأدوية الطبيعية من جنس أمراض البدن، وهذه لا توجب وحدها شقاءه وعذابه بعد الموت، بخلاف أمراضه التي لا تزول إلا بالأدوية الإيمانية النبوية، فهي التي توجب له الشقاء والعذاب إن لم يتداركها بأدويتها المضادة لها، وأمراض القلوب التي من هذا النوع كثيرة جدًّا، وجماعها يرجع إلى مرضين خطرين هما: مرض الشهوات والغي، ومرض الشبهات والشك، **قال ابن القيم** رحمه الله: "القلب يعترضه مرضان يتواردان عليه إذا استحكما فيه كان هلاكه وموته، وهما مرض الشهوات ومرض الشبهات، هذا أصل داء الخلق إلا من عافاه الله سبحانه وتعالى"[1]، **وقال أيضًا**: "مدار اعتلال القلوب وأسقامها على أصلين: فساد العلم وفساد القصد، ويترتب عليهما داءان قاتلان، وهما: الضلال والغضب، فالضلال نتيجة فساد العلم، والغضب نتيجة فساد القصد، وهذان المرضان هما ملاك أمراض القلوب جميعها"[2]

فأمراض القلوب لا تأتي للمرء فجأة من حيث لا يدري بل هي نتاج للنهج الذي وضعه لنفسه في الحياة ولمدى قربه من الله ﷻ ولمدى تفكره في الآخرة وحرصه على

[1] مفتاح دار السعادة لابن القيم (1/ 110)
[2] مدارج السالكين لابن القيم (1/ 76)

إرضاء الخالق سبحانه وتعالى لا المخلوقين، فإن كان قلبه متعلقاً بإرضاء الله سبحانه وتعالى تمكن من مدافعتها عن قلبه قبل أن تتمكن منه وتصبح مجاهدتها أمراً شاقاً، وإن كان قلبه متعلقاً بالدنيا غفل عنها وتمكنت منه وتدافعت الواحدة تلو الأخرى حتى يصير قلبه أسوداً لا يرى سوى نفسه ولا يتبع سوى وساوس الشياطين، فما أن يسكن القلب مرضاً واحداً من أمراض القلوب حتى تتدافع جميعها لتأخذ نصيباً من حياة المرء، لذا من أفلح في هذه الحياة هو من انتبه لسلامة قلبه وعمل على تزكيتها بطاعة الرحمن سبحانه وتعالى ومكارم الأخلاق.

إن أمراض القلوب سريعة التسلل إلى النفوس، فإن لم تجد ذِكرًا أو طاعةً تردّها، أعمت قلب صاحبها وأحرقت ما به من هدايات وصفاء إلاّ أن يلطف الله عز وجل به، فأمراض القلوب هو نوع فساد يحصل له يفسد به تصوره وإرادته فتصوره بالشبهات التي تعرض له حتى لا يرى الحق أو يراه على خلاف ما هو عليه وإرادته بحيث يبغض الحق النافع ويحب الباطل الضار.

ومن علاج أمراض القلوب المداومة على قراءة القرآن الكريم وتدبر آياته والتمعن فيها، ففي القرآن شفاء للقلوب كما جاء في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ فصلت: ٤٤، لذا فالخطوة الأولى هي العناية بتدبر آيات القرآن الكريم والإكثار من الاستماع إليه وقراءته، والتوبة للخالق عز وجل مما يعتري القلب من أمراض توبة نصوحة بالعدول عن كل ما يغضب الله سبحانه وتعالى، ففي التوبة صلاح للنفس والقلب وزوال للسيئات، والمداومة على ذكر الله عز وجل والالتزام بورد يومي من الأذكار، لجعل القلب متيقظ دائماً لتذكر المولى سبحانه وتعالى، والإكثار من الخيرات والأعمال الصالحة التي يرضى عنها المولى عز وجل وتقرب العبد من ربه سبحانه وتعالى، مثل إخراج الصدقات والإكثار من






صلاة وصوم النافلة وغيرها الكثير، والابتعاد عن مصاحبة السيئين ممن يدعون القلب للبعد عن ذكر الله ﷻ ويدفعونه للمعصية، والحرص على مصاحبة الأخيار ممن يتجمعون على محبة الله ﷻ ويتفرقون على محبته.

محاسبة النفس أولاً بأول وتتبع ما يرتكبه المرء من ذنوب ومعاصي ليعرف مواطن الضعف لديه وليعرف ما أصاب قلبه من أمراض حتى يتمكن من التخلص منها، فغفلة المرء عن محاسبة نفسه قبل أن يحاسب هي السبب الأول وراء تمكن أمراض القلوب منه.

**فحذار من أمراض القلوب الخفية والظاهرة، فإنها فرقت الأمم والمجتمعات والأسر، وأودت إلى المهلكات والموبقات في الدنيا والأخرى.**

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلى وسلم على نبينا محمد ﷺ وآله وصحبه أجمعين

**كتبه**

**العبد الفقير إلى ربه ﷻ**

**محمود حسن حجازي**

**أبو حازم**

www.alukah.net





# المـــرض الأول
# الـــشـــرك

يعتبر الشرك بالله ﷻ هو من أكبر الكبائر، ومعناه أن يتخذ العبد في عبادته لله ﷻ إلهاً آخراً، والشرك هو تقسيم العبودية بين الله ﷻ ومخلوق آخر، بمعنى أن يعبد ويقدس الإنسان مخلوقاً آخر مع الله ﷻ، ويقوم بعبادته ويمجده ويعظّمه كما يعظّم الله ﷻ.

## معنى الشرك

**في اللغة**: هو اتِّخاذ الشَّريك والنِّد، ويكون ذلك بأن يُجعل أحدٌ شريكاً لأحدٍ آخر إمّا من الناس أو غيرهم، ومنه الشركة: حيث إنّ الشركة تقوم على تشارُك مجموعة من الأشخاص بملك عقارٍ واحد، أو مؤسّسةٍ واحدة، ويُقال: أشرك بينهما إذا جعلهما اثنين، أو أشرك في أمره غيره إذا جعل ذلك الأمر لاثنين.

**في الشرع**: هو اتخاذ ند أو مثيل لله ﷻ أو شريك مع الله ﷻ في العبادة أو في الربوبية أو في الصفات والأسماء، لذلك نهى الله ﷻ عن اتخاذ الأنداد فقد قال ﷻ:

﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ البقرة: ٢٢

## أنواع الشرك

**قال المناوي**: "الشرك إما أكبر، وهو إثبات الشريك لله ﷻ، أو أصغر وهو مراعاة غير الله ﷻ في بعض الأمور"[1]

**قال ابن القيم** رضي الله عنه: "الشرك نوعان: أكبر وأصغر، فالشرك الأكبر لا يغفره الله ﷻ إلا بالتوبة منه، وهو أن يتخذ من دون الله ﷻ نداً، يحبه كما يحب الله ﷻ، وهو الشرك

[1] التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص 203







شبكة الألوكة - قسم الكتب

الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين ولهذا قالوا لآلهتهم في النار ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ الشعراء: ٩٧ - ٩٨، مع إقرارهم بأن الله ﷻ وحده خالق كل شيء، وربه ومليكه، وأن آلهتهم لا تخلق ولا ترزق، ولا تحيي ولا تميت، وإنما كانت هذه التسوية في المحبة والتعظيم والعبادة، وأما الشرك الأصغر فكيسير الرياء، والتصنع للخلق، والحلف بغير الله ﷻ، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال" "من حلف بغير الله فقد أشرك"[1][2]

كما قام العلماء بتقسيم الشرك إلى نوعين شرك أكبر وهو الخروج من الملة، وشرك أصغر ويكون فيه المشرك كافر وتجب عليه التوبة.

## أولاً: الشرك الأكبر:

### 1. الشرك في ربوبية اللّه ﷻ:

فيجب على المسلم أن يؤمن في اعتقاده أنّ الله ﷻ هو وحده الرزاق المدبر وهو الخالق المحيي المميت فإذا اعتقد غير ذلك وظن أن أحد الأشخاص هو نداً لله ﷻ ولأفعاله فقد وقع في أحد صور الشرك الأكبر.

### 2. الشرك في ألوهية اللّه ﷻ:

أن الله ﷻ وحده الذي يستحق العبادة والدعاء والطاعة وإذا اعتقد الإنسان أنّ لله ﷻ شريكاً آخر ويستحق نصيباً من أفعال العباد فيعد هذا شركاً أكبر.

### 3. الشرك في صفات اللّه ﷻ وأسمائه:

الله ﷻ له الأسماء الحسنى وهذه الأسماء والصفات لا يجوز إطلاقها على غير الله ﷻ، وله الصفات العلى التي ذكرت في كتابه الكريم والسنة النبوية الشريفة وإذا يعتقد الإنسان أن تلك الصفات تنطبق أحدها على مخلوق يعتبر شرك أكبر بالله ﷻ.

---

[1] مسند أحمد (10/ 250)، صحيح ابن حبان (10/ 199)، السنن الكبرى للبيهقي (10/ 52)
[2] مدارج السالكين لبن القيم (1/ 348 – 352) باختصار.

4. **الشرك البين**:

وهو عبادة أي شيء مع عبادة الله ﷻ مثل عبادة الأصنام والأوثان والقبور والنار والماء والبقر.

5. **الشرك الخفي**:

وهذا النوع من الشرك يخرج صاحبه من الملة ويدخله نار جهنم خالداً فيها، لأن أهله يظهرون الإسلام ويخفون الشرك والكفر مثل شرك المنافقين.

6. **شرك الاعتقادات**:

هو أن يعتقد الإنسان أن هناك أحد يشترك مع الله ﷻ في قدرته على معرفة الغيب أو ملك هذا الكون، أو قدرته في الخلق والموت وإحياء الناس بعد موتها أو بأن يعتقد أن هناك إله آخر يطاع مع الله ﷻ طاعةً وهذا النوع من الشرك لا يغفره الله ﷻ.

7. **شرك الأقوال**:

وهو أن نستغيث بأحد غير الله ﷻ، أو الدعاء والاستعانة بغير الله ﷻ سواء أكان نبياً أم ملَكاً، أم ولياً من أولياء الله الصالحين وهذا الشرك يعتبر عند الله ﷻ ذنباً عظيماً لا يغفر.

8. **شرك الأفعال**:

وهو إقامة الصلاة لغير الله ﷻ أو السجود لغير الله ﷻ، أو أن يتم وضع قوانين تضاهي حكم الله ﷻ ويتم إلزام الناس بإتباعها وتنفيذها.

## ثانياً: الشرك الأصغر:

هو الشرك الخفي من الذّنوب والمعاصي التي ينال صاحبها العذاب والوعيد فهي لا تكفّر الإنسان في الحال لكنها تقربه من الشرك الأكبر والعياذ بالله ومنها:

1. **الرياء في العبادات والأعمال**:

بحيث أن يقوم الإنسان عند عباداته وأعماله وهو يرائي الناس أي بمعنى أن يلفت نظرهم إلى عمله حتى يكون خاشعاً أمام الناس أما في عدم وجودهم يكون غير ذلك.

2. **الحلف بغير الله** ﷻ:

فقد قيل في أحد الأحاديث النبوية الشريفة أن الرسول ﷺ قال: "من حلف بغير الله فقد أشرك"[1]

3. **شرك التعلق ببعض الأسباب**:

وهو أن يؤمن الإنسان بالأسباب التي لم يأذن الله ﷻ بها، مثل: أن يقوم بتعليق الخرز الأزرق والكف كأحد أسباب الحفظ من الشر والحسد فيلبس الخيط أو الحلقة أو التمائم.

## مظاهر الشرك

### أولاً: الإشراك في عبادة المولى ﷻ:

ويعد ذلك النوع من أنواع الشرك كفراً صريحا بالله ﷻ، وهو له العديد من الصور، والأشكال مثال اتخاذ الأصنام كآلهة من جانب البشر يقومون بعبادتها مثال ما كان عليه كفار قريش قبل الإسلام، حيث كانوا يسجدون للأصنام، ويؤمنون بقدرتها على نفعهم أو ضرهم إذ كانوا يقومون بالتقرب إليها عن طريق تقديم القرابين والذبائح لها أملاً في رضاها عنهم.

### ثانياً: الإيمان بالسحر والكهانة:

ويعد ذلك النوع من الشرك من أبرز أشكال الشرك المنتشرة، وهو معناه إيمان الفرد بأن أحداً من السحرة أو الكهنة يوجد لديه المقدرة على معرفة الغيب، والتنبؤ بالضرر أو

[1] مسند أحمد (10/ 250)، صحيح ابن حبان (10/ 199)، السنن الكبرى للبيهقي (10/ 52)

بالخير القادم إلى الإنسان، ويكون ذلك على عدة صور، وأشكال مثال قراءة الكف أو الفنجان أو ضرب الودع، وما إلى غير ذلك من أمور، وأشكال خاصة بالدجل والشعوذة أما فيما يتعلق بالعراف أو الكاهن أو الساحر فهما من المشركين نظراً لما يدعوه من معرفة بأمور الغيب.

**ثالثاً: التوسل بقبور الأنبياء، والصالحين:**

يوجد العديد من تلك الجماعات أو الطوائف الضالة، والتي تقوم باتخاذ هذا الفعل كعقيدة لهم، وذلك ظناً منهم بقدرة هؤلاء الصالحين على نفعهم، وصلاح أحوالهم، وتفريج كربتهم.

**رابعاً: الإشراك بالله عز وجل عن طريق وضع الأحجار أو التمائم وما إلى غير ذلك من أشكال:**

حيث يعتقد بعضاً من الناس في قدرة تلك الأحجار أو التمائم على جلب الرزق أو دفع الشر، والحسد عنهم، حيث يجب على الفرد المسلم أن يؤمن تمام الإيمان بأن الله عز وجل وحده هو من يملك له النفع أو الضرر، وأنه هو وحده عز وجل الحافظ له من كل شرور سواء كان هذا الشرور من الجن أو من الإنس.

**خامساً: الإيمان والاعتقاد بتأثير النجوم أو الكواكب على حياة الإنسان:**

بل وفي تحكمها القوي فيما يجرى للإنسان في حياته من أمور، وأحداث سواء كانت تلك الأحداث إيجابية أو سلبية، ومن صور وأشكال هذا النوع من الشرك هو الحرص العالي على قراءة الأبراج، وبشكل يومي من جانب الإنسان بل وتصديق ما قراه فيها من تنبؤات، وأحداثاً ستحدث له في خلال اليوم.





**سادساً: الذبح لغير الله ﷻ:**

مثال تلك الذبائح التي يقوم بها البعض استجابة لطلب السحرة من أجل طرد الجان، ودفع شره أو تحكمه فيهم، وما إلى غير ذلك من أمور خاصة بالشعوذة، والخرافة.

**سابعاً: النذر لغير المولى ﷻ:**

ومن أمثلة ذلك ما يفعله البعض من نذر للشموع أو للذبائح، وذلك تحديداً فيما يتعلق بأصحاب القبور حيث أن النذر لأصحاب القبور، والمقامات أو الأولياء هو شرك، ومحرم.

**ثامناً: الحلف بغير الله ﷻ:**

مثال الحلف بالكعبة أو بالأنبياء أو بالقرآن الكريم أو بمكاناً مقدساً.

**تاسعاً: الرياء في ممارسة الفرائض، والعبادات:**

مثال أن يقوم شخص بعمل الخير مثال تصدقه للفقراء أو للمساكين، ولكن ليس بنية رضا المولى ﷻ، ولكن لأجل أن يحصل على إعجاب الناس، ووصفهم له بأنه شخصاً كريماً أو خيراً يحب الخير.

**عاشراً: القيام بتحليل أو تحريم الأشياء دون أي اعتبار للتعاليم الإسلامية:**

فلا يجوز لأي إنسان أن يقوم بتحليل ما حرمه الله ﷻ أو أن يقوم بتحريم ما أحله الله ﷻ لعباده.

## خطورة الشرك

جاءت دلائل ومواضع كثيرة تحذر من خطورة الشرك بالله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة لما سيناله المشرك من عذاب أليم؛ لأن هذا الذنب العظيم يعتبر من أعظم الذنوب عند الله ﷻ، وأقبح القبح وأظلم الظلم؛ لأنه تنقيص من رب العالمين والعياذ بالله.




قال ﷻ: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ المائدة: ٧٢، وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ النساء: ٤، قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ ﴾ النساء: ١١٦، وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ لقمان: ١٣، قال ﷺ: "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله"[1]، وقال أيضاً: "لا تشرك بالله شيئًا وإن قُطّعت وحُرِّقت، ولا تترك صلاة مكتوبة متعمدًا، فمن تركها متعمدًا فقد برئت منه الذمة، ولا تشربِ الخمر فإنها مفتاح كل شر"[2]

## أحكام الشرك

قال الكفوي: "شرك الاستقلال: وهو إثبات إلهين مستقلين كشرك المجوس، وشرك التبعيض: وهو تركيب الإله من آلهة كشرك النصارى، وشرك التقريب: وهو عبادة غير الله ﷻ ليقرب إلى الله ﷻ زلفى، كشرك متقدمي الجاهلية، وشرك التقليد: وهو عبادة غير الله ﷻ تبعاً للغير، كشرك متأخري الجاهلية، وشرك الأسباب: وهو إسناد التأثير للأسباب العادية، كشرك الفلاسفة والطبائعيين ومن تبعهم على ذلك، وشرك الأغراض: وهو العمل لغير الله ﷻ، فحكم الأربعة الأولى الكفر بإجماع، وحكم السادس المعصية من غير كفر بإجماع، وحكم الخامس التفصيل، فمن قال في الأسباب

[1] رواه البخاري (3/ 172)، رواه مسلم (1/ 91).
[2] سنن ابن ماجه (2/ 1339)



العادية إنها تؤثر بطبعها فقد حكي الإجماع على كفره، ومن قال إنها تؤثر بقوة أودعها الله ﷻ فيها فهو فاسق"[1]

يعدُّ الشركُ بالله ﷻ أكبر الكبائر على الإطلاق في الإسلام، وفي بحث عن الشرك يجب أن يشار إلى الأدلّة التي تؤكّدُ أن الشرك هو أكبر الكبائر، فعن أنس بن مالك ﵁ أنَّه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: "قال الله ﷻ: يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني فإني سأغفر لك على ما كان فيك، ولو لقيتني بقراب الأرض خطايا للقيتك بقرابها مغفرة، ولو عملت من الخطايا حتى تبلغ عنان السماء ما لم تشرك بي شيئاً ثم استغفرتني، لغفرت لك، ثم لا أبالي"[2]

حيث يؤكد الله ﷻ في الحديث القدسي أنَّ الشرك هو أكبر الكبائر على الإطلاق والتي لا يمكن أن يغفرها الله ﷻ، ولا تنفع مع كبيرة الشرك عبادات وأعمال الصالحة ولا أي قربة إلى الله ﷻ، وفي بحث عن الشرك لابدَّ من ذكر ما يدلُّ على ذلك في القرآن الكريم، فقد قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ النساء: ٤٨؛ وذلك لعظم كبيرة الشرك عندَ الله ﷻ، والشرك هو رأس كل بلاء، وسبب كل شقاء، وأصل الفساد والإفساد، ولذلك فهو يذهب بحسنات سيد الخلق ﷺ لو وقع في شيء منه – وحاشاه أن يقع –، فكيف بحسنات من سواه، قال ﷻ: ﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ الزمر: ٦٥، فالشرك أمره خطير، وشره مستطير، ينزل بالأعمال فيحبطها وبالحسنات

[1] الكليات للكفوي ص 533
[2] مسند أحمد (35/ 398)




فيذهبها، قال ﷻ: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ الفرقان: ٢٣ ، فالشرك بالله ﷻ أعظم الذنوب وهو قادح في توحيد الله ﷻ، فإن الله ﷻ يغفر جميع الذنوب إذا شاء، إلا الشرك فإنه الله ﷻ لا يغفره لصاحبه إذا مات وغير تائب منه، قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ النساء: ٤٨، فالشرك كله شؤم يفتك لظاه بالفرد والمجتمع، فهو أعظم ذنب عصي الله ﷻ به، فقد سأل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه رسول الله ﷺ: "أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: أن تجعل لله نداً وقد خلقك"[1]، فهو مانع من الجنة وموجب لخلود النار، قال ﷻ: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ المائدة: ٧٢، فإن من أصل الشرك أن تعدل الله ﷻ مخلوقاته، **قال ابن تيمية** رضي الله عنه: "أصل الشرك أن تعدل بالله ﷻ مخلوقاته في بعض ما يستحقه وحده، فإنه لم يعدل بالله ﷻ أحد من المخلوقات في جميع الأمور، فمن عبد غيره أو توكل عليه فهو مشرك"[2]، **وقال ابن القيم** رضي الله عنه: "ومن أنواعه – أي الشرك الأكبر – طلب الحوائج من الموتى، والاستغاثة بهم، والتوجه إليهم، وهذا أصل شرك العالم، فإن الميت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا، فضلا عمن استغاث به وسأله قضاء حاجته، أو سأله أن يشفع له إلى الله فيها، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع له عنده"[3]

[1] رواه البخاري (9/ 152)، رواه مسلم (1/ 90)
[2] الاستقامة لابن تيمية (1/ 344)
[3] مدارج السالكين لابن القيم (1/ 353)



## مضار الشرك

"1. حبوط الأعمال وإن كانت كثيرة.

2. الخلود الأبديّ في النّار.

3. استباحة دمه وماله وعرضه بالسّبي.

4. القلق والاضطراب والنّكد والكمد والخوف الدّائم والحزن اللّازم.

5. لا يجد عوناً ومدداً من الله سبحانه وتعالى على ما يلقاه من مصائب الأقدار.

6. أعظم من جميع المعاصي.

7. عدوّ لله عز وجل وللبشريّة ولنفسه الّتي بين جنبيه.

8. يدعو إلى كلّ رذيلة ويبعد عن كلّ فضيلة."[1]

## علاج الشرك

اجتناب الشرك بالله عز وجل والمجاهدة في التوحيد والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى هي من أعظم الأشياء التي يقدمها الإنسان إلى ربه عز وجل، ودعاء الخوف من الشرك: "اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم"[2]

[1] نظرة النعيم (10/ 4750)
[2] الأدب المفرد للبخاري (1/ 250)

www.alukah.net





# المرض الثاني
# النفاق

النفاق وهو صفة منبوذة ومكروهة بين البشر تم انتشارها بشكل كبير داخل مجتمعاتنا، وهو التظاهر بشخصية على غير حقيقتها، كأن يتظاهر الشخص بأنه يتبع الفضيلة والإيمان، ويحاول أن يوصف نفسه بالصفات الحميدة والأخلاقيات العالية وهو في الحقيقة مخادع وشخصيته الحقيقية عكس ما يظهره تمامًا.

## تعريف النفاق

**في اللغة**: يعرف النفاق في معاجم اللغة العربية بأنه مصدر مشتق من الفعل الرباعي نافق، واسم الفاعل منه منافق، نفقت الدَّابة أي ماتت والنفقُ هو ممر في الأرض له مخلصٌ من مكان أخر ونفقَ البيع أي راج.

**في الشرع**: هو إظهار الإسلام وإخفاء الكفر، وقد سمّى بعض الفقهاء المنافقَ زنديقًا، **وقال الجرجاني**: "هو إظهار الإيمان باللسان وكتمان الكفر بالقلب"[1]

## أنواع النفاق

كان النفاق في عهد النبي ﷺ مُنتشرًا بين فئة معيّنة من النّاس، وظهر النفاق بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة، ووضّح رسول الله ﷺ النفاق وما دون النّفاق في أحاديثه، وقد قُسّم النفاق إلى قسمين، وفيما يأتي بيان ذلك:

[1] التعريفات للجرجاني ص 245





شبكة الألوكة - قسم الكتب

### النوع الأول: النفاق الأكبر الاعتقادي:

يشمل النّفاق الأكبر كلّ ناقص للشهادة، كما يعدّ النّفاق الاعتقادي مُخرجاً من الملّة الإسلامية، وهو المقصود في قوله ﷻ: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ التوبة: ٦٧

وللنّفاق الاعتقاديّ أنواع عديدة، وجميعها عقوبتها شديدة ومغلّظة عند الله ﷻ، فهي تجعل صاحبَها من أصحاب الدّرك الأسفل من النّار، ومن أنواع النفاق الأكبر أو النفاق الاعتقادي:

1. أن يكونَ المنافق مكذبًا للنبي ﷺولما جاء به.
2. أن يكونَ المنافق يبغض رسول الله ﷺ، أو يبغض شيئًا من الذي جاء به.
3. أن يكون المنافق فَرِحًا بانتكاسة الدين الإسلامي أو تراجعه، وأن يكرهَ علوّ الإسلام وانتصاره.

### النوع الثاني: النفاق العملي:

يشتمل النّفاق العمليّ على أنواع خمسة؛ وهذا النوع من النّفاق لا يعد مُخرجًا من المِلّة، فهو يأتي دون النّفاق الاعتقادي، وقد ذكره النبي ﷺ في سنته حيث قال: "أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر"[1]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النّبي ﷺ أنّه قال: " آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان"[2] ، وأنواع النفاق العملي هي: الكذب في الحديث، وإخلاف الوعد، وخيانة الأمانة، والفُجور في الخصام، وغدر العهد.

[1] رواه البخاري (1/ 16)
[2] رواه البخاري (8/ 25)، رواه مسلم (1/ 78)

**قال ابن رجب:** "أن النفاق ينقسم شرعاً ينقسم إلى قسمين: أحدهما: النفاق الأكبر، وهو أن يظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويبطن ما يناقض ذلك كله أو بعضه، وهذا هو النفاق الذي كان على عهد النبي ﷺ، ونزل القرآن بذم أهله وتكفيرهم، وأخبر أن أهله في الدرك الأسفل من النار، والثاني: النفاق الأصغر، وهو نفاق العمل، وهو أن يظهر الإنسان علانية صالحة، ويبطن ما يخالف ذلك"[1]

## أسباب النفاق

إنّ للنّفاق أسباباً كثيرة ومتعددة تدفع صاحبها نحو إظهار النفاق، وأن يُبديَ للنّاس عكس ما يُخفي، والأسباب التي تدعوه لذلك كثيرة، منها ما يأتي:

1. أن يكون مُحبًّا للشّهوات، أو واقعًا تحت تأثيرها، ومنها شهوة التّعلّق أو التّمسّك بالحياة.

2. أن يكون الدّافع هو حبّ المناصب والرّئاسة، والخوف على نفسه من انتزاع جاهه وزعامته وسمعته بين النّاس، فيُشعر من حوله بتمسّكه بالإسلام؛ كي لا يزول منصبه.

3. أن يكون الدّافع هو التعلّق بالدّنيا وحظوظها، وما فيها من ملذاّت وغنائم، فكان الكثير من الكفّار يُظهرون الإسلام في وقت المعارك والغزوات؛ طمعًا في الفيْء والغنيمة.

4. أن يكون الدّافع هو الفِتن والشّبهات؛ ليعلمَ الله سبحانه وتعالى من يُؤمن به ويعبده حقّ عبادته، ومن تمكّن الإيمان في قلبه من الذي يعبدُه من غير إخلاص ولا صدق.

[1] جامع العلوم والحكم لابن رجب (2/ 481)



## حكم النفاق

النّفاق إن كان عقديّا فهو كفر صراح، بل هو أشدّ منه، ولذلك جعلت للمنافقين درجة في جهنّم لا يصلاها سواهم لعظم ضررهم، وشدّة خطرهم يقول الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾ النساء: ١٤٥، وقد فضحهم الله ﷻ في القرآن الكريم في أكثر من موضع، ووصفهم بأنّهم كذّابون يصدّون عن سبيل الله ﷻ وأنّهم يستكبرون، كما وصفهم بأنّهم لا يفقهون شيئاً ولا يعلمون[1]، وقد جعل **ابن حجر** هذا النّوع من النّفاق من كبائر الباطن قال: "ومن الأمراض الّتي تعتور القلب وتعتريه الكفر والنّفاق والكبر والفخر والخيلاء والحسد والغلّ"[2]، أمّا إذا كان النّفاق عمليّاً بمعنى أن يظهر الإنسان خلاف ما يبطن فهذا ينطبق عليه حكم الرّياء، والرّياء من الكبائر أيضاً، وقد اتّفق على ذلك الإمامان: الذّهبيّ وابن حجر وذكرا الأدلّة على ذلك في كتابيهما[3]

## خطورة النفاق

النفاق مرض خطير وجرم كبير وهو إظهار الإسلام وإبطان الكفر، والنفاق أخطر من الكفر وعقوبته أشد؛ لأنه كفر بلباس الإسلام وضرره أعظم، ولذلك جعل الله ﷻ المنافقين في أسفل النار، قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾ النساء: ١٤٥، فالمنافقون دائماً في حيرة وتقلب في خداع ومكر، ظاهرهم مع المؤمنين وباطنهم مع الكافرين، حيناً مع المؤمنين وحيناً مع

[1] انظر تفصيل ذلك في سورة «المنافقون» وسورة التوبة (الآية 73 وما بعدها)
[2] الزواجر لابن حجر ص 99
[3] انظر: الكبائر للذهبي (143- 146) والزواجر لابن حجر (49 64)

الكافرين، ﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ ﴾ النساء: ١٤٣، والمنافقون لفساد قلوبهم أشد الناس إعراضاً عن دين الله ﷻ كما أخبر الله ﷻ عنهم بقوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ ﴾ النساء: ٦١، وتصرفات المنافقين تدور مع مصالحهم فإذا لقوا المؤمنين أظهروا الإيمان والموالاة غروراً منهم للمؤمنين، ومصانعة وتقية، وطمعاً فيما عندهم من خير ومغانم، وإذا لقوا سادتهم وكبرائهم قالوا نحن معكم على ما أنتم عليه من الشرك والكفر، كما قال ﷻ عنهم : ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ البقرة: ١٤ - ١٥، فإذا كان الكفار عدواً مبيناً من الخارج فإن المنافقين عدواً خفياً من الداخل، وهم أعظم ضرراً وأشد خطراً على المسلمين؛ لأنهم يخالطونهم ويعلمون أحوالهم، وقد قضى الله ﷻ أن مصير الكافرين والمنافقين إلى جهنم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾ النساء: ١٤٠، لكن المنافقين لعظيم ضررهم في أسفل النار كما قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾ النساء: ١٤٥، وحيث أن خطر الكفار والمنافقين على الأمة الإسلامية عظيم لذا أمر الله ﷻ رسوله ﷺ بجهادهم فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ﴾ التحريم: ٩، فإن ظاهرة النفاق من أخطر الأمور وأكثرها ضرراً على الأمة الإسلامية،

والمنافقون هم بمثابة الطابور الخامس الذي يعمل لمصلحة العدو، ومنذ اليوم الأول لولادة الإسلام والأمة الإسلامية تعاني بشدة من هذه الظاهرة الخطرة، ولقد حذرَ الله ﷻ في القرآن الكريم الرسول ﷺ من خطر المنافقين في آيات عديدة وبين بعض صفاتهم وأساليبهم وكشف عن بعض نواياهم وخططهم المفعمة بالخيانة، كما حذر الرسول ﷺ المسلمين من ظاهرة النفاق والمنافقين وفضح مخططاتهم في مواقف كثيرة.

ونظراً لخطورة النفاق والمنافقين فلقد ذم اللهُ ﷻ المنافقين وبين خططهم وأساليبهم وأهدافهم وتوعدهم بالخزي والفضيحة والعذاب الأليم في آيات كثيرة من القرآن الكريم، كما خصص الله ﷻ سورة كاملة من سُور القرآن للمنافقين لتحذير المؤمنين منهم، والسورة هي سورة المنافقون.

إن معرفة المسلم بخطورة النفاق كمرض انتشر في الأمة وأصاب شرائح كثيرة منها توجب عليه الخوف والحذر منه، والتدقيق في أخلاقه، لينظر هل ابتلي بشيء من صفات المنافقين؟ وقد كان هذا هو هدي سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم، فتجد الرجل منهم ومع إيمانه وصلاحه يخشى أن يكون تلبس بشيء من صفات المنافقين وهو لا يعلم، **فعن ابن أبي مليكة** رضي الله عنه قال: "أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه"[1]، **ويقول الحسن البصري** رضي الله عنه عن النفاق: "ما خافه إلا مؤمن ولا أمنه إلا منافق"[2]، **ويقول إبراهيم التيمي** رضي الله عنه: "ما عرضت قولي على عملي إلا خشيت أن أكون مكذباً"[3]

[1] رواه البخاري (1/ 18)
[2] رواه البخاري (1/ 18)
[3] رواه البخاري (1/ 18)




## صفات المنافقين

وصف الله ﷻ المنافقين في كتابه الكريم بعدة أوصاف، وأكّدها النبي ﷺ في سُنته، ومن صفات المنافقين ما يأتي:

1. من صفاتهم أنّهم يُظهرون الودّ والمحبّة للمسلمين، ويُخفون العداوة والبغضاء، فالمنافق لا يعادي أعداء الإسلام، بل يبقى على مودّة معهم، ويُضمرون في أنفسهم العداوة للمسلمين، ويتجلّى ذلك في مواقفهم عند وقوع الفِتن، فتكون قلوبُهم مليئةً بالحقد على الإسلام والمسلمين.

2. ومن صفاتهم أنّهم يُظهرون إعراضهم واستغناءَهم عن أهل الإيمان، فهم لا يكترثون لدعوتهم لهم، ويتعمّدون إظهار الإعراض أمامهم.

3. ومن صفاتهم أنّهم يُوالون الكفّار ويُصادقونهم، ويحبّونهم ويركنون إليهم، ويحرصون على بقاء الودّ قائمًا بينهم.

4. ومن صفاتهم أنّهم يُخادعون الله ﷻ، ويخدعون المؤمنين، قال ﷻ: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ٩ ﴾ البقرة: ٩

5. ومن صفاتهم أنّ في قلوبهم مرضٌ، فقيل إنَّ قلوبهم مَرضى بسبب الرياء الذي يفعلونه، وقيل بسبب الشّكّ الذي يتملّك قلوبهم، قال ﷻ: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ١٠ ﴾ البقرة: ١٠

6. ومن صفاتهم إفسادُهم في الأرض، وتذبذبِهم بين الكفر والإيمان، فعند وجودهم مع المؤمنين يدّعون الإيمان، وعند وجودهم مع الكافرين يُظهرون كفرهم، قال ﷻ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ١١ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ



﴿ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ البقرة: ١١ - ١٢، وقال ﷻ: ﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ ﴾ النساء: ١٤٣

7. ومن صفاتهم أنهم يُكثرون من الأَيْمان الكاذبة، خشيةَ أن يُقتلوا أو يُعاقبوا، قال ﷻ: ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ التوبة: ٥٦ - ٥٧

8. ومن صفاتهم بعدهم عن الحقّ والنّور والهداية، فالله ﷻ قد ختم على قلوبهم، وقد وصفهم الله ﷻ بالأوصاف الحسيّة من ضخامة الأجساد، وانتقاء الكلام، وحُسْن الخطاب، والخوف والهلع الذي يسكن قلوبهم، قال ﷻ: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ البقرة: ٧

9. ومن صفاتهم العداوة والحسد للمؤمنين كما قال ﷻ: ﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ التوبة: ٥٠

10. ومن صفاتهم الاستهزاء بالله ﷻ ورسوله ﷺ ودينه كما قال ﷻ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ التوبة: ٦٥ - ٦٦




11. ومن صفاتهم الفساد في الأرض بالكفر والنفاق والمعاصي، قال ﷻ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ البقرة: ١١ - ١٢

12. ومن صفاتهم البهتان والكذب كما أخبر الله ﷻ عنهم بقوله: ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ التوبة: ٥٦

13. ومن صفاتهم الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف والبخل بالمال كما أخبر الله ﷻ عنهم بقوله: ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ التوبة: ٦٧

14. ومن صفاتهم الطمع والجشع، قال ﷻ: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ التوبة: ٥٨

15. ومن صفاتهم الاهتمام بالمظهر وفساد المخبر وزخرفة القول كما قال الله ﷻ عنهم: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ ﴾

المنافقون: ٤

16. ومن صفاتهم التكاسل في أداء العبادات، فأنَّ طاعتهم قليلة، وإذا قاموا إلى الطاعاتِ الواجبة قاموا إليها بتكاسلٍ وثقل، وقد بيَّن الله ﷻ هذه الصفة في قوله ﷻ:



﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ ﴾ النساء: ١٤٢

17. ومن صفاتهم السفه والتبعية وانعدام التفكير، فأكثر المنافقين يعلمون أنَّ الإسلامَ هو الدينُ الحقَّ، لكنَّهم ينكرون ذلك؛ لمجالستهم للكفارِ وانبهارهم بالحضارات الغربية والمادية، كما أنَّ كثرة سماعهم للشبهات التي تُثار حول الإسلامِ، يسببُ لهم البغض للإسلامِ وأهله، ويكفي هذا ليدلَّ على تبيعية المنافق وانعدامِ تفكيره وقلة عقله، وقد جاء وصف السفه لهم في قوله ﷻ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ البقرة: ١٣

18. ومن صفاتهم مرض القلب، فلقد ذكر الله ﷻ في كتابه المجيد صفةً من صفاتِ المنافق وهي مرض القلبِ حيث قال ﷻ: ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ البقرة: ١٠ ، وهذا المرضُ يعدُّ فسادًا في قلب المنافق يجعل إدراكه مختلًا، فتراه يحبُّ الباطل ويكره الحقَّ، بالإضافة إلى أنَّ أدنى الشبهات والشهوات تؤثر في قلبه، كما أنَّ المنافق يكون متشككًا في كل شيء وفاقد الإيمان بأي شيء، فيكون في غربة عن الحق وأهله، كما أنَّه يغتمّ ويهتمّ بظهور أمر رسول الله ﷺ ونصرته على أعدائه وأعداء الدين.

19. ومن صفاتهم التكبر والاستكبار، قال ﷻ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ ﴾ المنافقون: ٥، أي: صدُّوا وأعرضوا عمَّا قيل لهم استكبارًا عن ذلك، واحتقارًا لما قِيل.




20. ومن صفاتهم صد الناس عن الإنفاق، قال ﷻ: ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ ٧ ﴾ المنافقون: ٧

21. ومن صفاتهم موالاة الكافرين، قال ﷻ: ﴿ بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ١٣٨ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ١٣٩ ﴾ النساء: ١٣٨ – ١٣٩

22. ومن صفاتهم التربص بالمؤمنين، قال ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمۡ فَإِن كَانَ لَكُمۡ فَتۡحٞ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ وَإِن كَانَ لِلۡكَٰفِرِينَ نَصِيبٞ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ عَلَيۡكُمۡ وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا ١٤١ ﴾ النساء: ١٤١

وفي النهاية يجب الذكر أن النفاق من أكثر الصفات البشعة التي قد يتحلى بها أي إنسان، وإذا لاحظ أي شخص وجود أي صفة من تلك الصفات التي تم ذكرها أن يهم ويسرع إلي الله ﷻ ويتوب إليه، والابتعاد عن تلك الصفات حتى ينال منزلة عظيمة عند الله ﷻ وذلك من خلال أن يكون عبد مسلم يقوم بأتباع أوامره وينفذ ما حث به رسوله ﷺ وما نهى عنه.

## مضار النفاق

"1. المنافق لا يقبل الله ﷻ منه عملاً صالحاً.





2. المنافق مريض القلب يفرح إذا أصاب المسلمين ضرّ، ويحزن إذا انتصروا، ويتربّص بهم الدّوائر.

3. المنافقون بخلاء، ولكن ينفقون أموالهم رئاء النّاس.

4. المنافق ضالّ باعتقاده وعلمه وعمله.

5. المنافقون والمراءون يتعذّبون بأموالهم في الدّنيا والآخرة.

6. الشّدائد والمحن سرعان ما تظهر المنافق على حقيقته.

7. المنافقون يلتمسون أدنى الأعذار للقعود عن الجهاد.

8. المنافقون في كلّ مكان وزمان إخوة للكافرين والمشركين والملحدين يشدّون أزر بعضهم.

9. النّفاق والرّياء يوردان أصحابهما المهالك في الدّنيا وغضب الله ﷻ وأليم عقابه في الآخرة.

10. وهو محبط للأعمال مهما كثرت"[1]

## علاج النفاق

فإن العلاج الشافي لمن ابتلي بالوقوع في صفات المنافقين، هو تجنبها والابتعاد عنها، والتوبة الصادقة إلى الله ﷻ منها، والاتصاف بصفات المؤمنين الصادقين، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: "أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر"[2]، فقوله ﷺ: "حتى يدعها" بيان منه لعلاج من ابتلي بذلك المرض الخطير، فإن من تجمعت فيه تلك الصفات القبيحة ـ الكذب وما بعده ـ لم تُبق من إيمانه شيئاً وصار منافقاً خالصاً، إذ هي بمنزلة

[1] نظرة النعيم (11/ 5630)
[2] رواه البخاري (1/ 16)، رواه مسلم (1/ 78)

الأمراض الخطيرة التي متى تجمعت في جسم أفسدته وقضت عليه، ومن كانت فيه خصلة واحدة منها كانت فيه صفة من صفات المنافقين وصار فيه إيمان ونفاق، فإن استمرت فيه تلك الخصلة ولم يعالجها بعلاجها فلربما قضت على ما معه من الإيمان، وإن تاب منها إلى الله سبحانه وتعالى واتصف بضدها من صفات المؤمنين برئ من النفاق، وتكامل إيمانه.

## العلاج الأول: تعزيز الإيمان في النفس:

ولكي تتخلص وتتعالج من النفاق يجب أن تعمل على تعزيز الإيمان في النفس، فالإيمان والنفاق لا يُمكن أن يجتمعا في النفس الواحدة؛ فهما نقيضان ليس بينهما شيءٌ مشترك، ويختلفان في الأصل والطبيعة؛ فكلّما زاد الإيمان في النفس قلّ النفاق، والإيمان هو التزام الإنسان بالعمل الصالح، وهو محبّة الله سبحانه وتعالى وطاعته، والتزام أوامره واجتناب نواهيه، والنفاق هو كراهية لما أنزل الله سبحانه وتعالى.

## العلاج الثاني: الدعاء:

فهو ملجأ الإنسان؛ فبه يستعيذ بالله سبحانه وتعالى من كلّ شرّ؛ والله سبحانه وتعالى يحبّ من يدعوه من عباده، ويتكفّل لهم بالاستجابة، ويدعو الإنسان بالثبات على الدين، ويتعوّذ من طريق المنافقين، ويطلب أن يقيه شرّهم ومكرهم، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو الله سبحانه وتعالى في صلاته وخارجها بثبات القلب على الدين، وهذا يستلزم الوقاية من النفاق وتبعاته.

## العلاج الثالث: ذكر الله عز وجل وقراءة القرآن:

الذكر يعني استحضار رقابة الله سبحانه وتعالى، واستشعارها في السرّ والعلن، لتستوي بهذا سريرة النفس وعلانيتها، ويزول التضادّ الذي يعيشه المنافق، كما أنّ المنافقين كما جاء وصفهم في القرآن الكريم، لا يملكون الهمّة للذكر على سبيل التعبّد والنافلة؛ فإذا اضطروا للصلاة أمام غيرهم اقتصروا على أقلّ ما يُمكن من الأذكار.





**العلاج الرابع: استحضار نتائج النفاق:**

استحضار الإنسان لما أعدّه الله ﷻ للمنافقين من فضيحة في الدنيا وعذاب في الآخرة، حيث إنّ من شأنه تغيير المنافق لطريقه.

**العلاج الخامس: الاتصاف بالصفات المضادّة لصفات المنافقين:**

تكون باستحضار الإنسان للصفات السيّئة التي يتّصف بها المنافقون، ثمّ العمل بخلافها، مما ينعكس إيجاباً على الإيمان والسلوك؛ فإذا كان المنافق يُهمل صلاته، ويتردّد عن الجهاد، ولا يذكر الله ﷻ، وينقض العهود، ويغدر بالآخرين؛ فعلى المسلم أن يكثر التعبّد والصلاة، ويفي بعهد الله ﷻ ويؤدّي الأمانة.

www.alukah.net





# المـرض الثـالـث
# الـريـاء

الرياء صفة ذميمة تَذهب بالإنسان إلى وحل المعصية والإثم، وتمنعه من الأجر والمثوبة من الله ﷻ؛ لأنه لم يقصد بعمله وجه الله ﷻ، وإنما فعل ما فعل وعينه على الناس، يلتمس منهم الرضا، ويتطلع إلى إعجابهم، فكان جزاؤه العادل أن يأخذ أجره ممن تطلع إليهم، أي من الناس، وليس من الله ﷻ، وقد حذرنا الله ﷻ من الرياء في مثل قوله ﷻ: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ ﴾ الماعون: ٤ - ٦، وجاء في الحديث الشريف: "من سمع سمع الله به، ومن يرائي يرائي الله به"[1]

## تعريف الرياء

**في اللغة**: الرّياء اسم مشتقّ من مصدر الرؤية، والرّياء هو القيام بالأعمال والإتيان بها في سبيل الحصول على إعجاب النّاس، والرؤيا تختلف عن السّمعة التي هي الإتيان بالأعمال ليسمع النّاس بها، وقد يُطلق عليها الرّياء، ويُعرف الرّياء بأنّه مخالفة الأعمال الظاهرة لما هو مخفيّ من النوايا الباطنة، بقصد الحصول على ثناء النّاس وحمدهم وإعجابهم، والأصل أن تكون نيّة الأعمال نيل رضى الله ﷻ، ويُقال: فلان راءى النّاس؛ أي أنّه نافق وأظهر أمامهم أعمالاً تخالف الحقيقة التي عليها المنافق.

[1] رواه البخاري (8/ 104)



شبكة الألوكة - قسم الكتب

**في الشرع**: هو القيام بأداء العبادات لله ﷻ مع تعمّد إظهارها للنّاس ليحمدوه عليها ويُعجبوا بها، والقصد من الرّياء تعظيم النّاس أو الرغبة في إعجابهم به أو رهبةً من النّاس وخوفاً منهم، وقرين الرّياء العُجْب؛ وهو أن ينظر الإنسان لنفسه بعين الإعجاب لصلاحه أو لعبادته.

**قال الجرجاني**: "الرّياء: ترك الإخلاص في العمل بمراعاة غير الله ﷻ فيه"[1]

**قال التّهانويّ**: "حدّ الرّياء: فعل الخير لإراءة الغير، وقيل: هو فعل لا تدخل فيه النّيّة الخالصة، ولا يحيط به الإخلاص"[2]

**قال ابن حجر الهيتميّ**: "حدّ الرّياء المذموم: إرادة العامل بعبادته غير وجه الله ﷻ، كأن يقصد اطّلاع النّاس على عبادته وكماله، فيحصل له منهم نحو مال أو جاه أو ثناء"[3]،

**قال ابن حجر العسقلانيّ**: "الرّياء إظهار العبادة لقصد رؤية النّاس لها فيحمدوا صاحبها"[4]

**يقول الغزالي**: "اعلم أن الرياء مشتق من الرؤية، والسُّمعة مشتقة من السماع، وإنما الرياء أصله طلب المنزلة في قلوب الناس بإيرائهم خصال الخير؛ إلا أن الجاه والمنزلة تطلب في القلب بأعمال سوى العبادات، وتطلب بالعبادات، واسم الرياء مخصوص بحكم العادة بطلب المنزلة في القلوب بالعبادة وإظهارها؛ فحد الرياء هو إرادة العباد بطاعة الله ﷻ، فالمرائي هو العابد والمراءَى هو الناس المطلوب رؤيتهم بطلب المنزلة في قلوبهم، والمراءَى به هو الخصال التي قصدَ المرائي إظهارها، والرياء هو قصده إظهار

---

[1] التعريفات للجرجاني ص 113
[2] كشاف اصطلاحات الفنون (1/ 900)
[3] الزواجر عن اقتراف الكبائر للهيتمي (1/ 69)
[4] فتح الباري لابن حجر العسقلاني (11/ 336)

ذلك، والمراءَى به كثير وتجمعه خمسة أقسام، وهي مجامع ما يتزين به العبد للناس؛ وهو: البدن، والزِّيُّ والقول، والعمل والأتباع والأشياء الخارجة، وكذلك أهل الدنيا يراؤون بهذه الأسباب الخمسة، إلا أن طلب الجاه وقصد الرياء بأعمال ليست من جملة الطاعات أهونُ من الرياء بالطاعات"[1]

## حكم الرياء

بيّنت الشريعة الإسلاميّة أنّ الرّياء محرّم، وأنّ العمل المصاحب للرّياء مردود وغير مقبول، والرّياء كذلك نوع من أنواع الشّرك بالله ﷻ، ومن أدلّة تحريم الرّياء: قال ﷻ: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾ الكهف: ١١٠، وقال ﷺ في الحديث القدسيّ فيما يرويه عن الله ﷻ: "أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه"[2]

## علامات الرياء

لا بدّ للمسلم أن يبتعد عن الرّياء وأن يتخلّص منه، وللتخلّص من الرّياء لا بدّ من التعرّف على أبرز علاماته؛ ومنها:

1. رغبة الفرد في الظهور والشهرة وتعرّف عليه.
2. الكِبر وعدم التواضع للنّاس.
3. القيام بالأعمال من أجل النّاس أو خوفاً منهم.
4. الاستعجال بالإفتاء في مسائل أحكام الشّريعة الإسلاميّة والتصدّر لذلك.
5. الميل إلى مخالفة الآراء وإن كانت صواباً والبُعد عن الرأي المتّفق عليه.

---
[1] إحياء علوم الدين للغزالي (3/ 297)
[2] رواه مسلم (4/ 2289)

6. الاستعلاء على الأقران.

7. العمل من أجل ما في أيدي الناس، أو خوف الذي بين أيديهم.

8. حب الجدال مع الآخرين ومناظرتهم.

9. حب الشخص لأن يظهر بمظهر الكامل الخالي من العيوب والنقص.

10. أن يفعل الشخص العمل بنشاط أمام الناس، وأمّا إذا كان وحده فإنّه يترك ذلك العمل.

## أنواع الرياء

يحاول العبد أن يحسّن من نفسه أمام الناس، رغبةً في الحصول على الثّناء والإعجاب والحمد، ويسلك العبد عدّة طرق لتحقيق ذلك، منها:

1. **الرّياء بالبدن:** ويكون بإظهار التعب والإرهاق والمرض؛ حتى يظنّ النّاس بأنّ ذلك من كثرة العبادات والطّاعات، ويكون أيضاً بإظهار الحزن على الإسلام والمسلمين، وإظهار الخوف من الحياة الآخرة.

2. **الرّياء بالملابس والهيئة العامة:** بعدم الاهتمام بالشكل الخارجيّ كعدم الاهتمام بالملابس، وبالمشي في الطريق مع خفض الرأس، وعدم إزالة أثر السجود عن الوجه.

3. **الرّياء بالأقوال:** ومنه الرياء في النصح والوعظ والإرشاد، وتعمّد ذكر الله ﷻ أمام الناس، وإظهار الحزن والأسف عل ارتكاب النّاس للمعاصي والذّنوب والمنكرات، وإظهار العلم أمام النّاس.

4. **الرّياء بالأعمال:** القيام بالعبادات بنيّة مراءاة النّاس، ومنه: الإطالة في السجود والركوع، والجهاد في سبيل الله ﷻ رياءً.

www.alukah.net
شبكة الألوكة


5. **الرّياء بالأصحاب والزّوار:** وهو تعمّد زيارة العلماء والدّعاة والشيوخ ليُقال عنه إنه أخذ العلم عن كثير من الشّيوخ والعلماء ويتفاخر بهم.

## درجات الرياء

قسم العلماء الرياء إلى درجات، وذلك بحسب تسلط الرياء على قلب العبد، وبحسب قصد المرائي، وهذه الدرجات هي كالآتي:

1. أغلظ الدرجات وأشدها أن يكون قصد العبد من عبادته الدنيا فقط، كمن يصلي أمام الناس، وإذا انفرد فإنه لا يصلي أبدًا، حتى إن الرياء قد يدفعه للصلاة دون طهر، وهذا قطعًا عبادته باطله لأن أصلها باطل.
2. أن يكون قصده للثواب أقل من قصده لإظهار عمله، وهذه الدرجة قريبة من الدرجة السابقة.
3. أن يتساوى عنده قصد الرياء وقصد الطاعة، بحيث أن أحدهما لوحده لا يكون باعثًا على العمل والطاعة، ولكن عندما يجتمع القصدان معًا يكونان دافعًا للعمل، وهذا أفسد بقدر ما أصلح، وهو –والله أعلم– لا يسلم من العقاب.
4. أن يكون اطلاع الناس عليه مقويًا ومرجحًا له للقيام بالعبادة، إلا أنه لا يتركها إن كان لوحده، وهذا النوع لا يبطل به أصل العبادة، ولكنه ينقص من أجره أو يعاقب صاحبه على قدر قصد الرياء فيه.

## خطورة الرياء

إن الرياء من معاصي القلوب الشديدة الخطر على النفس وعلى العمل، وهو من الكبائر الموبقة، ولهذا اشتد الوعيد عليه في القرآن والحديث، لقد جعله القرآن من أوصاف الكفرة الذين لا يؤمنون بالله عز وجل ولا باليوم الآخر، أو المنافقين الذين يقولون:





شبكة الألوكة - قسم الكتب

آمنا بالله ﷻ وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين، آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم، يقول ﷻ: ﴿كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾ البقرة: ٢٦٤، وقال ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾﴾ النساء: ٣٨، فهذا رياء الكفار الذين لا يؤمنون بالمبدأ ولا بالمعاد، فلا يتصور منهم أن يعملوا لله ﷻ ولا للدار الآخرة، وإذا كانت نفقتهم رياء، فإن خروجهم للقتال والغزو رياء كذلك، لا نصيب فيه لله ﷻ، كما قال ﷻ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾ الأنفال: ٤٧، وأما المنافقون فقد قال ﷻ في شأنهم: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ النساء: ١٤٢، وقال ﷻ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ الماعون: ٤ - ٧، فتوعدهم الله ﷻ بالويل، وهو الهلاك والعذاب، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن أول الناس يقُضى يوم القيامة عليه: رجل استشهد، فأتى به، فعرفه نعمته فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيها حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال: هو جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في




النار، ورجل تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال، فأتى به، فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تُحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار"[1]، وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "يؤتى يوم القيامة، بصحف مختمة، فتنصب بين يدي الله ﷻ، فيقول ﷻ: ألقوا هذه، واقبلوا هذه، فتقول الملائكة: وعزتك وجلالك ما رأينا إلا خيرًا، فيقول الله ﷻ، إن هذا كان لغير وجهي، وإني لا أقبل إلا ما ابْتغى به وجهي"[2]

فالرياء خطره عظيم جدًا على الفرد والمجتمع والأمة؛ لأنه يحبط العمل، ويظهر خطره في الأمور الآتية:

1. الرياء أخطر على المسلمين من المسيح الدجال: قال ﷺ: "ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ الشرك الخفي أن يقوم الرجل فيصلي، فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل"[3]

2. الرياءُ أشدُ فتكًا من الذئبِ في الغنمِ، قال ﷺ: "ما ذئبان جائعان أُرسلا في غنمٍ بأفسد لها من حرصِ المرءِ على المالِ والشرفِ لدينه"[4]، وهذا مثل ضربه رسول الله ﷺ بين فيه أن الدين يفسد بالحرص على المال وذلك بأن يشغله عن طاعة الله ﷻ، وبالحرص على الشرف في الدنيا بالدين، وذلك إذا قصد الرياء والسمعة.

[1] رواه مسلم (3/ 1513)
[2] المعجم الأوسط للطبراني (3/ 97)
[3] سنن ابن ماجه (2/ 1406)
[4] مسند أحمد (25/ 85)، سنن الدارمي (3/ 1795)، سنن الترمذي (4/ 588)، السنن الكبرى للنسائي (10/ 386)




3. خطورة الرياء على الأعمال الصالحة خطر عظيم؛ لأنه يذهب بركتها، ويبطلها قال ﷻ: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ ﴾ البقرة: ٢٦٦، فهذا العمل الصالح أصله كالبستان العظيم كثير الثمار، فهل هناك أحد يحب أن تكون له هذه الثمار والبستان العظيم ثم يرسل عليها الرياء فيمحقها محقًا، وهو في أشد الحاجة إليها!! ولهذا قال ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ: "أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه"[1]، وعن أبي سعد بن أبي فضالة الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا جمع الله الأوَّلين والآخرين، ليوم لا ريب فيه، نادى منادٍ: من كان أشرك في عمل عمله لله أحدًا، فليطلب ثوابه من عند غير الله، فإنَّ الله أغنى الشُّركاء عن الشرك"[2]

4. يسبب عذاب الآخرة ولهذا أول من تسعر بهم النار يوم القيامة: قارئ القرآن، والمجاهد، والمتصدق بماله، الذين فعلوا ذلك ليقال: فلان قارئ، فلان شجاع، فلان كريم متصدق، ولم تكن أعمالهم خالصة لله ﷻ.

5. الرياء يحرم ثواب الآخرة، قال ﷺ: "بشر هذه الأمة بالسناء والدين، والرفعة، والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب"[3]

---
[1] رواه مسلم (4/ 2289)
[2] مسند أحمد (29/ 418)، سنن ابن ماجه (2/ 1406)، سنن الترمذي (5/ 314)
[3] مسند أحمد (35/ 144)




## أسباب الرياء

قال ابن قدامة: "اعلم أنَّ أصل الرياء: حبُّ الجاه والمنزلة، وإذا فصل رجع إلى ثلاثة أصول، وهي: حبُّ لذَّة الحمد، والفرار من ألم الذمِّ، والطمع فيما في أيدي الناس"[1]

وهذه الأمور الثلاثة التي ذكرها ابن قدامة هي الأصول الجامعة الباعثة على الرّياء، وهي:

أولاً: أن المرائي يحبُّ حمد الناس وثناءهم على أعماله الصالحة من صلاة وصدقة وجهاد وكرم وتعليم العلم، ولم يقصد وجه الله عز وجل.

ثانياً: خوف المرائي من ذمّ الناس له، فهو ينفق حتى لا يقال: بخيل، ويقاتل حتى لا يقال: جبان. وهكذا.

ثالثاً: رغبة المرائي بعمله الصالح الحصول على ما عند الناس من حطام الدنيا، قال سبحانه وتعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾﴾ الأعلى: ١٦ - ١٧

## مضار الرياء

"1. الرّياء محبط للأعمال مضيّع لثوابها.

2. الرّياء سبب للمقت عند الله عز وجل، والمرائي ملعون ومطرود من رحمة الله سبحانه وتعالى.

3. الرّياء من كبائر المهلكات.

4. الرّياء دليل على غاية جهل المرائي.

5. الرّياء غصن من شجرة في القلب ثمرها في الدّنيا الخوف والغمّ وضيق الصّدر وظلمة القلب، وثمرها في الآخرة الزّقّوم والعذاب المقيم.

6. الرّياء يجلب الفقر ويعرّض صاحبه للفتن.

[1] مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة ص 222



7. الرّياء يفضح أصحابه على رؤوس الأشهاد يوم القيامة.

8. يضاعف الله ﷻ عذاب المرائين من القرّاء فيجعلهم في وادي الحزن في جهنّم وساءت مصيراً.

9. الرّياء يحوّل العمل الصّالح إلى نقيضه فيحمل صاحبه به وزراً بدلا من أن يكون له أجراً أو يكون عليه ستراً.

10. لا يسلم المرائي من أن يفتضح أمره في الدّنيا فيسقط من أعين النّاس وتذهب هيبته، ناهيك عن حسرته يوم القيامة.

11. يظهر الله ﷻ عيوب المرائي ويسمعه المكروه جزاء ما قدّمت يداه"[1]

## علاج الرياء

حذّر الإسلام من الرّياء ووصفه بأنّه شرك بالله ﷻ، والواجب على المسلم أن يبتعد عنه ويجتنبه في جميع الأعمال والعبادات والطّاعات التي يقوم بها، ومَن كان عنده شيء من الرّياء عليه أن يعالج نفسه بعدّة طرق؛ منها:

1. استشعار مراقبة الله ﷻ لجميع ما يصدر من العبد من الأقوال والأفعال، ممّا يؤدي إلى زرع تعظيم الله ﷻ والخوف منه في القلب، واستشعار مراقبة الله ﷻ يُطلق عليه الإحسان؛ وهو القيام بالعبادات مع استشعار مراقبة الله ﷻ ورؤيته للعبد، ومَن يستشعر مراقبة الله ﷻ له لا يكترث برؤية أي أحد لأعماله.

2. الاستعانة بالله ﷻ على التخلّص من الرّياء، ومن صور الاستعانة بالله ﷻ: الدّعاء وطلب التخلّص من الرّياء من الله ﷻ.

3. التعرّف على الآثار السلبيّة للرّياء من حيث إنّه يحبط الأعمال والعبادات، ويُوجب سخط وغضب الله ﷻ.

[1] نظرة النعيم (10/ 4567)





4. معرفة عقوبة الرّياء في الحياة الدنيا، مثل: كشف القصد السيئ والنوايا الخبيثة للنّاس.

5. الحرص والعمل على إخفاء العبادات وعدم إظهارها وعدم القيام بها أمام النّاس، وعدم تحرّي مكان اجتماع النّاس لأداء العبادات والطّاعات، لتجنب حمد وثناء النّاس، والعبادات المقصود إخفاؤها هي العبادات التي يسنّ الإسرار بها؛ مثل: الصّدقة وقيام الليل.

وأما علاج الرياء فهو كما سجَّله الغزالي في رسالته لتلميذ طلب نصيحته، وجعلها بعنوان (أيها الولد): "واعلم أن الرياء يتولَّد من تعظيم الخلق؛ وعلاجه أن تراهم مسخَّرين للقدرة، وتحسبهم كالجامدات في عدم قدرة إيصال الراحة والمشقة، لتخلص من مراياتهم، ومتى تحسبهم ذوي قدرة وإرادةٍ لن يبعد عنك الرياء"، فالدواء أن تجعل نظرك مُعلَّقا بالله ﷻ وحده، وتدرك أن الناس مسخَّرين لقدر الله ﷻ، لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعًا ولا ضرًّا، فتجعل أوامر الله ﷻ ونواهيه نصب عينيك، وتفعل ما يعود عليك بالنفع، دون أن تتحمل ما لا تطيق، وتربي نفسك ومَن تعول على القناعة والرضا، وعلى البساطة وعدم التكلف أو التصنع، فما أشد حاجتنا لنخرج من هموم دائرتنا الصغيرة إلى دائرتنا الكبيرة؛ مما يتصل بأمور مجتمعنا وأمتنا، فما خُلقنا لذواتنا فحسب، ولا يليق بنا أن نحيا في جُزر منعزلة عن محيط مجتمعنا، وعما يواجه أمتنا من تحديات!

**إذن كيفية العلاج من الرياء:**

### 1. الاهتمام بنظر الخالق لا المخلوقين:

أن يهتم المخلص بنظر الخالق ﷻ لا بنظر المخلوقين، فإنهم لن يغنوا عنه من الله ﷻ شيئًا، وقد **قال الفضيل بن عياض** رضي الله عنه: "ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله عنهما "[1]

[1] شعب الإيمان للبيهقي (9/ 184)







## 2. استواء الظاهر والباطن والسر والعلانية:

أن يستوي ظاهر المخلص وباطنه، وعلانيته وسريرته، فلا يكون ظاهره عامرًا وباطنه خرابًا، ولا تكون علانيته عسلاً، وسريرته علقمًا، وقد **قال سرى السقطي** ﵁: "من تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله ﷻ"[1]

## 3. استواء المدح والذم:

أن يستوي عنده مدح الناس وذمهم، وقد قيل: ما عليك أن تكون مذمومًا عند الناس إذا كنت محمودًا عند الله ﷻ، والعكس أيضًا صحيح.

## 4. عدم رؤية الأعمال:

ألا ينظر إلى إخلاصه، فيعجب بنفسه، فيهلكه عجبه، ولذا أكد العارفون عدم رؤية الأعمال، حتى **قال أبو يعقوب السوسي**: "متى شهدوا في إخلاصهم الخلاص، احتاج إخلاصهم إلى إخلاص"[2]، **وقال أبو بكر الدقاق**: "نقصان كل مخلص في رؤية إخلاصه، فإذا أراد الله ﷻ أن يخلص إخلاصه، أسقط عن إخلاصه رؤيته لإخلاصه، فيكون مخلصًا لا مخلصًا"[3]، **وقال أبو عثمان المغربي**: "الإخلاص ما لا يكون للنفس فيه حظ بحال، وهذا إخلاص العوام، وأما إخلاص الخواص، فهو ما يجرى عليهم لا بهم، فتبدو منهم الطاعات، وهم عنها بمعزلة، ولا يقع لهم عليها ولا بها اعتداد، فذلك إخلاص الخواص"[4]، ومعنى هذا: أنهم فنوا عن أنفسهم وعن أعمالهم، وعن إخلاصهم، فلم يروا إلا الله ﷻ الذي أخلصهم لدينه، فأخلصوا له دينهم.

[1] الرسالة القشيرية (2/ 361)
[2] الرسالة القشيرية (2/ 360)
[3] الرسالة القشيرية (2/ 360)
[4] الرسالة القشيرية (2/ 360)




### 5. نسيان اقتضاء ثواب العمل في الآخرة:

ومن عناصر الإخلاص: نسيان اقتضاء ثواب العمل في الآخرة؛ لأن المخلص لا يأمن أن يكون عمله مشوبًا بحظ للنفس قد يخفى عليه، فلا يحظى عمل بالقبول عند الله سبحانه وتعالى، فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ٢٧﴾ المائدة: ٢٧، والأعمال وإن عظمت فإنها لا تكافئ أدنى نعمة من نعم الله سبحانه وتعالى على عبده، على أن التوفيق للعمل إنما هو من الله سبحانه وتعالى، فهو صاحب الفضل أولاً وآخراً، فلا يقتضي العمل في ذاته ثوابًا في نظر المخلص، بل يرى الثواب إحسانًا من الله سبحانه وتعالى إليه، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لن يدخل أحداً منكم عمله الجنة، ولا ينجيه من النار، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: "ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته"[1]

**ملخص الكلام: شرع الله سبحانه وتعالى على عباده عدداً من العبادات؛ منها: الصّلاة والصّيام، والحجّ والعمرة، وجعل أساس الأعمال والعبادات الإخلاص فيها وصفاء النيّة لله عز وجل، وعدم التظاهر والتفاخر فيها بين النّاس، والإخلاص في العبادات شرط لصحّتها ولقبولها عند الله عز وجل، والرّياء صفة من صفات المنافقين، والواجب على المسلم التخلّق بالأخلاق الحسنة، وذكر الرّياء كصفة من صفات المنافقين في القرآن الكريم.**

[1] المعجم الأوسط للطبراني (8/ 74)



# المـرض الـرابـع
# الـحـسـد

الحسد من الأمراض القلبية التي تصيب بعض الناس، بسبب الغيرة، وعدم الرضا بالقضاء، فمن الناس من إذا رأى نعمة أنعمها الله ﷻ على أحد من الناس، تحركت نفسه الخبيثة، وغيرته القبيحة، وبدأ يفري ويهري في ذلك المسكين، وكان الواجب عليه أن يدعو الله ﷻ لأخيه بالبركة، فذلك فضل الله ﷻ يؤتيه من يشاء من عباده، ويمنعه عمن يشاء، بحكمته وعلمه ﷻ، فإذا أحس الحاسد بشيء في قلبه على المحسود فليجاهد نفسه، ويكظم ما عنده، ولا يفعل شيئاً يخالف الشرع، لا يؤذي المحسود، لا بقول ولا بفعل، ويتضرع إلى الله ﷻ بالدعاء أن يزيل الحسد من قلبه، فالإنسان إذا حسد ولم يحقق شيئاً لم يضره ذلك؛ لأن الحسد كبيرة من كبائر الذنوب، يؤاخذ عليها العبد ويحاسب عليها، لأن في الحسد ضرراً للغير، فإذا لم يفعل أذى للمحسود، ولا كان سبباً في إزالة نعمة عنه، ولم يتكلم في عرضه، وإنما شيء في نفسه كظمه، فإنه لا يضره، ولكن عليه الحذر، حتى لا يقول شيئاً يضر المحسود، أو يفعل شيئاً يضره.

فالحسد خبيث، يبدأ بصاحبه فيهلكه، فهو يؤذي صاحبه قبل غيره، ومتى أحس بشيء فليجاهد في كظمه وإبقائه في القلب من دون أذى للمحسود، لا أذى فعلي ولا قولي، وليعلم كل إنسان عاقل مؤمن أن الحسد خلق ذميم، مع إضراره بالبدن والنفس، وإفساده للدين، حتى أن الله ﷻ أمر بالاستعاذة من شره، وسبب للهم،




وجالب للغم، وربما قضى على صاحبه دون نكاية في عدو، ولا إضرار بمحسود، فكانت النزاهة عن الحسد كرماً، والسلامة منه مغنماً.

## تعريف الحسد

**في اللغة**: الحسد مصدر قولهم: حسد يحسد ويحسد- بكسر السين وضمّها- وأصله القشر وهو مأخوذ من الحسدل وهو القراد، فالحسد يقشر القلب، كما تقشر القراد الجلد فتمتصّ دمه، وحسدتك على الشيء، وحسدتك الشيء بمعنى، **يقول الفيّومي**: "حسدته على النعمة وحسدته النعمة حسداً"" بفتح السين أكثر من سكونها، يتعدّى إلى الثاني بنفسه وبالحرف إذا كرهتها عنده، وتمنّيت زوالها عنه"[1]، وهو عند أهل التحقيق غير الغبطة، لأنّ الأولى صفة المنافقين، والثانية صفة المؤمنين، **قال الراغب**: "المؤمن يغبط، والمنافق يحسد" ومنه قوله ﷻ: ﴿ حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴿١٠٩﴾ ﴾ البقرة: ١٠٩، وقوله ﷻ: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾ الفلق: ٥، وقوله ﷺ: "لا حسد إلّا في اثنتين" هو أن يتمنّى الرجل أن يرزقه الله ﷻ ما لا ينفق منه في سبيل الخير، أو يتمنّى أن يكون حافظاً لكتاب الله ﷻ، فيتلوه آناء اللّيل وأطراف النّهار، ولا يتمنّى أن يرزأ صاحب المال في ماله أو تالي القرآن في حفظه، وهذا هو الحسد المباح، وهو ما يسمّى بالغبطة"[2]، **وقال ابن منظور**: "الحسد أن تتمنّى زوال نعمة المحسود، وحسده يحسده ويحسده حسداً وحسّده إذا تمنّى أن تتحوّل إليه نعمته وفضيلته أو يسلبهما، وتحاسد القوم، ورجل حاسد من قوم حسّد"[3]

**في الشرع**: هو تمني زوال النعمة عن المحسود وإن لم يصر للحاسد مثلها.

[1] المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (1/ 135)
[2] المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص 234
[3] لسان العرب لابن منظور (3/ 148 – 149)



**قال الجرجاني:** " الحسد تمني زوال نعمة المحسود إلى الحاسد"[1]

**قال الجاحظ:** "الحسد هو التألّم بما يراه الإنسان لغيره وما يجده فيه من الفضائل، والاجتهاد في إعدام ذلك الغير ما هو له، وهو خلق مكروه وقبيح بكلّ أحد"[2]

**قال المناوي:** " الحسد تمنّي زوال نعمة عن مستحقّ لها، وقيل: هو ظلم ذي النعمة بتمنّي زوالها عنه وصيرورتها إلى الحاسد"[3]

**قال الماوردي:** "حقيقة الحسد شدة الأسى على الخيرات تكون للناس الأفاضل"[4]

**قال الكفوي:** " الحسد: اختلاف القلب على الناس لكثرة الأموال والأملاك"[5]

**قال الراغب الأصفهاني:** "الحسد: تمنّي زوال نعمة من مستحق لها، وربما كان مع ذلك سعي في إزالتها"[6]

## حكم الحسد

الحسد مرض من أمراض النفوس والقلوب، وهو مرض غالبٌ فلا يخلص منه إلا القليل من الناس؛ ولهذا قيل: ما خلا جسد من حسد، والحسد ذميم قبيح حيث أن الله ﷻ أمر رسوله ﷺ أن يتعوذ من شر الحاسد كما أمر بالاستعاذة من شر الشيطان، قال ﷻ: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾ الفلق: ٥، فبالحسد لُعن إبليس وجعل شيطاناً رجيماً، ومن أجل أن الحسد بهذه الدرجة ورد فيه تشديد عظيم حتى قال فيه الرسول ﷺ: "إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب"[7]، والحسد الذي محله القلب دون الجوارح ليس بمظلمة يجب الاستحلال منها بل هو

[1] التعريفات للجرجاني ص 87
[2] تهذيب الأخلاق ص 34
[3] التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (139، 140)
[4] أدب الدنيا والدين للماوردي ص 270
[5] الكليات للكفوي ص 408
[6] المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص234
[7] شعب الإيمان للبيهقي (9/ 10)

معصية بينك وبين الله ﷻ، والأولى أن يحمل على أن يكون فيه كراهة من جهة الدين والعقل في مقابلة حب الطمع لزوال نعمة العدو وتلك الكراهة تمنعه من البغي والإيذاء فإن جميع ما ورد من الأخبار في ذم الحسد يدل ظاهره على أن كل حاسد آثم، وفي الحسد إضرار بالبدن وإفساد للدين وفيه تعدي وأذى على المسلم نهى الله عز وجل ورسوله ﷺ عنه، فالحسد حرام بكل حال، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث"[1]

## دواعي وأسباب الحسد

1. العداوة والبغضاء والحقد، وهذا السبب من الحاسد: وهذا من أشد أسباب الحسد وأصل المحاسدات العداوة وأصل العداوة التزاحم على غرض، والغرض الواحد لا يجمع متباعدين بل متناسبين، فلذلك يكثر الحسد بينهما.

2. التعزز والترفع، وهذا السبب من الحاسد: فإذا أصاب أحد زملائه ولاية أو مالاً خاف أن يتكبر عليه وهو لا يطيق تكبره وافتخاره عليه.

3. الكبر، وهذا السبب من المحسود: أن يكون في طبعه أن يتكبر على الحاسد ويستحقره ويستصغره ويستخدمه.

4. التعجب، وهذا السبب من الحاسد: كما أخبر الله ﷻ عن الأمم الماضية إذ ﴿ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴿١٥﴾ ﴾ يس: ١٥، فتعجبوا أن يفوز برتبة الرسل والوحي والقرب من الله ﷻ بشر مثلهم فحسدوهم وأحبوا زوال النعمة عنهم.

5. الخوف من المزاحمة وفوات مقصد من المقاصد بين النظراء في المناصب والأموال.

---

[1] رواه البخاري (8/ 21)، رواه مسلم (4/ 1983)



6. حب الرياسة وطلب الجاه لنفسه: من غير توصل به إلى مقصود ومن غير قصد شرعي صحيح وذلك كالرجل الذي يريد أن يكون عديم النظير في فن من الفنون إذا غلب عليه حب الثناء والمدح واستفزه الفرح بما يمدح به.

وهناك الكثير من الأسباب التي تؤدي إلى الاتصاف بالحسد، ومنها، **قال الماوردي**: "اعلم أن دواعي الحسد ثلاثة أحدهما: بغض المحسود فيأسى عليه بفضيلة تظهر، أو منقبة تشكر، فيثير حسداً قد خامر بغضاً، وهذا النوع لا يكون عاماً وإن كان أضرها؛ لأنه ليس يبغض كل الناس.

والثاني: أن يظهر من المحسود فضل يعجز عنه فيكره تقدمه فيه واختصاصه به، فيثير ذلك حسداً لولاه لكف عنه، وهذا أوسطها؛ لأنه لا يحسد الأكفاء من دنا، وإنما يختص بحسد من علا، وقد يمتزج بهذا النوع ضرب من المنافسة ولكنها مع عجز فلذلك صارت حسداً.

والثالث: أن يكون في الحاسد شح بالفضائل، وبخل بالنعم وليست إليه فيمنع منها، ولا بيده فيدفع عنها؛ لأنها مواهب قد منحها الله ﷻ من شاء فيسخط على الله ﷻ في قضائه، ويحسد على ما منح من عطائه، وإن كانت نعم الله ﷻ عنده أكثر، ومنحه عليه أظهر، وهذا النوع من الحسد أعمها وأخبثها إذ ليس لصاحبه راحة، ولا لرضاه غاية، فإن اقترن بشر وقدرة كان بورا وانتقاما، وإن صادف عجزا ومهانة كان جهداً وسقاماً"[1]

**وذكر الغزالي** أسباباً أخرى للحسد، حيث قال: "الخوف من فوت المقاصد وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد فإن كان واحد يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عوناً له في الانفراد بمقصوده، ومن هذا الجنس تحاسد الضرات في التزاحم على مقاصد

[1] أدب الدنيا والدين للماوردي ص 270 - 271




الزوجية وتحاسد الأخوة في التزاحم على نيل المنزلة في قلب الأبوين للتوصل به إلى مقاصد الكرامة والمال"[1]

## الفرق بين الحسد الغبطة

هناك فرق بين الحسد والغبطة، وذلك كما **قال الكفوي**: "الغبطة: هي تمني الإنسان أن يكون له مثل الذي لغيره من غير إرادة إذهاب ما لغيره، أما الحسد فهو إرادة زوال نعمة الغير، ثم إن الغبطة صفة المؤمن، والحسد صفة المنافق"[2]

## مراتب الحسد

**الأولى**: يتمنى زوال النعمة عن الغير، ويعمل ويسعى في الوسائل المحرمة الظالمة ويسعى في إساءته بكل ما يستطيع وهذا الغاية في الخبث والخساسة والنذالة وهذه الحالة هي الغالبة في الحسّاد خصوصاً ويكثر ذلك في طلاب المناصب والجاه.

**الثانية**: يتمنى زوال النعمة ويحب ذلك وإن كانت لا تنتقل إليه، وهذا في غاية الخبث.

**الثالثة**: أن يجد من نفسه الرغبة في زوال النعمة عن المحسود وتمني عدم استصحاب النعمة سواء انتقلت إليه أو إلى غيره ولكنه في جهاد مع نفسه وكفها عن ما يؤذي خوفاً من الله سبحانه وتعالى وكراهية في ظلم عباد الله عز وجل ومن يفعل هذا يكون قد كفي شر غائلة الحسد ودفع عن نفسه العقوبة الأخروية.

**الرابعة**: أن يتمنى زوال النعمة عن الغير، بغضاً لذلك الشخص لسبب شرعي، كأن يكون ظالماً يستعين على مظالمه بهذه النعمة فيتمنى زوالها ليرتاح الناس من شره، ومثل أن يكون فاسقاً يستعين بهذه النعمة على فسقه وفجوره فيتمنى زوال المغل هذا عنه ليرتاح العباد والبلاد من شره القاصر، وهذا لا يسمى حسداً مذموماً، في هذه الحالة يكون ممدوحاً.

---

[1] إحياء علوم الدين للغزالي (3/ 193)
[2] الكليات للكفوي ص 672



**الخامسة:** إن يتمنى الشخص لنفسه مثلها فإن حصل له مثلها سكن واستراح، وإن لم يحصل له مثلها تمنى زوال النعمة عن المحسود حتى يتساويا ولا يفضله صاحبه.

**السادسة:** أن يحب ويتمنى لنفسه مثلها فإن لم يحصل له مثلها فلا يحب زوالها عن مثله فهذا لا بأس به.

إن هذا من أعظم الأدلة على الإيمان ومن أعظم أنواع الإحسان وكذا من آتاه الله ﷻ الحكمة والعلم فوفق لنشره، فعن عبد الله بن مسعود ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ: "لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها"[1]

## أنواع الحسد

1. كراهة للنعمة على المحسود مطلقاً وهذا هو الحسد المذموم.
2. أن يكره فضل ذلك الشخص عليه فيحب أن يكون مثله أو أفضل منه وهذا الغبطة.

**قال ابن القيم** الذي قسم الحسد إلى ثلاثة أنواع:

"1. حسد يخفيه ولا يرتب عليه أذى بوجه ما؛ لا بقلبه ولا بلسانه ولا بيده، بل يجد في قلبه شيئًا من ذلك، ولا يعاجل أخاه إلا بما يحب الله ﷻ.

2. تمني استصحاب عدم النعمة، فهو يكره أن يحدث الله ﷻ لعبده نعمة، بل يحب أن يبقى على حاله؛ من جهله، أو فقره، أو ضعفه، أو شتات قلبه عن الله ﷻ، أو قلة دينه.

[1] رواه البخاري (1/ 25)، رواه مسلم (1/ 559)

www.alukah.net
شبكة الألوكة


3. حسد الغبطة؛ وهو تمني أن يكون له مثل حال المحسود، من غير أن تزول النعمة عنه، فهذا لا بأس به ولا يعاب صاحبه، بل هذا قريب من المنافسة"[1]، **وقسمه الغزالي** إلى أربعة أنواع:

"1. أن يحب زوال النعمة عنه، وإن كان ذلك لا ينتقل إليه، وهذا غاية الخبث.

2. أن يحب زوال النعمة إليه لرغبته في تلك النعمة، مثل رغبته في دار حسنة، أو امرأة جميلة، أو ولاية نافذة، أو سعة نالها غيره، وهو يحبُّ أن تكون له، ومطلوبه تلك النعمة لا زوالها عنه.

3. ألا يشتهي عينها لنفسه، بل يشتهي مثلها، فإن عجز عن مثلها أحب زوالها كيلا يظهر التفاوت بينهما.

4. أن يشتهي لنفسه مثلها، فإن لم تحصل فلا يحب زوالها عنه، وهذا هو المعفو عنه إن كان في الدنيا، والمندوب إليه إن كان في الدين"[2]

**فمن هذه الأنواع للحسد نخرج بنوعين رئيسين للحسد وهما:**

**أولاً: الحسد المذموم:**

المقصود بالحسد المذموم هو أن يرى الإنسان نعمة على إنسان آخر فيكره ذلك ويتمنى زوال تلك النعمة عنه وانتقالها إليه، وهذا النوع من الحسد ذَمَّه اللَّه ﷿ وحَرَّمه في كتابه وحذرنا منه النبي ﷺ في سنته المطهرة.

**مراتب الحسد المذموم:**

للحسد المحرم مراتب نذكرها فيما يلي:

[1] بدائع الفوائد لابن القيم (2/ 237)
[2] إحياء علوم الدين للغزالي (3/ 192)



شبكة الألوكة - قسم الكتب

المرتبة الأولى: أن يحب الإنسان زوال النعمة عن الغير، وأن تنتقل إليه، ولذا يسعى بكافة السُّبُل المحرَّمة إلى الإساءة إليه ليحصل على مقصوده وهذه المرتبة هي الغالبة بين الحُساد.

المرتبة الثانية: أن يحب الإنسان زوال النِعْمة عن الغير، وإن كانت هذه النعمة لا تنتقل إليه، وهذه المرتبة في غاية الخُبْث ولكنها دون المرتبة الأولى.

المرتبة الثالثة: ألا يحب الإنسان هذه النعمة لنفسه، ولكنه يشتهي أن يكون لديه مثلها، فإن عجز عن الحصول على مثلها، أحب زوال هذه النعمة عن الغير كي لا يظهر التفاوت بينهما.

### ثانيًا: الحسدُ المحمودُ:

المقصود بالحسد المحمود هو أن يرى الإنسان نعمة على غيره، فيتمنى أن يكون له مثلها دون أن يكرهها أو يتمنَّى زوالها عن ذلك الغير.

ويُسمى هذا النوع من الحسد المحمود بالغِبْطة أو المنافسة وقد يطلق عليه الغيرة، ومن المعلوم أن المنافسة في عمل الخيرات وطلب الآخرة أمر حثنا عليه الله ﷻ في كتابه والنبي ﷺ في سنته المطهرة، قال ﷻ: ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ الحديد: ٢١، وقال ﷻ: ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ المطففين: ٢٦، وعن أبي هريرة ؓ أنَّ رسول الله ﷺ قال: "لا حسد إلا في اثنتين: رجل عَلَّمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فسمعه جارٌ له فقال: ليتني أوتيتُ مثلما أُوتي فلان، فعملت مثل ما يعمل، ورجل

آتاه الله مالاً فهو يُهلكه في الحق، فقال رجل: ليتني أُوتيتُ مثل ما أُوتي فلان فعملت مثل ما يعمل"[1]

## خطورة الحسد

للحسد خطورة على صاحبه، فهو يورده المهالك، من ذلك:

### 1. عدم الرضا بقضاء الله سبحانه وتعالى:

فمن لم يرضَ بقضاء الله سبحانه وتعالى فهو على خطر عظيم، فربما كفر بالله عز وجل إن كان مدركاً عالماً بذلك، ولهذا يجب على العبد أن يؤمن بقضاء الله سبحانه وتعالى وقدره، ويرضَ بذلك؛ لأن الإيمان بالقضاء والقدر من أركان الإيمان التي لا يكتمل دين عبد إلا بها.

ولو تأمل الحاسد حقيقة الدنيا وأنها زائلة، لما دعته نفسه إلى حسد أحد من الناس، فالحاسد معترض على قضاء الله سبحانه وتعالى وقدره، ويعارض أمر الله سبحانه وتعالى القائل: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ الزخرف: ٣٢، فالله عز وجل تكفل بأرزاق الناس، وتكفل بتوزيعها بينهم، لحكمة يعلمها سبحانه وتعالى، ليس لنا حيالها إلا الإذعان والقبول، ولا نقول إلا سمعنا وأطعنا لنكون من المفلحين الفائزين .

### 2. العجب:

وهو داء خطير وعظيم يدفع صاحبه إلى الحسد، بل يدفع صاحبه إلى رد الحق وغمط الناس وعدم قبول العدل، فالمعجب بنفسه والمغرور، لا يحب أن يعلو عليه أحد، بل يحب أن يكون شأنه الشأن الأعلى، كل ذلك طمعاً في الدنيا، وحب الظهور فيها.

[1] رواه البخاري (6/ 191)



### 3. الحقد والعداوة والبغضاء:

وقد ظهرت هذه النقمة في عصرنا هذا ظهوراً مذهلاً، حتى عجب منها أعداء الله ﷻ، وأعداء دينه، لقد دبت البغضاء بين المسلمين، بسبب الحسد، فقد حسدت الدول بعضها بعضاً، فأقامت علاقات مع أعداء الله ﷻ، وقطعت أواصرها بأولياء الله ﷻ، فكانت العاقبة وخيمة؛ لأن الله ﷻ يقول: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾ البقرة: ١٢٠، ولهذا جاء الحديث محذراً من ذلك تحذيراً بليغاً، فعن ثوبان ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها"، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: "بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن"، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: "حب الدنيا، وكراهية الموت"[1]، وقال ﷺ: "دب إليكم داء الأمم قبلكم، الحسد والبغضاء"[2]

## مضار الحسد

"1. إسخاط الله ﷻ في معارضته، واجتناء الأوزار في مخالفته، إذ ليس يرى قضاء الله ﷻ عدلاً ولا لنعمه من الناس أهلاً.

2. حسرات النفس وسقام الجسد، ثمّ لا يجد لحسرته انتهاء، ولا يؤمّل لسقامه شفاء.

3. انخفاض المنزلة، وانحطاط المرتبة.

[1] مسند أحمد (5/ 278)

[2] مسند أحمد (3/ 43)، سنن الترمذي (4/ 664)

4. مقت الناس له، حتّى لا يجد فيهم محبّا، وعداوتهم له حتّى لا يرى فيهم وليّا، فيصير بالعداوة مأثورا وبالمقت مزجوراً.

5. يجلب النقم ويزيل النعم.

6. منبع الشرور العظيمة ومفتاح العواقب الوخيمة.

7. يورث الحقد والضغينة في القلب.

8. معول هدم في المجتمع.

9. دليل على سفول الخلق ودناءة النفس"[1]

## علاج الحسد

هذه المحور تذكير للحاسد، بأن يعلم أن ما أصابه من خير فمن الله عز وجل، وما أصابه من شر فمن نفسه، وأن قضاء الله سبحانه وتعالى وارد لا محالة، يؤتي ملكه من يشاء، وينزعه ممن يشاء، ويعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، فربما كان عطاؤه استدراجاً، فليُعْمِلُ عقله العاقل، وينظر للعواقب بمنظار الحكماء العقلاء، وبما أن الحسد خلق ذميم، وأصل لئيم، حالق للدين، مفرق للأصحاب، فيه تشبه بالكافرين، من النصارى واليهود والمشركين، وجب على كل مسلم الحذر منه وعدم التخلق به، بل من وجد في نفسه شيء من ذلك فعليه أن يلجأ إلى الله سبحانه وتعالى بالدعاء والتضرع ليزيل ما به من حسد؛ لأن الحسد تسخط على قضاء الله سبحانه وتعالى، واستدراك على الله سبحانه وتعالى في حكمه وقدرته، والله سبحانه وتعالى حكم عدل، لا يظلم مثقال ذرة، يعطي ويمنع، فمن أعطي شكر، ومن مُنع صبر، والصبر منزلة عظيمة لا يؤتاها أي إنسان، بل هو سبيل إلى الجنة ورضا الرحمن عز وجل، ولا يوجد أحد يحسد غيره ابتغاء مرضاة الله عز وجل، بل في ذلك سخط الله سبحانه وتعالى، فكل حاسد لا يرجو إلا الدنيا وزينتها، وما يوهب له منها، من رفعة، وذكر، وضياع صيت، فالحسد طريق إلى النار.

[1] نظرة النعيم (10/ 4429)



فالحسد لا يكون إلا من أجل الدنيا، إلا ما استثني في الأحاديث السابقة، وإلا فالحسد جله من أجل الدنيا، ولو علم الحاسد أن الدنيا لا تبقى، وإن بقيت فهو فانٍ لا محالة، الدنيا ليست لحي مستقراً، بل دار مفر ومعبر، إلى دار الخلود، في جنات النعيم، هناك المقام الذي لا يحول ولا يزول.

لقد حذرنا الله ﷻ من الدنيا فقال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ البقرة: ٨٦ ، وإليك هذه الآية التي فيها من البلاغة ما لا يفهمه إلا العقلاء الفطناء، حيث قال ﷻ: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٤، وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨﴾ ﴾ يونس: ٧ - ٨ ، وقال ﷻ محذراً من الركون إلى الدنيا وزينتها: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ هود: ١٥ - ١٦، فإذا كانت هذه نتيجة حب الدنيا، وحب المقام فيها، وترك الآخرة والسعي إليها، فحري بكل عبد أن يتق الله ﷻ في نفسه، وأن يحذر الركون إليها، فهي وسيلة للعذاب والسخط.

www.alukah.net
شبكة الألوكة


ولقد جاء التحذير من الدنيا، وعدم استيطانها، والعلم بأنها غدارة ماكرة، ما لجأ إليها أحد إلا خذلته وأهانته، فهي سجن للمؤمن، وجنة للكافر، يتمنى المؤمن متى يأتي أمر الله ﷻ، ليعود إلى ربه ﷷ، ويتمنى الكافر عدم الخروج منها؛ لأنه سيلقى أهوالاً عظاماً، وأخطاراً جساماً.

ومن أدوية وعلاج الحسد ما يأتي:

1. **التقوى والصبر:** فمن وجد في نفسه حسداً لغيره فليستعمل معه الصبر والتقوى فيكره ذلك في نفسه.

2. **القيام بحقوق المحسود:** بعض من الناس الذين عندهم دين لا يعتدون على المحسود، فلا يعينون من ظلمه، ولكنهم أيضاً لا يقومون بما يجب من حقه، بل إذا ذمه أحدٌ لم يوافقه على ذمه ولا يذكرون محامده، وكذلك لو مدحه أحدٌ لسكتوا وهؤلاء مدينون في ترك المأمور في حقه مفرطّون في ذلك لا معتدون عليه، وجزاؤهم أنهم يبخسون حقوقهم فلا ينصفون أيضاً في مواضع ولا ينصرون على من ظلمهم كما لم ينصروا هذا المحسود، أما من اعتدى بقول أو فعل فذلك يعاقب، ومن اتقى الله ﷷ وصبر فلم يدخل في الظالمين نفعه الله ﷷ بتقواه.

3. **العلم بأن الحسد ضرر على الحاسد في الدين والدنيا ومنفعته للمحسود في الدين والدنيا:** فلا ضرر بت على المحسود لا في الدنيا ولا في الدين بل ينتفع بت فيهما جميعاً، أما ضرره في الدين فلأنه سخطٌ لقضاء الله ﷷ وقدره وكراهة لنعمته على عبده المؤمن وانضم إليه غش المسلم وترك نصحه وترك العمل بقول النبي ﷺ: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"[1]، وانضم أيضاً إلى ذلك أنه شارك إبليس وهذه خبائث تأكل الحسنات، وأما ضرره في الدنيا فإنه الألم النقد الحاضر

[1] رواه البخاري (1/ 12)



شبكة الألوكة - قسم الكتب

والعذاب الأليم وأما كونه لا ضرر على المحسود فواضحٌ لأن النعمة لا تزول بالحسد. وأما منفعته في الدين فهو أن المحسود مظلوم من جهة الحاسد لا سيما إذا أخرج الحسد صاحبه إلى القول والفعل بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساوية فهذه هدايا تُهدى إليه، وأما منفعته في الدنيا للمحسود فهو أن أهم مقاصد أكثر أبناء الدنيا إيصال الضرر والهمّ إلى أعدائهم وهو متوفر في الحسد وقد فعل الحاسد بنفسه مرادهم، فأنت إذا حسدت بالحقيقة عدوٌ لنفسك صديق لعدوك ومع هذا كله فقد أدخلت السرور على إبليس وهو أعدى عدو لك ولغيرك ولو عقلت تماماً لعت وكلفت نفسك نقيض الحسد إذ أن كل مرض يعالج بضده.

4. القناعة بعطاء الله ﷻ: قال بعض الحكماء: "من رضي بقضاء الله ﷻ لم يسخطه أحد ومن قنع بعطائه لم يدخله حسد، فيكون راضياً عن ربه ﷻ ممتلئ القلب به، ويتيقن بأن الحرمان أحياناً للإنسان خيراً من العطاء، وأن المصيبة قد تكون له نعمة، وأن الإنسان أحياناً يحب ما هو شر له ويكره ما هو خير له.

ولقد أعطنا ابن القيم الوصفة الطبية للعلاج من هذا المرض فقال: "1. التعوذ بالله ﷻ من شره، والتحصن به واللجوء إليه: ولما كان الحسد سلوكًا، له آثارُه الضارَّة على المؤمن، فقد أمَرَ الحقُّ عبادَه أن يعوذوا به من شرِّ هذه الآفة القاتلة؛ قال ﷻ: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾

الفلق: ١ - ٥

2. تقوى الله ﷻ، وحفظه عند أمره ونهيه فمن أتقى الله ﷻ تولَّى الله ﷻ حفظه، ولم يكِلْه إلى غيره.

3. الصبر على عدوه، وألا يقاتله ولا يشكوه، ولا يحدّث نفسه بأذاه أصلًا فما نُصِرَ على حاسده وعدُوّهِ بمثل الصبر عليه.

4. التوكل على الله عَزَّوَجَلَّ، فمن توكل على الله عَزَّوَجَلَّ فهو حسبُه، والتوكُّل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يُطيق من أذى الخلق وظلمهم وعُدوانهم، والرضا بقضاء الله عَزَّوَجَلَّ وقدره خيره وشره وحلوه ومُرّه، على النفس أو على غيرها، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١١ ﴾ التغابن: ١١، وهو من أقوى الأسباب في ذلك، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حسبُهُ، أي كافيه، ومن كان الله عَزَّوَجَلَّ كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدوّه.

5. فراغُ القلب من الاشتغال به والفكر فيه، وأن يقصد أن يمحوه من باله كلما خطر له، فلا يلتفت إليه، ولا يخافه، ولا يملأُ قلبهُ بالفكر فيه، وهذا من أنفع الأدوية، وأقوى الأسباب المعينة على اندفاع شره.

6. تجريد التوبة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من الذنوب التي سَلَّطَتْ عليه أعداءه، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠ ﴾ الشورى: ٣٠

7. الصدقة والإحسانُ ما أمكنه، فإن لذلك تأثيرًا عجيبًا في دفع البلاء، ودفع العين، وشر الحاسد، ولو لم يكن في هذا إلا بتجارب الأمم قديمًا وحديثًا لكُفي به، فما حَرَسَ العبدُ نعمة الله عَزَّوَجَلَّ عليه بمثل شُكرها، ولا عرَّضها للزَّوال بمثل العمل فيها بمعاصي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو كُفرانُ النعمة، وهو بابٌ إلى كفران المُنْعِمِ.

8. وهو من أصعب الأسباب على النفس، وأشقها عليها، ولا يُوفَّق له إلا من عظُم حظُّهُ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو إطفاءُ نار الحاسد والباغي والمؤذي بالإحسان إليه، فكلما






ازداد أذى وشرًا وبغيًا وحسدًا ازددْت إليه إحسانًا، وله نصيحة، وعليه شفقةً، يقول ﷻ: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٦) ﴾ فصلت: ٣٤ - ٣٦

9. وهو الجامع لذلك كله، وعليه مدارُ هذه الأسباب، وهو تجريدُ التوحيد، والتَّرَحُّلُ بالفكر في الأسباب إلى المسبب العزيز الحكيم، والعلمُ بأن هذه الآلات بمنزلة حركات الرياح، وهي بيد مُحركها، وفاطرها وبارئها، ولا تضرُّ ولا تنفعُ إلا بإذنه، فهو الذي يُحسنُ عبدُهُ بها، وهو الذي يصرفها عنه وحدهُ لا أحد سواه، قال ﷻ: ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٠٧) ﴾ يونس: ١٠٧"[1]

[1] بدائع الفوائد لابن القيم (2/ 238 – 245) باختصار

www.alukah.net



# المرض الخامس
# الحقد

## تعريف الحقد

**في اللغة**: هو الاسم من قولهم: حقد فلان يحقد، وهو مأخوذ من مادّة (ح ق د) الّتي تدلّ على الضغن.

**قال ابن فارس**: "الحاء والقاف والدال أصلان: أحدهما الضغن، والآخر ألّا يوجد ما يطلب، فالأوّل الحقد، والآخر قولهم: أحقد القوم إذا طلبوا الذهبة في المعدن فلم يجدوها"[1]

**قال الجوهري**: "الحقد: الضغن وجمعه أحقاد، يقال: حقد عليه وحقد عليه، وأحقده غيره، ورجل حقود"[2]

**قال ابن منظور**: "الحقد إمساك العداوة في القلب والتربّص لفرصتها، والحقد: الضغن، وهو الحقيدة والجمع حقائد، يقال من ذلك: حقد عليّ يحقد حقداً، وحقد (بالكسر) حقداً وحقداً فيهما، فالحقد: الفعل (أي المصدر)، والحقد: الاسم (من ذلك)، وتحقّد كحقد، (في المعنى)

**قال جرير**: "ولقد جمعن مع البعاد تحقّداً، ورجل حقود: كثير الحقد، وأحقده الأمر: صيّره حاقداً، وأحقده غيره (جعله يحقد)"[3]

1 مقاييس اللغة لابن فارس (2/ 89)
2 الصحاح للجوهري (2/ 466)
3 لسان العرب لابن منظور (3/ 154)




شبكة الألوكة - قسم الكتب

**في الشرع**: هو الضغن والانطواء على البغضاء، وحفظ العداوة في القلب والتربص لفرصتها؛ حيث إنّ الحقد يقود إلى التسبب بالضرر للشخص المحقود عليه بأيِ وسيلةٍ كانت، فالشخص الحاقد ينتظر الفرصة المناسبة ليستطيع الانتقام من الشخص الذي يحقد عليه.

**قال الجرجاني**: " الحقد هو طلب الانتقام، وتحقيقه أنّ الغضب إذا لزم كظمه لعجز عن التشفّي في الحال رجع إلى الباطن واحتقن فيه فصار حقداً"[1]، " الحقد سوء الظن في القلب على الخلائق لأجل العداوة"[2]

**قال الجاحظ**: " الحقد هو إضمار الشرّ للجاني إذا لم يتمكّن من الانتقام منه فأخفى ذلك الاعتقاد إلى وقت إمكان الفرصة"[3]

## حكم الحقد

يختلف حكم الحقد في الإسلام حسب السبب الباعث له؛ فهو عندما يكون من دون حقٍ فإنّه مذموم شرعاً؛ لأنّه يُورث البغضاء، والكره، والعداوة بين الناس، فبعض الناس يحقدون على الآخرين دون سببٍ وإنما الغيرة منهم هي الدافع الأول، وقد ذمّ الله ﷻ المنافقين الذين يُظهرون الود للمسلمين وما إنْ يغيبوا يتغلّل الحقد في قلوبهم، قال ﷻ: ﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝١١٩ ﴾ آل عمران: ١١٩، إنّ الحقد على ظالمٍ؛ حيث يكون المظلوم غير قادرٍ على أخذ حقه أو ملاحقة الظالمِ لأسبابٍ كضعف حيلة المظلوم، أو جبروت الظالِم لا يُعدّ مذموماً في الشرع، ولكنْ عندما يظفر هذا

[1] التعريفات للجرجاني ص 91
[2] التعريفات للجرجاني ص 91
[3] تهذيب الأخلاق ص 33




المظلوم بالظالم فيمكنُ له أنْ يأخذ حقه منه أو العفو وذلك أفضل، وأن لا يبقى في قلبه حقد، قال ﷻ: ﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٢﴾ ﴾ الشورى: ٤١ – ٤٢، ولقد لخص ابن حجر الهيتمي حكم الحقد فقال:

"الحقد مع كلّ من الغضب بالباطل والحسد على أنّها جميعاً من كبائر الباطن، وعلّل جمعه لهذه الكبائر الثلاث بقوله: لما كانت هذه الثلاثة بينها تلازم وترتّب، إذ الحسد من نتائج الحقد، والحقد من نتائج الغضب كانت بمنزلة خصلة واحدة، وذمّ كلّ يستلزم ذمّ الآخر، لأنّ ذمّ الفرع وفرعه يستلزم ذمّ الأصل وأصله وبالعكس"[1]

## أسباب الحقد

قال الغزالي: "إنّ من آذاه شخص بسبب من الأسباب، وخالفه في غرضه بوجه من الوجوه، أبغضه قلبه وغضب عليه، ورسخ في قلبه الحقد عليه، والحقد يقتضي التشفّي والانتقام، فإن عجز المبغض (الحقود) أن يتشفّى بنفسه أحبّ أن يتشفّى من خصمه الزمان، وقد يحدث الحقد بسبب خبث النفس وشحّها بالخير لعباد الله ﷻ"[2]

ومن أسباب الحقد:

### 1. المماراة والمنافسة:

قال الغزالي: "وأشدُّ الأسباب لإثارة نار الحقد بين الإخوان المماراة والمنافسة، فإنها عين التدابر والتقاطع، فإن التقاطع يقع أولًا بالآراء، ثم بالأقوال ثم بالأبدان"[3]

---

[1] الزواجر لابن حجر الهيتمي (1/ 83)
[2] إحياء علوم الدين للغزالي (3/ 192 -193)
[3] إحياء علوم الدين للغزالي (2/ 179 – 180)



## 2. كثرة المزاح:

المزاح الذي يخرج عن حدِّه يغرس الحقد في القلوب، **قال الأبشيهي**: "المزاح يخرق الهيبة، ويذهب بماء الوجه، ويعقب الحقد، ويذهب بحلاوة الإيمان والود"[1]

## 3. الخصومة:

**قال النووي**: "والخصومة توغر الصدور، وتهيج الغضب، وإذا هاج الغضب حصل الحقد بينهما، حتى يفرح كل واحد بمساءة الآخر، ويحزن بمسرته، ويطلق اللسان في عرضه"[2]

4. الكراهية الشديدة.

5. الرغبة في الانتقام، وإنزال السوء بمن يكرهه الحاقد

6. إذا فات الشخص ما يتمناه لنفسه وحصل لغيره:

فالمسلم يجب أن يكون أوسع فكرة، وأكرم عاطفة، فينظر إلى الأمور من خلال الصالح العام، لا من خلال شهواته الخاصة.

وجمهور الحاقدين تغلي مراجل الحقد في أنفسهم؛ لأنهم ينظرون إلى الدنيا فيجدون ما يتمنونه لأنفسهم قد فاتهم، وامتلأت به أكف أخرى، وهذه هي الطامة التي لا تدع لهم قرارًا!!

وقديمًا رأى إبليس أن الحظوة التي يتشهاها قد ذهبت إلى آدم عليه السلام، فآل ألا يترك أحدًا يستمتع بها بعد ما حرمها، ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧ ﴾ الأعراف: ١٦ - ١٧، هذا الغليان الشيطاني هو الذي يضطرم في نفوس

---

[1] المستطرف في كل فن مستظرف ص للأبشيهي 133

[2] الأذكار للنووي ص 371

www.alukah.net


الحاقدين ويفسد قلوبهم، وقد أهاب الإسلام بالناس أن يبتعدوا عن هذا المنكر، وأن يسلكوا في الحياة نهجًا أرقى وأهدأ.

## آثار الحقد

إنَّ الحقد حمل ثقيل يتعب حامله، يحمله الجاهل في صدره فيشقي به نفسه، ويفسد به فكره، ويشغل به باله، ويقض به مضجعه، ويكثر به همه وغمه، إنه كحمل من أحمال الشوك الملتهب الحار، المحشو بصخور ثقيلة محمية تنفث السموم التي تلتهب منها الصدور، ويظل الجاهل الأحمق يحمل هذا الحمل الخبيث مهما حل أو ارتحل، حتى يشفي حقده بالانتقام ممن يحقد عليه ومن آثاره:

1. أنه يثمر الحسد، وهو أن يحملك الحقد على أن تتمنى زوال النعمة عنه؛ فتغتم بنعمة إن أصابها، وتسر بمصيبة إن نزلت به.
2. الشماتة بما أصابه من البلاء.
3. الهجران والمقاطعة.
4. الإعراض عنه استصغارًا له.
5. التكلم فيه بما لا يحل من كذب، وغيبة، وإفشاء سر، وهتك ستر، وغيره.
6. محاكاته استهزاء به، وسخرية منه.
7. إيذاؤه بالضرب وما يؤلم بدنه.
8. منعه من حقه من قضاء دين، أو صلة رحم، أو رد مظلمة.
9. الحقد من مظاهر دنو الهمة، فهو لا يصدر من النبلاء، ولا يليق بالعقلاء.
10. الحقد ينبت سوء الظن، وتتبع العورات، والهمز واللمز، والغيبة والنَّمِيمَة.
11. ومن مضار الحقد أيضًا أنه يقتضي التشفي والانتقام.




شبكة الألوكة - قسم الكتب

12. جحد الحق وعدم اتباعه.

## الألفاظ المرادفة أو المقاربة للحقد

1. **الضغينة:** إذا فسّرت كما سبق بأنّها الحقد الشديد أو الحقد المصحوب بالعداوة الظاهرة.

2. **النقمة:** وهي الكراهية الّتي تصل إلى حدّ السخط.

3. **الغلّ:** وممّن استعمل ذلك **القرطبيّ في تفسيره عندما قال**: الغلّ: هو الحقد الكامن في الصّدر.[1]

4. **الدخن:** وممّن استعمل الدخن في معنى الحقد أو فسّره به ابن حجر في الفتح عندما قال: الدخن: وهو الحقد.[2]

5. **الدخل:** قال الفرّاء: هو الدغل والخديعة والمكر، وقال أبو عبيدة: هو الغلّ والغشّ.[3]

6. **الغشّ المتعلّق بالقلب.**

7- **البغضاء.**

8. **الداغلة:** قال في اللسان: هي الحقد المكتتم[4] ، ومثلها الدغل.

## مضار الحقد

"1. الحقد يفضي إلى التنازع والتقاتل واستغراق العمر في غمّ وحزن.

2. الحقد مرض عضال من أمراض القلب، يخشى معه أن يتسرّب الإيمان من هذا القلب المريض.

---

[1] تفسير القرطبي (7/ 208)
[2] فتح الباري لابن حجر العسقلاني (13/ 36)
[3] تفسير القرطبي (10/ 171)
[4] لسان العرب ابن منظور (11/ 245)

3. الأحقاد نزغ من عمل الشيطان لا يستجيب له إلّا من خفّت أحلامهم وطاشت عقولهم.

4. الحقد مصدر للعديد من الرذائل مثل الحسد والافتراء والبهتان والغيبة.

5. في الحقد دليل على غباء صاحبه ووضاعته لأنّه ينظر إلى الأمور نظرة قاصرة لا تجاوز شهواته الخاصّة.

6. الحقد يغضب الربّ عَزَّ وَجَلَّ ويؤدّي بصاحبه إلى الخسران المبين في الدنيا والآخرة.

7. الحاقد قلق النفس دائما لا يهدأ له بال طالما رأى نعمة الله يسعد بها سواه.

8. الحاقد ساقط الهمّة، ضعيف النفس، واهن العزم، كليل اليد.

9. الحاقد رجل مضلّل ضائع، مخطئ في تقديره فهو محصور التفكير في الدنيا ومتاعها ويتّبع بالغيظ من نال منها حظّا أوفر.

10. الحاقد جاهل بربّه عَزَّ وَجَلَّ وبسننه في هذا الكون، لأنّ لله عَزَّ وَجَلَّ حكماً قد لا تظهر في التوّ واللحظة، وقد يكون ما ظنّه الحاقد نعمة فاتته وأدركت غيره مجرّد ابتلاء واختبار تجلب على صاحبها من العناء ما لا يطيقه الحاقد الّذي يتمنّاها.

11. الحقد يظهر عيوب الإنسان ويكشف عن الداء الدفين فيه"[1]

## علاج الحقد

**قال الغزالي:** "أما علاج الحقد فيكمن أوّلاً في القضاء على سببه الأصليّ وهو الغضب، فإذا حدث ذلك الغضب ولم تتمكّن من قمعه بالحلم وتذكّر فضيلة كظم الغيظ ونحوهما، فإنّ الشعور بالحقد يحتاج إلى مجاهدة النفس والزهد في الدنيا، وعليه أن يحذّر نفسه عاقبة الانتقام، وأن يعلم أنّ قدرة الله عَزَّ وَجَلَّ عليه أعظم من قدرته، وأنّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بيده الأمر والنهي لا رادّ لقضائه ولا معقّب لحكمه، هذا من ناحية العلم، أمّا من

[1] نظرة النعيم (10/ 4440)






حيث العمل فإنّ من أصابه داء الحقد فإنّ عليه أن يكلّف نفسه أن يصنع بالمحقود عليه ضدّ ما اقتضاه حقده فيبدّل الذمّ مدحاً، والتكبّر تواضعاً، وعليه أن يضع نفسه في مكانه ويتذكّر أنّه يحبّ أن يعامل بالرّفق والودّ فيعامله كذلك، إنّ العلاج الأنجع لهذا الدّاء يستلزم أيضاً من المحقود عليه إن كان عادياً على غيره أن يقلع عن غيّه ويصلح سيرته، وأن يعلم أنّه لن يستلّ الحقد من قلب خصمه إلّا إذا عاد عليه بما يطمئنه ويرضيه وعليه أن يصلح من شأنه ويطيّب خاطره، وعلى الطرف الآخر أن يلين ويسمح ويتقبّل العذر، وبهذا تموت الأحقاد وتحلّ المحبّة والألفة"[1]

## ومن علاج الحقد:

### 1. الدعاء:

المسلم يدعو الله ﷻ أن يجعل قلبه طاهرًا نقيًّا من الحقد والغل، قال ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠ ﴾ الحشر: ١٠، وكان النبي ﷺ يدعو ويقول: "رب أعني ولا تعن عليَّ، وانصرني ولا تنصر عليَّ، وامكر لي ولا تمكر عليَّ، واهدني ويسر الهدي لي، وانصرني على من بغى عليَّ، رب اجعلني لك شاكرًا، لك ذاكرًا، لك راهبًا، لك مطواعًا، إليك مخبتًا أو منيبًا، تقبل توبتي، واغسل حوبتي ، وأجب دعوتي، وثبت حجتي، واهد قلبي، وسدد لساني، واسلل سخيمة[2] قلبي"[3]

---

[1] خلق المسلم للغزالي ص 92

[2] السخيمة: الحقْدُ في النفسِ.

[3] مسند أحمد (3/ 452)، سنن ابن ماجه (2/ 1259)، السنن الكبرى للنسائي (9/ 224)

## 2. سلامة الصدر:

وسلامة الصدر تكون بعدم الحقد والغل والبغضاء، فعن الزبير بن العوام ﵁، قال: قال رسول الله ﷺ: " دب إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد، والبغضاء، والبغضاء هي: الحالقة، حالقة الدين لا حالقة الشعر، والذي نفس محمد بيده، لا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أنبئكم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم"[1]

## 3. تقوية رابط الأخوة الإيمانية:

إن الأخوة الإيمانية والغل لا يجتمعان في قلب واحد، إن عاطفة المؤمن نحو إخوانه المؤمنين تتدفق بالمحبة، فكيف يجد الغل إلى هذه العاطفة الكريمة سبيلًا؟! إنهما أمران لا يجتمعان، قال ﷻ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ الحشر: ٨ - ٩

## 4. التواضع:

لا شك أنَّ تواضع المسلم لأخيه المسلم يدفع بالأغلال والأحقاد، قال رسول الله ﷺ: "إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد"[2]، وقال أبو حاتم: "التواضع يكسب السلامة، ويورث الألفة، ويرفع الحقد، ويذهب الصد"[3]

---

[1] مسند أحمد (3/ 29)، سنن الترمذي (4/ 664)
[2] رواه مسلم (4/ 2198)
[3] صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال ص 417

5. ملء القلب بالمحبة وإرادة الخير للآخرين.

### 6. اعتذار المرء لأخيه:

**قال أبو حاتم:** "الاعتذار يذهب الهموم، ويجلي الأحزان، ويدفع الحقد، ويذهب الصدَّ، فلو لم يكن في اعتذار المرء إلى أخيه خصلة تحمد إلا نفي التعجب عن النفس في الحال، لكان الواجب على العاقل ألا يفارقه الاعتذار عند كل زلة"[1]

### 7. تقديم الهدية:

قال ﷺ: "تهادوا تحابوا"[2]، وذلك لأن الهدية خلق من أخلاق الإسلام دلت عليه الأنبياء عليهم السلام، وحث عليه خلفاؤهم الأولياء، تؤلف القلوب، وتنفي سخائم الصدور.

### 8. ترك الغضب الذي هو سبب للأحقاد:

الغضب يعتبر من الأسباب التي تؤدي إلى الحقد، فإذا اختلف شخص مع آخر في أمر ما غضب عليه، ثم الغضب يتحول إلى الحقد وإرادة الانتقام، وقد قال ﷺ: للرجل الذي أمره أن يوصيه: "لا تغضب فردد مرارًا، قال: لا تغضب"[3]

### 9. الإخلاص والمناصحة ولزوم الجماعة:

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "ثلاث لا يغلُّ عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة أئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن الدعوة تحيط من ورائهم"[4]، **قال ابن تيمية** رضي الله عنه: "ويغل: بالفتح هو المشهور ويقال: غلى صدره فغل إذا كان ذا غش وضغن وحقد"[5]، **وقال ابن القيم** رضي الله عنه: "أي: لا يحمل الغل، ولا يبقى فيه مع هذه الثلاثة، فإنها تنفى الغل والغش، وهو فساد القلب وسخايمه،

---

[1] روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص 186
[2] السنن الكبرى للبيهقي (6/ 280)
[3] رواه البخاري (8/ 28)
[4] سنن الترمذي (5/ 34)
[5] مجموع الفتاوى لابن تيمية (35/ 7)

فالمخلص لله عز وجل إخلاصه يمنع غل قلبه ويخرجه ويزيله جملة؛ لأنه قد انصرفت دواعي قلبه وإرادته إلى مرضاة ربه عز وجل، فلم يبقَ فيه موضع للغل والغش"[1]

[1] مفتاح دار السعادة لابن القيم (1/ 72)



# المـرض السـادس
# الجـحود

## تعريف الجحود

**في اللغة**: الجحود والجحد مصدر قولهم: جحد يجحد جحداً وجحوداً وهو مأخوذ من مادّة (ج ح د) الّتي تدلّ على قلّة الخير، يقال: عام جحد: قليل المطر، والجحد من كلّ شيء، القلّة، **قال الشّيبانيّ**: "أجحد الرّجل وجحد إذا أنفض وذهب ماله، ومن هذا الباب الجحود، ولا يكون إلّا مع علم الجاحد به أنّه صحيح، قال ﷻ: ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ﴿١٤﴾ ﴾ النمل: ١٤، وما جاء جاحد بخير قطّ"[1]

**يقول الجوهريّ**: "الجحود: الإنكار مع العلم، يقال: جحده حقّه وبحقّه، والجحد أيضا: قلّة الخير، وكذلك الجحد بالضّمّ ... والجحد بالتّحريك مثله، يقال: نكداً له وجحداً، وجحد الرّجل -بالكسر- جحداً، فهو جحد إذا كان ضيّقاً قليل الخير، وأجحد مثله"[2]

**قال الرّاغب الأصفهاني**: "يقال: رجل جحد شحيح، قليل الخير، يظهر الفقر، وأجحد: صار ذا جحد"[3]

**قال ابن منظور**: "والجحد: "الضّيق في المعيشة، يقال: جحد عيشهم جحدا، إذا ضاق واشتدّ"[4]

---
[1] مقاييس اللغة (1/ 426)
[2] الصحاح للجوهري (2/ 451 – 452)
[3] المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ص 187
[4] لسان العرب لابن منظور (3/ 106)

وجحد فلاناً: صادفه بخيلاً، قليل الخير، وجحد: نكد، وفرس جحد- ككتف- غليظ قصير، وجمعه جحاد"[1]

## في الشرع:

**قال الجرجانيّ:** "هو عبارة عن الإخبار عن ترك الفعل في الماضي"[2]

**يقول الرّاغب الأصفهاني:** "الجحود: نفي ما في القلب إثباته، وإثبات ما في القلب نفيه"[3]

**قال المناويّ:** "الجحد إنكار ما سبق له وجود، وهو خلاف النّفي"[4]

## الفرق بين النفي والجحد

"الجحد مختصّ بالماضي، والنّفي عامّ يشمل الماضي والحاضر، والجحد يقال فيما ينكر باللّسان دون القلب، والنّفي يقال فيهما، والنّافي إذا كان كلامه صادقاً يسمّى كلامه نفياً، ولا يسمّى جحداً، قال ﷻ: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴿٤٠﴾ ﴾ الأحزاب: ٤٠، فهذا نفي، وإن كان كاذباً يسمّى جحداً ونفياً كما في قوله ﷻ:

﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ﴿١٤﴾ ﴾ النمل: ١٤"[5]

## أنواع الجحود

كفر الجحود نوعان: كفر مطلق عام، وكفر مقيد خاص.

**فالمطلق:** أن يجحد جملة ما أنزله الله ﷿، وإرساله الرسول ﷺ.

---

[1] تاج العروس (7/ 472)
[2] التعريفات للجرجاني ص74
[3] المفردات في غريب القرآن للرغب الأصفهاني ص 187
[4] التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص 121
[5] التعريفات للجرجاني ص 74، التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص 121، الكليات للكفوي ص 834





شبكة الألوكة - قسم الكتب

**والخاص المقيد**: أن يجحد فرضاً من فروض الإسلام، أو تحريم محرم من محرماته، أو صفة وصف الله ﷻ بها نفسه، أو خبراً أخبر الله ﷻ به، عمداً، أو تقديماً لقول من خالفه عليه لغرض من الأغراض.

وأما جحد ذلك جهلاً، أو تأويلاً يعذر فيه صاحبه فلا يكفر صاحبه به، كحديث الذي جحد قدرة الله ﷻ عليه وأمر أهله أن يحرقوه ويذروه في الريح، ومع هذا فقد غفر الله ﷻ له، ورحمه لجهله، إذ كان ذلك الذي فعله مبلغ علمه، ولم يجحد قدرة الله ﷻ على إعادته عناداً أو تكذيباً."[1]

## أسباب الجحود

**قال الغزالي**: "اعلم أنه لم يقصر بالخلق عن شكر النعمة إلا الجهل والغفلة فإنهم منعوا بالجهل والغفلة عن معرفة النعم ولا يتصور شكر النعمة إلا بعد معرفتها ثم إنهم إن عرفوا نعمة ظنوا أن الشكر عليها أن يقول بلسانه الحمد لله الشكر لله ولم يعرفوا أن معنى الشكر أن يستعمل النعمة في إتمام الحكمة التي أريدت بها وهي طاعة الله ﷻ، فلا يمنع من الشكر بعد حصول هاتين المعرفتين إلا غلبة الشهوة واستيلاء الشيطان، أما الغفلة عن النعم فلها أسباب وأحد أسبابها أن الناس بجهلهم لا يعدون ما يعم الخلق ويسلم لهم في جميع أحوالهم نعمة فلذلك لا يشكرون على جملة ما ذكرناه من النعم؛ لأنها عامة للخلق مبذولة لهم في جميع أحوالهم فلا يرى كل واحد لنفسه منهم اختصاصاً به فلا يعده نعمة ولا تراهم يشكرون الله ﷻ على روح الهواء ولو أخذ بمختنقهم لحظة حتى انقطع الهواء عنهم ماتوا ولو حبسوا في بيت حمام فيه هواء حار أو في بئر فيه هواء ثقل برطوبة الماء ماتوا غماً، فإن ابتلى واحد منهم بشيء من ذلك

[1] مدارج السالكين لابن القيم (1/ 348)

www.alukah.net
شبكة الألوكة


ثم نجا ربما قدر ذلك نعمة وشكر الله عز وجل عليها وهذا غاية الجهل إذ صار شكرهم موقوفاً على أن تسلب عنهم النعمة ثم ترد عليهم في بعض الأحوال والنعمة في جميع الأحوال أولى بأن تشكر في بعضها فلا ترى البصير يشكر صحة بصره إلا أن تعمى عينيه فعند ذلك لو أعيد عليه بصره أحسّ به وشكره وعدّه نعمة، وهذا الجاهل الّذي لم يقدّر نعمة الله عز وجل عليه مثل العبد السّوء، حقّه أن يضرب دائما حتّى إذا ترك ضربه ساعة تقلّد به منّة، فإن ترك ضربه على الدّوام غلبه البطر وترك الشّكر، فصار النّاس لا يشكرون إلّا المال الّذي يتطرّق إليه الاختصاص من حيث الكثرة والقلّة وينسون جميع نعم الله سبحانه وتعالى عليهم، ولو أمعن الإنسان النّظر في أحواله رأى من الله سبحانه وتعالى نعماً كثيرة تخصّه لا يشاركه فيها النّاس كافّة بل يشاركه عدد يسير من النّاس، وربّما لا يشاركه فيها أحد من الخلق، وذلك يتمثّل في ثلاثة أمور يعترف بها كلّ عبد:

**أحدها**: العقل. فإنّه ما من عبد لله عز وجل إلّا وهو راض عن الله سبحانه وتعالى في عقله يعتقد أنّه أعقل النّاس، وقلّ من يسأل الله سبحانه وتعالى العقل، ولذا وجب على كلّ الخلق شكر الله سبحانه وتعالى.

**والأمر الثّاني**: الخلق، فما من عبد إلّا ويرى من غيره عيوباً يكرهها وأخلاقاً يذمّها، وإنّما يذمّها من حيث يرى نفسه بريئاً منها فإذا لم يشتغل بذمّ الغير وجب عليه أن يشكر الله سبحانه وتعالى إذ حسن خلقه وابتلي غيره بسوء الخلق.

**والأمر الثّالث** الّذي يقرّ به كلّ واحد: العلم، فما من أحد إلّا ويعرف بواطن أمور نفسه وخطايا أفكاره وما هو منفرد به، ولو كشف الغطاء حتّى اطّلع عليه أحد من الخلق لا فتضح، فكيف لو اطّلع النّاس كافّة ألا يوجب ستر القبيح وإخفاؤه عن عين النّاس شكر هذه النّعمة العظيمة؟ ولم يصرف الخلق عن شكر هذه النّعمة إلّا الغفلة والجهل، وأعمّ من هذه الأمور أمور أخرى فما من واحد من الخلق إلّا وقد رزقه الله



شبكة الألوكة - قسم الكتب

ﷻ في صورته أو أخلاقه أو صفاته أو أهله أو والده أو مسكنه أو بلده أو رفيقه أو زوجه أو ولده أو عزّه أو جاهه أو في سائر أموره، فإنّه لو سلب ذلك منه وأعطي ما خصّص به غيره فإنّه لا يرضى به فإذا كان الأمر كذلك فقد وجب على كلّ الخلق أن يشكروه على أن جعلهم على هذه الحالة الّتي هم عليها ولم يجعلهم على حال الآخرين، ولكن غلب عليهم كفر النّعمة، وما سدّ على الخلق طريق الشّكر إلّا جهلهم بضروب النّعم الظّاهرة والباطنة والخاصّة والعامّة، أو الغفلة عنها لحصولهم عليها بلا أدنى سبب"[1]

## مضار الجحود

"1. يسبّب غضب الرّبّ ﷷ.
2. يعرض عنه الخلق ولا يمدّون إليه يد المساعدة.
3. الجحود من أسباب منع النّعم ومنع نزولها وزوالها بعد حصولها.
4. فيه تشبّه باليهود والكفّار والملحدين.
5. يقطّع أواصر المجتمع المسلم.
6. لا يصرف الله ﷷ عن شكر نعمه إلّا غافلاً أو جاهلاً."[2]

## علاج الجحود

أولاً: إذا أحسنت فاجعله لله ﷷ وتعامل مع الله ﷻ ولا تتعامل مع الخلق ولا تنتظر من أحد جزاء ولا شكوراً.

ثانياً: احرص على اختيار الشخص المناسب من أهل المروءة والفضل الذي يستحق الإحسان والبذل.

[1] إحياء علوم الدين للغزالي (4/ 123 -126) بتصرف
[2] نظرة النعيم (9/ 4337)

ثالثاً: اتق شر من أحسنت إليه وكن على حذر منه.

رابعاً: وطن نفسك على تغير أحوال من أحسنت إليهم وتوقع منهم النكران والجفاء.

خامساً: لا تجعل إحسانك للناس وعطائك على حساب أهلك ونفسك مما يلحق الضرر بك ويسبب لك الحرج إلا إذا تيقنت أن إحسانك في موضعه وأن معروفك في أهل العلم والفضل ممن يتقرب إلى الله ﷻ بخدمتهم وإيثارهم.

سادساً: عند بذلك للإحسان والفضل كن واثقاً بالله ﷻ معتمداً عليه ثم على قرارك المناسب ورأي أهل الحكمة ولا تلتفت أبداً إلى أقاويل الناس وإشاعاتهم التي تسفه الكريم على بذله وإحسانه وتذمه على منعه وإمساكه فإن من أرعى سمعه لكلام الناس اختلطت عليه الأمور وتوقف عن عمل الخير والناس لا يرضيهم شيء.

**وكن دائماً من الشاكرين لأنعم الله ﷻ ولا تكن من الجاحدين الناكرين للجميل، وقل دائماً الحمد لله، فيعطيك الله ﷻ من عنده ما تتمناه وتشاء.**

# المرض السابع
# الجزع

## تعريف الجزع

**في اللغة**: "مصدر قولهم: جزع يجزع جزعاً، وهو مأخوذ من مادّة (ج ز ع) الّتي تدلّ على الانقطاع، من ذلك جزعت الرّملة إذا قطعتها، وجزع الوادي، وهو الموضع الّذي يقطعه من أحد جانبيه إلى الجانب الآخر، والجزع نقيض الصّبر؛ لأنّ فيه انقطاع المنّة عن حمل ما نزل"[1]، يقال من ذلك: جزع يجزع جزعاً، والوصف من ذلك جازع وجزع وجزوع، فإذا كثر ذلك منه قيل جزوع وجزاع، والجزوع في قوله ﷻ: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾﴾ المعارج: ٢٠، هو الّذي لا صبر عنده إذا مسّه الشّرّ، ويقال: أجزعه إذا أزال جزعه، ومن ذلك ما جاء في الحديث: لما طعن عمر رضي الله عنه جعل ابن عبّاس رضي الله عنهما يجزّعه، قال ابن الأثير: "أي يقول له ما يسليه ويزيل جزعه، ويقال أيضاً: أجزعه الأمر، إذا أصابه بالجزع"[2][3]،

**وقال الرّاغب**: "أصل الجزع قطع الحبل من نصفه، ولتصوّر الانقطاع قيل جزع الوادي لمنقطعه، ولانقطاع اللّون بتغيّره قيل للخرز الملوّن جزع، وعنه استعير قولهم لحم مجزّع إذا كان ذا لونين، ورجل جزع إذا ضعفت قوّته عن حمل ما نزل به ولم يجد صبرا والجزع (بسكون الزاي) مصدر جزعت الوادي إذا قطعته عرضا، وفي الحديث: "أنّه وقف

---

[1] مقاييس اللغة (1/ 453)
[2] النهاية في غريب الحديث والاثر لابن الأثير (1/ 269)
[3] لسان العرب لابن منظور (8/ 47)

على محسّر فقرع راحلته فخبّت حتّى جزعه"، أي قطعه، ولا يكون إلّا عرضاً، ومنه حديث مسيره إلى بدر ثمّ جزع الصّفيراء، أي قطعها عرضاً، والجزيعة: القطعة من الغنم، وربّما استعملت تصغيرا لجزعة وهي القليل من اللّبن أو الماء"[1]

"الجزوع ضدّ الصّبور على الشّرّ، والجزع نقيض الصّبر، جزع بالكسر، يجزع جزعاً فهو جازع وجزع وجزوع. وقيل إذا كثر منه الجزع فهو جزوع وجزاع"[2]، قال ﷻ:

﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾ المعارج: ٢٠ - ٢١

## في الشرع:

**قال المناويّ:** "الجزع حزن يصرف الإنسان عمّا هو بصدده، ويقطعه عنه قهراً، وهو أبلغ من الحزن"[3]

**قال الكفوي:** "الجزع حزن يصرف الإنسان عما هو بصدده ويقطعه عنه؛ وهو أبلغ من الحزن"[4]

**قال الراغب:** " الجَزَع: أبلغ من الحزن، فإنّ الحزن عام والجزع هو: حزن يصرف الإنسان عما هو بصدده ويقطعه عنه"[5]

**قال الجاحظ:** "الجزع خلق مركّب من الخرق والجبن"[6]، وقال أيضاً: "الجزع مستقبح ومكروه إذا لم يكن مجدياً ولا مفيداً، فأمّا إظهار الجزع لتمحّل حيلة بذلك عند الوقوع في الشّدّة، أو استغاثة مغيث، أو اجتلاب معين فغير مكروه ولا يعدّ نقيصة"[7]

[1] المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص 195
[2] لسان العرب لابن منظور (8/ 47)
[3] التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص 125
[4] الكليات للكفوي ص 354
[5] المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص 194
[6] تهذيب الأخلاق للجاحظ ص 34
[7] تهذيب الأخلاق للجاحظ ص 34

## أسباب الجزع

1. الأسف وشدَّة الحسرة، فلا يرى مِن مصابه خلفًا، ولا يجد لمفقوده بدلًا؛ فيزداد بالأسف وَلَهًا، وبالحسرة هلعًا، ولذلك قال ﷻ: ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ الحديد: ٢٣، اليأس مِن جبر مصابه، وطلابه، فيقترن بحزن الحادثة قنوط الإياس، فلا يبقى معهما صبرٌ، ولا يتَّسع لهما صدرٌ، وقد قيل : المصيبة بالصَّبر أعظم المصيبتين، **قال ابن القيّم** رضي الله عنه: "وإذا اطمأنَّ إلى حكمه الكوني: عَلِمَ أنَّه لن يصيبه إلَّا ما كتب الله ﷻ له، وأنَّه ما يشاء كان، وما لم يشأ لم يكن، فلا وجه للجَزَع والقلق إلَّا ضعف اليقين والإيمان، فإنَّ المحذور والمخوف، إن لم يُقَدَّر فلا سبيل إلى وقوعه، وإن قُدِّر فلا سبيل إلى صرفه بعد أن أُبْرِم تقديره، فلا جَزَع حينئذ لا ممَّا قُدِّر ولا ممَّا لم يُقَدَّر"[1]

2. عدم الاستعانة بالله ﷻ في المصيبة.

3. عدم النَّظر إلى مَن هم أشدُّ منه مصيبة وغمًّا وألـمًا.

4. العَجْز، **قال ابن القيِّم**: "الجزع قرين العجز وشقيقه، والصبر قرين الكيس ومادته، فلو سئل الجزع: من أبوك؟ لقال: العجز"[2]

5. ترك الرضا بما يوجب القضاء.

6. كثرة الشَّكوى، وبثُّ الجزع، فقد قيل في قوله ﷻ: ﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ ﴾ المعارج: ٥، إنَّه الصَّبر الذي لا شكوى فيه، ولا بثٌّ.

---

[1] مدارج السالكين لابن القيم (2/ 483)
[2] عدة الصابرين لابن القيم ص 18

7. أن يغرى بملاحظة مَن حِيطَت سلامته، وحرست نعمته، حتى الْتَحَف بالأمن والدَّعة، واستمتع بالثَّروة والسَّعة، ويرى أنَّه قد خُصَّ مِن بينهم بالرَّزيَّة بعد أن كان مساويًا، وأفرد بالحادثة بعد أن كان مكافيًا، فلا يستطيع صبرًا على بلوى، ولا يلزم شكرًا على نعمى، ولو قابل بهذه النَّظرة ملاحظة مَن شاركه في الرَّزيَّة، وساواه في الحادثة لتكافأ الأمران، فهان عليه الصَّبر وحان منه الفرج.

8. ضعف الإيمان: **قال القاسمي:** " والجزع واليأس من الفرج عند مس شر قضى عليه، وكل ذلك مما ينافي عقد الإيمان"[1]

9. عدم توطين النَّفس على وقوع المكروه، **قال أبو حاتم:** "السَّبب المؤدِّي إلى إظهار الجَزَع عند فِرَاق المتواخين هو: ترك الرِّضا بما يوجب القضاء، ثمَّ ورود الشَّيء على مُضْمَر الحشا بعدما انطوى عليه قديمًا، فمَن وطَّن نفسه في ابتداء المعاشرة على ورود ضدِّ الجميل عليها مِن صحبته، وتأمَّل ورود المكروه منه على غفلته، لا يُظْهِر الجَزَع عند الفراق، ولا يشكو الأسف والاحتراق إلَّا بمقدار ما يوجب العِلْمُ إظهاره"[2]

## آثار الجزع

1. الدُّعاء على النَّفس.

2. يورث الحسرة، وبقاء النَّدامة، قيل للأحنف: إنَّك لصبورٌ على الجَزَع! فقال: الجزع شرُّ الحالين؛ يباعد المطلوب، ويورث الحسرة، ويُبقي على صاحبه النَّدم"[3]

3. ليس مع الجزع فائدة، كان أبو بكر الصِّدِّيق ﵁ إذا عزَّى عن ميت، قال لوليه: "ليس مع العزاء مصيبة، ولا مع الجزع فائدة"[4]

[1] محاسن التأويل للقاسمي (6/ 499)
[2] روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص 112
[3] المجالسة وجواهر العلم لأبي بكر الدينوري (5/ 113)
[4] حياة الصحابة للكاندهلوى (3/ 387)



4. فوات الأجر، وتضاعف المصيبة، **قال ابن القيم**: "الجزع لا يفيد إلَّا فوات الأَجر وتضاعف المصيبة"[1]

5. الجزع يورث السَّقم، **قال الفضيل بن عياض** رضي الله عنه: "إنَّ الجزع يورث السَّقم، وبالسَّقم يكون الموت، وبالبُرْء تكون الحياة"[2]

6. زيادة البلاء.

7. سوء الظن بالله عز وجل، وعدم الثقة به سبحانه وتعالى.

8. انتفاء كمال الإيمان.

9. عدم الرضا بالمقدور، وعجزه عن فعل المأمور.

10. استحقاق العذاب في الآخرة.

11. قلق النفس واضطرابها.

12. الجزع يشقى به جلساؤه، ويمله أقرباؤه.

## أنواع الجزع

### الجَزَع على قسمين:

1. الجَزَع في الخطايا.

2. الجَزَع في المصائب.

وفي ذلك **يقول سعيد بن جبير** رضي الله عنه عندما سئل عن الجَزَع: "الجَزَع على نحوين: أحدهما في الخطايا، أن يجزع الرَّجل إليها، والآخر في المصائب، فأمَّا جزع المصيبة: فهو ألَّا يحتسبها العبد عند الله عز وجل، ولا يرجو ثوابها، ويرى أنَّه سوءٌ أصابه، فذلك الجَزَع، ويفعل ذلك وهو متجلِّدٌ لا يبين منه إلَّا الصَّبر"[3]

---

[1] طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم ص 218
[2] البيان والتبيين للجاحظ (3/ 95)
[3] الصبر والثواب عليه لابن أبي الدنيا ص 128




## الفرق بين الجزع ورقة القلب

قال ابن القيم ﷺ: "أن الجزع ضعف في النفس وخوف في القلب يمده شدة الطمع والحرص ويتولد من ضعف الإيمان بالقدر وإلا فمتى علم أن المقدر كائن ولا بد كان الجزع عناء محضاً ومصيبة ثانية، قال ﷻ: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ الحديد: ٢٢ - ٢٣، فمتى آمن العبد بالقدر وعلم أن المصيبة مقدرة في الحاضر والغائب لم يجزع ولم يفرح، ولا ينافي هذا رقة القلب فإنها ناشئة من صفة الرحمة التي هي كمال، والله ﷻ إنما يرحم من عباده الرحماء وقد كان رسول الله ﷺ أرق الناس قلباً وأبعدهم من الجزع، فرقة القلب رأفة ورحمة وجزعه مرض وضعف، فالجزع حال قلب مريض بالدنيا قد غشيه دخان النفس الأمارة فأخذ بأنفاسه وضيق عليه مسالك الآخرة وصار في سجن الهوى والنفس وهو سجن ضيق الأرجاء مظلم المسلك فانحصار القلب وضيقه يجزع من أدنى ما يصيبه ولا يحتمله فإذا أشرق فيه نور الإيمان واليقين بالوعد وامتلأ من محبة الله ﷻ وإجلاله رق وصارت فيه الرأفة والرحمة فتراه رحيماً رفيق القلب بكل ذي قربى ومسلم يرحم النملة في حجرها والطير في وكره فضلاً عن بني جنسه فهذا أقرب القلوب من الله ﷻ"[1]

## مضار الجزع

"1. سوء الظّنّ بالله ﷻ وعدم الثّقة به ﷻ.

[1] الروح لابن القيم ص 250



2. انتفاء كمال الإيمان.

3. عدم الرّضا بالمقدور وعجزه عن فعل المأمور.

4. استحقاق العذاب في الآخرة.

5. قلق النّفس واضطرابها.

6. الجزع يشقى به جلساؤه ويملّه أقرباؤه"[1]

## علاج الجزع

1. قوّة الإيمان، فعن صهيب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "عجبًا لأمر المؤمن، إنَّ أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيرًا له"[2]

2. ذكر الله ﷻ، فذِكْرُ الله ﷻ يعين على الثَّبات في الشَّدائد، قال ﷻ:

﴿ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ الأنفال: ٤٥، **ذكر القرطبيُّ** أقوالًا للعلماء في معنى هذه الآية، منها: "اذكروا الله عند جَزَعِ قلوبكم، فإنَّ ذِكْرَه يعين على الثَّبات في الشَّدائد"[3]

3. الثبات والصبر على ما نزل به مِن مكروه، **قال ابن القيم** ﷺ: "وإذا صبر واحتسب أنضى شيطانه، وردَّه خاسئًا، وأرضى ربَّه ﷻ، وسرَّ صديقه، وساء عدوَّه، وحمل عن إخوانه، وعزَّاهم هو قبل أن يعزُّوه، فهذا هو الثَّبات والكمال الأعظم، لا لَطْمُ الخدود، وشقُّ الجيوب، والدُّعاء بالويل والثُّبور، والسُّخط على المقدور"[4]

---

[1] نظرة النعيم (9/ 4356)
[2] رواه مسلم (4/ 2295)
[3] تفسير القرطبي (8/ 23)
[4] زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم (4/ 176)

4. توقُّع حدوث المصاب، **قال أبو حاتم**: "فمَن وطَّن نفسه في ابتداء المعاشرة على ورود ضدِّ الجميل عليها مِن صحبته، وتأمَّل ورود المكروه منه على غفلته، لا يُظْهِر الجَزَع عند الفراق، ولا يشكو الأسف والاحتراق إلَّا بمقدار ما يوجب العِلْم إظهاره"[1]

5. معرفة أنَّ المقدور لا حيلة في دفعه، **قال ابن القيم** رضي الله عنه: "أنَّ المقدور لا حيلة في دفعه، وما لم يُقَدَّر لا حيلة في تحصيله، فالجزع ضره أقرب من نفعه"[2]

6. العلم بأنَّ الجَزَع يُشمِتُ الأعداء.

7. العلم بأنَّ الجَزَع يَسُوء الأصدقاء.

8. العلم بأنَّ الجَزَع يُغْضِب الله عز وجل.

9. العلم بأنَّ الجَزَع يَسرُّ الشَّيطان.

10. العلم بأنَّ الجَزَع يُحْبِط الأجر.

11. العلم بأنَّ الجَزَع يُضْعِف النَّفس.

فلقد أوضح القرآن الكريم علاج هذه الأمور القلبيّة في قوله سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ المعارج: ١٩ - ٢٢ ، فأوضح بجلاء لا ريب فيه أنّ الصلاة تقي صاحبها هذه المشاعر القلبيّة، **يقول ابن بطّال**: "المراد من الآيات الكريمة إثبات خلق الله سبحانه وتعالى للإنسان بأخلاقه من الهلع والصّبر، والمنع والإعطاء، وقد استثنى الله عز وجل المصلّين الّذين هم على صلاتهم دائمون، لا يضجرون بتكرّرها عليهم"[3]

---

[1] روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص 112
[2] عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم ص 52
[3] فتح الباري لابن حجر (13/ 511)



وفي السّنّة المطهّرة ما يفيد تأثير الصّلاة في راحة القلب بها، ويدلّ على ذلك، قوله ﷺ: "يا بلال أقم الصّلاة أرحنا بها"[1]، وكان ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصّلاة"[2]

وأمّا ذكر الله ﷻ، قال ﷻ: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ٢٨﴾ الرعد: ٢٨

وإضافة إلى الصّلاة والذّكر، فإنّ الرّضا بقضاء الله ﷻ والتّذرّع بالصّبر الجميل ممّا يساعد على التّخلّص من هذه الأمور ونحوها.

---

[1] المعجم الكبير للطبراني (6/ 276)

[2] أخرجه ابن حبان في الثقات (8/ 168)، وأخرجه الطبري في التفسير (1/ 260)




# المرض الثامن
# الجهل

## تعريف الجهل

**في اللغة**: الجهل مصدر قولهم جهل يجهل، وهو مأخوذ من مادّة (ج ه ل) الّتي تدلّ على معنيين، **يقول ابن فارس**: "الجيم والهاء واللّام" أصلان: أحدهما خلاف العلم، والآخر: الخفّة وخلاف الطّمأنينة، فالأوّل الجهل نقيض العلم، ويقال للمفازة الّتي لا علم بها مجهل، والثّاني: قولهم للخشبة الّتي يحرّك بها الجمر مجهل، ويقال: استجهلت الرّيح الغصن إذا حرّكته فاضطرب"[1]

**قال الجوهري**: "وتجاهل، أي أرى من نفسه ذلك، وليس به، واستجهله: عدّه جاهلاً، والمجهل: المفازة لا أعلام فيها، يقال: ركبتها على مجهولها"[2]

**ويقول الرّاغب**: "والجاهل تارة يذكر على سبيل الذّمّ وهو الأكثر، وتارة لا على سبيل الذّمّ نحو ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ ﴿٢٧٣﴾﴾ البقرة: ٢٧٣، أي من لا يعرف حالهم وليس يعني المتخصّص بالجهل المذموم، والمجهل: الأمر والأرض والخصلة الّتي تحمل الإنسان على الاعتقاد بالشّيء خلاف ما هو عليه"[3]

**قال الفيومي**: "وجهل على غيره سفه وأخطأ، وجهل الحقّ أضاعه فهو جاهل وجهول"[4]

---

1 مقاييس اللغة لابن فارس (1/ 489)
2 الصحاح للجوهري (4/ 1664)
3 المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص 209
4 المصباح المنير (1/ 113)



**قال ابن منظور:** "الجهل نقيض العلم، والجهل: ضدّ الخبرة، يقال: هو يجهل ذلك أي لا يعرفه، ويقال: مثلي لا يجهل مثلك، وقد جهله فلان جهلاً وجهالة، وجهل عليه وتجاهل: أظهر الجهل واستجهله: عدّه جاهلاً واستخفّه، والتّجهيل: أن تنسبه إلى الجهل، وأجهلته أي جعلته جاهلاً، الجهالة: أن تفعل فعلا بغير العلم. والمجهلة: ما يحملك على الجهل، وفي الحديث: "الولد مبخلة مجبنة مجهلة": أي إنّ الأبناء يحملون الآباء على الجهل بملاعبتهم إيّاهم حفظاً لقلوبهم، ويقال: إنّ من العلم جهلاً: معناه أن يتعلّم مالا يحتاج إليه كالنّجوم وعلوم الأوائل، ويدع ما يحتاج إليه في دينه من علم القرآن والسّنّة. وقيل: أن يتكلّف العالم إلى علم مالا يعلمه فيجهّله ذلك.

والجاهليّة: زمن الفترة قبل الإسلام، وقالوا الجاهليّة الجهلاء، فبالغوا، والثّانية توكيد للأولى، اشتقّ له من اسمه ما يؤكّد به كما يقال: وتد واتد، وليلة ليلاء، ويوم أيوم، وفي الحديث: "إنّك امرؤ فيك جاهليّة"، والمراد: الحالة التي كانت عليها العرب قبل الإسلام من الجهل بالله ﷻ ورسوله ﷺ وشرائع الين المفاخرة بالأنساب والكبر والتجبر وغير ذلك"[1]

## في الشرع:

**قال الجرجانيّ:** "الجهل: هو اعتقاد الشّيء على خلاف ما هو عليه، واعترضوا عليه بأنّ الجهل قد يكون بالمعدوم، وهو ليس بشيء، والجواب عنه أنّه شيء في الذّهن"[2]، **قال المناويّ:** "الجهل: هو التّقدّم في الأمور المنبهمة بغير علم"[3]

[1] مقاييس اللغة لابن فارس (1/ 489)، والمفردات للراغب ص 101، لسان العرب (2/ 713 - 714) بتصرف، وانظر الصحاح (4/ 1663 - 1664)، ومختار الصحاح ص 115
[2] التعريفات للجرجاني ص 80
[3] التوقيف على مهمات التعريف للمناوي ص 133




**قال ابن نجيم**: "حقيقة الجهل: عدم العلم بما من شأنه أن يكون معلوماً فإن قارن اعتقاد النّقيض، أي الشّعور بالشّيء على خلاف ما هو به فهو الجهل المركّب، فإن عدم الشّعور بذلك فهو الجهل البسيط"[1]

## مظاهر الجهل

ومن مظاهر الجهل وصوره كما جاءت في القرآن الكريم:

1. **الهزء في موضع الجد**: ونلمس هذا في قصة موسى عليه السلام مع قومه في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ البقرة: ٦٧

2. **تغليب العاطفة على العقل**: ونلمس هذا المسلك في قصة نوح عليه السلام مع ابنه، حيث طلب نوح عليه السلام من الله عز وجل الشفاعة في ابنه الذي كفر وكان من المغرقين، فقال سبحانه وتعالى في شأنه: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ هود: ٤٥ - ٤٦

3. **تقويم الناس بالمال والجاه لا بالقيم والأخلاق**: ونلمس هذا في قوم نوح عليه السلام الذين نظروا إلى من آمن منهم نظرة ازدراء واحتقار؛ لأنهم فقراء لا يملكون مالاً ولا جاهاً، وطلبوا من نوح عليه السلام أن يطردهم ويتخلى عنهم، قال سبحانه وتعالى: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ

[1] الأشباه والنظائر لابن نجيم ص 261



﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ٢٨ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ٢٩﴾ هود: ٢٧ - ٢٩، أي: لا تعلمون الميزان الذي يوزن به الناس وهو ميزان الله ﷻ الذي يقوّم الناس بإيمانهم وأعمالهم لا بمالهم وجاههم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"[1]

4. **الشذوذ عن الفطرة:** ونلمس هذا في قصة لوط عليه السلام، فقد شذ قومه لجهلهم وسفههم وطيشهم عن الفطرة، وذلك بإتيانهم الذكران من العالمين وتركم لما خلق الله سبحانه وتعالى لهم من أزواج: ﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ٥٤ أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ٥٥﴾ النمل: ٥٤ - ٥٥

5. **استعجال عقاب الله سبحانه وتعالى:** وهذا ما نلمسه في قصة هود عليه السلام مع قومه الكافرين المعرضين عن دعوته: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٢ قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ٢٣﴾ الأحقاف: ٢٢ - ٢٣

[1] رواه مسلم (4/ 1987)

6. طلب عبادة الأوثان: وهذا ما نلمسه في قصة موسى عليه السلام مع قومه الذين طلبوا منه أن يجعل لهم صنماً يعبدونه ويعكفون عليه شبيهاً بآلهة الكنعانيين التي مروا عليها وهم في طريقهم إلى بلاد الشام: ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (138) ﴾ الأعراف: ١٣٨

7. المطالبة بإنزال الخوارق والمعجزات بعد بيان الحق ووضوحه: ونلمس هذا في قصة رسول الله ﷺ مع الكفار من قومه الذين طالبوه بالمعجزات المادية مع أنه أتاهم بأعظم معجزة وهي القرآن العظيم الذي تحدي بيانه وفصاحته وبلاغته الإنس والجن، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ (111) ﴾ الأنعام: ١١١

## أنواع الجهل

قال الراغب الأصفهاني: "الإنسان في الجهل على أربع منازل:

الأول: من لا يعتقد اعتقادًا لا صالحًا ولا طالحًا، فأمره في إرشاده سهل، إذ كان له طبع سليم، فإنه كلوح أبيض لم يشغله نقش، وكأرض بيضاء لم يلق فيها بذر، ويقال له باعتبار العلم النظري: غُفل، وباعتبار العلم العملي: غُمر، ويقال له: سليم الصدر.

والثاني: معتقد لرأي فاسد لكنه لم ينشأ عليه ولم يترب به، واستنزاله عنه سهل وإن كان أصعب من الأول فإنه كلوح يحتاج فيه إلى محو وكتابة، وكأرض يحتاج فيها إلى تنظيف، ويقال له: غاو وضال.



والثالث: معتقد لرأي فاسد قد ران على قلبه، وتراءت له صحته فركن إليه لجهله وضعف نحيزته، فهو ممن وصفه الله ﷻ بقوله: ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ الأنفال: ٢٢، فهذا ذو داءٍ أعيا الأطباء فما كل داءٍ دواء، فلا سبيل إلى تهذيبه وتنبيهه، كما قيل لحكيم يعظ شيخًا جاهلًا: ما تصنع، فقال: أغسل مسحًا لعله يبيض.

والرابع: معتقدًا اعتقادًا فاسدًا عرف فساده، أو تمكن من معرفته، لكنه اكتسب دنية لرأسه، وكرسيًّا لرئاسته، فهو يحامي عليها فيجادل بالباطل ليدحض به الحق، ويذم أهل العلم ليجر إلى نفسه الخلق، ويقال له: فاسق ومنافق، وهو من الموصوفين بالاستكبار والتكبر في نحو قوله ﷻ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ وَرَأَيۡتَهُمۡ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٥﴾ ﴾ المنافقون: ٥، وقوله ﷻ: ﴿ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٞ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ النحل: ٢٢، فنبَّه ﷻ أنهم ينكرون ما يقولونه ويفعلونه لمعرفتهم ببطلانه، ولكن يستكبرون عن التزام الحق وذلك حال إبليس فيما دعي إليه من السجود لآدم عليه السلام"[1]

قال الجرجانيّ: "الجهل على ضربين:

الأوّل: الجهل البسيط: هو عدم العلم عمّا من شأنه أن يكون معلوماً.

الآخر: الجهل المركّب: هو عبارة عن اعتقاد جازم غير مطابق للواقع"[2]

وقال الرّاغب الأصفهاني: "الجهل على ثلاثة أضرب:

الأوّل: هو خلوّ النّفس من العلم.

[1] الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني ص 165 - 166
[2] التعريفات للجرجاني ص 80




**الثّاني:** اعتقاد الشّيء بخلاف ما هو عليه.

**الثّالث:** فعل الشّيء بخلاف ما حقّه أن يفعل، سواء اعتقد فيه اعتقاداً صحيحاً أو فاسداً، كمن يترك الصّلاة متعمّداً، وعلى ذلك قوله ﷻ: ﴿ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٦٧ ﴾ البقرة: ٦٧، فجعل فعل الهزو جهلاً"[1]

## أقسام الجهل

ينقسم الجهل إلى قسمين:

### أوّلاً: الجهل الباطل الّذي لا يصلح عذراً:

وهذا القسم لا يصلح أن يكون عذراً في الآخرة، وإن كان قد يصلح عذراً في أحكام الدّنيا كقبول عقد الذّمّة من الذّمّيّ حتّى لا يقتل، ولكن لا يكون عذراً في الآخرة حتّى أنّه يعاقب فيها.، ومن أمثلة ذلك جهل الكفّار بصفات الله ﷻ وأحكام الآخرة، فإنّه لا يصلح عذراً أصلاً، لأنّه مكابرة وعناد بعد وضوح الدّلائل على وحدانيّة الله ﷻ وربوبيّته، بحيث لا يخفى على أحد من حدوث العالم المحسوس، وكذا على حقّيّة الرّسول ﷺ من القرآن وغيره من المعجزات.، وكذا جهل صاحب الهوى الّذي يقول بحدوث صفات الله ﷻ، أو يقول بعدم إثبات صفة له ﷻ، **قال الزّركشيّ:** "الجهل بالصّفة هل هو جهل بالموصوف مطلقاً أو من بعض الوجوه؟ المرجّح الثّاني؛ لأنّه جاهل بالذّات من حيث صفاتها لا مطلقاً، ومن ثمّ لا نكفّر أحداً من أهل القبلة"[2]، ومن هذا القسم أيضاً جهل من خالف في اجتهاده الكتاب أو السّنّة المشهورة أو الإجماع، أو عمل بالغريب على خلاف الكتاب أو السّنّة المشهورة فإنّه ليس بعذر أصلاً.

---
[1] المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص 209
[2] المنثور في القواعد الفقهية للزركشي (2/ 13)



## ثانياً: الجهل الّذي يصلح عذراً:

الجهل الّذي يصلح أن يكون عذراً هو الجهل الّذي يكون في موضع الاجتهاد الصّحيح، بأن لا يكون مخالفاً للكتاب أو السّنّة أو الإجماع، وذلك كالمحتجم إذا أفطر على ظنّ أنّ الحجامة مفطرة لا تلزمه الكفّارة، لأنّ جهله في موضع الاجتهاد الصّحيح، ومن الجهل الّذي يصلح عذراً، الجهل بالشّرائع في دار الحرب يكون عذراً من مسلم أسلم فيها ولم يهاجر، حتّى لو مكث فيها ولم يعلم أنّ عليه الصّلاة والزّكاة وغيرهما ولم يؤدّها لا يلزمه قضاؤها خلافا لزفر لخفاء الدّليل في حقّه، وهو الخطاب لعدم بلوغه إليه حقيقة بالسّماع وتقديراً بالشّهرة، فيصير جهله بالخطاب عذراً، **قال السّيوطيّ**: "كلّ من جهل تحريم شيء ممّا يشترك فيه غالب النّاس لم يقبل منه دعوى الجهل إلاّ أن يكون قريب عهد بالإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة يخفى فيها مثل ذلك، كتحريم الزّنى، والقتل، والسّرقة، والخمر، والكلام في الصّلاة، والأكل في الصّوم"[1]

**وقال الزّركشيّ**: "لو شهدا بقتل ثمّ رجعا وقالا تعمّدنا، لكن ما عرفنا أنّه يقتل بشهادتنا فلا يجب القصاص في الأصحّ، إذ لم يظهر تعمّدهما للقتل، لأنّ ذلك ممّا يخفى على العوّام. ومن هذا القبيل أعني الّذي يقبل فيه دعوى الجهل مطلقاً لخفائه كون التّنحنح مبطلاً للصّلاة، أو كون القدر الّذي أتى به من الكلام محرّماً، أو النّوع الّذي تناوله مفطراً، فالأصحّ في الصّور الثّلاث عدم البطلان. ولا تقبل دعوى الجهل في الأمور المشتهرة بين النّاس كثبوت الرّدّ بالعيب، والأخذ بالشّفعة من رجل قديم الإسلام، بخلاف ما لا يعرفه إلاّ الخواصّ"[2]

[1] الأشباه والنظائر للسيوطي ص 200

[2] المنثور في القواعد الفقهية للزركشي (2/ 21)





## عقوبة أهل الجهل في الحال والمآل:

قال ابن القيّم ﷺ: "أهل الجهل والظّلم الّذين جمعوا بين الجهل بما جاء به النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم والظّلم باتّباع أهوائهم الّذين قال الله ﷻ فيهم: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾ النجم: ٢٣، وهؤلاء قسمان:

أحدهما: الّذين يحسبون أنّهم على علم وهدى وهم أهل الجهل والضّلال، فهؤلاء أهل الجهل المركّب الّذين يجهلون الحقّ ويعادونه ويعادون أهله، وينصرون الباطل ويوالون أهله، وهم ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٨﴾﴾ المجادلة: ١٨، فهم لاعتقادهم الشّيء على خلاف ما هو عليه بمنزلة رائي السّراب الّذي ﴿يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا ﴿٣٩﴾﴾ النور: ٣٩، وهكذا هؤلاء أعمالهم وعلومهم بمنزلة السّراب الّذي يكون صاحبه أحوج ما هو إليه، ولم يقتصر على مجرّد الخيبة والحرمان كما هو الحال فيمن أمّ السّراب فلم يجده ماء، بل انضاف إلى ذلك أنّه وجد عنده أحكم الحاكمين، وأعدل العادلين ﷻ فحسب له ما عنده من العلم والعمل فوفّاه إيّاه بمثاقيل الذّرّ، وقدم إلى ما عمل من عمل يرجو نفعه، فجعله هباء منثوراً؛ إذ لم يكن خالصاً لوجهه ولا على سنّة رسوله ﷺ، وصارت تلك الشّبهات الباطلة الّتي كان يظنّها علوماً نافعة كذلك هباءاً منثوراً، فصارت أعماله وعلومه حسرات عليه.

والقسم الثّاني من هذا الصّنف: أصحاب الظّلمات وهم المنغمسون في الجهل بحيث قد أحاط بهم من كلّ وجه، فهم بمنزلة الأنعام بل هم أضلّ سبيلاً، فهؤلاء أعمالهم الّتي



عملوها على غير بصيرة، بل بمجرّد التّقليد واتّباع الآباء من غير نور من الله ﷻ، كظلمات عديدة وهي ظلمة الجهل، وظلمة الكفر، وظلمة الظّلم واتّباع الهوى، وظلمة الشّكّ والرّيب، وظلمة الإعراض عن الحقّ الّذي بعث الله ﷻ به رسله عليهم السلام، والنّور الّذي أنزله معهم ليخرجوا به النّاس من الظّلمات إلى النّور، فإنّ المعرض عمّا بعث الله ﷻ به محمّداً ﷺ من الهدى ودين الحقّ يتقلّب في خمس ظلمات: قوله ظلمة، وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة، ومصيره إلى الظّلمة، وقلبه مظلم، ووجهه مظلم، وكلامه مظلم، وحاله مظلم؛ وإذا قابلت بصيرته الخفّاشيّة ما بعث الله ﷻ به محمّداً ﷺ من النّور جدّ في الهرب منه، وكاد نوره يخطف بصره، فهرب إلى ظلمات الآراء الّتي هي به أنسب وأولى، فإذا جاء إلى زبالة الأفكار ونخالة الأذهان، جال ومال، وأبدى وأعاد، وقعقع وفرقع، فإذا طلع نور الوحي وشمس الرّسالة انحجز في حجرة الحشرات"[1]

## الألفاظ ذات الصلة بالجهل

### أولاً: النّسيان:

لفظ مشترك بين معنيين:

أحدهما: ترك الشّيء عن ذهول وغفلة، وذلك خلاف الذّكر له.

والثّاني: التّرك عن تعمّد ومنه قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۝٢٣٧﴾ البقرة: ٢٣٧، أي: لا تقصدوا التّرك والإهمال.، ونسيت ركعة أهملتها ذهولاً، قال الزّمخشريّ:

[1] اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم (2/ 55 – 58)

"من المجاز نسيت الشّيء تركته"[1]، **قال الجرجاني**: "النسيان هو الغفلة عن معلوم في غير حال السّنّة، فلا ينافي الوجوب أي: نفس الوجوب، لا وجوب الأداء"[2]

**قال القرافيّ**: "النّسيان لا إثم فيه من حيث الجملة، بخلاف الجهل بما يتعيّن على الإنسان تعلّمه، والنّسيان أيضاً يهجم على العبد قهراً لا حيلة له في دفعه عنه، والجهل له حيلة في دفعه بالتّعلّم"[3]، **قال التّهانويّ**: "وكذا الغفلة والذّهول والجهل البسيط بعد العلم يسمّى نسياناً"[4]، **قال الآمديّ**: "إنّ الذّهول والغفلة والنّسيان عبارات مختلفة، لكن يقرب أن تكون معانيها متّحدة، وكلّها مضادّة للعلم، بمعنى أنّه يستحيل اجتماعها معه"[5]

## ثانياً: السّهو:

السّهو في اللّغة من سها يسهو سهواً: أي غفل، والسّهوة: الغفلة، وفرّقوا بين السّاهي والنّاسي بأنّ النّاسي، إذا ذكّرته تذكّر، والسّاهي بخلافه، **قال التّهانويّ**: "ويقرب منه أي من (الجهل) السّهو وكأنّه جهل بسيط سببه عدم استثبات التّصوّر حتّى إذا نبّه السّاهي أدنى تنبيه تنبّه"[6]

## مضار الجهل

"1. يورد المهالك، ويجلب المصائب.

2. يفسد ولا يصلح، ويخرّب ولا يعمّر.

3. يضع رفيع النّسب، ويذلّ عزيز القوم.

4. المعصية أثر من آثاره وثمرة من ثماره.

[1] أساس البلاغة للزمخشري (2/ 268)
[2] التعريفات للجرجاني ص 241
[3] الفروق للقرافي (2/ 149)
[4] كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي (1/ 599)
[5] كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي (1/ 599)
[6] كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي (1/ 599)



5. شرّ أنواعه ما كان صاحبه لا يعلم بجهله، وشرّ منه من كان يظنّ أنّه على ما فيه عالم.

6. مرض وبيل وداء وخيم، وشفاؤه السّؤال والتّعلّم"[1]

## علاج الجهل

التعلم وطلب العلم، فالعلم من الإيمان ويجب على الإنسان منا أن يتعلم ويسعى إلى العلم والتعليم، وقد جعل النبي ﷺ الجهل داءً، وجعل علاجه العلم والسؤال؛ لأنه المعاكس له، بل إن أعظم داء أن يعيش المرء ويرضى ويخضع بأن يعيش حياة الجهل والجهالة طيلة حياته ولا يتعلم، وقد أوجب الله ﷻ على الجاهل أن يسأل، وأوجب على العالم بأن يجيب، فقال ﷻ: ﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ ﴾ الأنبياء: ٧، وأهل الذكر هم أهل العلم.

**فالجهل داء عظيم، داء عضال، داء يميت القلوب، ويميت الشعور، ويضعف الأبدان والقوى، ويجعل أهله أشباه الأنعام لا يهمهم إلا الشهوات، شهوات الفروج وشهوات البطون، وما زاد على ذلك فهو تابع له من شهوات المساكن وشهوات الملابس إلى غير ذلك، قد ضعف قلبه وضعف شعوره وقلت بصيرته فليس وراء شهوته وحاجته العاجلة ليس وراءها شيء يطمح إليه ولا يريده وينظر إليه.**

[1] نظرة النعيم (9/ 4389)




# المرض التاسع
# سوء الظن

## تعريف سوء الظن

### في اللغة:

**السوء في اللغة** "من ساءَهُ، يَسُوءُه سَوْءاً وسُوءاً وسَواءً وسَواءة وسَواية وسَوائِيَةً؛ أي فعل ما يُكره، يُقال: ساء ما فعل فلان؛ أي: قبح صنيعه صنيعاً"[1]

**الظّن في اللغة:** "إدراك الذهن للشيء مع ترجيحه، وظنّ الأمر: علمه بغير يقين"[2]

### في الشرع:

**قال ابن القيم:** "**سوء الظّن:** امتلاء قلبه بالظنون السيئة بالناس حتى يطفح على لسانه وجوارحه فهم معه أبداً في الهمز واللمز والطعن والعيب والبغض ببغضهم ويبغضونه ويلعنهم ويلعنونه ويحذرهم ويحذرون منه"[3]

**قال الماوردي:** "سوء الظن: هو عدم الثقة بمن هو لها أهل"[4]

**قال ابن كثير:** "سوء الظن هو التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس في غير محله"[5]

## أسباب سوء الظن

إنّ لسوء الظّن أسباب عديدة، منها:

---
[1] لسان العرب (1/ 96)
[2] المعجم الوسيط (2/ 578)
[3] الروح لابن القيم (1/ 238)
[4] أدب الدنيا والدين ص 186
[5] تفسير ابن كثير (7/ 377)



1. أمراض القلوب؛ من غيرة، وحسد، وغلّ، وبغضاء، وأنانية، فالعبد إن ابتلي بهذه الأمراض فإنّه يصل به الحال إلى إساءة الظّن بالآخرين، ممّا يؤدي إلى نزول منزلته بين الناس، وبين أصدقائه.
2. الوقوع في الشبهات، وأماكن الريبة عن غير قصدٍ، وعدم تبرير الوقوع فيها، ممّا يفتح المجال للآخرين في الوقوع بسوء الظّن.
3. عدم مراعاة الآداب الإسلامية في النجوى؛ ويكون ذلك بأن تكون النجوى بالإثم، والعدوان، وغيبة الآخرين، ومعصية الرسول ﷺ.
4. الغفلة عن الآثار التي تترتب على إساءة الظّن.
5. اتباع الهوى، وما تشتهي النفس.
6. سوء الفعل، والاتصاف بالخصال السيئة من كذبٍ وخيانةٍ، فمتى تمكّنت هذه الصفات من العبد جعلته ينظر إلى الآخرين بمنظارها.
7. ضعف الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ وعدم معرفة الشريعة معرفة تامة.
8. الجهَلْ بالضوابط الشرعية في المعاملة مع الناس.
9. الغيرة والحقد والضغينة من مسببات سوء الظن.
10. القلوب المريضة بالحسد والبغضاء والأنانية والتي دائماً ما تسيء الظن بالآخرين.
11. اتصاف الشخص بالكذب والاحتيال وارتكاب المعاصي.
12. سوء التصرف والجلوس في أماكن الريبة والنميمة.
13. عدم إدراك عواقب وتأثير سوء الظن على المسيء نفسه وعلى الأشخاص الذين لم يسلموا من ظنه.
14. عدم التنشئة الصحيحة في الأسرة وغرس القيم والأخلاق الحميدة.




## أسباب الوقوع سوء الظن

وللوقوع في سوء الظّن أسباب عديدة، منها:

### 1. الجهل وسوء القصد والفهم:

فالجهل من الأسباب التي تؤدي إلى سوء الظنِّ بسبب عدم فهم حقيقة ما يرى وما يقرأ ومرمى ذلك، وعدم إدراك حكم الشرع الدقيق في هذه المواقف خصوصًا إذا كانت المواقف غريبة، تحتاج إلى فقه دقيق، ونظر بعيد، يجعل صاحبه يبادر إلى سوء الظن، والاتهام بالعيب، والانتقاص من القدر، فانظر إلى ذي الخويصرة الجهول، لماذا أساء الظنَّ بالرسول ﷺ واتهمه بعدم الإخلاص، فقال: "اعدل يا محمد، فما عدلت، هذه قسمة ما أريد بها وجه الله"[1]، لقد دفعه إلى الظن السيئ والفعل القبيح جهله وسطحية فهمه، وقلة فقهه لمقاصد الشريعة ومصالح الدين الشرعية."[2]

### 2. اتباع الهوى وتعميم الأحكام على الناس:

**قال الغزالي:** "المسلم يستحق بإسلامه عليك أن لا تسيء الظنَّ به، فإن أسأت الظنَّ به في عينه؛ لأنك رأيت فسادًا من غيره، فقد جنيت عليه، وأثمت به في الحال.. ويدلُّ عليه أنا نعلم أنَّ الصحابة رضي الله عنهم في غزواتهم وأسفارهم كانوا ينزلون في القرى، ولا يردون القرى، ويدخلون البلاد، ولا يحترزون من الأسواق، وكان الحرام أيضًا موجودًا في زمانهم، وما نقل عنهم سؤال إلا عن ريبة، إذ كان ﷺ لا يسأل عن كل ما يحمل إليه، بل سأل في أول قدومه إلى المدينة عما يحمل إليه أصدقة أم هدية؟! لأنَّ قرينة الحال تدل، وهو دخول المهاجرين المدينة وهم فقراء، فغلب على الظن أن ما يحمل إليهم بطريق الصدقة"[3]

---
[1] رواه البخاري (8/ 73)، رواه مسلم (2/ 739)
[2] ظاهرة الغلو في الدين في العصر الحديث لمحمد عبد الحكيم (1/ 201 – 202)
[3] إحياء علوم الدين للغزالي (2/ 119)



### 3. مصاحبة أهل الفسق والفجور:

**قال أبو حاتم البستي:** "صحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار، ومن خادن الأشرار لم يسلم من الدخول في جملتهم، فالواجب على العاقل أن يجتنب أهل الريب؛ لئلا يكون مريبًا، فكما أنَّ صحبة الأخيار تورث الخير كذلك صحبة الأشرار تورث الشرَّ"[1]

### 4. التواجد في مواطن التهم والريب:

من أسباب إساءة الناس الظنِّ بالمرء تواجده في أماكن الريب والفجور، ولهذا قال أمير المؤمنين عمر ﵁: "من أقام نفسه مقام التهم فلا يلومنَّ من أساء به الظنَّ"[2]

### 5. الحقد والحسد على المظنون به:

**قال أبو طالب المكي:** "سوء الظنِّ ما ظننته من سوء رأيك فيه، أو لأجل حقد في نفسك عليه، أو لسوء نية تكون أو خبث حال فيك، تعرفها من نفسك؛ فتحمل حال أخيك عليها وتقيسه بك، فهذا هو سوء الظن والإثم"[3]

### 6. الإسراف في الغيرة:

عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: "من الغيرة ما يحب الله، ومنها ما يكره الله، فأما ما يحب الله، فالغيرة في الريبة، وأما ما يكره، فالغيرة في غير ريبة"[4]، **وقال الغزالي:** "لأنَّ ذلك من سوء الظن الذي نهينا عنه فإنَّ بعض الظنِّ إثم"[5]، وقال علي ﵁: "لا تكثر الغيرة على أهلك، فتُرمى بالسوء من أجلك"[6]

---

[1] روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص 100
[2] مكارم الأخلاق للخرائطي ص 445
[3] قوت القلوب لأبي طالب المكي (2/ 371)
[4] سنن ابن ماجه (1/ 643)
[5] إحياء علوم الدين للغزالي (2/ 46)
[6] إحياء علوم الدين للغزالي (2/ 46)




## أنواع سوء الظن

سوء الظّن من الأمور المهمة التي يغفل عنها كثير من المسلمين، والتي تحتاج إلى بيان ومعرفة لما يترتب عليها من أحكام، وفيما يأتي بيان لأنواع سوء الظن، وحكم كلاً منهما في الشريعة الإسلامية:

### 1. سوء الظّن باللّه سبحانه وتعالى:

ويُقصد به أن يظّن العبد بالله عز وجل بأنّه لا ينصر دينه، ولا يعلي كلمته، وأنّ الله سبحانه وتعالى ليس بحسب العبد في جميع أموره، وأنّه لا يعطف على عباده، ولا يرحمهم، ولا يعافيهم، وأنّه لا يغفر الذنوب، وحكمه كما جاء في الآية الكريمة؛ حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ ﴾ الفتح: ٦، فقد توعّد الله سبحانه وتعالى الظانين بالله عز وجل ظن السوء؛ بأن يعتقدونه بغير صفاته، بالغضب عليهم، واللعنة، ودخول جهنم يوم القيامة، وقد بيّن الله سبحانه وتعالى أيضاً في آية أخرى من آيات كتابه أنّ سوء الظّن منافٍ للتوحيد، قال سبحانه وتعالى: ﴿ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴿١٥٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٥٤، وعلى هذا فسوء الظّن بالله عز وجل من كبائر الذنوب التي تُهلك صاحبها، وتجعله من أصحاب النار، وعلى المسلم أن يحسن الظّن بالله سبحانه وتعالى، ويتوب إليه، ويستغفره، **قال ابن حجر الهيتمي**: "سوء الظّنّ بالله عز وجل وهو أبلغ في الذّنب من اليأس والقنوط وكلاهما كبيرة وذلك لأنّه يأس وقنوط وزيادة، لتجويزه على الله سبحانه وتعالى أشياء لا تليق بكرمه وجوده"[1]

[1] الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي (1/ 150)





## 2. سوء الظّن بالمسلمين:

ويُقصد به أن يظّن العبد بأهل الخير، وبمن لا يعلم فسقه شرّاً، أي مجرّد تهمة اتهام الغير من أهل الخير بالسوء، وهذا النوع نهى عنه الله ﷻ، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢ ﴾ الحجرات: ١٢، فالآية الكريمة تنهى المسلم عن اجتناب الطريق التي لا تؤدي إلى العلم، وهو الظّن، وطلب تحقيق الظن فيصبح علماً، أي أنّ التجسس وتتبع عورات الآخرين، وذكر الأخرين بسوء وهو الاغتياب لهم، وجاء نهي الاسلام عن إساءة الظّن بالآخرين من غير سبب أو ضرورة، لما فيه من الاتهام الكاذب للآخرين، والذي نهى الرسول ﷺ عنه، **قال ابن حجر الهيتمي:** "ومن حكم بشر على غيره بمجرد الظن حمله الشيطان على احتقاره وعدم القيام بحقوقه والتواني في إكرامه، وإطالة اللسان في عرضه وكل هذه مهلكات، وكل من رأيته سيئ الظن بالناس طالبا لإظهار معايبهم. فاعلم أن ذلك لخبث باطنه وسوء طويته، فإن المؤمن يطلب المعاذير لسلامة باطنه، والمنافق يطلب العيوب لخبث باطنه، فهذه بعض مداخل الشيطان إلى القلب وفيها تنبيه على باقيها"[1]

## آثار سوء الظن

### 1. سبب للوقوع في الشرك والبدعة والضلال:

سوء الظن بالله ﷻ سبب في الوقوع في الشرك، **قال ابن القيم** رضي الله عنه: "الشرك والتعطيل مبنيان على سوء الظن بالله ﷻ؛ لأن الشرك هضم لحق الربوبية، وتنقيص لعظمة الإلهية، وسوء ظن برب العالمين، ولهذا قال إبراهيم إمام الحنفاء لخصمائه من المشركين:

[1] الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي (1/ 143)




﴿ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ الصافات: ٨٦ – ٨٧"[1]

قال المقريزي: "اعلم أنك إذا تأملت جميع طوائف الضلال والبدع وجدت أصل ضلالهم راجعًا إلى شيئين: أحدهما: الظن بالله ﷻ ظن السوء، والثاني: أنهم لم يقدروا الرب ﷻ حق قدره، فلم يقدره حق قدره من ظن أنه لم يرسل رسولاً ولا أنزل كتاباً، بل ترك الخلق سدى وخلقهم عبثاً"[2]

## 2. أنها صفة كل مُبطل ومبتدع:

قال ﷻ: ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ فصلت: ٢٣، قال ابن القيم رضي الله عنه: "كلُّ مبطل وكافر ومبتدع مقهور مستذل، فهو يظن بربه ﷻ هذا الظن وأنه أولى بالنصر والظفر والعلو من خصومه، فأكثر الخلق بل كلهم إلا من شاء الله ﷻ يظنون بالله ﷻ غير الحق ظن السوء، فإن غالب بني آدم يعتقد أنه مبخوس الحق ناقص الحظ، وأنه يستحق فوق ما أعطاه الله ﷻ ولسان حاله يقول: ظلمني ربي، ومنعني ما أستحقه، ونفسه تشهد عليه بذلك، وهو بلسانه ينكره، ولا يتجاسر على التصريح به، ومن فتش نفسه وتغلغل في معرفة دفائنها وطواياها رأى ذلك فيها كامنًا كمون النار في الزناد"[3]

## 3. سبب في استحقاق لعنة الله ﷻ وغضبه:

قال ﷻ: ﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ

[1] إغاثة اللهفان لابن القيم (1/ 60 - 62)
[2] رسائل المقريزي ص 102
[3] زاد المعاد على هدي خير العباد لابن القيم (3/ 211)





﴿وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا ٦﴾ الفتح: ٦، **قال ابن القيم** رحمه الله: "توعَّد الله سبحانه وتعالى الظانين به ظنَّ السوء بما لم يتوعد به غيرهم، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا ٦﴾ الفتح: ٦"[1]

## 4. يورث الإنسان الأخلاق السيئة:

سوء الظن يورث الإنسان الأخلاق السيئة كالجبن والبخل والشح والحقد والحسد والتباغض، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "الجبن والبخل والحرص غرائز سوء يجمعها كلها سوء الظن بالله عز وجل"[2]، **وقال ابن القيم** رحمه الله: "الشحُّ فهو خلق ذميم يتولد من سوء الظن، وضعف النفس، ويمده وعد الشيطان"[3]، **وقال المهلب:** "التباغض والتحاسد أصلهما سوء الظنِّ، وذلك أن المباغض والمحاسد يتأول أفعال من يبغضه ويحسده على أسوأ التأويل"[4]

## 5. من أساء الظن أساء العمل:

**قال الطبري:** "تلا الحسن: ﴿وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾ فصلت: ٢٣، فقال: إنما عمل الناس على قدر ظنونهم بربهم عز وجل؛ فأما المؤمن فأحسن بالله عز وجل الظن، فأحسن العمل، وأما الكافر والمنافق، فأساءا الظن فأساءا العمل"[5]

## 6. سبب في وجود الأحقاد والعداوة:

"فإن الظن السيئ يزرع الشقاق بين المسلمين، ويقطع حبال الأخوة، ويمزق وشائج المحبة، ويزرع العداء والبغضاء والشحناء"[6]، **قال ابن القيم** رحمه الله: "أما سوء الظن فهو

---

[1] الداء والدواء لابن القيم ص 318
[2] الآداب الشرعية والمنح المرعية لابن مفلح (1/ 47)
[3] الروح لابن القيم ص 237
[4] شرح صحيح البخاري لابن بطال (9/ 261)
[5] جامع البيان للطبري (20/ 413)
[6] ظاهرة الغلو في الدين في العصر الحديث لمحمد عبد الحكيم (1/ 210)




امتلاء قلبه بالظنون السيئة بالناس حتى يطفح على لسانه وجوارحه فهم معه أبداً في الهمز واللمز والطعن والعيب والبغض ببغضهم ويبغضونه ويلعنهم ويلعنونه ويحذرهم ويحذرون منه، فالأول يخالطهم ويحترز منهم والثاني يتجنبهم ويلحقه أذاهم الأول داخل فيهم بالنصيحة والإحسان مع الاحتراز والثاني خارج منهم مع الغش والدغل والبغض"[1]

## 7. يؤدي إلى تتبع عورات المسلمين:

قال الغزالي: "من ثمرات سوء الظن التجسس، فإنَّ القلب لا يقنع بالظنِّ، ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس وهو أيضًا منهي عنه، قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا ۝١٢﴾ الحجرات: ١٢، فالغيبة وسوء الظن والتجسس منهي عنه في آية واحدة، ومعنى التجسس أن لا يترك عباد الله ﷻ تحت ستر الله ﷻ، فيتوصل إلى الاطلاع وهتك الستر؛ حتى ينكشف له ما لو كان مستورًا عنه كان أسلم لقلبه ودينه"[2]

## 8. سبب للمشكلات العائلية:

"فمن أسباب المشاكل العائلية سوء الظن من أحدهما وغضبه قبل التذكر والتثبت؛ فيقع النزاع وربما حصل فراق، ثم تبين الأمر خلاف الظن"[3]، وقال ابن القيم رضي الله عنه: "الغيرة مذمومة منها غيرة يحمل عليها سوء الظن، فيؤذى بها المحب محبوبه، ويغري عليه قلبه بالغضب، وهذه الغيرة يكرهها الله ﷻ إذا كانت في غير ريبة، ومنها غيرة تحمله على عقوبة المحبوب بأكثر مما يستحقه"[4]

---

[1] الروح ص 238
[2] إحياء علوم الدين للغزالي (3/ 152)
[3] موارد الظمآن لدروس الزمان (4/ 272)
[4] روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن القيم ص 311



### 9. من مداخل الشيطان الموقعة في كبائر الذنوب:

قال الغزالي: "من عظيم حيل الشيطان.. سوء الظن بالمسلمين، قال الله ﷻ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ ۝١٢﴾ الحجرات: ١٢،

فمن يحكم بشرٍّ على غيره بالظن بعثه الشيطان على أن يطول فيه اللسان بالغيبة، فيهلك أو يقصر في القيام بحقوقه، أو يتوانى في إكرامه، وينظر إليه بعين الاحتقار، ويرى نفسه خيرًا منه، وكلُّ ذلك من المهلكات"[1]

### 10. سبب في مرض القلب، وعلامة على خبث الباطن:

قال الغزالي: "مهما رأيت إنسانًا يسيء الظن بالناس طالبًا للعيوب، فاعلم أنه خبيث الباطن وأنَّ ذلك خبثه يترشح منه، وإنما رأى غيره من حيث هو، فإن المؤمن يطلب المعاذير، والمنافق يطلب العيوب، والمؤمن سليم الصدر في حق كافة الخلق"[2]

### 11. يسبب عدم الثقة بالآخرين:

قال الزمخشري: "قيل لعالم: من أسوأ الناس حالًا؟ قال: من لا يثق بأحد لسوء ظنَّه، ولا يثق به أحد لسوء فعله"[3]

## مضار سوء الظن

"1. يؤدّي إلى غضب الله ﷻ وسخطه.
2. دليل على فساد النّيّة، وسوء الطّويّة.
3. خلق من أخلاق المنافقين.
4. يولّد الشّحناء والبغضاء بين النّاس.

---
[1] إحياء علوم الدين للغزالي (3/ 35 - 36)
[2] إحياء علوم الدين للغزالي (3/ 36)
[3] ربيع الأبرار ونصوص الأخيار للزمخشري (3/ 298)




5. مفتاح للعواقب الوخيمة، والأعمال السّيّئة.

6. يورث الذّلّ والهوان على الله ﷻ ثمّ على النّاس.

7. دليل ضعف الإيمان.

8. دليل على عدم الثّقة بالنّفس"[1]

## علاج سوء الظن

### 1. الاستعاذة بالله ﷻ والتوقف عن الاسترسال في الظنون:

إذا كان سوء الظن الوارد متعلق بالله سبحانه وتعالى فمما ورد في علاج ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا، من خلق كذا، حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته"[2]

### 2. معرفة أسماء الله سبحانه وتعالى وصفاته:

قال ابن القيم رحمه الله: "أكثر الناس يظنون بالله ﷻ غير الحق ظنَّ السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم عن ذلك إلا من عرف الله ﷻ وعرف أسماءه وصفاته، وعرف موجب حمده وحكمته، فمن قنط من رحمته وأيس من روحه، فقد ظن به ظن السوء"[3]

### 3. سوء الظن بالنفس واتهامها بالتقصير:

قال ابن القيم رحمه الله: "ليظنَّ العبد السوء بنفسه التي هي مأوى كلِّ سوء، ومنبع كلِّ شرٍّ، المركبة على الجهل والظلم، فهي أولى بظن السوء من أحكم الحاكمين وأعدل العادلين وأرحم الراحمين، الغني الحميد الذي له الغنى التام والحمد التام والحكمة التامة، المنزه عن كلِّ سوء في ذاته وصفاته وأفعاله وأسمائه، فذاته لها الكمال المطلق من كلِّ

[1] نظرة النعيم (10/ 4672)
[2] رواه البخاري (4/ 123)، رواه مسلم (1/ 120)
[3] زاد المعاد على هدي خير العباد لابن القيم (3/ 206)





وجه، وصفاته كذلك، وأفعاله كذلك، كلها حكمة ومصلحة ورحمة وعدل، وأسماؤه كلُّها حسنى"[1]

## 4. المداومة على محاسبة النفس والاستغفار:

قال ابن القيم رضي الله عنه: "فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا الموضع، وليتب إلى الله سبحانه وتعالى، وليستغفره كلَّ وقت من ظنه بربه ظن السوء"[2]

## 5- ترك التحقق من الظنون السيئة:

قال سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ الحجرات: ١٢

## 6. أن يتأول ما ظاهره السوء وأن يجد له مخرجاً:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "لا يحل لامرئٍ مسلم سمع من أخيه كلمة أن يظنَّ بها سوءًا، وهو يجد لها في شيء من الخير مخرجًا"[3]، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: "ما بلغني عن أخٍ مكروه قطُّ إلا أنزلته إحدى ثلاث منازل: إن كان فوقي عرفت له قدره، وإن كان نظيري تفضلت عليه، وإن كان دوني لم أحفل به. هذه سيرتي في نفسي، فمن رغب عنها فأرض الله واسعة"[4]

## 7. عدم مصاحبة من ابتلي بإساءة الظن:

قال أبو حاتم البستي: "الواجب على العاقل أن يجتنب أهل الريب لئلا يكون مريبًا، فكما أن صحبة الأخيار تورث الخير كذلك صحبة الأشرار تورث الشرَّ"[5]

[1] زاد المعاد على هدي خير العباد لابن القيم (3/ 211)
[2] زاد المعاد على هدي خير العباد لابن القيم (3/ 211)
[3] التمهيد لبن عبد البر (18/ 20)
[4] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (4/ 85)، الآداب الشرعية والمنح المرعية لابن مفلح (2/ 11)
[5] روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص 100




## 8. البعد عن مواطن التهم والريب:

عن صفية بنت حيي رضي الله عنها قالت: "كان رسول الله ﷺ معتكفًا، فأتيته أزوره ليلًا، فحدثته ثم قمت فانقلبت، فقام معي ليقلبني، وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد، فمر رجلان من الأنصار، فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا، فقال النبي ﷺ: على رسلكما إنها صفية بنت حيي، فقالا سبحان الله يا رسول الله، قال: إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما سوءًا، أو قال: شيئًا"[1]

قال ابن بطال: "في قول النبي ﷺ: "إنها صفية" السنة الحسنة لأمته، أن يتمثلوا فعله ذلك في البعد عن التهم ومواقف الريب"[2]، وقال الغزالي: "حتى لا يتساهل العالم الورع المعروف بالدين في أحواله فيقول: مثلي لا يظنُّ به إلا الخير؛ إعجابًا منه بنفسه، فإنَّ أورع الناس وأتقاهم وأعلمهم لا ينظر الناس كلهم إليه بعين واحدة، بل بعين الرضا بعضهم وبعين السخط بعضهم... فيجب الاحتراز عن ظنِّ السوء، وعن تهمة الأشرار، فإنَّ الأشرار لا يظنون بالناس كلِّهم إلا الشرَّ"[3]، وقال أيضًا: "ينبغي على المرء أن يتقي مواضع التهم صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن، ولألسنتهم عن الغيبة، فإنهم إذا عصوا الله عز وجل بذكره وكان هو السبب فيه كان شريكًا، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ الأنعام: ١٠٨، وقال ﷺ: "إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه، قيل: يا رسول الله، وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: «يسب الرجل أبا الرجل، فيسب أباه، ويسب أمه»[4]"[5]

[1] رواه البخاري (4/ 124)، رواه مسلم (4/ 1712)
[2] شرح صحيح البخاري لابن بطال (4/ 175)
[3] إحياء علوم الدين للغزالي (3/ 36)
[4] رواه البخاري (8/ 3)
[5] إحياء علوم الدين للغزالي (2/ 201)


شبكة الألوكة - قسم الكتب

# المـرض العـاشـر
# الـشـك

## تعريف الشك

### في اللغة:

**قال ابن فارس:** "الشين والكاف أصل واحد مشتق بعضه من بعض، وهو يدل على التداخل، ومن هذا الباب الشك، الذي هو خلاف اليقين، إنما سمي بذلك لأن الشاك كأنه شك له الأمران في مشك واحد، وهو لا يتيقن واحدًا منهما"[1]

**قال ابن منظور:** "الشك: نقيض اليقين، وجمعه شكوك، وقد شككت في كذا وتشككت، وشك في الأمر يشك شكًا، وشككه فيه غيره"[2]

### في الشرع:

**قال الجرجاني:** "هو التردد بين النقيضين بلا ترجيح لأحدهما على الآخر عند الشاك"، وذكر أيضًا في تعريفه: "أنه ما استوى طرفاه، وهو الوقوف بين الشيئين لا يميل القلب إلى أحدهما"[3]

**قال المناوي:** "الشك: الوقوف بين النقيضين، وقيل: هو الوقوف بين المعنى ونقيضه، وضده: الاعتقاد"[4]

---
[1] مقاييس اللغة لابن فارس (3/ 173)
[2] لسان العرب لابن منظور (10/ 451)
[3] التعريفات للجرجاني ص 128
[4] التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص 207

**قال الكفوي**: " الشك ما استوى فيه اعتقادان أو لم يستويا، ولكن لم ينتبه أحدهما إلى درجة الظهور الذي يبني عليه العاقل الأمور المعتبرة، الشك كما يطلق على ما لا يترجح أحد طرفيه يطلق أيضا على مطلق التردد، وعلى ما يقابل العلم"[1]

**قال ابن تيمية** رضي الله عنه: " لفظ الشك يراد به تارة ما ليس بيقين وإن كان هناك دلائل وشواهد عليه، ويطلق الشك على ما دون طمأنينة القلب"[2]

**قال التهانوي**: " فقد يطلق الشك إذا على التردد بين أمرين وإن كان لأحدهما دلائل وشواهد تؤيده، فالشك يطلق على مطلق التردد"[3]

**قال أبو المعالي**: "الشك وهو الاسترابة في معتقدين فصاعداً، من غير ترجيح أحدهما على الثاني"[4]

**قال الكندي**: "الشك هو الوقوف على حد الطرفين من الظن، مع تهمة ذلك الظن"[5]

## صور الشك

تعددت وتنوعت صور الشك من قبل المشركين، فتارة يشكون في الله عز وجل، وتارة يشكون في الكتب السماوية، وتارة يشكون في الرسل ورسالتهم، وتارة أخرى يشكون في اليوم الآخر، هذا ما سنتعرف عليه من خلال النقاط الآتية:

### أولًا: الشك في الله سبحانه وتعالى:

أن الله سبحانه وتعالى عاب على المشركين شكهم في ربوبيته وألوهيته، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ٧ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ

[1] الكليات للكفوي ص 528
[2] مجموع الفتاوي لابن تيمية (23/ 11)
[3] كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي (2/ 1153)
[4] الإرشاد ص 14 - 15
[5] الحدود ضمن كتاب المصطلح الفلسفي عند العرب ص 125



﴿وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾﴾

الدخان: ٧ – ٩، "في هذه الآيات يخبر الله عز وجل بأنه رب السموات والأرض وما بينهما من سائر المخلوقات، وخالقها ومالكها وما فيها، بعد إثبات الربوبية لله عز وجل أثبت الوحدانية، فهو الإله الواحد الذي لا إله غيره، وأثبت القدرة فهو المحيي والمميت، يحيي ما يشاء، ويميت ما يشاء، ثم أكد الربوبية على البشر بالذات، فهو ربكم أيها المخاطبون ورب آبائكم وأجدادكم الأولين، ومدبر شئونهم، فهو المستحق للعبادة، دون غيره من الآلهة المزعومة"[1]، وقال الألوسي: قوله: "﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ ﴾ إضراب إبطالي، أبطل به إيقانهم لعدم جريهم على موجبه، وتنوين ﴿ شَكٍّ ﴾ للتعظيم، أي: في شك عظيم، ﴿ يَلْعَبُونَ ﴾ أي: لا يقولون ما يقولون عن جد وإذعان، بل يقولونه مخلوطًا بهزء ولعب، وهذه الجملة خبر بعد خبر لهم، والالتفات عن خطابهم لفرط عنادهم، وإهمال أمرهم"[2]، "ففي هذه الآية ينفي الحق سبحانه وتعالى إيقانهم بأن خالق السموات والأرض هو الله عز وجل، لعدم جريهم على ما يقتضيه هذا الإيقان، لأنهم لو كانوا موقنين حقاً بذلك، لأخلصوا لله سبحانه وتعالى العبادة والطاعة"[3]

وقد أغلظ ابن حزم على من انتحلوا مذهب الشك فقال: "والله ما سمع سامع قط بأدخل في الكفر من قول من أوجب الشك في الله سبحانه وتعالى وفي صحة النبوة فرضًا على كل متعلم لا نجاة له إلا به، ولا دين لأحد دونه، وإن اعتقاد صحة التوحيد لله سبحانه وتعالى وصحة النبوة باطل لا يحل، فحصل من كلامهم أن من لم يشك في الله سبحانه وتعالى ولا في صحة النبوة فهو كافر، ومن شك فيهما فهو محسن مؤد ما وجب عليه، وهذه فضيحة

[1] التفسير المنير للزحيلي (25/ 208)
[2] روح المعاني للألوسي (13/ 115)
[3] التفسير الوسيط للطنطاوي (13/ 118)





وحماقة"[1]، وبعد أن شك المشركون في الله ﷻ ﴿ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۛ لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُۚ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ٩ ﴾ إبراهيم: ٩، جاءهم الجواب على ألسن رسله عليهم السلام بالاستفهام الإنكاري: ﴿ قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ١٠ ﴾ إبراهيم: ١٠

**قال البغوي**: "هذا استفهام بمعنى نفي ما اعتقدوه"[2]، **وقال ابن الجوزي**: "هذا استفهام إنكار، والمعنى: لا شك في الله ﷻ، أي: في توحيده"[3]

## ثانياً: الشك في الكتب السماوية:

قال ﷻ ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ١٤ ﴾ الشورى: ١٤، **قال الزحيلي**: "أي وإن الجيل المتأخر من أهل الكتاب الذين توارثوا التوراة والإنجيل عمن سبقهم لفي شك من كتابهم ودينهم وإيمانهم، وهو شك مقلق موقع في الريب بشدة؛ لأنهم لم يتبعوا الحق، وإنما قلدوا رؤساء

---

[1] الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (4/ 163)
[2] معالم التنزيل للبغوي (3/ 32)
[3] زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (2/ 506)



الدين المتأخرين الذين صوروا لهم الدين بصورة مغايرة لحقيقته الأولى، واتبعوا الآباء والأسلاف بلا دليل ولا برهان، وهم في حيرة من أمرهم، ولذلك لم يؤمنوا برسالة خاتم الأنبياء، وأصبحوا مكذبين القرآن ومحمدا صلى الله عليه وسلم الذي صدق كتابهم في أصله الأول"[1]

وعندما شك المشركون في القرآن الكريم جاءهم الرد من الله ﷻ بقوله: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ البقرة: ٢، يخبر ﷻ أن ما أنزله على عبده ورسوله ﷺ من قرآن يمثل كتابًا عظيمًا لا يحتمل الشك، ولا يتطرق إليه احتمال كونه غير وحي الله ﷻ وكتابه، قال ﷻ: ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ يونس: ٣٧، قال ابن كثير: "هذا بيان لإعجاز القرآن، وأنه لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله، ولا بعشر سور ولا بسورة من مثله؛ لأنه بفصاحته وبلاغته ووجازته وحلاوته واشتماله على المعاني الغزيرة النافعة في الدنيا والآخرة، لا يكون إلا من عند الله ﷻ الذي لا يشبهه شيء في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله ولا في أقواله، فكلامه لا يشبه كلام المخلوقين"[2]

## ثالثاً: الشك في الرسل ورسالاتهم:

قال ﷻ: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ

[1] التفسير المنير للزحيلي (25/ 41)
[2] تفسير ابن كثير (4/ 268)




﴿ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ﴿٦٢﴾ ﴾ هود: ٦١ - ٦٢

بعد أن دعا صالح عليه السلام قومه لعبادة الله عز وجل وحده، وذكرهم بقدرة الله عز وجل ونعمه عليهم، فيأتي الرد من قومه بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ ﴿٦٢﴾ ﴾ هود: ٦٢، قالوا: يا صالح عليه السلام، لقد كنت فينا رجلًا فاضلًا نرجوك لمهمات الأمور فينا، لعلمك وعقلك وصدقك، قبل أن تقول ما قلته، أما الآن وبعد أن جئتنا بهذا الدين الجديد فقد خاب رجاؤنا فيك، وصرت في رأينا رجلاً مختل التفكير، ثم ختموا ردهم عليه بقولهم: ﴿ وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ﴿٦٢﴾ ﴾ هود: ٦٢، أي: لن نترك عبادة الأصنام التي كان يعبدها آباؤنا، وإننا لفي شك كبير وريب عظيم من صحة ما تدعونا إليه، وهو شك موقع في التهمة وسوء الظن"[1]

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴿١١٠﴾ ﴾ هود: ١١٠

"يخبر الله عز وجل عن اختلاف قوم موسى عليه السلام في شأن التوراة التي أنزلها على نبيهم لهدايتهم، إذ منهم من آمن بها، ومنهم من كفر بها، ثم يوضح الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ فِيهِ ﴾ أي: وإن هؤلاء المختلفين في شأن الكتاب لفي شك منه، وهذا الشك قد أوقعهم في الريبة والتخبط والاضطراب، وهذا شأن المعرضين عن الحق، لا يجدون مجالاً لنقده وإنكاره، فيحملهم عنادهم وجحودهم على التشكيك فيه، وتأويله تأويلاً سقيماً يدعو إلى الريبة والقلق"[2]

[1] التفسير الوسيط للطنطاوي (7/ 233)
[2] التفسير الوسيط للطنطاوي (7/ 283)



**قال الطنطاوي:** "وبعض المفسرين يرى عودة الضمير في قوله ﴿ وَإِنَّهُمْ ﴾ إلى قوم موسى، وفي قوله ﴿ مِّنْهُ ﴾ إلى كتابهم التوراة، وبعضهم يرى عودة الضمير الأول إلى قوم النبي ﷺ والثاني إلى القرآن الكريم، والذي يبدو لنا أن الرأي الأول أظهر في معنى الآية، لأن الكلام في موسى عليه السلام وقومه الذين اختلفوا في شأن كتابهم التوراة اختلافًا كبيرًا، وعود الضمير إلى المتكلم عنه أولى بالقبول، وهذا لا يمنع أن بعض المكذبين للرسول ﷺ كانوا في شك من القرآن، أوقعهم هذا الشك في الريبة والحيرة، فتكون الجملة الكريمة من باب التسلية للرسول ﷺ عما قاله بعض المشركين في شأن القرآن الكريم"[1]

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ غافر: ٣٤

**قال ابن كثير:** "قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ يعني: أهل مصر، قد بعث الله عز وجل فيهم رسولًا من قبل موسى عليه السلام، وهو يوسف عليه السلام كان عزيز أهل مصر، وكان رسولاً يدعو إلى الله عز وجل أمته القسط، فما أطاعوه تلك الساعة إلا لمجرد الوزارة، والجاه الدنيوي، ولهذا قال: ﴿ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ﴾ أي: يئستم فقلتم طامعين: لن يبعث الله عز وجل من بعده رسولًا، وذلك لكفرهم وتكذيبهم"[2]

[1] التفسير الوسيط للطنطاوي (7/ 283)
[2] تفسير ابن كثير (7/ 143)





"فالكلام في هذه الآية جاء على لسان مؤمن آل فرعون، يحذر قومه من الشك في دعوة موسى عليه السلام، كما فعل أجدادهم من قبل مع يوسف عليه السلام، ﴿ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ ﴾ أي: فما زال آباؤكم في شك مما جاءهم به من البينات والهدى، كشأنكم أنتم مع نبيكم موسى عليه السلام"[1]

## رابعاً: الشك في اليوم الآخر:

قال سبحانه وتعالى: ﴿ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ النمل: ٦٦، قال البغوي: "يعني هم اليوم في شك من الساعة"[2]

وقال الشنقيطي: "فهذا الذي كانوا يشكون فيه في دار الدنيا، ويعمون عنه مما جاءتهم به الرسل عليهم السلام، يعلمونه في الآخرة علمًا كاملًا لا يخالجه شك عند معاينتهم لما كانوا ينكرونه من البعث والجزاء"[3]

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ سبأ: ٥٤، قال الطبري: "إنهم كانوا قبل في الدنيا في شك من نزول العذاب الذي نزل بهم وعاينوه"[4]

"والمعنى: لقد فعلنا بهم كما فعلنا في أمثالهم ونظرائهم من كفار الأمم الماضية، إنهم كانوا جميعاً في الدنيا في شك مغرق في الريبة في أمر إثبات البعث والجزاء في الآخرة"[5]

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ الإسراء: ٤٩، قال الطنطاوي في هذه الآية: "وقال الكافرون المنكرون للبعث والحساب، قالوا

[1] التفسير الوسيط للطنطاوي (12/ 289)
[2] معالم التنزيل للبغوي (3/ 511)
[3] أضواء البيان للشنقيطي (6/ 122)
[4] جامع البيان للطبري (20/ 432)
[5] التفسير المنير للزحيلي (22/ 216)



للنبي ﷺ على سبيل الإنكار والاستبعاد: أإذا كنا يا محمد، عظامًا بالية، ورفاتًا يشبه التراب في تفتته ودقته، أإنا لمعادون إلى الحياة مرة أخرى، بحيث تعود إلينا أرواحنا، وتدب الحياة فينا ثانية، ونبعث على هيئة خلق جديد، غير الذي كنا عليه في الدنيا؟"[1]، وبنفس هذا المعنى في آيات عديدة منها، قوله ﷻ: ﴿ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ٨٢ ﴾ المؤمنون: ٨٢، وقوله ﷻ: ﴿ وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٥ ﴾ الرعد: ٥، وقوله ﷻ: ﴿ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ٣ ﴾ ق: ٣

وقد أكد الحق ﷻ في غير موضع من القرآن الكريم نفي الشك في وقوع البعث والجزاء، قال ﷻ: ﴿ فَكَيۡفَ إِذَا جَمَعۡنَٰهُمۡ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِ وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٥ ﴾ آل عمران: ٢٥، "أي: فكيف يكون حالهم إذا جمعناهم لجزاء يوم لا ريب في مجيئه وحصوله"[2]، وقال ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ٨٧ ﴾ النساء: ٨٧، "أي: الله الواحد الأحد الفرد الصمد والذي لا معبود بحق سواه، كتب على نفسه أنه ليبعثنكم من قبوركم وليحشرنكم إلى الحساب في يوم القيامة الذي لا شك في حصوله ووقوعه، فقررت الآية أن يوم الحساب آت لا شك فيه مهما أنكره الملحدون"[3]، وقال ﷻ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ

[1] التفسير الوسيط للطنطاوي (8/ 368)
[2] التفسير الوسيط للطنطاوي (2/ 69)
[3] التفسير الوسيط للطنطاوي (3/ 245)




أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ الكهف: ٢١، "أي: أن القيامة آتية لا ريب فيها، ولا شك في حصولها"[1]، وبنفس المعنى في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ غافر: ٥٩، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ الجاثية: ٢٦

## خامساً: الشك في الوعد والوعيد:

قال سبحانه وتعالى: ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ الأعراف: ٧٠

"في هذه الآية يأتي رد قوم هود عليه السلام على نبيهم عليه السلام بعدما دعاهم لعبادة الله عز وجل وحده، بالاستهزاء والإنكار: أجئتنا يا هود لأجل أن نعبد الله عز وجل وحده، ونترك ما كان يعبد آباؤنا من الأوثان والأصنام؟! إن هذا لن يكون منا أبدًا، فأتنا بما تعدنا به من العذاب إن كنت من الصادقين فيما تخبر به، فهم استعجلوا العذاب؛ لأنهم كانوا يشكوا في وقوعه"[2]، وبنفس المعنى في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ الأحقاف: ٢٢، وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ هود: ٣٢، "أي: لقد سئمنا مجادلتك لنا ومللناها، فأتنا بالعذاب الذي تتوعدنا

[1] التفسير الوسيط للطنطاوي (8/ 493)
[2] التفسير الوسيط للطنطاوي (5/ 305)



به، إن كنت من الصادقين في دعواك النبوة، وفي وعيدك لنا بعقاب الله، فإننا مصرون على عبادة آلهتنا، وكارهون لما تدعونا إليه"[1]

## أسباب الشك

الأسباب التي توقع الإنسان في الشك كثيرة ومتنوعة، ومن أهمها:

### أولًا: الكفر:

الشك في الله ﷻ وفي اليوم الآخر وغيرها من صور الشك من أبرز أسبابها الكفر، قال ﷻ: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ﴾ إبراهيم: ٩، "في هذه الآية يتضح أن السبب وراء شك أولئك الأقوام بما جاءت به رسلهم هو الكفر، فبعد أن جاء كل رسول إلى قومه بالحجج الواضحات، وبالمعجزات الظاهرات، الدالة على صدقه فيما يبلغه عن ربه ﷻ، كان الجواب منهم: ﴿ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ "

قال الجمل: "فإن قيل: إنهم أكدوا كفرهم بما أرسل به الرسل عليهم السلام، ثم ذكروا بعد ذلك أنهم شاكون مرتابون في صحة قولهم فكيف ذلك؟ فالجواب: كأنهم قالوا: إنا كفرنا بما أرسلتم به أيها الرسل، فإن لم نكن كذلك، فلا أقل من أن نكون شاكين مرتابين في صحة نبوتكم، أو يقال: المراد بقولهم ﴿ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ ﴾ أي: بالمعجزات والبينات، وبقولهم: ﴿ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ وهو

[1] التفسير الوسيط للطنطاوي (7/ 198)

الإيمان والتوحيد، أو يقال: إنهم كانوا فرقتين: إحداهما جزمت بالكفر، والأخرى شكت"[1]

والشك الذي وقع من قوم صالح عليه السلام إنما كان سببه الكفر، قال سبحانه وتعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ ﴾ هود: ٦٢، بعد أن دعا صالح عليه السلام قومه لعبادة الله عز وجل وحده، وذكرهم بقدرة الله عز وجل ونعمه عليهم، فيأتي الرد منهم بالعناد والكفر، فقالوا : يا صالح لقد كنت فينا رجلًا فاضلًا نرجوك لمهمات الأمور فينا لعلمك وعقلك وصدقك، قبل أن تقول ما قلته، أما الآن وبعد أن جئتنا بهذا الدين الجديد فقد خاب رجاؤنا فيك، وصرت في رأينا رجلاً مختل التفكير، ثم ختموا ردهم عليه بقولهم: ﴿وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ أي: لن نترك عبادة الأصنام التي كان يعبدها آباؤنا، وإننا لفي شك كبير وريب عظيم من صحة ما تدعونا إليه"[2]

## ثانياً: النفاق:

النفاق من أبرز الأسباب المؤدية للشك، قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ التوبة: ٤٥، "أي: إنما يستأذنك يا محمد في القعود عن الجهاد أولئك الذين من صفاتهم أنهم لا يؤمنون بالله عز وجل إيماناً كاملًا، ولا يؤمنون باليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب إيماناً يقينياً، وبجانب عدم إيمانهم بالله عز وجل واليوم الآخر، رسخ الريب في قلوبهم فصاروا يشكون في صحة ما جئت به – أيها الرسول الكريم–، ويقفون من

---

[1] حاشية الجمل على الجلالين (2/ 516)
[2] التفسير الوسيط للطنطاوي (7/ 233)



تعاليمك وتوجيهاتك، موقف المكذب المرتاب لا موقف المصدق المذعن، وأضاف الشك والارتياب إلى القلوب، لأنها محل المعرفة والإيمان"[1]

قال الطنطاوي: "وأوثرت صيغة الماضي ﴿ وَٱرۡتَابَتۡ ﴾ للدلالة على تحقق الريب وتوبيخهم، وأصل معنى التردد: الذهاب والمجيء، والمراد به هنا التحير على سبيل المجاز؛ لأن المتحير لا يستقر في مكان، ولا يثبت على حال، فهم في شكهم الذي حل بهم يتحيرون"[2]

وقال ﷻ: ﴿ لَا يَزَالُ بُنۡيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوۡاْ رِيبَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١١٠ ﴾ التوبة: ١١٠، تكشف هذه الآية عن حال المنافقين بعد أن فضح الله ﷻ نواياهم بما أرادوه من بناء المسجد الذي سماه الله ﷻ بمسجد الضرار، والمعنى: لا يزال ما بناه هؤلاء المنافقون موضع ريبة وقلق في نفوسهم في كل وقت وحال إلا في وقت واحد، وهو وقت أن تتمزق قلوبهم بالموت، فهم لا يزالون في قلق وحيرة، والسبب في أن هذا البناء كان مثار ريبتهم وقلقهم حتى بعد هدمه، أنهم بنوه بنية سيئة، ولتلك المقاصد الأربعة الخبيثة التي بينتها الآية الأولى، فكانوا يخشون أن يطلع الله ﷻ نبيهم على مقاصدهم الذميمة، فهذه الخشية أورثتهم القلق والريبة، فلما أطلع الله ﷻ نبيه على أغراضهم، وتم هدم مسجد الضرار، وانهار الجرف المتداعي المتساقط، استمر قلقهم وريبهم؛ لأنهم لا يدرون بعد ذلك ماذا سيفعل المؤمنون بهم"[3]

## ثالثاً: الجهل:

قال ﷻ: ﴿ وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ

[1] تفسير ابن كثير (4/ 158)
[2] التفسير الوسيط للطنطاوي (6/ 306)
[3] الكشاف للزمخشري (2/ 313)، التفسير الوسيط للطنطاوي (6/ 406)

ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ﴿١٥٧﴾ ﴾ النساء: ١٥٧، الجهل هو أحد أسباب الوقوع في الشك، وهذا ما حدث لبني إسرائيل بعدما وقعت حادثة رفع عيسى عليه السلام إلى السماء، فالذين اختلفوا في شأن عيسى عليه السلام من أهل الكتاب لفي شك دائم من حقيقة أمره، فهم في حيرة وتردد، ليس عندهم علم ثابت قطعي في شأنه، أو في شأن قتله، ولكنهم لا يتبعون فيما يقولونه عنه إلا الظن الذي لا تثبت به حجة، ولا يقوم عليه برهان، وهذا الشك أساسه الجهل الذي وقع منهم، حين قالوا: إنه ابن الله، وادعوا أن في عيسى عليه السلام عنصرًا إلهياً مع العنصر الإنساني، وأن الذي ولدته مريم هو العنصر الإنساني، ثم أفاض عليه بعد ذلك العنصر الإلهي، فالشك هنا أساسه وسببه جهل بني إسرائيل بما حدث لعيسى عليه السلام"[1]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ يَلۡعَبُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الدخان: ٩، "صدر هذا الكلام من الكافرين نتيجة جهلهم بقدرة الله عز وجل وعظمته، فهؤلاء الكفار لم يكونوا موقنين بأن رب السموات والأرض وما بينهما هو الله سبحانه وتعالى، بل قالوا ما قالوا في ذلك على سبيل الشك واللعب"[2]

## رابعاً: الكبر:

يصرح المشركون أن السبب الحقيقي الذي حال بينهم وبين الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم، وهو الحقد والحسد والكبر، وإنكار أن يختص الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم من بينهم بالرسالة، فقالوا كما حكى القرآن عنهم: ﴿ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴿٨﴾ ﴾ ص: ٨، والاستفهام للإنكار والنفي، أي: كيف يدعي محمد صلى الله عليه وسلم

---
1 التحرير والتنوير لابن عاشور (6/ 18)
2 التفسير الوسيط للزحيلي (3/ 2379)



أنه قد أنزل عليه القرآن من بيننا، ونحن السادة الأغنياء العظماء، وهو دوننا في ذلك؟ إننا ننكر وننفي دعواه النبوة من بيننا"[1]

**قال الزمخشري:** "أنكروا أن يختص بالشرف من بين أشرافهم ورؤسائهم وينزل عليه الكتاب من بينهم، كما قالوا: ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾ الزخرف: ٣١، وهذا الإنكار ترجمة عما كانت تغلي به صدورهم من الحسد على ما أوتي من شرف النبوة من بينهم، بل هم في شك من القرآن"[2]

وقال ﷻ: ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ ﴾ الكهف: ٣٥ - ٣٧، "انتقل صاحب الجنتين من غرور إلى غرور أشد، فهذا الكافر لم يكتفِ بتطاوله على صاحبه المؤمن، بل سار به نحو جنته حتى دخلها، وهو ظالم لنفسه بسبب كفره وجحوده وكبره، ثم ختم هذا الكافر محاورته لصاحبه بقوله:

﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً ﴾ أي: كائنة ومتحققة، فهو قد أنكر البعث وما يترتب عليه من حساب بعد إنكاره لفناء جنته، ثم أكد كلامه بجملة قسمية، فقال: ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى ﴾ أي: والله لئن رددت إلى ربي على سبيل الفرض والتقدير، كما أخبرتني يا صاحبي بأن هناك بعثاً وحساباً ﴿ لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾ أي:

[1] أيسر التفاسير للجزائري (4/ 435)
[2] الكشاف للزمخشري (4/ 74)

من هذه الجنة منقلبًا أي: مرجعاً وعاقبة، وكل هذا الكلام الذي صدر من صاحب الجنة الكافر ما صدر إلا نتيجة الكبر والغرور"[1]

## خامساً: وسوسة الشيطان:

يبين الحق ﷻ أن إغواء الشيطان ووسوسته من الأسباب التي أدت الشك، قال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ ﴾ سبأ: ٢٠ - ٢١، قال الطنطاوي: "لفظ ﴿ صَدَّقَ ﴾ قرأه بعض القراء السبعة بتشديد الدال المفتوحة، وقرأه البعض الآخر بفتح الدال بدون تشديد، والمعنى على القراءة بالتشديد: ولقد صدق عليهم إبليس ظنه في قدرته على إغوائهم، وحقق ما كان يريده منهم من الانصراف عن طاعة الله ﷻ وشكره، فاتبعوا خطوات الشيطان، بسبب انغماسهم في الفسوق والعصيان، إلا فريقًا من المؤمنين، لم يستطع إبليس إغواءهم، لأنهم أخلصوا عبادتهم لخالقهم ﷻ، واستمسكوا بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، والمعنى على القراءة بالتخفيف: ولقد صدق إبليس في ظنه أنه إذا أغواهم اتبعوه، لأنه بمجرد أن زين لهم المعاصي أطاعوه، إلا فريقاً من المؤمنين لم يطيعوه"[2]، ثم بين ﷻ أن إغواء الشيطان لأهل سبأ ولأشباههم من بنى آدم، لم يكن عن قسر وإكراه، وإنما كان عن اختيار منهم ليتميز الخبيث من الطيب، فقال ﷻ: ﴿ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ﴾ أي: وما كان لإبليس عليهم من سلطان قاهر يجعلهم لا يملكون

---
[1] تفسير القرآن العظيم لابن كثير (5/ 157)، الدر المصون للحلبي (7/ 488)
[2] التفسير الوسيط للطنطاوي (11/ 283 -284)



دفعه، وإنما كان له عليهم الوسوسة التي يملكون صرفها ودفعها متى حسنت صلتهم بنا، ونحن ما أبحنا لإبليس الوسوسة لبنى آدم، إلا لنظهر في عالم الواقع حال من يؤمن بالآخرة وما فيها من ثواب وعقاب وحساب، ولنميزه عمن هو منها في شك وريب وإنكار"[1]

**قال الشوكاني:** "والاستثناء في قوله ﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْأَخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ﴾ منقطع أي: لا سلطان له عليهم، ولكن ابتليناهم بوسوسته لنعلم، وقيل: هو متصل مفرغ من أعم العلل، أي: ما كان له عليهم من تسلط بحال من الأحوال، ولا لعلة من العلل، إلا ليتميز من يؤمن ومن لا يؤمن، لأنه ﷻ قد علم ذلك علماً أزليًا، وقال الفراء: إلا لنعلم ذلك عندكم، والأولى حمل العلم هنا على التمييز والإظهار"[2]

## ألفاظ ذات الصلة بالشك

### أولاً: الظن:

**الظن لغةً:** "الظاء والنون أصل صحيح يدل على معنيين مختلفين: يقين وشك، فأما اليقين فقول القائل: ظننت ظنًا، أي: أيقنت، والأصل الآخر: الشك، يقال: ظننت الشيء، إذا لم يتيقنه، ومن ذلك الظنة: التهمة، والجمع: الظنن"[3]

**الظن اصطلاحًا:**

**قال الراغب الأصفهاني:** "اسم لما يحصل عن أمارة، ومتى قويت أدت إلى العلم، ومتى ضعفت جدًا لم يتجاوز حد التوهم"[4]

---
1 التفسير الوسيط للطنطاوي (11/ 284)
2 فتح القدير للشوكاني (4/ 371)
3 مقاييس اللغة لابن فارس (3/ 462)، الصحاح للجوهري (6/ 2160)
4 المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص 539


www.alukah.net


**وقال الجرجاني:** "هو الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض، ويستعمل في اليقين والشك، وقيل: الظن: أحد طرفي الشك بصفة الرجحان"[1]

**الصلة بين الظن والشك:**

"أن الشك استواء طرفي التجويز، والظن رجحان أحد طرفي التجويز، والشاك يجوز كون ما شك فيه على إحدى الصفتين؛ لأنه لا دليل هناك ولا أمارة، ولذلك كان الشاك لا يحتاج في طلب الشك إلى الظن والعلم، وغالبًا ما يطلبان بالنظر، ويجوز أن يقال: الظن قوة المعنى في النفس من غير بلوغ حال الثقة الثابتة، والشك ليس كذلك"[2]

## ثانيًا: الريب:

**الريب لغة:** "الريب مأخوذة من مادة (ر ي ب) يدل على شك أو شك وخوف"[3]

**الريب اصطلاحاً: قال ابن الأثير:** "الريب هو الشك مع التهمة"[4]

**الصلة بين الشك والريب:**

الريب يكون في علم القلب وفي عمله؛ بخلاف الشك فإنه لا يكون إلا في العلم فقط، ثم الشك سبب الريب، كأنه شك أولًا، ثم أوقعه شكه في الريب، فالشك مبدأ الريب، كما أن العلم مبدأ اليقين، فيوصف الشك بالريب، والشك المريب أقوى ما يكون من الشك، وأشده إظلامًا، وإنما وصف الشك بالمريب للمبالغة فيه، ولتقوية معنى الشك"[5]

---

[1] التعريفات للجرجاني ص 144
[2] الفروق اللغوية للعسكري ص 98 - 99
[3] مقاييس اللغة لابن فارس (2/ 463)، لسان العرب لابن منظور (1/ 441)
[4] النهاية في غريب الحديث الأثر لابن الأثير (2/ 286)
[5] الكليات للكفوي ص 528




شبكة الألوكة - قسم الكتب

## ثالثًا: الوهم:

**الوهم لغة:** "وهم إلى الشيء بالفتح يهم وهمًا، إذا ذهب وهمه إليه وهو يريد غيره، ووهم يوهم وهمًا –بالتحريك –إذا غلط"[1]

**الوهم اصطلاحًا:**

"هو الطرف المرجوح غير الجازم من المترددين، وهو أضعف من الظن، وكثيرا ما يستعمل في الظن الفاسد"[2]

**الصلة بين الوهم والشك:**

"الشك استواء الطرفين، أما إن كان أحد الطرفين راجحًا، والآخر مرجوحًا، فالمرجوح يسمى وهمًا، والراجح يسمى ظنًا"[3]

## رابعًا: الوسوسة:

**الوسوسة لغة: قال ابن منظور:** "الوسوسة والوسواس: الصوت الخفي من ريح، والوسواس: صوت الحلي، والوسواس، بالفتح، الاسم، مثل الزلزال والزلزال، والوسواس، بالكسر، المصدر. والوسواس، بالفتح: هو الشيطان، وكل ما حدثك ووسوس إليك، فهو اسم"[4]

**الوسوسة اصطلاحًا:**

**قال الكفوي:** "الوسوسة: القول الخفي لقصد الإضلال من وسوس إليه ووسوس له، أي: فعل الوسوسة لأجله، وهي حديث النفس، والشيطان بما لا نفع فيه ولا خير"[5]، **وقال الزبيدي:** "الوسوسة: الكلام الخفي في اختلاط"[6]

[1] الصحاح للجوهري (5/ 2045)، النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (5/ 234)، لسان العرب لابن منظور (12/ 643)
[2] الكليات للكفوي ص 943
[3] الكليات للكفوي ص 528
[4] لسان العرب لابن منظور (6/ 254)
[5] الكليات للكفوي ص 941
[6] تاج العروس للزبيدي (17/ 12)




### الصلة بين الشك والوسوسة:

"أن الشك ينشأ عن سبب معتبر معتد به، وأصل يبني عليه شكه بخلاف الوسوسة، فإن الموسوس يبني وسوسته من غير وجود أصل معتبر، وإنما تنشأ الوسوسة عن أوهام لا اعتبار لها، والشك إذا كثر، وتكرر من الإنسان، فإنها تعد وسوسة، والشك يزول بزوال سببه، وأما الوسوسة، فلا تزول إلا بجهد بالغ، ومشقة متناهية، وعزيمة قوية"[1]

## خامسًا: المرية:

**المرية لغة:** "المرية: بالكسر والضم، الشك والجدل، والامتراء في الشيء: الشك فيه، وكذلك التماري، والمراء: المماراة والجدل، والمراء أيضًا: من الامتراء والشك"[2]

**المرية اصطلاحًا:** "الامتراء: طلب التشكك مع ظهور الدليل، أو هو ظهور تكلف المؤنة، وهي محاولة مستخرج السوء من خبيئة المحاولة من امتراء ما في الضرع، وهو استئصاله حلباً"[3]

### الصلة بين الشك والامتراء:

"أن الامتراء هو استخراج الشبه المشكلة، ثم كثر حتى سمي الشك مرية وامتراء، وأصله المري، وهو استخراج اللبن من الضرع، مرى الناقة يمريها مريًا، ومنه ماراه مماره ومراء إذا استخرج ما عنده بالمناظرة، وامترى امتراء إذا استخرج الشبه المشكلة من غير حل لها"[4]

## عاقبة الشك

الشك له عواقب وخيمة تعود على صاحبه في الدنيا والآخرة، ومنها

[1] الوسوسة وأحكامها في الفقه الإسلامي للجدعاني ص ٨١- ٨٥.
[2] لسان العرب لابن منظور (15/ 278)
[3] التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص 61
[4] الفروق اللغوية للعسكري ص 99




### 1. الانغماس في الضلالة:

قال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ غافر: ٣٤، "الكلام في هذه الآية جاء على لسان مؤمن آل فرعون، يحذر قومه من الشك في دعوة موسى عليه السلام كما فعل أجدادهم من قبل مع يوسف عليه السلام، ﴿ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ﴾ أي: فما زال آباؤكم في شك مما جاءهم به من البينات والهدى، كشأنكم أنتم مع نبيكم موسى عليه السلام"[1]، ثم بين لهم عاقبة ومصير الذي يستمر في الشك في الأنبياء عليهم السلام الانغماس في الضلالة بقوله: ﴿ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ أي: مثل ذلك الإضلال الفظيع، يضل الله ﷻ من هو مسرف في ارتكاب الفسوق والعصيان، ومن هو مرتاب في دينه، شاك في صدق رسوله ﷺ، لاستيلاء الشيطان والهوى على قلبه"[2]

### 2. الوقوع في الاختلاف:

من عواقب الشك، الوقوع في الاختلاف لا سيما حول ما أنزل الله ﷻ، كما حدث الاختلاف حول التوراة التي أنزلها الله ﷻ على موسى عليه السلام، قال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ فصلت: ٤٥، "أي: ولقد آتينا نبينا

---

1 تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 736، التفسير الوسيط للطنطاوي (12/ 289)
2 التفسير الوسيط للطنطاوي (12/ 289)

موسى عليه السلام كتابه التوراة ليكون هداية ونورًا لقومه، فاختلفوا في شأن هذا الكتاب، فمنهم من آمن به، ومنهم من صد عنه"[1]

## 3. العذاب في الآخرة:

عواقب الشك لا تقتصر على الدنيا فقط بل إنها تمتد للآخرة، فمن عواقب الشك في الآخرة العذاب والفناء والهلاك، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ ٦٦ ﴾ النمل: ٦٦، قال الطنطاوي: "التدارك بمعنى الاضمحلال والفناء، وأصله التتابع والتلاحق، أي: بل تتابع علم هؤلاء المشركين بشئون البعث حتى اضمحل وفنى، ولم يبق لهم علم بشيء مما سيكون فيها قطعاً مع توافر أسبابه ومباديه من الدلائل، ومنهم من يرى أن التدارك هنا التكامل، فيكون المعنى: بل تكامل علمهم بشئون الآخرة، حين يعاينون ما أعد لهم فيها من عذاب، بعد أن كانوا ينكرون البعث والحساب في الدنيا، ويبدو لنا أن الآية الكريمة تتسع للقولين، على معنى أن المشركين اضمحل علمهم بالآخرة لكفرهم بها في الدنيا، فإذا ما بعثوا يوم القيامة وشاهدوا العذاب، أيقنوا بحقيقتها، وتكامل علمهم واستحكم بأن ما كانوا ينكرونه في الدنيا. قد صار حقيقة لا شك فيها، ولا مفر لهم من عذابها"[2]، قال الألوسي: "قوله: ﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ والمعنى: بل تتابع علمهم في شأن الآخرة، التي ما ذكر من البعث حال من أحوالها، حتى انقطع وفنى، ولم يبقَ لهم علم بشيء مما سيكون فيها قطعاً، مع توفر أسبابه"[3]

---

[1] مفاتيح الغيب للرازي (27/ 568)
[2] التفسير الوسيط للطنطاوي (10/ 350)
[3] روح المعاني للألوسي (10/ 224)



## مضار الشك

"1. الشّكّ يضعف الإيمان بالله ﷻ وبالملائكة والكتاب والنّبيّين وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشرّه.

2. يدخل الوسواس على القلب فلا يجعله يثبت على يقين.

3. الرّيب والشّكّ والوسواس آفات نفسيّة تجعل الثّقة مهزوزة بين أفراد المجتمع.

4. المصاب بداء الشّكّ مريض في نفسه لا يستطيع أن يثبت في حال من الأحوال.

5. الشّكّ في الله ﷻ شرك أكبر.

6. الشّكّ سمة ضعف الإنسان وقوّة الشّيطان عليه.

7. الشّكوك في الرّعيّة تفسدها.

8. الاستكانة للشّكّ تجلب التّهم.

9. الشّكّ ينتج إساءة الظّنّ بأقرب النّاس"[1]

## علاج الشك

الشك هو داء خطير خصوصًا إذا ما أصاب المسلم، ولكن لكل داء دواء، وفيما يأتي أهم أدوية الشك:

### أولًا: الثبات على الإيمان:

ومن أهم الوسائل التي تعين المسلم على الثبات على الإيمان، وتبعده عن الشك، هي:

### 1. الإقبال على القرآن الكريم:

قال ﷻ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢ وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ

[1] نظرة النعيم (10/ 4768)




تَفۡسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ الفرقان: ٣٢ – ٣٣، "أي: أنزلناه كذلك منجمًا ومفرقًا لحكمة عالية وهي تقوية قلبك وتثبيته؛ لأنه كالغيث كلما أنزل أحيا موات الأرض وازدهرت به ونزوله مرة بعد مرة أنفع من نزول الغيث دفعة واحدة"[1]

فإذا كان القرآن الكريم مثبتًا للنبي ﷺ، فكيف بنا نحن الضعاف؟ كيف بنا نحن المقصرين؟ إذًا القرآن الكريم، الإقبال عليه؛ تلاوةً، وحفظًا، وفهمًا، وتدبرًا، وتطبيقًا، هو أحد الوسائل الفعالة لثباتك على الإيمان وبالتالي البعد كل البعد عن الشك.

### 2. التزام شرع الله ﷻ والعمل الصالح:

قال ﷻ: ﴿وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡۖ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ﴿٦٦﴾﴾ النساء: ٦٦، "في هذه الآية بيان للنتائج الطيبة التي تترتب على امتثال شرع الله ﷻ، أي: ولو ثبت أن هؤلاء الذين أمرناهم بطاعتنا ﴿فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ أي: ما أمرناهم به من اتباع لرسولنا ﷺ وانقياد لحكمه؛ لأنه الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى، فلو ثبت أنهم فعلوا ذلك لكان ما فعلوه خيرًا لهم في دنياهم وآخرتهم، ولكان أشد تثبيتًا لهم على الحق والصواب، وأمنع لهم من الشك والضلال"[2]

وقال ﷻ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ إبراهيم: ٢٧، "والمعنى: يثبت الله ﷻ الذين آمنوا بالقول الثابت، أي: الصادق الذي لا شك فيه، في الحياة الدنيا، بأن يجعلهم متمسكين بالحق، ثابتين عليه دون أن يصرفهم عن ذلك

[1] أيسر التفاسير للجزائري (3/ 613)
[2] الكشاف للزمخشري (4/ 74)



ترغيب أو ترهيب، ويثبتهم أيضاً بعد مماتهم، بأن يوفقهم إلى الجواب السديد عند سؤالهم في القبر وعند سؤالهم في مواقف يوم القيامة"[1]

### 3. تدبر قصص الأنبياء عليهم السلام:

ذكرنا سابقًا كيف قابلت الأقوام أنبياءهم بالكفر والجحود والشك فيهم وفي رسالتهم، فتدبر هذه القصص من الوسائل الفعالة على الثبات على الإيمان، فيبين ﷻ أهم الفوائد التي تعود على الرسول ﷺ وعلينا من وراء إخباره بأحوال الأنبياء السابقين مع أقوامهم، قال ﷻ: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ هود: ١٢٠، "أي: وكل نبأ من أنباء الرسل الكرام السابقين نقصه عليك -أيها الرسول الكريم- وعلى أمتك، فالمقصود به تثبيت قلبك، وتقوية يقينك، وتسلية نفسك ونفوس أصحابك عما لحقكم من أذى في سبيل تبليغ دعوة الحق إلى الناس"[2]

## ثانياً: سؤال أهل العلم:

قال ﷻ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ النحل: ٤٣، المراد بأهل الذكر في هذه الآية، علماء أهل الكتاب أي: لقد اقتضت حكمتنا أن يكون الرسول من البشر في كل زمان ومكان، فإن كنتم في شك من ذلك-أيها المكذبون- فاسألوا علماء أهل الكتب السابقة من اليهود والنصارى، فسيبينون لكم أن الرسل جميعاً كانوا من البشر ولم يكونوا من

[1] تفسير القرآن العظيم لابن كثير (5/ 157)، الدر المصون للحلبي (7/ 488)
[2] التفسير الوسيط للطنطاوي (7/ 295)

www.alukah.net



الملائكة، فمادامت قد بلغت بكم الجهالة أن تشكوا أن يكون الرسول بشراً فاسألوا أهل العلم في ذلك، فسيبينون لكم أن الرسل السابقين لم يكونوا إلا رجالًا"[1]

وفي قوله ﷻ: ﴿إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣﴾ إشارة إلى أنهم كانوا يعلمون أن الرسل عليهم السلام لا يكونون إلا من البشر، ولكنهم قصدوا بإنكار ذلك الجحود والمكابرة، والتمويه لتضليل الجهلاء، ولذا جيء في الشرط بحرف (إن) المفيد للشك، وجواب الشرط لهذه الجملة محذوف، دل عليه ما قبله. أي: إن كنتم لا تعلمون، فاسألوا أهل الذكر"[2]

**فيفهم من الآيات السابقة أن الرجوع إلى أهل العلم وسؤالهم عن الأمور التي ربما يعتريها الشك، هو السبيل الوحيد للابتعاد عن الشك وما يترتب عليه من عواقب وخيمة.**

---

[1] تفسير الشعراوي (15/ 9486)

[2] إرشاد العقل السليم لأبي السعود (5/ 116)




شبكة الألوكة - قسم الكتب

# المرض الحادي عشر
# شهادة الزور

## تعريف شهادة الزور

### في اللغة:

1. **الشهادة**: "من شهد المجلس يشهده شهوداً، حضره واطّلع عليه، وعاينه فهو شاهد، جمعه شهود وشهّد وأشهاد، وشهد عند الحاكم لفلان على فلان بكذا يشهد، أدّى ما عنده من الشّهادة. وشهد على كذا: أخبره به خبراً قاطعاً"[1]

**قال ابن فارس**: "الشّهادة الإخبار بما قد شوهد"[2]

2. **الزور**: الميل عن الحقّ، **يقول ابن فارس**: "الزّاي والواو والرّاء أصل واحد يدلّ على الميل والعدول، من ذلك الزّور الكذب، لأنّه مائل عن طريقة الحقّ، ويقال: زوّر فلان الشّيء تزويراً، وزوّر الشيء في نفسه: هيّأه، لأنّه يعدل به عن طريقة تكون أقرب إلى قبول السّامع"[3]

والزّور مأخوذ من الزّور، وهو ميل في الزّور، **يقول الرّاغب الأصفهاني**: "وقيل للكذب زور لكونه مائلاً عن جهته، قال ﷻ: ﴿فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ٤﴾ الفرقان: ٤"[4]

"والزّور أيضاً: كلّ شيء يتّخذ ربّا، ويعبد من دون الله ﷻ.

وزوّر نفسه: وسمها بالتّزوير، وزوّر الشّهادة أبطلها، والزّور مجالس اللهو، والزّور: شهادة الباطل وقول الكذب، ولم يشتقّ من تزوير الكلام، ولكنّه اشتقّ من تزوير الصّدر،

[1] نظرة النعيم (2/ 467)
[2] مجمل اللغة لابن فارس (1/ 514)
[3] مقاييس اللغة لابن فارس (3/ 36)
[4] المفردات في غريب القرآن للرغب الأصفهاني ص 387

وقيل: الزّور الكذب والباطل والتّهمة وزوّر الكلام زخرفه، وازورّ عن الشّيء وتزاور عنه، مال، وقيل: شهادة الزّور، أي شهادة الكذب، والباطل، وقيل: شهادة (أي شهود) الباطل، ورجل زور وقوم زور وكلام مزوّر ومتزوّر: مموّه بكذب، وقيل: محسّن. وقيل: هو المثقّف (أي المهذّب المرتّب) قبل أن يتكلّم به، ومنه حديث عمر رضي الله عنه: "ما زوّرت كلاماً لأقوله إلّا سبقني به أبو بكر"، والتّزوير: إصلاح الشّيء، والتّزوير: تزيين الكذب، وسمع ابن الأعرابيّ يقول: كلّ إصلاح من خير أو شرّ فهو تزوير، ومنه شاهد الزّور، يزوّر كلاما. والتّزوير: إصلاح الكلام وتهيئته، قال الحجّاج: رحم الله امرأ زوّر نفسه على نفسه، أي قوّمها وحسّنها، وقيل: اتّهم نفسه على نفسه"[1]

وقولهم: قد زوّر عليه كذا وكذا، قال أبو بكر:

فيه أربعة أقوال: يكون التّزوير فعل الكذب والباطل، والزّور: الكذب. والتّزوير: التّشبيه. والتّزوير: التّزويق والتّحسين. وزوّرت الشّيء: حسّنته وقوّمته.

وقال الأصمعيّ: تهيئة الكلام وتقديره، والإنسان يزوّر كلاما، وهو يقومه ويتقنه قبل أن يتكلّم به.

والزّور: شهادة الباطل وقول الكذب، وقد تكرّر ذكر شهادة الزّور في الحديث، وهي من الكبائر، فمنها قوله: "عدلت شهادة الزّور الشّرك بالله"، وإنّما عادلته لقوله سبحانه وتعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴿٦٨﴾ ﴾ الفرقان: ٦٨ ثمّ قال بعدها:

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴿٧٢﴾ ﴾ الفرقان: ٧٢، **وقال الطّبريّ** في تفسير هذه الآية: "وأصل الزّور تحسين الشيء ووصفه بخلاف صفته حتّى يخيّل إلى من يسمعه أو يراه أنّه خلاف ما هو به، ويدخل فيه الغناء لأنّه أيضاً ممّا يحسّنه ترجيع الصّوت حتّى

[1] لسان العرب لابن منظور (4/ 336 – 337)



يستحلي سامعه سماعه، والكذب أيضاً قد يدخل فيه لتحسين صاحبه إيّاه، حتّى يظنّ صاحبه أنّه حقّ، فكلّ ذلك يدخل في معنى الزّور"[1]

**وقال ابن حجر** معقّباً على ما ذكره الإمام البخاريّ في باب ما قيل في شهادة الزّور، لقول الله ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴿٧٢﴾ ﴾ الفرقان: ٧٢، أشار البخاريّ بذلك إلى أنّ الآية سيقت في ذمّ متعاطي شهادة الزور، وهو اختيار منه لأحد ما قيل في تفسيرها، وقيل: المراد بالزّور هنا الشّرك، وقيل: الغناء، وقيل غير ذلك، قال الطّبريّ: أولى الأقوال عندنا أنّ المراد به مدح من لا يشهد شيئاً من الباطل"[2]

## في الشرع:

1. **الشهادة**: "الشّهادة: بيان الحقّ، سواء كان عليه أو على غيره، وهي خبر قاطع يختصّ بمعنى يتضمّن ضرر غير المخبر فيخرج الإقرار، وقيل: إقرار مع العلم وثبات اليقين، والإقرار قد ينفكّ عن ذلك، ولذلك أكذب الله ﷻ الكفّار في قولهم: ﴿ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ﴿١﴾ ﴾ المنافقون: ١، ولما كان الخبر الخاصّ مبيّناً للحقّ من الباطل سمّي شهادة، وسمّي المخبر به شاهداً، فلهذا شبّهت الدّلالة في كمال وضوحها بالشّهادة، وشهد الرّجل على كذا يشهد عليه شهادة: إذا أخبر به قطعاً وشهد له بكذا يشهد به شهادة: إذا أدّى ما عنده من الشّهادة، والشّهادة تقام بلفظ الشّهادة، أعني: أشهد بالله، وتكون قسماً ومنهم من يقول: إن قال "أشهد" يكون قسماً "وإن لم يقل بالله"[3]

[1] جامع البيان للطبري (19/ 314)
[2] فتح الباري لابن حجر العسقلاني (5/ 261)
[3] الكليات للكفوي ص 527 - 528

**قال الرّاغب الأصفهاني**: "الشّهادة قول صادر عن علم حصل بمشاهدة بصيرة أو بصر"[1]

**قال المناويّ**: "الشّهادة إخبار عن عيان بلفظ أشهد في مجلس القاضي بحقّ لغيره على غيره"[2]

2. **الزور**: **قال العسكريّ**: "الزّور هو الكذب الّذي قد سوّي وحسّن في الظّاهر ليحسب أنّه صدق وهو من قولك: زوّرت الشّيء إذا سوّيته وحسّنته"[3]

**قال الحافظ ابن حجر**: "وضابط الزّور وصف الشّيء على خلاف ما هو به: وقد يضاف إلى القول فيشمل الكذب والباطل، وقد يضاف إلى الشّهادة فيختصّ بها"[4]

3. **شهادة الزور**: **قال القرطبيّ**: "شهادة الزّور هي الشّهادة بالكذب ليتوصّل بها إلى الباطل من إتلاف نفس أو أخذ مال أو تحليل حرام أو تحريم حلال"[5]

## حكم شهادة الزور

**قال الإمام الذّهبيّ** بعد أن ذكر أنّها من الكبائر: "إنّ شاهد الزّور قد ارتكب عظائم:

أحدها: الكذب والافتراء.

ثانيها: أنّه ظلم الّذي شهد عليه حتّى أخذ بشهادته ماله وعرضه وروحه أحياناً

ثالثها: أنّه ظلم الّذي شهد له بأن ساق إليه المال الحرام فأخذه بشهادته فوجبت له النّار، مصداقاً لقوله ﷺ: "من قضيت له من مال أخيه بغير حقّ فلا يأخذه، فإنّما أقطع له قطعة من النّار"[6]

رابعها، أنّه أباح ما حرّم الله سبحانه وتعالى، وعصمه من المال والدّم والعرض"[7]

---

[1] المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص 465
[2] التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص 208
[3] معجم الفروق اللغوية للعسكري ص 268
[4] فتح الباري لابن حجر العسقلاني (10/ 412)
[5] فتح الباري لابن حجر العسقلاني (10/ 412)
[6] رواه البخاري (9/ 69)
[7] الكبائر للذهبي ص 79





وقال ابن حجر: "عدّ شهادة الزّور وقبولها، كلاهما من الكبائر، وقد صرّحوا بذلك في الشّهادة، وقياس الثّانية أي قبول شهادة الزّور أن تكون كذلك، وحكى بعضهم الإجماع على أنّ شهادة الزّور كبيرة ولا فرق بين أن يكون المشهود به قليلاً أو كثيراً فضلاً عن هذه المفسدة القبيحة الشّنيعة جدّاً"[1]

## خطورة شهادة الزور

تبدو خطورة هذا الموضوع واضحة في تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، فقد ذُكِرت شهادة الزور في القرآن الكريم في أكثر من موضع للدلالة على خطورتها، ومنها قوله ﷻ: ﴿ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ ﴾ الحج: ٣٠، في هذه الآية الكريمة قَرَن الله ﷻ عبادة الأوثان بقول الزور، وطلب من المؤمنين أن يجتنبوا قول الزور لما له من تأثير على عقيدتهم، وفي آية أخرى يقول ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴿٧٢﴾ ﴾ الفرقان: ٧٢، أي تجنب كل محل فيه كذب، وينفر من محاضر الكذابين ومجالسهم، فهكذا تكون أخلاق المسلم الحق ممتثلًا لأوامر الله ﷻ تاركًا ما لا شأن له فيه مجتنبًا لفعل كل محرم، وشهادة الزور فيها من المفسدة ما جعلها تُعدُّ من الكبائر؛ فعن أبي بكرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين وجلس وكان متكئًا فقال: ألا وقول الزور" قال: فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت"[2]، ظلَّ ﷺ يردِّدُها على مسامع أصحابه حتى تمنُّوا لو سكت، وما تمنو ذلك إلا شفقة على الرسول ﷺ وكراهةً لما يزعجه ويغيظه، وما كان هذا إلا لخطورة شهادة الزور وضررها الجسيم، وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال ﷺ: "من لم يدع قول الزور والعمل به،

[1] الزواجر لابن حجر الهيتمي (2/ 321) بتصرف
[2] رواه البخاري (3/ 172)، رواه مسلم (1/ 91)




فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه"[1]، أي من كان يشهد الزور ويكذب، فليس له حاجة أو يصوم؛ لأن الغرض العظيم من الصوم هو ترك المحرمات لا ترك الشراب والطعام فقط.

**وقال ابن حجر** في قوله ﷺ: "وجلس وكان متّكئاً" يشعر بأنّه اهتمّ بذلك حتّى جلس بعد أن كان متّكئاً، ويفيد ذلك تأكيد تحريم الزّور وعظم قبحه، وسبب الاهتمام بذلك كون قول الزّور أو شهادة الزّور أسهل وقوعاً على النّاس، والتّهاون بها أكثر، فإنّ الإشراك ينبو عنه قلب المسلم، والعقوق يصرف عنه الطّبع، وأمّا الزّور فالحوامل عليه كثيرة كالعداوة والحسد وغيرها، فاحتيج إلى الاهتمام بتعظيمه، وليس ذلك لعظمها بالنسبة إلى ما ذكر معها من الإشراك قطعاً، بل لكون مفسدة الزّور متعدّية إلى غير الشّاهد، بخلاف الشّرك فإنّ مفسدته قاصرة غالباً"[2]

**وقال أبو حيّان** في تفسيره للآية الكريمة: "والظّاهر أنّ المعنى: لا يشهدون بالزّور، أو لا يشهدون شهادة الزّور، وقيل: المعنى لا يحضرون الزّور من المشاهدة أي أنّ شهد هنا بمعنى شاهد وقد اختلف في الزّور على أقوال منها: فالشّرك قاله الضّحّاك وابن زيد، والغناء قاله مجاهد، والكذب قاله ابن جريج، وأعياد المشركين عن مجاهد أيضاً، ومجالس الباطل قاله قتادة وقيل غير ذلك"[3]

**وقال الشّيخ الميدانيّ:** "وفي حياة النّاس نوع خطير من الكذب، شديد القبح، سيئ الأثر ألا وهو شهادة الزّور، إنّ الأصل في الشّهادة أن تكون سنداً لجانب الحقّ، ومعينة للقضاء على إقامة العدل، والحكم على الجناة الّذين تنحرف بهم أهواؤهم وشهواتهم، فيظلمون أو يبغون، أو يأكلون أموال النّاس بالباطل، فإذا تحوّلت الشّهادة

---

[1] رواه البخاري (3/ 26)
[2] فتح الباري لابن حجر العسقلاني (5/ 263)
[3] البحر المحيط في التفسير لابن حيان (8/ 132)



عن وظيفتها، فكانت سنداً للباطل، ومضلّلة للقضاء، حتّى يحكم بغير الحقّ، استناداً إلى ما تضمّنته من إثبات، فإنّها تحمل حينئذ إثم جريمتين كبريين في آن واحد:

الجريمة الأولى: عدم تأديتها وظيفتها الطّبيعيّة الأولى.

الجريمة الثّانية: قيامها بجريمة، تهضم فيها الحقوق، ويظلم فيها البرآء، ويستعان بها على الإثم والبغي والعدوان"[1]

## صور شهادة الزور

إن شهادة الزُّور ليس شرطًا أن تكون في المحاكم وأمام القضاء فقط، بل فالتقرير الملفَّق الذي يرفعه موظفٌ بزميله وهو على عِلمٍ ودراية بأن ما فيه هو محض افتراء؛ فهذا صورة من صور شهادة الزور، عدم قول الحق هو من شهادة الزور التي تحجب الحقيقة في وقت الحاجة إليها، أيضًا محاولة تخريب عمل أي شخص أو تدمير جهود شخص أو أن تنسب لنفسك فعلاً أو قولاً كان لسواك، هذا كله من قول الزور، فهو إخفاء للحقيقة ولا يرى غرضًا منه سوى إلحاق الضرر بطرفٍ ليس له ذنب، ولم يرتكب أي خطأ.

## آثار شهادة الزور

1. تضليل الحكّام عن الحقيقة مما يجعلهم قد يحكمون ظلماً للمشهود معه؛ لأنّ الحكم يُبنى على البينة الظاهرة والبيّنة على المدّعي واليمين على من أنكر.
2. ضياع الحقوق بين الناس؛ فيحصل المشهود له على حقٍ ليس له، ويُسلب من المشهود عليه حقه، وهذا يوقع المشهود له بالإثم العظيم لاكتسابه حقاً ليس له.

[1] الأخلاق الإسلامية (1/ 546)




3. استحقاق المشهود له والشاهد دعاء المشهود عليه؛ لأنّه مظلومٌ، وللمظلوم دعوةٌ لا ترد من الله ﷻ.
4. استحقاق الشاهد والمشهود له الإثم العظيم من الله ﷻ وعذاب جهنم إذا لم يُعيدا الحقوق إلى أصحابها.
5. افتقار المجتمع للعدل وانتهاك الحقوق وأكل أموال الناس بالباطل.
6. انتشار الفوضى في المجتمع وكثرة الجرائم؛ حيث إنّه بشهادة الزور يفلت المجرم من العقاب ممّا يُتيح له ولغيره المجال لارتكاب المزيد من الجرائم.
7. فقدان شاهد الزور لصفات الرجولة والمروءة والثقة، كما أنه من يَشهد زوراً فإنه لا يتوانى عن انتهاك حرمات الله ﷻ الأخرى.
8. وقوف الحاكم والمحكوم له والمحكوم عليه يوم القيامة خصماء لشاهد الزور؛ لأنه أجرم بحقّهم جميعاً.

## مضار شهادة الزور

"1. سبب لسخط الجبّار ﷻ ودخول النّار.
2. فيها ضياع حقوق النّاس وظلمهم.
3. تطمس معالم العدل والإنصاف.
4. تعين الظّالم على ظلمه، وتعطي الحقّ لغير مستحقّه.
5. تقويض لأركان الأمن وزعزعة للاستقرار.
6. سبب لزرع الأحقاد والضّغائن في القلوب.
7. فساد اجتماعي يعصف بالمجتمع ويدمّره"[1]

[1] نظرة النعيم (10/ 4780)



## علاج شهادة الزور

شهادة الزور من الكبائر الكريهة في الدين الإسلامي وفي كل الشرائع والمعايير الإنسانية، ولا سيما إن يجب على المرء التوبة من هذا الذنب ويعود إلى الله ﷻ، ويتوب توبة نصوح لا عودة فيها، حيث لا أعظم من ظلم إنسان أخر، وأن يجعله في شتات بين قلة الحيلة والضعف والظلم، هذا هو الشق الأول من التوبة لله ﷻ.

الشق الثاني يجب على المرء أن يعود للأشخاص الذي ظلمهم ويطلب منهم العفو، حيث إن الإنسان يجب عليه أن يعترف بخطأه، ويطلب السماح من غيره، لأن تلك المظالم مرهونة بعفو العبد عن أخيه، فرد الحقوق واجب ولا توبة إلا بعفو الأخرين، حتى وإن لم يسامحوا فالاعتراف بالذنب يكفي.

والذين كانوا لا يعلموا إن ما يفعلوه ظلم وفساد، فعليهم التوبة لله ﷻ، ولا حرج عليهم، فالله ﷻ يقول: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ ﴾ النساء: ١٧ - ١٨

www.alukah.net



# المرض الثاني عشر
# الظلم

## تعريف الظلم

**في اللغة**: "أصل الظلم: الجور ومجاوزة الحد، يقال: ظَلَمه، يَظْلِمُه ظَلْمًا، وظُلْمًا، ومَظْلمةً، فالظَّلْمُ مَصْدرٌ حقيقيٌّ، والظُّلم الاسم، وهو ظالم وظَلوم، وأصل الظلم، وضع الشيء في غير موضعه"[1]

**قال ابن فارس**: "الظّاء واللّام والميم أصلان صحيحان، أحدهما خلاف الضّياء والنّور، والآخر: وضع الشّيء غير موضعه تعدّياً، فالأوّل: الظّلمة، والجمع ظلمات، والظّلام: اسم الظّلمة، وقد أظلم المكان إظلاماً، والأصل الآخر، ظلمه يظلمه ظلماً، والأصل فيه، وضع الشّيء في غير موضعه، ويقال: ظلّمت فلاناً، نسبته إلى الظّلم، وظلمت فلاناً فاظّلم، وانظلم، إذا احتمل الظّلم، والأرض المظلومة، الّتي لم تحفر قطّ، ثمّ حفرت، وذلك التّراب ظليم، والظّلامة: ما تطلبه من مظلمتك عند الظّالم، وقد ظلم وطبه، إذا سقى منه، قبل أن يروب ويخرج زبده، ويقال لذلك اللّبن ظلايم أيضاً"[2]

**قال الجوهري**: "ظلمه يظلمه ظلماً ومظلمة، وأصله، وضع الشّيء في غير موضعه والظّلامة، والظّليمة والمظلمة: ما تطلبه عند الظّالم، وهو اسم ما أخذ منك وتظلّمني

[1] النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (3/161)، القاموس المحيط للفيروز آبادي ص 1134، المصباح المنير للفيومي (2/ 386)
[2] مقاييس اللغة لابن فارس (3/ 468 -469)



شبكة الألوكة - قسم الكتب

فلان، أي ظلمني مالي، وتظلّم منه، أي اشتكى ظلمه، وانظلم، أي احتمل الظّلم، والظّلّيم بالتّشديد: الكثير الظّلم"[1]

## في الشرع:

**قال الراغب الأصفهاني:**"هو وضع الشيء في غير موضعه المختص به؛ إمَّا بنقصان أو بزيادة؛ وإما بعدول عن وقته أو مكانه"[2]

**قال الجرجاني:** "هو عبارة عن التعدِّي عن الحق إلى الباطل وهو الجور. وقيل: هو التصرُّف في ملك الغير، ومجاوزة الحد"[3]

**قال البكري:** "هو التّصرّف في حقّ الغير بغير حقّ، أو مجاوزة الحقّ"[4]

**قال المناوي:** "وضع الشّيء بغير محلّه بنقص أو زيادة أو عدول عن زمنه"[5]

**قال الرّاغب الأصفهاني:** "الظّلم هو الانحراف عن العدل ولذلك حدّ بأنّه وضع الشّيء في غير موضعه المخصوص به، وقد يسمّى هذا الانحراف جوراً، ولما كانت العدالة تجري مجرى النّقطة من الدّائرة فإنّ تجاوزها من جهة الإفراط عدوان وطغيان والانحراف عنها في بعض جوانبها جور وظلم، والظّلم أعمّ هذه الألفاظ استعمالاً"[6]

**قال الجاحظ:** "الجور (الظّلم) هو الخروج عن الاعتدال في جميع الأمور، والسّرف والتّقصير وأخذ الأموال من غير وجهها، والمطالبة بما لا يجب من الحقوق وفعل الأشياء في غير مواضعها ولا أوقاتها، ولا على القدر الّذي يجب ولا على الوجه الّذي يجبّ"[7]

---

[1] الصحاح للجوهري (5/ 1977 – 1978)
[2] المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص 537
[3] التعريفات للجرجاني ص 144
[4] دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين للبكري (2/ 514)
[5] التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص 231
[6] الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني ص 253
[7] تهذيب الأخلاق للجاحظ ص 34




**قال الكفويّ:** "الظّلم وضع الشّيء في غير موضعه، والتّصرّف في حقّ الغير، ومجاوزة حدّ الشّارع"[1]

## أسباب الظلم

1. عدم الاستشعار بعظيم قدرة الله عَزَّوَجَلَّ والاستخفاف بانتقامه، وإيقاع العقوبة القاصمة في حقّ الظّالم في نفسه وماله وولده.

2. التّربية السيئة في بيئةٍ يغيب عنها الخوف من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ واستحضار عظمته وجبروته، كما غياب القُدوة الصّالحة العادلة بل على النّقيض وجود القدوة الظَّالمة المستبدة.

3. توفر مصادر القوة بين يديّ المرء ممّا يحدو به إلى الافتراء على الآخرين، مستنداً إلى هذه القوّة من مالٍ ومنصبٍ وجاهٍ وولدٍ وقوةٍ جسديّةٍ.

4. ترك الفاسدين والظّالمين ومن يعيثون في الأرض فساداً دون حسابٍ أو مُساءلةٍ من حاكمٍ أو مسؤولٍ أو من جهاتٍ رقابيّةٍ وقضائيّةٍ محايدةٍ.

5. الغفلة عن العواقب الوخيمة التي تنزل بالظّالم في الدّنيا والآخرة؛ فدعوة المظلوم ليس بينها وبين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حجابٌ، وأنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يُمهِل ولا يُهمل.

6. الجهل بالدِّين ممّا يدفع المرء إلى ارتكاب الظُّلم في حقّ نفسه وحقّ غيره.

7. الاعتقاد بأنّ أفضل وسيلةٍ لاتقاء شر النّاس وأذاهم؛ بأن تسبقهم إلى الشّر والظُّلم فبذلك تحمي نفسك ومن تعول من أنْ يُظلموا.

8. الصِّراع على المال والثّروات وامتلاك الأراضي.

9. السبب الحقيقي خلف قيام الظلم في الدنيا، هو اتباع أوامر الشيطان ووسوسته، فالشيطان هو عدو الإنسان الأكبر، ويعمل على إغرائه ويوقعه في المعصية ويزينها له.

[1] الكليات للكفوي ص 594



10. ومن أسباب الظلم أيضاً النفس الأمّارة بالسوء والمنكرات، فالنفس الغير سوية وغير طيبة تأمر صاحبها بإلحاق الأذى بالآخرين وظلمهم وأخذ ما ليس له حق فيه، ولهذا لابد وأن يتحكم الإنسان في ذاته ويضع حد لشهوته ولا يتّبعها.

11. قد يقوم الإنسان أيضاً بالظلم؛ لأن إيمانه ضعيف ولا يعرف عقاب الظلم ومن يقوم به في الدنيا والآخرة.

12. عدم وجود الضمير عند من يقوم بالظلم، فالضمير الحي يمنع صاحبه ويجنبه القيام به، ولكن الضمير الغافل لا يهمه عواقب ذلك الأمر ولا يتأثر بأذية الآخرين.

13. يرجع سبب الظلم إلى ضعف إيمان الظالم، وعدم خوف أي أحد، من ارتكب الظلم وألحقه بالآخرين إما عقل وحشي يحرم مالكه من الظلم، أو دين يحمي صاحبه من الظلم، أو سلطة رادعة على الظالم، أو إما عدم القدرة الصادقة على صد الشخص ومنعه من الظلم.

## آثار الظلم

### 1. الظالم مصروف عن الهداية:

قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ المائدة: ٥١

### 2. الظالم لا يفلح أبداً:

قال ﷻ: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ الأنعام: ٢١

### 3. الظالم عليه اللعنة من اللّه ﷻ:

قال ﷻ: ﴿ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ ﴾ غافر: ٥٢




### 4. الظالم يحرم من الشفاعة:

قال ﷻ: ﴿ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ ﴾ غافر: ١٨، وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "صنفان من أمتي لن تنالهما شفاعتي: إمام ظلوم غشوم، وكل غالٍ مارق"[1]

### 5. تصيبه دعوة المظلوم ولا تخطئه:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن: "واتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب"[2]

### 6. بالظلم يرتفع الأمن:

قال ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ الأنعام: ٨٢

### 7. الظلم سبب للبلاء والعقاب:

قال ﷻ: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ الحج: ٤٥، وقال ﷻ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَـٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ هود: ١٠٢، وقال ﷻ: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَـٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ ﴾ الكهف: ٥٩

---

[1] المعجم الكبير للطبراني (8/ 281)
[2] رواه البخاري (5/ 162)



## 8. توعد الظالم بدخول النار:

عن خولة الأنصارية رضي الله عنها قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: "إنَّ رجالًا يتخوضون في مال الله بغير حقٍّ، فلهم النار يوم القيامة"[1]، قال ابن حجر: "قوله يتخوضون- بالمعجمتين- في مال الله بغير حق، أي: يتصرفون في مال المسلمين بالباطل"[2]

## أنواع الظلم

"قال بعض الحكماء: الظّلم ثلاثة:

**الأوّل**: ظلم بين الإنسان وبين الله ﷻ، وأعظمه الكفر والشّرك والنّفاق، ولذلك قال: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ لقمان: ١٣، وإيّاه قصد بقوله ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨﴾ هود: ١٨

**الثّاني**: ظلم بينه وبين النّاس، وإيّاه قصد بقوله ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠﴾ الشورى: ٤٠، وبقوله ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٤٢﴾ الشورى: ٤٢

**الثّالث**: ظلم بينه وبين نفسه، وإيّاه قصد بقوله: ﴿ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ ٣٢﴾ فاطر: ٣٢، وقوله ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ

[1] رواه البخاري (4/ 85)
[2] فتح الباري لابن حجر العسقلاني (6/ 219)

www.alukah.net
شبكة الألوكة


ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ ﴾ القصص: ١٦ وكلّ هذه الثّلاثة في الحقيقة ظلم للنّفس، فإنّ الإنسان في أوّل ما يهمّ بالظّلم فقد ظلم نفسه"[1]

## درجات الظلم

قال الرّاغب الأصفهاني: "لما كان الظّلم ترك الحقّ الجاري مجرى النّقطة من الدّائرة صار العدول عنها إمّا قريباً وإمّا بعيداً، فمن كان عنه (عن الحقّ) أبعد كان الرّجوع إليه أصعب، ولذلك قال ﷻ: ﴿ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ ﴾ النساء: ٦٠، تنبيها إلى أنّ الشّيطان متى أمعن بهم في البعد من الحقّ صعب عليهم حينئذ الاهتداء"[2]

وعلى هذا فمن كان إليه (أي إلى الحقّ) أقرب كان الرّجوع إليه أسهل، ومن ثمّ فليحذر الظّالم المبتدئ من التّمادي في ظلمه حتى يعطي لنفسه فرصة الرّجوع إلى الحقّ.

## عاقبة الظلم في الدنيا

لا شك أن عاقبة الظلم في الدنيا لا مفر منها، فقد توعد الله ﷻ كافة الظالمين بعذاب عظيم في الدنيا هذا بخلاف عذاب الأخرة فهو أكبر وأعظم، فإن الله ﷻ يخزي الذين ظلموا في الدنيا ويعاقبهم بظلمهم وإن كان يمهلهم بعض الوقت من أجل أن يرجعوا عما كانوا فيه ومن أجل أن يتوبوا عما اقترفوه من ذنوب.

[1] المفردات في غريب القرآن ص 537 - 538
[2] الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني ص 253




شبكة الألوكة - قسم الكتب

ولقد أخبرنا رسول الله ﷺ بأن دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله ﷻ حجاب فاتقوا دعوة المظلوم، وأن الظلم ظلمات في الدنيا وعذاب شديد في الأخرة، ولقد تعهد الله ﷻ بأن ينصر المظلوم ولو بعد حين، من خلال استجابته ﷻ لدعوته.

## الفرق بين الظلم ومترادفاته

### 1. الفرق بين الجور والظلم:

الجور خلاف الاستقامة في الحكم، وفي السيرة السلطانية تقول: جار الحاكم في حكمه، والسلطان في سيرته، إذا فارق الاستقامة في ذلك، والظلم ضرر لا يستحق ولا يعقب عوضًا، سواء كان من سلطان، أو حاكم، أو غيرهما، ألا ترى أنَّ خيانة الدانق والدرهم تسمَّى ظلمًا، ولا تسمى جورًا، فإن أخذ ذلك على وجه القهر أو الميل سِمِّي جورًا وهذا واضح، وأصل الظلم نقصان الحق، والجور العدول عن الحق، من قولنا: جار عن الطريق، إذا عدل عنه، وخلف بين النقيضين، فقيل في نقيض الظلم الإنصاف، وهو إعطاء الحق على التمام، وفي نقيض الجور العدل، وهو العدول بالفعل إلى الحق"[1]

### 2. الفرق بين الغشم والظلم:

"الغشم كره الظلم، وعمومه توصف به الولاة؛ لأنَّ ظلمهم يعمُّ، ولا يكاد يقال غشمني في المعاملة، كما يقال: ظلمني فيها، وفي المثل: وَالٍ غشوم خير من فتنة تدوم، وقال أبو بكر: الغشم اعتسافك الشيء، ثم قال: يقال: غشم السلطان الرعية يغشمهم، قال الشيخ أبو هلال رحمه الله: الاعتساف خبط الطريق على غير هداية، فكأنه جعل الغشم ظلما يجري على غير طرائق الظلم المعهودة"[2]

[1] الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص 231
[2] الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص 232

### 3. الفرق بين الهضم والظلم:

"أن الهضم نقصان بعض الحق ولا يقال لمن أخذ جميع حقه قد هضم.

والظلم يكون في البعض والكل، وفي القرآن ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ١١٢﴾ طه: ١١٢ ، أي: لا يمنع حقه ولا بعض حقه، وأصل الهضم في العربية النقصان، ومنه قيل للمنخفض من الأرض: هضم. والجمع أهضام"[1]

## أنواع الظلمة

"أمّا أنواع الظّلمة فثلاثة:

1. **الظّالم الأعظم**: وهو الّذي لا يدخل تحت شريعة الله ﷻ وإيّاه عنى بقوله ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ لقمان: ١٣

2. **الظّالم الأوسط**: وهو الّذي لا يلتزم حكم السّلطان، أي فيما وضعه السّلطان من أنظمة لتيسير الحياة ولا يتعارض مع أحكام الشّرع.

3. **الظّالم الأصغر**: وهو الّذي يتعطّل عن المكاسب والأعمال، فيأخذ منافع النّاس، ولا يعطيهم منفعة، ومن خرج عن تعاطي العدل بالطّبع وبالخلق والتّخلّق والتّصنّع والرّياء والرّغبة والرّهبة. فقد انسلخ عن الإنسانيّة، ومتى صار أهل كلّ صقع على ذلك فتهارشوا وتغالبوا وأكل قويّهم ضعيفهم، ولم يبقَ فيهم أثر قبول لمن يمنعهم ويصدّهم عن الفساد فقد جرت عادة الله ﷻ في أمثالهم هلاكهم واستئصالهم عن آخرهم"[2]

---

[1] الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص 231 - 232

[2] الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني ص 254

## حكم الظلم

الظلم حرام شرعاً ، فقد حرم الله ﷻ الظلم على نفسه وفي دين الإسلام وتوعَد من يقوم به في حق الغير بالعذاب الأليم في الآخرة ، كما أنه قد تم تحريمه في كافة الأديان السماوية ، ولا يرضى به أحد وغير مقبول من حيث التقاليد والأعراف، وقد حذر الله ﷻ ورسوله ﷺ من يقوم بهذا الفعل الشنيع والغير لائق بالعذاب الشديد واللعن في الدنيا والآخرة، وذلك لما يترتب على فعله من أذى للمظلوم يقول ﷻ: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨﴾ هود: ١٨، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ، قال: "اتقوا الظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة"[1]، **وقال الذهبي**: "الظّلم يكون بأكل أموال النّاس وأخذها ظلماً، وظلم النّاس بالضّرب والشّتم والتعدّي والاستطالة على الضّعفاء، قال ﷻ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ٤٢ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ٤٣ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ٤٤ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ٤٥﴾ إبراهيم: ٤٢ - ٤٥، نقل عن بعض السّلف قوله: لا تظلم الضّعفاء فتكون من شرار الأقوياء ثمّ عدّد صوراً من الظلم منها:

[1] رواه مسلم (4/ 1996)

www.alukah.net





1. أخذ مال اليتيم.
2. المماطلة بحقّ على الإنسان مع القدرة على الوفاء.
3. ظلم المرأة حقّها من صداق ونفقة وكسوة.
4. ظلم الأجير بعدم إعطاء الأجرة"[1]

## مظاهر الظلم

1. قتل النفس.
2. فساد المرأة من خلال العلاقات المحرمة.
3. أكل مال اليتيم.
4. ظلم الإنسان بارتكاب الخطيئة.
5. الوقوع في الشرك مع الله عَزَّ وَجَلَّ.
6. أخذ الأموال العامة من دار مال المسلمين.
7. حلف اليمين بالكذب.
8. أكل أموال الناس بطريقة غير مشروعة.
9. عدم دفع حقوق الناس والتعدي عليهم والرشوة.
10. عدم الصدق في العمل.

## هل للظالم توبة

باب التوبة مفتوح لكل من عصى الله عَزَّ وَجَلَّ إذا توفرت شروطها، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١١٠ ﴾

[1] الكبائر للذهبي ص 104 – 110 باختصار وتصرف







شبكة الألوكة - قسم الكتب

النساء: ١١٠، وقال ﷻ: ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩ ﴾ المائدة: ٣٩، وشروط التوبة كما ذكرها العلماء:

1. أن يقلع عن الذنب.
2. وأن يندم على ما قد مضى.
3. وأن يعزم في المستقبل على ألا يعود إليه.
4. وإذا كان الأمر يتعلق بحقوق الآدميين، سواء بأموالهم، أو أعراضهم، أو أبدانهم، فعليه أن يطلب المسامحة ممن له عليه حق، أو يؤدي الحقوق إلى أهلها.

**قال ابن القيم** رضي الله عنه: "والظلم عند الله ﷻ يوم القيامة له دواوين ثلاثة: ديوان لا يغفر الله ﷻ منه شيئًا، وهو الشرك به، فإن الله ﷻ لا يغفر أن يُشْرَك به، وديوان لا يترك الله ﷻ منه شيئًا، وهو ظلم العباد بعضهم بعضًا، فإن الله ﷻ يستوفيه كله، وديوان لا يعبأ الله ﷻ به شيئًا، وهو ظلم العبد نفسه بينه وبين ربه ﷻ، فإن هذا الديوان أخف الدواوين وأسرعها محوًا، فإنه يُمحى بالتوبة والاستغفار، والحسنات الماحية، والمصائب المكفرة، ونحو ذلك، بخلاف ديوان الشرك؛ فإنه لا يُمحى إلا بالتوحيد، وديوان المظالم لا يُمحى إلا بالخروج منها إلى أربابها واستحلالهم منها"[1]

فمن ابتلي بشيء من الظلم، والتسلط على الناس سواء كان بأخذ مال، أو بغيره من أنواع الظلم، فليتحلل منه في هذه الدنيا الفانية، فليس في الآخرة دينار ولا درهم، وإنما هي الحسنات والسيئات يؤخذ من حسناته بقدر مظلمته ويعطى للمظلوم، فإن نفدت حسناته أُخذ من سيئات المظلوم وحمله الظالم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه، أو من شيء، فليتحلله منه اليوم، قبل

[1] الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم ص 19

أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أُخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات، أُخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه"[1]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "لتؤدنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يُقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء"[2]

## ماذا يفعل الإنسان إذا تعرض للظلم

1. الدعاء لله عز وجل في الليل، ويشكو لله عز وجل تعرضه للظلم ويحاول أن يسأل الله عز وجل أن يرد عنه الظلم.
2. يفوض أمره إلى الله سبحانه وتعالى، وكل من فوض إلى الله سبحانه وتعالى شيء ما، عليه التأكد من أن الله سبحانه وتعالى لن يترك أمره حتى يعيده له بالخير والإحسان.
3. الدعوة على الظالم ولكن بعض النفوس الصالحة التي لا تحب إيذاء الآخرين، حتى في ظل الظلم الذي عاشوه ويحاولون كسب الأجور والحصول على مكافأة الصبر والثانية مكافأة الأجر للتوقف عن الشعور بالغضب.
4. الصلاة من أجل الدعوة للظالم بالهداية، وهذا ما يرفع العبد على أعلى المستويات وهذا هو التمثيل الحقيقي للإسلام على الأرض؛ لأن المسلم لا يحمل ضغينة في قلبه، مهما كان الظلم كبيرًا، ويجب على المرء أن يتخيل ذلك قد يقع ضحية اضطهاد الآخرين، وبالتالي من الضروري أن يغفر ويثق بالله عز وجل ليعيد الحق له.

## مضار الظلم

"1. يجلب غضب الرّبّ سبحانه وتعالى وسخطه ويتسلّط على الظّالم بشتّى أنواع العذاب.
2. قبول دعاء المظلوم فيه.

---

[1] رواه البخاري (3/ 129)
[2] رواه مسلم (4/ 1997)




شبكة الألوكة - قسم الكتب

3. يخرّب الدّيار وبسببه تنهار الدّول.

4. تحاشي الخلق عن الظّالم وبعدهم منه لخوفهم من بطشه.

5. معصيته متعدّية للغير.

6. دليل على ظلمة القلب وقسوته.

7. عدم الأخذ على يد الظّالم يفسد الأمّة.

8. يجلب كره الرّسول ﷺ.

9. صغار الظّالم عند الله ﷻ وذلّته.

10. الظّالم يحرم شفاعة رسول الله ﷺ."[1]

## علاج الظلم

1. يجب أن يتذكر الإنسان دائما أن الله ﷻ توَعّد الظالمين بأسوء العواقب في الدنيا والآخرة، وأنه ﷻ منزه عن تلك الصفة السيئة، وقد وضع العدل وجعله الأساس لكل شيء في حياتنا.

2. أخذ الآخرة في الاعتبار وأن الظالم ليس له إلا سوء العاقبة وأن الأعمال الخاطئة تعود على صاحبها في النهاية.

3. كثرة ذكر الله ﷻ والاستغفار وتقوية النفس بالأعمال الصالحة، وتذكر الآخرة، وإتباع الحق والابتعاد عن الباطل وتجنبه، والتقرب لله ﷻ بالصلاة والأعمال الصالحة لصلاح النفس وعدم إتباع الشيطان.

4. عدم الإحساس باليأس من رحمة الله ﷻ وعدله.

5. القيام برد الحق لأصحابه، وتجنب أمور الظلم بكافة أشكاله وعدم موافقة من يقوم به.

[1] نظرة النعيم (10/ 4926)

6. القيام بأعيانه من هو ظالم للتخلص من ظلمه لنفسه والآخرين.

7. من الضروري التذكير من آثار الظلم وعواقبه.

8. القيام بالتأمل والنظر لما حدث للظالمين.

9. على كل شخص ظالم أن يعلم أن أبواب التوبة مفتوحة قبل ذلك عليه الابتعاد تمامًا عن الظلم.

10. من الضروري أن يكون الإنسان حذر مع الأشخاص الظالمين وأن يسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى العفو والعافية في الدنيا والآخرة، وهناك بعض الأشخاص يقوموا بالتقرب من الأشخاص الظالمين طمعًا في مال أو جاه.

11. الاتكال على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وتفويض الأمر لله عَزَّ وَجَلَّ وهذا لا يعني ان يتكاسل المظلوم بنصره نفسه.

# المرض الثالث عشر
# الغدر

## تعريف الغدر

### في اللغة:

"الغدر ضدُّ الوفاء بالعهد، يقال: غَدَرَه وبه، كنَصَرَ وضَرَبَ وسَمِعَ، غَدْرًا وغَدَرانًا– محركةً– إذا نقض عهده وترك الوفاء، وهي غَدُور وغَدَّار وغَدَّارَة، وهو غادِرٌ وغَدَّار وغِدِّير وغدور وغُدَرٌ، وأصل هذه المادة يدلُّ على تَرك الشيء، ومن ذلك الغَدْر: وهو تَرْك الوفاءِ بالعهد"[1]

### في الشرع:

**قال الجاحظ:** "هو الرّجوع عمّا يبذله الإنسان من نفسه ويضمن الوفاء به، وهو خلق مستقبح، وإن كان يصاحبه فيه منفعة، وهو بالملوك والرّؤساء أقبح، ولهم أضرّ"[2]

**قال المناويّ:** "الغدر: نقض العهد والإخلال بالشّيء وتركه"[3]

## حكم الغدر

عدّ **الإمام ابن حجر** الغدر ضمن الكبائر، وقد عدّ معه القتل والظّلم لمن له أمان أو ذمّة أو عهد، وقال: "عدّ هذه الثّلاثة هو صريح الأحاديث وهو ظاهر، وبه قدح

---

[1] مقاييس اللغة لابن فارس (4/ 413)، القاموس المحيط للفيروز آبادي ص 576، تاج العروس للزبيدي (13/ 203)، لسان العرب لابن منظور (5/ 8)، المعجم الوسيط (2/ 645).

[2] تهذيب الأخلاق للجاحظ ص 30

[3] التوقيف على مهمات التعريف للمناوي ص 250





بعضهم في قتل المعاهد وعدّه في الغدر، وقد جاء عن عليّ رضي الله عنه أنّه عدّ من الكبائر نكث الصفقة أي الغدر بالمعاهد"[1]

## أسباب الغدر

1. ضعف التربية وفساد البيئة.
2. حب الكفار وموالاتهم.
3. صحبة الذين اشتهروا بالغدر.
4. ضعف الإيمان بالله عز وجل.
5. عدم التأمل في العواقب الوخيمة للغدر.
6. اللهث وراء الدنيا وملذاتها.
7. الحسد: فأصبح الكثير من الأشخاص لا يحمدون الله سبحانه وتعالى على النعم التي لديهم بل ينظرون إلى المتواجد عند الغير، وبنية غير جيدة مما يجعل الحسد أهم أسباب الغدر.
8. الطمع في المال أو المنصب: وجود فروق طبقية ومادية في المجتمع أدى إلى سعى الناس طوال الوقت إلى جمع المال، أو السعي من أجل منصب ما، مما تسبب في زرع الطمع في النفوس.
9. الجهل: من الأسباب القوية التي تؤدي إلى الغدر فالجهل هنا هو جهل الفكر.
10. التكبر: من الصفات الذميمة والتي تساعد على وضع فروق طبقية وتساعد على انتشار الغدر بين الناس.

[1] الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي (2/ 295)






## صور الغدر

للغدر صور كثيرة، نذكر منها ما يلي:

1. نقض العهد الذي أخذ الله ﷻ على بني آدم حين استخرجهم من ظهره، إذ يقول ﷻ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ الأعراف: ١٧٢ – ١٧٣

2. نقض العهد الذي وصى الله ﷻ به خلقه، من فعل ما يحبه الله ﷻ ويرضاه، من الأقوال، والأفعال، وترك ما لا يحبه الله ﷻ ولا يرضاه، من الأقوال، والأفعال، والذي تضمنته كتبه المنزلة، وبلغه رسله عليهم السلام، ومعنى نقض هذا العهد ترك العمل به.

3. نقض العهد المأخوذ على بني آدم من النظر في أدلة وحدانيته، وكمالاته المنصورة في الكون، وفي النفس، والذي تحدث به عنه رب العزة ﷻ في قوله ﷻ: ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ الذاريات: ٢٠ - ٢١

4. نقض العهد الذي أخذه الله ﷻ على النبيين وأتباعهم أن يؤمنوا بهذا النبي، وأن ينصروه، وذلك في قوله ﷻ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ




ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ آل عمران: ٨١ - ٨٢

5. نقض العهد الذي للإمام ونائبه على المسلمين، من وجوب الطاعة في المعروف، ونصرة دين الله ﷻ، دون مبرر شرعي يقتضي ذلك.

6. نقض العهد الذي أعطاه الشارع الحكيم للكفار غير المحاربين، من أهل الذمة والمستأمنين، وكذلك المعاهدين، دون مبرر شرعي يقتضي ذلك، كأن يتحول نفر من هؤلاء إلى أن يكون محاربًا، أو على الأقل يأتي أعمالًا تخالف نظام الإسلام؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "ألا من قتل نفسًا معاهدة له ذمة الله وذمة رسوله، فقد أخفر بذمة الله فلا يرح رائحة الجنة، وإن ريحها لتوجد من مسيرة سبعين خريفًا"[1]

7. خلف الموعد بأن يعطي موعدًا، وفي نيته عدم الوفاء، أما إذا أعطى موعدًا، وفي نيته الوفاء، ولم يفِ لأمر خارج عن إرادته، فلا يعدُّ ذلك نقضًا.

8- نقض الحكام ونوابهم ما عاهدوا الله ﷻ عليه حين بويعوا من العمل لصالح الرعية، وفق منهج الله ﷻ، بحيث يتحول الواحد منهم بعد توليه الأمر، إلى أن يكون سيفًا مصلتًا على رقاب العباد، يطلق العنان لزبانيته، فيصادروا حرية الناس العقدية، والفكرية، والسياسية، والإعلامية، ويهدروا حرمتهم في دمائهم، وعقولهم، وأعراضهم، وأموالهم، فالناس ما بين عاطل عن العمل، أو منفي بعيدًا عن أهله وعشيرته، أو في إقامة جبرية، أو مسجون بلا تهمة، ولا محاكمة.

## آثار الغدر

للغدر آثار سيئة وعواقب وخيمة[2]، ومن أبرز هذه الآثار وتلك العواقب ما يلي:

[1] سنن الترمذي (4/ 20)
[2] آفات على الطريق لسيد محمد نوح (84- 93) بتصرف واختصار.





### 1. الغواية والضلال:

إن الذين يتصفون بالغدر هم بعيدون عن كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ، وبسبب ذلك فقد أغواهم الله ﷻ وأضلهم، فلا يوفقون إلى خير، قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ البقرة: ٢٦ - ٢٧

### 2. قسوة القلب:

لقد كانت قسوة القلب سمة بارزة في أهل الكتاب، لاسيما اليهود لكثرة نقضهم العهد والمواثيق، قال ﷻ: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ المائدة: ١٣ - ١٤




### 3. ضياع المروءة، وذهاب الهيبة، وتسليط الأعداء:

ولا يقف العقاب الإلهي عند هذا الحد، بل يكون معه ضياع المروءة، وذهاب الهيبة، وتسليط الأعداء، وما يتبع ذلك من السيطرة على الأوطان، واستنزاف الخيرات والثروات، وتغيير هوية الأمة وثقافتها وقيمها وأخلاقها، وسوم أبنائها سوء العذاب، قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾ الفتح: ١٠، قال محمد بن كعب القرظي رضي الله عنه: "ثلاث خصال من كنَّ فيه، كنَّ عليه: البغي، والنكث، والمكر"[1]

### 4. تحمل الجزاء المترتب على الغدر:

ذلك أنَّ الغدر يؤدي إلى خسائر بدنية أو نفسية، أو اجتماعية، أو اقتصادية وقد تكون هذه جميعًا، ولابد من ضمان التلف في جزاء يتولاه ولي الأمر أو نائبه، أو تتولاه الرعية حين يغدر ولي الأمر، فيضيع من هم في رعايته.

### 5. براءة النبي ﷺ من أهل الغدر:

ذلك أن النبيَّ ﷺ جاء بمنهاج يدعو إلى الوفاء مع الخالق ﷻ، والمخلوق، ومع العدو، والصديق، بل حتى مع الدواب، والجمادات، ثم طبق ذلك عمليًّا على نفسه حين استبقى عليًّا رضي الله عنه مكانه في فراشه ليلة الهجرة، ليرد الودائع إلى أصحابها، ووفى بعهده مع اليهود، لولا أنهم غدروا، ووفى مع المشركين في مكة والطائف وغيرهما، لولا غدرهم وخيانتهم.

[1] ذم البغي لابن أبي الدنيا ص 88





### 6. حلول اللعنة على الغادر من الله ﷻ، والملائكة، والناس أجمعين:

ذلك أن الله ﷻ يغار حين يرى العبد أكل نعمته، ثم غدر فاستخدمها في معصيته وحربه، وتمثل هذه الغيرة في حلول اللعنة، ومعه ﷻ الملائكة، والناس أجمعين برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم.

### 7. الانتظام في سلك المنافقين:

ذلك أنَّ الغادر أظهر شيئًا في الوقت الذي أبطن فيه خلافه، ومثل هذا الصنف من الناس يجب توقيه، والحذر منه؛ لأنه لم يعد محل ثقة ولا أمانة، إذ يظهر الموافقة على العهود والالتزام، ثم يخفي النقض والغدر.

### 8. الفضيحة على رؤوس الأشهاد:

ذلك أنَّ الله ﷻ لا يُوقف عقابه للغادرين على الدنيا، بل يضمُّ إلى ذلك عقاب الآخرة، وأوَّله الفضيحة على رؤوس الأشهاد وما أعظمه وما أشده من عقاب.

## الفرق بين المكر والغدر

"الفرق بينهما: أن الغدر: نقض العهد وترك الوفاء به، بينما قد يكون المكر ابتداءً من غير عهد"[1]

## مضار الغدر

"1. الغادر يحمل لواء غدره يوم القيامة خزياً وعاراً بين الخلائق.

2. وهو صفة ذميمة لا يتحلّى بها إلّا فاقد الإيمان من كافر مشرك ويهوديّ ونصرانيّ ومجوسيّ ومن حمل صفتهم.

3. يكفي الغادر سخطاً وغضباً أن يكون الله ﷻ خصمه يوم القيامة.

[1] مقاييس اللغة لابن فارس (4/ 413)، الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص 509




4. الغادر ممقوت من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى والملائكة والنّاس أجمعين.

5. يحذره النّاس فلا يطمئنّون إلى مخالطته ولا جيرته ولا معاملته.

6. الغدر دليل على خسّة النّفس وحقارتها.

7. يعامله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بعكس مقصوده فلا يتمّ له أمراً"[1]

## علاج الغدر

1. تقوية الإيمان بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

2. البعد عن أصدقاء السوء ومجالسة أهل الصلاح.

3. التأمل في الآثار الوخيمة للغدر على الفرد والمجتمع.

4. تدبر الآيات القرآنية التي حذرت من الغدر، وعدم الوفاء.

5. ترك الطَّمع واللهث وراء الدنيا.

6. مجاهدة النفس، وتربيتها على التحلي بالوفاء والصدق.

[1] نظرة النعيم (11/ 5046)





# المرض الرابع عشر
# الغرور

## تعريف الغرور

### في اللغة:

"مصدر قولهم: غرّه يغرّه، وهو مأخوذ من مادّة (غ ر ر)، الّتي تدلّ على النّقصان، والمراد نقصان الفطنة، ولهذه المادّة دلالتان أخريان هما: المثال الّذي يطبع عليه السّهام حتّى تصير على نسق واحد، ومن ذلك: ولدت فلانة أولادها على غرار واحد أي متشابهين، والآخر: العتق والبياض والكرم، ومن ذلك الغرّة، إذ غرّة كلّ شيء أكرمه، والغرّة البياض، ويقال لثلاث ليال من الشّهر: غرّة"[1]

**قال ابن فارس**: "وممّا يقارب هذا الأصل الغرارة، وذلك أنّها من كرم الخلق، قد تكون في كلّ كريم، فأمّا الغرور المذموم فهو من الأصل الأوّل أي النّقصان؛ لأنّه من نقصان الفطنة"[2]

**قال الرّاغب الأصفهاني**: "أنّ الغرور مأخوذ من غرّ الثّوب وهو أثر كسره، يقال: اطو الثّوب على غرّه، قال: وغرّه كذا غروراً كأنّما طواه على غرّه، قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦ ﴾ الانفطار: ٦، المراد: ما خدعك وسوّل لك؟،

[1] مقاييس اللغة لابن فارس (4/ 380 – 382)
[2] مقاييس اللغة لابن فارس (4/ 382)

وقيل: كيف اجترأت عليه ولم تخفه فأضعت ما وجب عليك، وهذا توبيخ وتبكيت للعبد الّذي يأمن مكر الله سبحانه وتعالى"[1][2]

**قال الفيروز آباديّ:** "الغرّة: الغفلة، وغررته: أصبت غفلته ونلت منه ما أريد، والشّيطان أقوى الغارّين وأخبثهم"[3]

**قال الجوهريّ:** "الغرور يستعمل جمعاً مفرده غرّ، ومن ذلك الغرور: مكاسر الجلد، والتّغرير: حمل النّفس على الغرر، وقد غرّر بنفسه تغريرا وتغرّة، كما يقال: حلّل تحليلا وتحلّة، وعلّل تعليلا وتعلّة"[4]

## في الشرع:

**قال الجرجانيّ:** "الغرور: هو سكون النّفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطّبع"[5]

**قال المناويّ** نقلاً عن الحراليّ: "الغرور: هو إخفاء الخدعة في صورة النّصيحة"[6]

**قال الكفويّ:** الغرور: هو تزيين الخطأ بأنّه صواب، وقيل: الغرور، والغرر أيضاً ما يكون مجهول العاقبة لا يدري أيكون أم لا"[7]

**قال الراغب الأصفهاني والمناوي:** "أمّا الغرور فهو كلّ ما يغرّ الإنسان من مال وجاه وشهوة وشيطان وغير ذلك"[8]

**قال الكفويّ:** "كلّ من غرّ شيئاً فهو غرور بالفتح، والغرور بالضّمّ: الباطل"[9]

---
[1] تفسير القرطبي (19/ 161)
[2] المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص 603
[3] بصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي (4/ 129)
[4] الصحاح للجوهري (2/ 767 – 769) باختصار
[5] التعريفات للجرجاني ص 161
[6] التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص 251
[7] الكليات للكفوي ص 672
[8] المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص 604، التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص 251
[9] الكليات للكفوي ص 663



## أنواع الغرور

ذكر بعض العلماء أن الغرور أنواع، وهي متفاوتة، **يقول الغزالي**: "أظهر أنواع الغرور وأشدها غرور الكفار وغرور العصاة والفُسّاد، ثم ذكر ما ملخصه:

المثال الأول: غرور الكفار، فمنهم من غرته الحياة الدنيا، ومنهم من غره بالله ﷻ الغرور، أما الذين غرتهم الحياة الدنيا فهم الذين قالوا: النقد خير من النسيئة[1]، والدنيا نقد والآخرة نسيئة، فالدنيا إذن خير من الآخرة فلا بد من إيثارها، وقالوا أيضاً: اليقين خير من الشك ولذات الدنيا يقين ولذات الآخرة شك فلا نترك اليقين للشك، وعلاج هذا الغرور إما بتصديق الإيمان وإما بالبرهان، فأما التصديق بالإيمان فهو أن يصدق الله ﷻ في قوله: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴿٩٦﴾ ﴾ النحل: ٩٦، وقوله ﷻ: ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ الضحى: ٤، وأما المعرفة بالبيان والبرهان فهو أن يعرف وجه فساد هذا القياس الذي نظمه في قلبه الشيطان وهذا القياس الذي نظمه الشيطان فيه أصلان:

أولاً: أن النقد خير من النسيئة وأن الدنيا نقد والآخرة نسيئة، فهذا محل التلبيس لأن الأمر ليس كذلك بل إن كان النقد مثل النسيئة في المقدار والمقصود فهو خير، وإن كان أقل منها فالنسيئة خير، ولذلك فإن الكافر المغرور يبذل في تجارته درهماً ليأخذ عشرة نسيئة، ولا يقول النقد خير من النسيئة فلا أتركه، والإنسان إذا حذّره الطبيب الفواكه ولذائذ الأطعمة ترك ذلك في الحال خوفاً من ألم المرض في المستقبل.

ثانياً: أن اليقين خير من الشك فهذا القياس أكثر فساداً من الأول، إذ اليقين خير من الشك إذا كان مثله، وإلا فالتاجر في تعبه على يقين، وفي ربحه على شك، والمتفقّه في

[1] النقد: البيع المعجل، النسيئة: البيع الآجل

جهاده على يقين وفي إدراكه رتبة العلم على شك، والصياد في تردده في المقتنص على يقين، وفي الظفر بالصيد على شك.

وهذا القياس الخاطئ يتيقّن منه المؤمن وليقينه مدركان:

أحدهما: الإيمان والتصديق وتقليداً للأنبياء عليهم السلام والعلماء، وذلك أيضاً يزيل الغرور وهو مُدرك يقين العوام وأكثر الخواص، ومثالهم مثال مريض لا يعرف دواء علته وقد اتفق الأطباء على أن دواءه النبت الفلاني، فإن المريض تطمئن نفسه إلى تصديقهم ولا يطالبهم بتصحيح ذلك بالبراهين الطبية، بل يثق بقولهم ويعمل به.

والخلاصة: أن غرور الشيطان بأن الآخرة شك، يُدفع إما بيقين تقليدي، وإما ببصيرة ومشاهدة من جهة الباطن، والمؤمنون بألسنتهم وعقائدهم إذا ضيعوا أوامر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وهجروا الأعمال الصالحة ولابسوا الشهوات والمعاصي فهم مشاركون للكفار في هذا الغرور لأنهم آثروا الحياة الدنيا على الآخرة إلا أن أمرهم أخف لأن أهل الإيمان يعصمهم من عقاب الأبد فيخرجون من النار ولو بعد حين، ومجرد الإيمان لا يكفي للفوز، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ طه: ٨٢

والمثال الثاني: غرور العصاة من المؤمنين بقولهم: إن الله كريم وإنا نرجو عفوه، واتكالهم على ذلك وإهمالهم الأعمال، وتحسين ذلك بتسمية تمنّيهم واغترارهم رجاء وظنهم أن الرجاء مقام محمود في الدين، وأن نعمة الله عَزَّ وَجَلَّ واسعة ورحمته شاملة ويرجونه بوسيلة الإيمان، فإن قلت فأين الغلط في قولهم هذا، وقد قال المولى أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي خيراً، فهذا كلام صحيح مقبول في الظاهر ولكن اعلم أن الشيطان لا يغوي الإنسان إلا بمثل هذا، ولولا حسن الظاهر لما انخدع به القلب، ولكن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كشف عن ذلك فقال: "الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والأحمق من أتبع نفسه

هواها وتمنى على الله"، وهذا التمني على الله ﷻ غيّر الشيطان اسمه فسماه رجاء حتى خدع به الجهال ، وقد شرح الله ﷻ الرجاء فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢١٨ ﴾ البقرة: ٢١٨، يعني أن الرجاء بهم أليق؛ لأن ثواب الآخرة أجر وجزاء على الأعمال فقد قال ﷻ: ﴿ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ١٨٥ ﴾ آل عمران: ١٨٥

فلو أن شخصاً استؤجر لإصلاح شيء وشرُط له أجرة، وكان الشارط كريماً بما يفي بالوعد ويزيد عليه، فجاء الأجير وأخذ هذا الشيء ثم جلس ينتظر الأجر بزعم أن المستأجر كريم، أفيرى العامل ذلك تمنياً وغروراً أم رجاء؟

وهذا للجهل بالفرق بين الرجاء والغرور، وقد قيل للحسن: "قوم يقولون نرجو الله ﷻ ويضيعون العمل، فقال: هيهات هيهات تلك أمانيهم يترجحون فيها، من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئاً هرب منه"، فإن قلت فأين مظنة الرجاء وموضعه المحمود: فاعلم أنه محمود في موضعين:

أحدهما: في حق العاصي المنهك إذا خطرت له التوبة فيقنطه الشيطان، هنا يقمع القنوط بالرجاء، ويتذكر قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ٥٣ ﴾ الزمر: ٥٣

فإذا توقع المغفرة مع التوبة فهو راج.

ثانيهما: في حق من تغتر نفسه عن فضائل الأعمال ويقتصر على الفرائض، فيرجّي نفسه نعيم الله ﷻ وما وعد به الصالحين حتى ينبعث من رجائه نشاط العبادة فيقبل على الفضائل ويتذكر قوله ﷻ: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ




﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ
فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝٧ وَالَّذِينَ
هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩
أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝١١ ﴾

المؤمنون: ١ - ١١

المثال الثالث: غرور طوائف لهم طاعات ومعاص إلا أن معاصيهم أكثر، وهم يتوقعون المغفرة ويظنون أنهم بذلك تترجح كفة حسناتهم، مع أن ما في كفة السيئات أكثر، وهذا غاية الجهل، فترى الواحد يتصدق بدراهم من الحلال والحرام وما يتناوله من أموال المسلمين أضعاف ذلك ويظن أن إنفاق عشرة في الصدقة يكفرّ عن مائة من مشبوه المال، وذلك غاية في الجهل والاغترار"[1]

## الفرق بين الثقة بالله ﷻ والغرور والعجز

**قال ابن القيّم** رضي الله عنه: "الفرق بينها: أنّ الواثق بالله ﷻ قد فعل ما أمره الله ﷻ به، ووثق بالله سبحانه وتعالى في طلوع ثمرته وتنميتها وتزكيتها كغارس الشّجرة وباذر الأرض، والمغترّ العاجز قد فرّط فيما أمر به، وزعم أنّه واثق بالله ﷻ، والثّقة إنّما تصحّ بعد بذل المجهود"[2]

**قال ابن القيّم** رضي الله عنه: "إنّ الثّقة سكون يستند إلى أدّلة وأمارات يسكن القلب إليها فكلّما قويت تلك الأمارات قويت الثّقة واستحكمت ولا سيّما على كثرة التّجارب وصدق الفراسة، وأمّا الغرّة فهي حال المغترّ الّذي غرّته نفسه وشيطانه وهواه وأمله الخائب الكاذب بربّه حتّى أتبع نفسه هواها وتمنّى على الله ﷻ الأماني، والغرور ثقتك

[1] إحياء علوم الدين للغزالي (3/ 380 – 387) بتصرف
[2] مدارج السالكين لابن القيم (2/ 123 -124)





بمن لا يوثق به وسكونك إلى من لا يسكن إليه ورجاؤك النّفع من المحلّ الّذي لا يأتي بخير كحال المغترّ بالسراب.

ومن أعظم الغرّة أن ترى المولى ﷻ يتابع عليك نعمه وأنت مقيم على ما يكره، فالشّيطان وكلّ بالغرور، وطبع النّفس الأمّارة الاغترار، فإذا اجتمع الرّأي والبغي والشّيطان الغرور والنّفس المغترّة لم يقع هناك خلاف في حدوث الغرّة، فالشّياطين غرّوا المغترّين بالله ﷻ وأطمعوهم مع إقامتهم على ما يسخط الله ﷻ ويبغضه في عفوه وتجاوزه وحدّثوهم بالتّوبة لتسكن قلوبهم ثمّ دافعوهم بالتّسويف حتّى هجم الأجل فأخذوا على أسوء أحوالهم، وقال ﷻ في هؤلاء: ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾﴾ الحديد: ١٤، وأعظم النّاس غروراً بربّه ﷻ من إذا مسّه الله ﷻ برحمة منه وفضل، قال: ﴿هَٰذَا لِى ﴿٥٠﴾﴾ فصلت: ٥٠، أي أنا أهله وجدير به ومستحق له ثمّ قال ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً ﴿٥٠﴾﴾ فصلت: ٥٠، فظنّ أنّه أهل لما أولاه من النّعم مع كفره بالله ﷻ، ثمّ زاد في غروره فقال ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ فصلت: ٥٠، يعني الجنّة والكرامة وهكذا تكون الغرّة بالله ﷻ، فالمغترّ بالشّيطان مغترّ بوعوده وأمانيه وقد ساعده اغتراره بدنياه ونفسه فلا يزال كذلك حتّى يتردّى في آبار الهلاك"[1]

[1] الروح لابن القيم ص 244 -245




## أصناف المغترين

"**الصّنف الأوّل**: **أهل العلم والمغترّون منهم فرق**:

ففرقة: أحكموا العلوم الشّرعيّة والعقليّة، وتعمّقوا فيها، واشتغلوا بها، وأهملوا تفقّد الجوارح وحفظها عن المعاصي وإلزامها الطّاعات واغترّوا بعلمهم، وظنّوا أنّهم عند الله ﷻ بمكان، وأنّهم بلغوا من العلم مبلغاً لا يعذّب الله ﷻ مثلهم، بل يقبل في الخلق شفاعتهم، وأنّه لا يطالبهم بذنوبهم وخطاياهم لكرامتهم على الله ﷻ وهم مغرورون"[1]

"وفرقة أخرى: أحكموا العلم والعمل، فواظبوا على الطّاعات الظّاهرة وتركوا المعاصي، إلّا أنّهم لم يتفقّدوا قلوبهم ليمحوا الصّفات المذمومة عند الله ﷻ من الكبر والحسد والرّياء، وطلب الرّئاسة والعلاء وإرادة السّوء للأقران، ومثال هؤلاء كرجل قصد الملك ضيافته إلى داره فجصّص باب داره، وترك المزابل في صدرها، ولا يخفى أنّ ذلك غرور.

وفرقة أخرى: علموا أنّ هذه الأخلاق الباطنة مذمومة من جهة الشّرع إلّا أنّهم لعجبهم بأنفسهم يظنّون أنّهم منفكّون عنها، وأنّهم أرفع عند الله من أن يبتليهم"[2]

**الصّنف الثّاني**: **أرباب العبادة والعمل**، والمغرور منهم فرق كثيرة، فمنهم من غروره في الصّلاة ومنهم من غروره في تلاوة القرآن ومنهم في الحجّ، ومنهم في الغزو، ومنهم في الزّهد، وكذلك كلّ مشغول بمنهج من مناهج العمل، فليس خاليا عن غرور إلّا الأكياس وقليل ما هم"[3]

**الصّنف الثّالث**: **وهم المتصوّفة**، وما أغلب الغرور عليهم والمغترّون منهم فرق كثيرة فمنهم من اغترّ بالزّيّ والهيئة والمنطق، ومنهم من رفضوا الأحكام وسوّوا بين الحلال والحرام وغير ذلك"[4]

---

[1] إحياء علوم الدين للغزالي (3/ 388)
[2] إحياء علوم الدين للغزالي (3/ 389 – 390)
[3] إحياء علوم الدين للغزالي (3/ 400)
[4] إحياء علوم الدين للغزالي (3/ 405)



**الصّنف الرّابع: أرباب الأموال**، والمغترّون منهم فرق كثيرة، ومجمل القول فيهم أنّ الرّياء قائدهم في كثير من أعمالهم وأنّ الشّيطان يزيّن لهم أعمالهم فيغترّون بها"[1]

## مضار الغرور

"1. غرور الكفّار والفسّاد والعصاة من أشدّ أنواع الغرور إلحاقاً للأذى.

2. الغرور دليل فساد النّفس وخبث الطّويّة.

3. الغرور بعفو الله ﷻ يوقع في الهلاك.

4. غرور العلماء بعلمهم يلهيهم عن العمل.

5. غرور العبّاد يفسد ثواب عملهم.

6. الغرور يؤدّي إلى الطّغيان والكفر أو الفسق والفجور.

7. الغرور فيه جرأة عظيمة على الله ﷻ.

8. هو خسران في الدّنيا وعذاب في الآخرة.

9. فيه جهالة بحقيقة النّفس وأنّ الإنسان قد خلق من صلصال من حمأ مسنون.

10. الغرور يتنافى مع العبوديّة الحقّة لله ﷻ.

11. الغرور يهلك الأمم ويصيب الأفراد بالأمراض النّفسيّة الخطيرة.

12. الغرور يورث الكبر والعجب وغيرهما من أمراض القلب"[2]

## علاج الغرور

أولاً: تذكر عظمة الله ﷻ، وأن الكبرياء من صفاته، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الله ﷻ: "الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار"[3]

---

[1] إحياء علوم الدين للغزالي (3/ 407)
[2] نظرة النعيم (11/ 5068)
[3] صحيح ابن حبان (12/ 486)




ثانياً: تذكر الإنسان أصله وضعفه، قال ﷻ: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ ﴾ النحل: ٤

ثالثاً: تذكر عاقبة الغرور، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر"[1]

رابعاً: أن الغرور سبب في الهزيمة والفشل، قال ﷻ: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴿٤٧﴾ ﴾ الأنفال: ٤٧ وهذا في شأن قريش في غزوة بدر.

خامساً: أن التواضع سبب في العزة والرفعة والسيادة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله"[2]

فالإنسان إذا اغتر بنفسه فليعلم أن الله عز وجل سيمتحنه، ولذلك انظر! ما من غني يغتر بماله إلا سلّط الله عز وجل عليه مصيبة في المال، وما من عالم يغتر بذكائه إلا سلّط الله عز وجل عليه حرمان التوفيق في علمه، وما من مهتدٍ يغتر بهدايته إلا سلب الخشوع وسلب الإنابة إلى الله عز وجل، فالمهم أنه لابد أن يبتلى؛ لأنه يظن أن الفضل له.

ولذلك كان السلف رضي الله عنهم يخافون من الغرور، وكان أبو هريرة رضي الله عنه يدخل ويحمل الحطب على ظهره أمام الناس في سوق الكوفة وهو أمير الكوفة؛ لكي يكسر نفسه، ولما أصاب الغرور عمر بن الخطاب رضي الله عنه حمل الحطب على ظهره؛ لكي يهين نفسه.

[1] رواه مسلم (1/ 93)
[2] رواه مسلم (4/ 2001)



فلا ينبغي للإنسان أن يغتر بحوله وقوته، ولكن ينبغي عليه أن يتعلق بحول الله ﷻ وقوته، ولذلك من الدعاء المأثور ومن ذكر الله ﷻ الذي هو كنز من كنوز الجنة: "لا حول ولا قوة إلا بالله"

والوقفة الأخيرة مع الغرور، بأي شيء تغتر والأمور بعواقبها؟! هل أحد كشف لك عن الغيب فتعلم أن هذا الصلاح عاقبته حسن الخاتمة؟!! بل تأمل ذلك الذي كفر نعمة الله ﷻ واغتر بعلمه، فسلبه الله ﷻ نعمه فانسلخ من آياته وكان من الغاوين، وكذلك أمية بن أبي الصلت لما كان آية في الفهم والعلم والذكاء، وجاء إلى النبي ﷺ لكنه حسده واغتر بنفسه فكان من الهالكين، ما الذي يدعو الإنسان إلى الغرور وهو لا يضمن العاقبة؟!

الأمر الثاني: إذا قمت في الصلاة وأعجبك القيام أو أعجبك من نفسك الصيام، فتذكر أن العبرة بالقبول، فهل تعلم أن الله ﷻ قبل طاعتك؟!! وهل تعلم أن الله ﷻ قبل عبادتك؟!! فهذا أمر من الأهمية بمكان: علاج الغرور أن تنظر إلى العاقبة.





# المرض الخامس عشر
# الغش

## تعريف الغش

### في اللغة:

"الغِشُّ: نقيض النُّصح، وهو مأخوذ من الغشش: المشرب الكدِر، وغشَّه يغشَّه غشًّا من باب قتل: لم يمحضه النُّصح، وأظهر له خلاف ما أضمره، وزين له غير المصلحة. والغشُّ: الغلُّ والحقد، ولبن مغشوش مخلوط بالماء، وغَشَّشَه تغشيشًا، مبالغة في الغِشّ"[1]

الغشّ اسم من قولهم غشّه يغشّه غشّا- بالكسر- وهو مأخوذ من مادّة (غ ش ش)

**يقول ابن فارس:** "الغين والشّين أصول تدلّ على ضعف في الشّيء واستعجال فيه، من ذلك الغشّ، ويقولون: الغشّ ألّا تمحض النّصيحة"[2]، "واستغشّه خلاف استنصحه"[3]

### في الشرع:

**قال صاحب التنبيهات:** "الغِشُّ: كتم كل ما لو علمه المبتاع كرهه"[4]

**قال المناويّ:** "الغشّ ما يخلط من الرّديء بالجيّد"[5]

---

[1] لسان العرب لابن منظور (6/ 323)، النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (3/ 369)، تاج العروس للزبيدي (17/ 289 – 290)، المصباح المنير للفيومي (2/ 447)

[2] مقاييس اللغة لابن فارس (4/ 383)

[3] الصحاح للجوهري (3/ 1013)

[4] الذخيرة للقرافي (5/ 172)

[5] التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص 252







وقال ابن حجر الهيتمي: الغشّ (المحرّم) أن يعلم ذو السّلعة من نحو بائع أو مشتر فيها شيئاً لو اطّلع عليه مريد أخذها ما أخذها بذلك المقابل"[1]

قال الكفوي: "الغشّ: سواد القلب وعبوس الوجه"[2]

## حكم الغش

يُعتبَر الغِشّ من الكبائر، حيث دلَّت بعض النصوص الإيمائيّة والتصريحيّة على حُكم الغِشّ، فالدليل في القرآن، قولُ الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٧ ﴾ الأنفال: ٢٧ ، والدليل في السنّة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ مر على صبرة طعام فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللاً، فقال: "ما هذا يا صاحب الطعام؟" قال أصابته السماء يا رسول الله، قال: "أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس، من غش فليس مني"[3]

ولقد عدّ ابن حجر الهيتمي النّوع الأوّل من الغشّ: وهو غشّ البيوع ونحوها من الكبائر، فقال: "عدّ هذا كبيرة هو ظاهر ما في بعض الأحاديث من نفي الإسلام عن الغاشّ مع كونه لم يزل في مقت الله عز وجل، أو كون الملائكة تلعنه، وما ذكره بعضهم من أنّه صغيرة فيه نظر لما ذكر من الوعيد الشّديد فيه"[4]

"أمّا النّوع الثّاني: وهو الغشّ في النّصيحة فهو أيضاً من الكبائر الباطنة؛ لأنّ مرجعها سواد القلب، وينطبق عليها ما ينطبق على سائر الكبائر الباطنة الّتي يذمّ العبد عليها أكثر ممّا يذمّ على الزّنا والسّرقة وشرب الخمر"[5]

[1] الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي (1/ 396)
[2] الكليات للكفوي ص 672
[3] رواه مسلم (1/ 99)
[4] الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي (1/ 396)
[5] الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي (1/ 131)




أمّا النّوع الثّالث: وهو غشّ الإمام للرّعيّة، فقد عدّه **الإمام الذّهبيّ** من الكبائر أيضاً فقال: "الكبيرة السّادسة عشرة هي غشّ الإمام للرّعيّة وظلمه لهم، قال ﷻ: ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٢﴾ ﴾ الشورى: ٤٢، وقال ﷻ: ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ ﴿٤٣﴾ ﴾ إبراهيم: ٤٢ – ٤٣، وقال ﷻ: ﴿ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ الشعراء: ٢٢٧، وقال ﷻ: ﴿ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ المائدة: ٧٩، وعن معقل بن يسار المزني رضي الله عنه في مرضه الذي مات فيه قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاشّ لرعيّته إلّا حرّم الله عليه الجنّة"[1]"[2]

**وقال الغزالي**: "والغش حرام في البيوع والصنائع جميعًا، ولا ينبغي أن يتهاون الصانع بعمله على وجه لو عامله به غيره لما ارتضاه لنفسه، بل ينبغي أن يحسن الصنعة، ويحكمها ثم يبيِّن عيبها إن كان فيها عيب، فبذلك يتخلص"[3]

## أسباب الغش

هناك أسباب كثيرة تحمل الإنسان أن يغش ومن هذه الأسباب:

1. ضعف الإيمان بالله ﷻ، وقلة الخوف منه.

[1] رواه مسلم (1/ 125)
[2] الكبائر للذهبي ص 72
[3] إحياء علوم الدين للغزالي (2/ 77)



2. جهل الفرد بحرمة الغش، وأنه من الكبائر.

3. عدم الإخلاص لله ﷻ في العمل.

4. شدة الحرص، وطلب الأموال من أي طريق كان.

5. عدم تطبيق الأحكام لمعاقبة مرتكبي جريمة الغش.

6. الرفقة السيِّئة.

7. التربية السيئة، والتي تتنافى مع الأخلاق والآداب الإسلامية.

8. انعدام القناعة بما قسم الله سبحانه وتعالى له.

9. عدم تذكر الموت والدار الآخرة.

## آثار الغش

1. براءة النبي ﷺ من مرتكب جريمة الغش.

2. الغاش بعيد عن الناس بعيد عن الله سبحانه وتعالى.

3. الغاش قليل التحصيل، دنيء الهمة.

4. الغاش متهاون بنظر الله سبحانه وتعالى إليه.

5. الغاش مرتكب كبيرة من الكبائر المحرمة.

6. الغاش ممحوق البركة.

7. الغش خيانة للأمانة التي كلف الإنسان بحملها.

8. الغش دليل ضعف الإيمان.

9. الغش سبب من أسباب الفرقة بين المسلمين.

10. الغش طريق موصل للنار.

11. الغش فيه أكل أموال الناس بالباطل.

12. الغش من أسباب عدم إجابة الدعاء؛ لأن صاحبه يأكل المال الحرام.
13. الغش يخرج أجيال فاشلة غير قادرة على تحمل المسئولية.
14. الغش يولد ضعف الثقة بين أفراد المجتمع.
15. الغش هو معصية لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم،
16. لا يُفيد الغشاش إلا الوزر الواقع فيه.
17. الخزي العاجل والآجل إن لم يتب.
18. دليل على أن نفس الغشاش خبيثة.
19. الغاش يعد من الكذابين والخونة والظلمة.
20. الغش سبب لإضاعة حسنات الغشاش، أو لحمل سيئات غيره ممن غشهم وأخذ أموالهم.
21. أن الغشاش مستهين بنظر الله سبحانه وتعالى إليه، ومرتكب لكبيرة من كبائر الذنوب.
22. الغش يمحو البركة من عمل ومال صاحبه.
23. يعتبر خيانة للأمانة التي كلف الله سبحانه وتعالى الإنسان بها.
24. وهو من أسباب عدم إجابة الدعاء، وسبب لقطع الصلات، وزعزعة الثقة في المجتمع، وإثارة الأحقاد والبغضاء بين الناس.
25. سبب لنشر الفساد وتضييع مصالح الناس.
26. قد يتأثر أولاد الغشاش بسلوك أبيهم فيكونون غشاشين مثله، إلا من حفظه الله سبحانه وتعالى.
27. أن الغش يجعل صاحبه في النار، إن لم يتُبْ قبل موته.





28. الغشاش يعتبر ممن يأكل أموالَ الناس بالباطل، فهو ليس في قلبه رحمةٌ للمسلمين، ولا يحب لهم ما يحب لنفسه.

## أنواع الغش

ينقسم الغِشّ لعدّة أنواع، وهي كما يأتي:

### أولاً: الغش في البيع والمعاملات:

يتمثّل الغش في البيع والمعاملات بعدّة صور، هي:

1. بيع المواد مُنتَهية الصلاحيّة.
2. التطفيف في الكيل والميزان، مثل كتابة وَزنٍ غير حقيقيٍّ على العبوة.
3. بَيعُ البضاعة السيئة على أنَّها جيّدة، أو وَضعُ علامات تجاريّة مشهورة على البضاعة الرديئة.
4. بَيعُ المواد التي تتسبَّب في إصابة الإنسان بالأمراض المستعصِية.
5. الغِشّ في أعمال البناء والمقاولات، مثل التقليل من استخدام الأسمنت والحديد عند البناء؛ مما يتسبَّب في انهيار المباني، وإصابة السكّان بالأذى.
6. بيع الإبل المصرَّاة، ويعني ذلك الامتناع عن حلب لبن الإبل؛ لإظهار كثرته عند البَيع.
7. زيادة شخص لثمن سلعة ما، وهو لا يُريد شراءها؛ حتى يقع بها شخص آخر ويشتريها، وهو ما يُعرَف باسم بَيعِ النَّجْش.

قال ابن حجر الهيتمي مبينًا هذا النوع من الغش في البيع والشراء: "الغش المحرم أن يعلم ذو السلعة من نحو بائع، أو مشتر فيها شيئًا، لو اطلع عليه مريد أخذها ما أخذها بذلك المقابل"[1]

وقال ابن تيمية رضي الله عنه: "والغش يدخل في البيوع بكتمان العيوب، وتدليس السلع، مثل أن يكون ظاهر المبيع خيرًا من باطنه، كالذي مرَّ عليه النبي ﷺ وأنكر عليه، ويدخل في الصناعات مثل الذين يصنعون المطعومات من الخبز، والطبخ، والعدس، والشواء وغير ذلك، أو يصنعون الملبوسات كالنسَّاجين، والخيَّاطين، ونحوهم، أو يصنعون غير ذلك من الصناعات، فيجب نهيهم عن الغش والخيانة والكتمان"[2]

قال المراغي: "وما أكثر ضروب الغشِّ والاحتيال، كما يقع من السماسرة من التَّلبيس والتَّدليس، فيزيِّنون للناس السلع الرديئة، والبضائع المزجاة، ويورطونهم في شرائها، ويوهمونهم ما لا حقيقة له، بحيث لو عرفوا الخفايا ما باعوا وما اشتروا"[3]

## ثانيًا الغش في النصيحة:

هو انعدام صِدق الإنسان في إسداء النُصْح عندما يطلبه أحد الأشخاص منه، فعن تميم الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: "لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"[4]

## ثالثًا: الغش في الاختبارات:

هذا النوع من الغِشّ مُحرَّم بالإجماع من قِبل العلماء، فمن الممكن أن يتسبَّب غِشُّ الطلاب في الاختبارات في حصولهم على شهادات لا يستحقّون الحصول عليها، أو شغلهم لمناصب هم ليسوا أهلاً لها.

[1] الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي (1/ 396)
[2] الحسبة في الإسلام لابن تيمية ص 18
[3] تفسير المراغي (2/ 82)
[4] رواه مسلم (1/ 74)



## رابعاً: الغش في الزواج:

يتمثّل الغش في الزواج بعدّة أمور، هي:

1. المغالاة في طَلَبِ المهور.
2. التسرُّع في الموافَقة على الخاطب دون السؤال عنه.
3. إخبار الخاطب أموراً غيرَ حقيقيّة عن نفسه لأهل العروس.
4. رفض الإنسان الكُفءِ ذي الدِّين والخُلُق؛ بسبب عصبيّة، أو طمعٍ، أو أهواء.
5. إخفاء الخاطب أو المخطوبة لعيوبهما.
6. وصف الإنسان بأوصاف لا يستحقّها، وهو خداعٌ للطَّرَف الآخر.

## خامساً: عدم الوفاء بالعقود:

هو عدم الوفاء في عقود المقاولات، أو الصيانة، أو الإنشاءات، وخيانة الأمانة؛ بسبب الطمع، أو العَجلة للانتهاء من العمل مع الغِشّ، قال ﷻ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ١ ﴾ المائدة: ١

## سادساً: الغش في العمل:

يتمثّل الغش في العمل بعدم تأدية الوظيفة بالشكل المناسِب أو المطلوب، سواء تعلَّق الأمر بطبيعة العمل أو بأوقات الدوام، كأن يوهِمَ الإنسان مرؤوسيه أنَّه ينجزُ عمله بطريقة صحيحة، وهذا الأمر يُعتبَر غِشّاً.

## سابعاً: غش الراعي للرعية:

المقصود بالراعي: الحكام والرؤساء في المصالح الحكومية، والرجل في أهل بيته، وغيرهم ممن لهم الرعاية على غيرهم، ويكون الغش بظلمهم، وعدم النصح لهم، فعن عبد الله

بن عمر رضي الله عنهما: أنه سمِع رسول الله ﷺ يقول: "كلكم راعٍ ومسؤول عن رعيته، فالإمام راعٍ وهو مسؤول عن رعيته، والرجل في أهله راعٍ وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعيةٌ وهي مسؤولةٌ عن رعيتها، والخادم في مال سيده راعٍ وهو مسؤول عن رعيته، والرجل في مال أبيه راعٍ وهو مسؤول عن رعيته، فكلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته"[1]

قال ابن القيم رضي الله عنه: "وكم ممن أشقى ولده وفلذة كبده في الدنيا والآخرة بإهماله، وترك تأديبه، وإعانته على شهواته، ويزعم أنه يكرمه وقد أهانه، وأنه يرحمه وقد ظلمه، ففاته انتفاعه بولده وفوَّت عليه حظه في الدنيا والآخرة، وإذا اعتبرت الفساد في الأولاد رأيت عامته من قبل الآباء"[2]

## ثامنًا: الغش في القول:

الغش في القول يكون عند إدلاء الشاهد بالشَّهادة، فيشهَد بشهادة فيها كذِب، فعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ألا أنبِّئكم بأكبر الكبائر! قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئًا فجلس فقال، ألا وقول الزور، وشهادة الزور، ألا وقول الزور، وشهادة الزور، فما زال يقولها، حتى قلت: لا يسكت"[3]

## مضار الغش

"1. الغشّ طريق موصل إلى النّار.
2. دليل على دناءة النّفس وخبثها.
3. البعد عن الله عز وجل والبعد عن النّاس.

[1] رواه البخاري (3/ 120)، رواه مسلم (3/ 1459)
[2] تحفة المودود بأحكام المولود لابن القيم ص 242
[3] رواه البخاري (8/ 4)، رواه مسلم (1/ 91)



4. حرمان إجابة الدّعاء.

5. حرمان البركة من المال والعمر.

6. دليل على نقص الإيمان.

7. يورث سخط النّاس ومقتهم"[1]

## علاج الغش

1. علاج الغش يكون بتضرع المسلم إلى الله ﷻ بالدعاء بأن يكفيَه بحلاله عن حرامه، والإخلاص في العمل لله ﷻ، كما يكمن علاج الغش في تربية الفرد تربية سليمة، قائمة على الالتزام بأحكام الشرع الحنيف وآدابه، وتقوية الثقة بالله ﷻ واستشعار مراقبته ﷻ.

2. يمكن علاج الغش أيضًا بزيارة القبور، وتذكر الموت واليوم الآخر، والصبر في تحصيل الرزق الحلال بالوسائل المباحة، وبالقناعة والرضا برزق الله ﷻ، وبمجالسة الرفقة الصالحة، وبمعاقبة مرتكبي الغش لردعِهم عن ذلك.

3. والعلم بالحكم الشرعي بأن الغش حرام، وتعليم الناس خطر الغش وتبيين صُوَره، والنظر للعواقب السيئة للغش في الدنيا والآخرة.

4. تضرُّع الإنسان لله ﷿ وإخلاص العمل له، وسؤاله بأن يكفيَه بالحلال عن الحرام. الأمر بالمِعروف عن طريق الموعظة الحَسنة، والنهي عن المنكَر.

5. تربية الأبناء تربية إسلاميّة سليمة، مع الالتزام بأحكام الشريعة وآدابها.

6. تحصيل الرزق بالطُّرُق المباحة، والصَّبرِ على ذلك.

7. رضا الإنسان وقناعته بما رزقه الله ﷻ به.

8. وضع عقاب للغش؛ حتى يرتدع البشر.

[1] نظرة النعيم (11/ 5075)

9. توضيح صورة الغِشّ للناس، وإظهار مدى خطورته.

10. الابتهال والتضرع إلى الله عز وجل بالدعاء بأن يغنيه الله عز وجل بحلاله عن حرامه.

11. تفعيل فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

12. القناعة بما رزق.

13. معاقبة مرتكبي الغش لردعهم عن ذلك.

14. العلم بحكم الغش وبيان صوره للناس.

15. النظر للعواقب الوخيمة للغش في الدنيا والآخرة.





# المرض السادس عشر
# الغفلة

## تعريف الغفلة

### في اللغة:

الغفلة: السّهو عن الشّيء، وهو مصدر غفل يغفل غفلة وغفولاً.

**يقول ابن فارس:** "الغين والفاء واللّام أصل صحيح يدلّ على ترك الشّيء سهواً، وربّما كان عن عمد"[1]

**قال الفيومي:** "الغفلة: غيبة الشّيء عن بال الإنسان، وعدم تذكّره له، وقد استعمل فيمن تركه إهمالاً، وإعراضاً، كما في قوله ﷻ: ﴿ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ١ ﴾ الأنبياء: ١، يقال منه: غفلت عن الشّيء غفولا، من باب قعد، وله ثلاثة مصادر، غفول، وهو أعمّها، وغفلة وزان تمرة، وغفل وزان سبب، وغفّلته تغفيلاً، صيّرته كذلك، فهو مغفّل، أي ليست له فطنة، وأغفلت الشّيء إغفالاً، تركته إهمالاً من غير نسيان، وتغفّلت الرّجل، ترقّبت غفلته، وتغافل، أرى من نفسه ذلك، وليس به"[2]

**قال الجوهري:** "والأغفال: الموات، يقال أرض غفل، لا علم بها، ولا أثر عمارة"[3]

**قال الكسائيّ:** "أرض غفل، لم تمطر، ودابّة غفل، لا سمة عليها، وقد أغفلتها، إذا لم تسمها ورجل غفل، لم يجرّب الأمور"[4]

---

[1] مقاييس اللغة لابن فارس (4/ 386)
[2] المصباح المنير للفيومي (2/ 449)
[3] الصحاح للجوهري (5/ 1783)
[4] الصحاح للجوهري (5/ 1783)




**يقول سيبويه:** "غفلت: صرت غافلاً، وأغفلته وغفلت عنه: وصّلت غفلي إليه، أو تركته على ذكر"[1]

**قال اللّيث:** "أغفلت الشّيء، تركته غفلاً، وأنت له ذاكر"[2]

**قال ابن منظور:** "والتّغفّل: ختل في غفلة، والغفول من الإبل، البلهاء الّتي لا تمتنع من فصيل يرضعها، ولا تبالي من حلبها، والغفل: المقيّد الّذي أغفل، فلا يرجى خيره، ولا يخشى شرّه، والجمع أغفال"[3]

**قال ابن منظور:** "يقال غفل عنه يغفل غفولاً وغفلة وأغفله عنه غيره، وأغفل الشّيء: تركه وسها عنه"[4]

**قال ابن منظور:** "وأغفلت الرّجل: أصبته غافلاً، وعلى ذلك فسّر بعضهم قوله ﷻ: ﴿ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا ﴿٢٨﴾ ﴾ الكهف: ٢٨، قال: ولو كان على الظّاهر لوجب أن يكون قوله واتّبع هواه، بالفاء دون الواو"[5]

**قال ابن سيده:** "وقوله ﷻ: ﴿ وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ الأعراف: ١٣٦ يصلح أن يكون – والله أعلم– كانوا في تركهم الإيمان بالله ﷻ والنّظر فيه والتّدبّر له بمنزلة الغافلين، قال: ويجوز أن يكون: وكانوا عمّا يراد بهم من الإثابة عليه غافلين، والاسم الغفلة والغفل، والغفلان"[6]

**قال الفيروز آبادي:** "والتغافل والتغفُّل: تعمّد الغفلة. والتَّغفيل: أَن يكفيك صاحبك وأَنت غافل، والمغفَّل: مَن لاَ فطنة له، والغُفْل – بالضمّ – مَن لا يرجىَ خيره ولا يُخشى شرّه"[7]

---

[1] لسان العرب لابن منظور (11/ 498)
[2] لسان العرب لابن منظور (11/ 498)
[3] لسان العرب لابن منظور (11/ 498)
[4] لسان العرب لابن منظور (11/ 497)
[5] لسان العرب لابن منظور (11/ 498)
[6] لسان العرب لابن منظور (11/ 498)
[7] بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي (4/ 140)




## في الشرع:

**قال المناويّ:** "الغفلة: فقد الشّعور بما حقّه أن يشعر به"[1]

**قال الرّاغب الأصفهاني:** "سهو يعتري الإنسان من قلّة التّحفّظ والتّيقّظ"[2]

وقيل: متابعة النّفس على ما تشتهيه.

**قال الجرجانيّ:** "الغفلة عن الشّيء هي ألا يخطر ذلك بباله، وقيل: إبطال الوقت بالبطالة"[3]

**قال الكفويّ:** "الغفلة عدم إدراك الشّيء مع وجود ما يقتضيه"[4]

**قال الشعراوي:** " الغفلة هي انشغال القلب مع عدم النسيان بغير الخالق ﷻ، فإن كان ﷻ في بالك دائماً فإنك لا تغفل عن أوامره في كل وقت سواء في صلواتك المفروضة، أو كنت تعمل في أي عمل في أي معنى من المعاني"[5]

## علامات الغفلة

إنّ أضر الخصال في الإنسان من غيرها وأشدها على الخاص والعام، والعالم، والمتعلم، والجاهل، الغفلة، وأشد الغفلة ما أنت غافل عنه وجاهل به، فكيف تصلح هذا الحال؟ والأصلح والأنفع هو التيقظ وهو أصل كل خير، والغفلة أصل كل شر، ومن أبين وأوضح علامات التيقظ، هو الهم والحزن، وحسن الاستعداد لما هم به وحزن عليه، وأبين علامات الغفلة البطر والمرح، فهما يُسهيان، وينسيان التيقظ، وفي ترك التيقظ ترك الاستعداد للآخرة، والغفلة، طول الأمل ونسيان ذكر الآخرة إلا بالخاطر، أي إن خطرت على باله مرة! وهذا لا يداوم عليه العبد، ومنها يتولد الوقوع في الإثم

[1] التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص 252
[2] المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص 609
[3] التعريفات للجرجاني ص 162
[4] الكليات للكفوي ص 506
[5] تفسير الشعراوي (8/ 4553)

www.alukah.net
شبكة الألوكة


والعصيان"[1]، ومن علامات الغفلة أيضاً إيلاف المعصية ومحبتها، واستصغار المحرمات والتهاون بها وتضييع الوقت من غير فائدة.

## أسباب الغفلة

**قال العز بن عبد السلام:** "أن الغفلة أن الفعل بها لا يتأتى سوى بالعزم بها، وتحصل هذه الغفلة بالأسباب الشاغلة أما الغفلة عن ذكر الله ﷻ فهي من المنهيات الباطنة، ومن أسباب الغفلة مثلاً الجهل بالله ﷻ وأسمائه وصفاته، والغرور بالدنيا والانغماس في الشهوات، وصحبة السوء"[2]

## الغفلة تحمد أحياناً

**قال العز بن عبد السلام:** "الغفلة عن القبائح مانعة من فعلها، إذ لا يتأتّى فعلها إلّا بالعزم عليها، ولا عزم عليها مع عدم الشّعور بها، وتحصل هذه الغفلة بالأسباب الشّاغلة"[3]، "وقد جعلها من المأمورات الباطنة، أمّا الغفلة عن ذكر الله ﷻ فهي من المنهيّات الباطنة"[4]، والأولى محمودة والثّانية مذمومة.

## الفرق بين السهو والغفلة والنسيان

**قال الكفويّ:** "السّهو: غفلة القلب عن الشّيء بحيث يتنبّه بأدنى تنبّه، والنّسيان غيبة الشّيء عن القلب بحيث يحتاج إلى تحصيل جديد، وقيل: النّسيان زوال الصورة عن القوّة المدركة مع بقائها في الحافظة، والسّهو زوالها عنهما معاً، والغفلة تشمل الأمرين، إذ الغفلة عمّا أنت عليه لتفقّده سهو، وعمّا أنت عليه لتفقّد غيره نسيان"[5]

[1] آداب النفوس للحارث المحاسبي ص 116 – 117 بتصرف
[2] شجرة المعارف والأصول ص 95
[3] شجرة المعارف والأصول ص 95
[4] شجرة المعارف والأصول ص 115
[5] الكليات للكفوي ص 506




شبكة الألوكة - قسم الكتب

**قال ابن القيم** ﷺ: "فالإنسان في ثلاث حالات:

1. الذكر: وهو أن يكون متخلصاً من الغفلة والنسيان.
2. الغفلة: وهو أن يكون ذاكراً لكنه مختاراً الترك؛ أي ترك الذكر.
3. النسيان: هو ترك الذكر بغير اختيار؛ لذا كان الناسي غير مكلف ولا محاسب إلا إذا تذكر.

فالفرق بين الغفلة والنسيان هو أن يدرك الإنسان الذكر لكنه يختار تركه، وهذه هي الغفلة، ولهذا قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ الأعراف: ٢٠٥، ولم يقل سبحانه وتعالى ولا تكن من الناسين؛ لأن النسيان لا ينهى عنه لأنه لا اختيار فيه"[1]

## أنواع الغفلة

إن الغفلة تحدث في أمرين، إما بسبب الجهر بالمعصية، وذلك لأن المجاهرة تكون عائقًا كبيرًا لتوبة العبد أمام ربه عز وجل، وفيها معاندة لله عز وجل، وهي من أسوأ أنواع الغفلة، أو تكون الغفلة عن طريق الاغترار بالحسنة، وتحدث حين يظن العبد أن بطاعته هذه قد ضمن الجنة، ولم يعد في حاجة إلى طاعات أخرى ولا يزال العبد يتكبر بطاعته حتى تقتل قلبه الغفلة.

## مضار الغفلة

"1. أنّها تجلب الشّيطان وتسخط الرّحمن عز وجل.
2. تنزّل الهمّ والغمّ في القلب وتبعد عنه الفرح والسّرور، وتميت القلب.
3. مدعاة للوسوسة والشّكوك.
4. تورث العداوة والبغضاء وتذهب الحياء والوقار بين النّاس.

[1] مدارج السالكين لابن القيم (2/ 405 -406)

5.تبلّد الذّهن وتسدّ أبواب المعرفة.

6. تبعد العبد عن الله ﷻ وتجرّه إلى المعاصي"[1]

## علاج الغفلة

الغفلة سبب ضعف الإيمان، لذا وجب علاجها على السرعة والفور، وتزول بعدة أمور منها ما يلي:

1. **التذكر والوعظ**: ملازمة تذكر أهوال الآخرة من حشر، وصراط، وحساب، وغيرها من الأهوال، والعذاب وأصنافه فيها، ملازمة دائمة.

2. **النظر إلى الخائفين**: والسماع عنهم وأحوالهم، أي النظر فيمن كانوا يخافون اليوم العظيم، ومقابلة الله ﷻ من الصالحين.

3. **الدعاء**: والخلاص من الغفلة يكون في إخلاص الدعاء إلى الله ﷻ بالثبات والهداية.

4. **صحبة الصالحين الذاكرين**: ممن يذكرك إذا نسيت، ويشد على يدك إلى الطاعة، وينهاك عن الاقتراب من المعاصي.

5. **ذكر الله ﷻ كثيراً**: ومن وسائل التخلص من الغفلة والنسيان كثرة ذكر الله ﷻ، من ثناء ودعاء، ومسارعة إلى الطاعة.

**يكمن علاج الغفلة في العلم بالله ﷻ ومعرفة دينه ومعرفة نبيه ﷺ، وذكر الله ﷻ في كل وقت وكل حال، وتتبع مجالس الذكر، فهي العلاج الناجح للغفلة، وكذلك قراءة القرآن والتضرع لله ﷻ.**

[1] نظرة النعيم (11/ 5108)

# المـرض الســابع عشـر
# الـغـيـبـة

## تعريف الغيبة

### في اللغة:

"الغِيبة: الوَقيعة في النَّاس؛ لأنَّها لا تقال إلا في غَيْبَة، يقال: اغتابه اغتيابًا إذا وقع فيه وذكره بما يكره من العيوب وهو حق، والاسم الغيبة، وهي ذكر العيب بظهر الغيب، وغابَه: عابه، وذكره بما فيه من السُّوء، كاغتابه"[1]

**قال ابن منظور**: "والاسم: الغيبة، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًا ١٢﴾ الحجرات: ١٢؛ أي لا يتناول رجلاً بظهر الغيب بما يسوءه مما هو فيه، وإذا تناوله بما ليس فيه، فهو بهت وبهتان، وجاء المغيبان، عن النبي ﷺ وروي عن بعضهم أنه سمع: غابه يغيبه إذا عابه، وذكر منه ما يسوءه، **قال ابن الأعرابي**: "غاب إذا اغتاب، وغاب إذا ذكر إنساناً بخير أو شر؛ والغيبة: فعلة منه، تكون حسنة وقبيحة"، وغائب الرجل: ما غاب منه، اسم، كالكاهل والجامل"[2]

**قال ابن فارس**: " الغين والياء والباء، أصل صحيح يدلّ على تستّر الشّيء عن العيون ثمّ يقاس من ذلك الغيب: ما غاب ممّا لا يعلمه إلّا الله ﷻ، ويقال: غابت الشّمس تغيب غيبة وغيوباً وغيباً، وغاب الرّجل عن بلده، وأغابت المرأة فهي مغيبة، إذا غاب

---

[1] مقاييس اللغة لابن فارس (4/ 403)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (16/ 335)، القاموس المحيط للفيروز آبادي ص 121، المصباح المنير للفيومي (2/ 457)

[2] لسان العرب لابن منظور (1/ 656)




بعلها، والغيبة: الوقيعة في النّاس من هذا، لأنّها لا تقال إلّا في غيبة، وتغيّب مثل غاب، ويتعدّى بالتّضعيف فيقال غيّبته، وهو التّواري في المغيب، واغتابه اغتياباً إذا ذكره بما يكره من العيوب، والاسم الغيبة، فإن كان باطلاً فهو الغيبة في بهت"[1]

**قال الراغب الأصفهاني:** " والغيب مصدر غابت الشّمس وغيرها إذا استترت عن العين، يقال: غاب عنّي كذا، قال ﷻ: ﴿ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ النمل: ٢٠، واستعمل في كلّ غائب عن الحاسّة، وعمّا يغيب عن علم الإنسان بمعنى الغائب، والغيب في قوله ﷻ: ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴿٣﴾ ﴾ البقرة: ٣، ما لا يقع تحت الحواسّ، ولا تقتضيه بداية العقول، وإنّما يعلم بخبر الأنبياء عليهم السّلام وبدفعه يقع على الإنسان اسم الإلحاد"[2]

## في الشرع:

**قال المناويّ:** "بالكسر: أن تذكر أخاك بما يكرهه فإن كان فيه فقد اغتبته وإلا فقد بهته أي قلت عليه ما لم يفعله، ومن أحسن تعاريفها ذكر العيب بظهر الغيب"[3]

**قال ابن التين:** "الغِيبة ذكر المرء بما يكرهه بظهر الغيب"[4]

**قال الجوهري:** "أنْ يتكلَّم خلف إنسانٍ مستور بما يَغُمُّه لو سمعه، فإن كان صدقًا سُمِّيَ غِيبَةً، وإن كان كذبًا سمِّي بُهتانًا"[5]

**قال التهانويُّ:** "هي أن تذكر أي أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه، سواء ذكرت نقصاناً في بدنه أو في لبسه أو في خلقه أو في فعله أو في قوله أو في دينه أو في دنياه أو في ولده أو في ثوبه أو في داره أو في دابته، ولا تقتصر الغيبة على القول، بل تجري

[1] مقاييس اللغة لابن فارس (4/ 403)
[2] المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص 616 - 617
[3] التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص 254
[4] فتح الباري لابن حجر العسقلاني (10/ 469)
[5] الصحاح للجوهري (1/ 196)



أيضاً في الفعل كالحركة والإشارة والكناية، لما ورد عن عائشة رضي الله عنها أنّها أشارت بيدها إلى امرأة أنّها قصيرة فقال ﷺ: "اغتبتها"[1]، والتّصديق بالغيبة غيبة"[2]

قال الجرجانيّ: "الغيبة: ذكر مساوئ الإنسان في غيبته وهي فيه"[3]

قال الكفويّ: "أن يتكلّم خلف إنسان مستور بكلام هو فيه"[4]

قال ابن حجر العسقلاني: "هي ذكر المرء بما يكرهه، سواء كان ذلك في بدن الشّخص أو دينه أو دنياه، أو نفسه أو خلقه أو ماله"[5]

قال الرّاغب الأصفهاني: "هي أن يذكر الإنسان عيب غيره من غير محوج إلى ذكر ذلك"[6]

قال ابن الأثير: "الغيبة أن تذكر الإنسان في غيبته بسوء وإن كان فيه"[7]

## حكم الغيبة

تُعدُّ الغيبة من الأُمور المحرَّمة، ومن يستمعُ لها فهو أيضاً شريكٌ في الإثم إلَّا أن يُنكر بلسانه، أو بقلبه، وإن استطاع القيام أو قطع الغيبة بكلام آخر وجب عليه ذلك، ومن الأدلَّة التي جاءت بإثبات حُرمتها، قوله ﷻ: ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ الحجرات: ١٢، وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما يقول: قال النبيّ ﷺ: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده"[8]، وممَّا جاء في بيان عقاب المغتاب، فعن

---

[1] مسند أحمد (42/ 467)
[2] كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي (2/ 1256)
[3] التعريفات للجرجاني ص 163
[4] الكليات للكفوي ص 669
[5] فتح الباري لابن حجر العسقلاني (10/ 469)
[6] الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني ص 142
[7] النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (3/ 399)
[8] رواه البخاري (8/ 102)

www.alukah.net
شبكة الألوكة


أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لما عرج بي ربي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس، يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم"[1]

ونقل الإمامُ القُرطبي الإجماع على حُرمتها، وأنَّها من كبائر الذنوب ويجبُ التَّوبة منها، ولما ضرب الله سبحانه وتعالى مثال المغتاب وصفه بأنَّه يأكل لحم أخيه وهو ميتٌ؛ لما في ذلك من بيان شناعة الفعل، وأنَّه أسوأ من بعض الحيوانات التي لا تأكل الميتة، وختم الله سبحانه وتعالى الآية باسم التَّواب والرَّحيم؛ لأنَّه يقبلُ توبة المغتاب إن تركها، واستقام على الإيمان والطَّاعة، وتختلف الغيبة وعظم جُرمها بحسب ما تؤدي إليه من المفسدة، وقد جعلها النبيُّ ﷺ مُساويةً لسرقة المال.

**وقال ابن حجر الهيتمي:** " الذي دلت عليه الدلائل الكثيرة الصحيحة الظاهرة أنّها كبيرة: لكنّها تختلف عظماً وضدّه بحسب اختلاف مفسدتها، وقد جعلها من أوتي جوامع الكلم عديلة غصب المال، وقتل النّفس بقوله ﷺ: "كلّ المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه"[2]، والغصب والقتل كبيرتان إجماعاً، فكذا ثلم العرض"[3]

**قال ابن كثير:** "والغِيبةُ محرَّمةٌ بالإجماع، ولا يُستثنى من ذلك، إلا ما رجحت مصلحته، كما في الجرح والتعديل، والنصيحة"[4]

## أسباب الغيبة

توجد بعض الأسباب التي تجعل الإنسان يقع في براثن الغِيبة ومساوئها، ومن تلك الأسباب:

[1] مسند أحمد (21/ 53)
[2] رواه مسلم (4/ 1986)
[3] الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي (2/ 22)
[4] تفسير القرآن العظيم لابن كثير (7/ 380)




شبكة الألوكة - قسم الكتب

"1. كراهيته الباطنة لمن يغتاب، مع عدم رغبته بإظهار كراهيته؛ لئلا تتحول إلى عداوة ظاهرة.

2. المنافسة التي ولَّدت حسدًا، والحسود لا يحب أن يعرف عنه الحسد.

3. الرغبة بأن يبرر المغتاب في نظر الناس ما عرفوه عنه من معايب وقبائح، فإذا ذكر أمامهم من يحترمونه بأن له من العيوب والقبائح مثل عيوبه وقبائحه، خف إنكارهم عليه"[1]

4. تشفي الغيظ، بأن يجري من إنسان في حق آخر سبب يهيجُ غيظه، فكلَّما هاج غضبه تشفى بغيبة صاحبه.

5. موافقة الأقران ومجاملة الرفقاء، ومساعدتهم على الغِيبة، فإنه يخشى إن أنكر عليهم أن يستثقلوه.

6. إرادة رفع نفسه بتنقيص غيره، فيقول: فلان جاهل وفهمه ركيك.

7. اللعب والهزل، فيذكر غيره بما يضحك له على سبيل المحاكاة.

8. كثرة الفراغ، والشعور بالملل والسأم، فيشتغل بالناس وأعراضهم وعيوبهم.

9. التقرب لدى أصحاب الأعمال، والمسئولين عن طريق ذم العاملين معه، ليرتقي لمنصب أفضل، أو ليقال عنه مواظب

10. الظهور بمظهر الغَضَب لله عز وجل على من يرتكب المنكر، فيظهر غضبه ويذكر اسمه، مثل أن يقول: فلان لا يستحيي من الله عز وجل يفعل كذا وكذا، ويقع في عرضه بالغِيبة.

11. إظهار الرحمة والتَّصنُّع بمواساة الآخرين، كأن يقول لغيره من الناس: مسكين فلان قد غمني أمره وما هو فيه من المعاصي

---

[1] الأخلاق الإسلامية وأسسها لعبد الرحمن حبنكة الميداني (2/ 231)




12. ضعف التربية الإيمانية، وعدم التنبه لعظمة من تعصي.

13. جهل المغتاب بحكم الغِيبة، وعواقبها الوخيمة والسيئة، التي تورث غضب الله عَزَّ وَجَلَّ وسخطه.

14. تنشئة الفرد تنشئة سيئة بعيدة عن الأخلاق والتعاليم الإسلامية.

15. صحبة الأشرار، الذين هم بعيدون عن الآداب الإسلامية السليمة فالمرء على دين خليله.

16. حضور المجالس والتجمعات التي تخلو من ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ، ويكثر فيها الغِيبة والنَّمِيمَة.

17. الطمع وحب الدنيا والحرص عليها.

18. التَّشفِّي من الآخرين، ومُجاملة الأصدقاء، وكثرة الفراغ، والحسد، وإعجاب المرء بنفسه، والتَّغافل عن عُيوبه، والتقرُّب إلى أصحاب العمل بذمِّ العُمال الآخرين.

19. قلَّة خوف المغتاب من ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وهذا من أعظم أسبابها.

20. رفع النَّفس بانتقاص الآخرين.

21. إرادة التصنُّع والمباهاة بمعرفة الآخرين وأحوالهم.

وقال الغزالي: "للغيبة أسباب وبواعث، وفيما يلي خلاصتها:

1. شفاء المغتاب غيظه بذكر مساوئ من يغتابه.

2. مجاملة الأقران والرّفاق ومشاركتهم فيما يخوضون فيه من الغيبة.

3. ظنّ المغتاب في غيره ظنّاً سيّئاً مدعاة إلى الغيبة.

4. أن يبرئ المغتاب نفسه من شيء وينسبه إلى غيره أو يذكر غيره بأنّه مشارك له.

5. رفع النّفس وتزكيتها بتنقيص الغير.





6. حسد من يثني عليه النّاس ويذكرونه بخير.

7. الاستهزاء والسّخرية وتحقير الآخرين"[1]

## الفرق بين الغيبة والصفات الأخرى

### 1. الفرق بين الغيبة والإفك والبُهتان والشتم:

**قال الحسن البصري** رضي الله عنه: "الغِيبة ثلاثة أوجه كلها في كتاب الله سبحانه وتعالى: الغيبة، والإفك، والبهتان، فأمَّا الغيبة، فهو أن تقول في أخيك ما هو فيه، وأما الإفك: فأن تقول فيه ما بلغك عنه، وأما البهتان، فأن تقول فيه ما ليس فيه"[2]

**وقال الجرجاني**: "الغِيبة ذكر مساوئ الإنسان التي فيه في غِيبة، والبهتان ذكر مساوئ الإنسان، وهي ليست فيه"[3]

**قال المناوي والكفوي**: "والشتم ذكر مساوئ في مواجهة المقول فيه"[4]

### 2. الفرق بين الغِيبة والنَّمِيمَة والغمز واللمز:

**قال القرافي**: "الغيبةُ: ذكر الإنسان بما يكره لما فيها من مفسدة الأعراض.

والنَّمِيمَة: أن ينقل إليه عن غيره أنه يتعرض لأذاه؛ لما فيها من مفسدة إلقاء البغضاء بين الناس، ويستثنى منها أنَّ فلانًا يقصد قتلك في موضع كذا، أو يأخذ مالك في وقت كذا، ونحو ذلك، لأنَّه من النَّصيحة الواجبة كما تقدم في الغيبة.

والغمز: أن تعيب الإنسان بحضوره.

واللمز: بغيبته وقيل بالعكس"[5]

---

[1] إحياء علوم الدين للغزالي (155 – 156) بتصرف
[2] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (16/ 335)
[3] التعريفات للجرجاني ص 163
[4] التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص 254، الكليات للكفوي ص 699
[5] الذخيرة للقرافي (13/ 241)




## آثار الغيبة على الفرد والمجتمع

إن للغيبة أضرار كثيرة في الدنيا والآخرة، وهذه الأضرار لها آثارها السلبية على الفرد والمجتمع، فلا بد من التنبيه عليها، والاطلاع على تبعاتها؛ كي نتجنبها ولا نقع فيها، ونحذر ارتكابها.

### أولاً: آثارها على الفرد:

#### 1. الغِيبة تزيد في رصيد السيئات، وتنقص من رصيد الحسنات:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت للنبي ﷺ: حسبك من صفية كذا وكذا، فقال ﷺ: "لقد قلتِ كلمةً لو مزجت بماء البحر لمزجته"[1]

"وهذا يدل على ما يلحق المغتاب من الإثم بسبب افتياته على خلق الله سبحانه وتعالى الذي حرم الغِيبة، وفي نفس الوقت افتات على حق الإنسان الذي اغتابه"[2]

#### 2. الغِيبة من أربى الربا:

قال الشوكاني: "معصية الربا من أشد المعاصي؛ لأن المعصية التي تعدل معصية الزنا التي هي في غاية الفظاعة والشناعة بمقدار العدد المذكور بل أشد منها، لا شك أنها قد تجاوزت الحد في القبح وأقبح منها استطالة الرجل في عرض أخيه المسلم، ولهذا جعلها الشارع أربى الربا، وبعد الرجل يتكلم بالكلمة التي لا يجد لها لذة ولا تزيد في ماله، ولا جاهه فيكون إثمه عند الله أشد من إثم من زنى ستًّا وثلاثين زنية، هذا ما لا يصنعه بنفسه عاقل"[3]

[1] صحيح سنن أبي داود (3/ 923)
[2] إبراء الذمة من حقوق العباد لنوح علي سليمان ص 604
[3] نيل الأوطار للشوكاني (5/ 225)



### 3. صاحب الغِيبة مفلس يوم القيامة:

عن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: "أتدرون ما المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: إنَّ المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة، وصيام، وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار"[1]

### 4. الغِيبة تسبب هجر صاحبها:

"الواجب عليك وعلى غيرك من المسلمين، عدم مجالسة من يغتاب المسلمين مع نصيحته والإنكار عليه، لقول النَّبي ﷺ: "من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"[2]، فإن لم يمتثل فاترك مجالسته؛ لأن ذلك من تمام الإنكار عليه"[3]

### 5. الغِيبة تجرح الصوم:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النَّبي ﷺ: "من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل، فليس لله حاجة، في أن يدع طعامه وشرابه"[4]، وقال ﷺ: "الصيام جنَّة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله، فليقل: إني صائم"[5]

### 6. يتتبع الله ﷻ عورة المغتاب ويفضحه في جوف بيته:

فعن أبي برزة الأسلمي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته"[6]

---

[1] رواه مسلم (4/ 1997)
[2] رواه مسلم (1/ 69)
[3] مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز (5/ 402)
[4] رواه البخاري (3/ 26)
[5] رواه البخاري (3/ 26)، رواه مسلم (2/ 807)
[6] مسند أحمد (33/ 20)، السنن الكبرى للبيهقي (10/ 418)

7. عقوبة المغتاب النار.

فعن أنس بن مالك ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: "لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم"[1]

قال الطيبي: "لما كان خمش الوجه والصدر من صفات النساء النائحات جعلهما جزاء من يغتاب ويفري في أعراض المسلمين، إشعاراً بأنهما ليستا من صفات الرجال، بل هما من صفات النساء في أقبح حلة وأشوه صورة"[2]

وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: "من أكل لحم أخيه في الدنيا قرِّب إليه يوم القيامة فيقال له: كُله ميتاً كما أكلته حياً فيأكله ويكلح ويصيح"[3]

8. لا يغفر لصاحب الغِيبة حتى يعفو عنه الذي وقعت عليه الغِيبة.

9. الغِيبة تترك في نفس الفرد جوانب عدائية، بسبب ما تتركه على سمعته ومكانته.

10. الغِيبة تظهر عيوب الفرد المستورة، في الوقت الذي لا يملك فيه الدفاع عن نفسه.

11. الغِيبة تدل على دناءة صاحبها، وجبنه، وخسَّته.

## ثانياً: آثارها على المجتمع:

1. كشف عورات الآخرين، ونشر عيوبهم والاستهانة بها.

2. الغِيبة تؤدي إلى الغِيبة، أي أن من اغتيب قد يدفعه غضبه إلى غيبة من اغتابه، وبهذا تنتشر هذه الصفة الذَّميمة وتصبح مرض عضال يصعب استئصاله.

3. نشر الحقد، والحسد، والكراهية، والبغضاء، بين أفراد المجتمع.

---

[1] مسند أحمد (21/ 53)
[2] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (8/ 3158)
[3] المعجم الأوسط للطبراني (2/ 182)

4. إفساد المودَّات، وقطع أواصر الأخوة الإيمانية، وملء القلوب بالضغائن والعداوات.

## أنواع الغيبة

للغيبة ثلاثة أنواع:

### 1. الغِيبة المحرمة:

وهي ذكرك أخاك المسلم في غيبته بما يكره بعيب فيه مخفي، سواء كان هذا العيب خَلْقي أم خُلُقي، في دينه أو دنياه، ولا شك أنَّه محرم في الكتاب، والسنة، والإجماع، للأدلة الواردة سلفًا في هذا الباب، **قال ابن القيم** رضي الله عنه – وهو يتحدث عن الغِيبة–: "وإذا وقعت على وجه ذم أخيك، وتمزيق عرضه، والتفكه بلحمه، والغض منه، لتضع منزلته من قلوب الناس، فهي الداء العضال، ونار الحسنات التي تأكلها كما تأكل النار الحطب"[1]

### 2. الغِيبة الواجبة:

هي الغِيبة التي بها يحصل للفرد نجاة مما لا يحمد عقباه، أو مصيبة كانت محتملة الوقوع به، مثل التي تطلب للنصيحة عند الإقبال على الزواج لمعرفة حال الزوج، أو كأن يقول شخص لآخر محذرًا له من شخص شرير: إن فلان يريد قتلك في المكان الفلاني، أو يريد سرقة مالك في الساعة الفلانية، وهذا من باب النصيحة.

### 3. الغِيبة المباحة:

كما أن الغِيبة محرمة لما فيها من أضرار تمس الفرد، إلا أنَّها مباحة بضوابطها لغرض شرعي صحيح، لا يمكن الوصول لهذا الغرض إلا بهذه الغِيبة، وبدون هذه الضوابط تصبح محرمة.

[1] الروح لابن القيم ص 240

www.alukah.net
شبكة الألوكة


**قال النووي:** "اعلم أنَّ الغِيبة تباح لغرض صحيح شرعي لا يمكن الوصول إليه إلا بها وهو ستة أبواب:

الأول: التظلم، فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان والقاضي وغيرهما مما له ولاية أو قدرة على إنصافه من ظالمه، فيقول: ظلمني فلان كذا.

الثاني: الاستعانة على تغيير المنكر ورد المعاصي إلى الصواب، فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر: فلان يعمل كذا، فازجره عنه.

الثالث: الاستفتاء، فيقول: للمفتي: ظلمني أبي، أو أخي، أو زوجي، أو فلان بكذا.

الرابع: تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم.

الخامس: أن يكون مجاهرًا بفسقه أو بدعته، كالمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس وأخذ المكس وغيرها.

السادس: التعريف، فإذا كان الإنسان معروفًا بلقب الأعمش، والأعرج والأصم، والأعمى والأحول، وغيرهم جاز تعريفهم بذلك، فهذه ستة أسباب ذكرها العلماء وأكثرها مجمع عليها، دلائلها من الأحاديث الصحيحة مشهورة"[1]

**قال عيسى بن دينار:** "لا غيبة في ثلاث: إمام جائر، وفاسق معلن، وصاحب بدعة"[2]

**قال محمد بن رشد:** "إنما لم يكن في هؤلاء غيبة؛ لأن الغِيبة إنما هي بأن يذكر من الرجل ما يكره أن يذكر عنه لمن لا يعلم ذلك منه، والإمام الجائر، والفاسق المعلن، قد اشتهر أمرهما عند الناس، فلا غيبة في أن يذكر من جور الجائر وفسق الفاسق ما هو معلوم من كل واحد منهما، وصاحب البدعة يريد ببدعته، ويعتقد أنه على الحق فيها،

[1] شرح النووي على مسلم للنووي (16/ 142 - 143)، رياض الصالحين للنووي ص 425 - 426
[2] البيان والتحصيل لابن رشد القرطبي (17/ 575)




شبكة الألوكة - قسم الكتب

وأنَّ غيره على الخطأ في مخالفته في بدعته، فلا غيبة فيه؛ لأنَّه إن كان معلنًا بها فهو يحب أن يذكر بها، وإن كان مستترًا بها فواجب أن يذكر بها، ويحفظ الناس من اتباعه عليها"[1]

**قال ابن القيم** رضي الله عنه: "فإذا وقعت الغِيبة على وجه النصيحة لله عز وجل، ورسوله ﷺ، وعباده المسلمين، فهي قربة إلى الله عز وجل من جملة الحسنات"[2]

إن للغيبة المباحة التي أباحها الشارع للضرورة ضوابط ينبغي مراعاتها، ومن هذه الضوابط:

"1. الإخلاص لله سبحانه وتعالى في النية، فلا تقل ما أبيح لك من الغِيبة تشفِّيًا لغيظ، أو نيلًا من أخيك، أو تنقيصًا منه.

2. عدم تعيين الشخص ما أمكنك ذلك.

3- أن تذكر أخاك بما فيه، بما يباح لك، ولا تفتح لنفسك باب الغِيبة على مصراعيه، فتذكر ما تشتهي نفسك من عيوبه.

4- التأكد من عدم وقوع مفسدة أكبر من هذه الفائدة"[3]

## صور الغيبة

الغِيبة تكون في جميع الصفات الخُلُقِيَّة والخِلْقِيَّة وفي جميع أمور الدنيا والدين، **قال الغزالي**: "حدُّ الغِيبة: أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه، سواء ذكرته بنقص في بدنه، أو نسبه، أو في خلقه، أو في فعله، أو في قوله، أو في دينه، أو في دنياه.. حتى في ثوبه، وداره، ودابته، أما البدن، فذكرك العمش، والحول، والقرع، والقصر، والطول، والسواد، والصفرة، وجميع ما يتصور أن يوصف به مما يكرهه، كيفما كان، وأما

[1] البيان والتحصيل لابن رشد القرطبي (17/ 575)
[2] الروح لابن القيم ص 240
[3] حصائد الألسن لحسين العوايشة ص 89 - 90

النسب، فبأن تقول: أبوه نبطي، أو يحذف، أو فاسق، أو خسيس، أو إسكاف، أو زبال، أو شيء مما يكرهه، كيفما كان، وأما الخُلق، فبأن تقول: هو سيئ الخلق، بخيل، متكبر، مراء شديد الغَضَب، جبان، عاجز، ضعيف القلب، متهور، وما يجري مجراه، وأما في أفعاله المتعلقة بالدين، فكقولك: هو سارق، أو كذَّاب، أو شارب خمر، أو خائن، أو ظالم، أو متهاون بالصلاة، أو الزكاة، أو لا يحسن الركوع، أو السجود، أو لا يحسن قسمتها، أو لا يحرس صومه عن الرفث، والغِيبة، والتعرض لأعراض الناس، وأما فعله المتعلق بالدنيا، فكقولك: إنَّه قليل الأدب، متهاون بالناس، أو لا يرى لأحد على نفسه حقًّا، أو يرى لنفسه الحق على الناس، أو أنه كثير الكلام، كثير الأكل، نئوم، ينام في غير وقت النوم، ويجلس في غير موضعه، وأما ثوبه، فكقولك: إنه واسع الكم، طويل الذيل، وسخ الثياب، وقال قوم: لا غيبة في الدِّين؛ لأنَّه ذم ما ذمه الله ﷻ، فذكره بالمعاصي، وذمه بها يجوز، بدليل ما روي أن رسول الله ﷺ ذكرت له امرأة وكثرة صلاحها وصومها، ولكنها تؤذي جيرانها بلسانها، فقال: "هي في النار"[1][2]

## ❖ من صور الغِيبة التي يغفل عنها كثير من الناس

1. الإصغاء للغيبة من باب التعجب من فعل الذي اغتيب.
2. ذكر حال الذي اغتيب، وإظهار التألم والاستياء لحاله، والدعاء له أمام الآخرين.
3. أن يقول المستمع للمغتاب اسكت، لكن المستمع لم ينكر ذلك في قلبه، وإنما هو مشتهٍ بذلك، فهذا قد وقع في الغِيبة ما لم يكرهه بقلبه.

[1] مسند أحمد (15/ 421)، المستدرك على الصحيحين للحاكم (4/ 184)
[2] إحياء علوم الدين للغزالي (3/ 143 -144)



4. أن يذكر الإنسان شخص ما ويمدحه، ويذكر اهتمامه والتزامه بالدين، ثم يقول: لكنه ابتلي بما ابتلينا به كلنا من تقصير وفتور في بعض العبادات، وهو بهذا يستنقص من قدر الذي اغتيب، وبذلك وقع في الغِيبة.

5. أن يتكلم الإنسان بألفاظ أو أسلوب يحاكي فيه الآخرين، بقصد غيبتهم.

6. التشبه بالآخرين في مشيتهم بغرض السخرية منهم، كأن يمشي متعرجًا، أو يغمض أحد عينيه محاكاةً للأعور، وغيرها من الحركات التي توحي بالسخرية.

7. أن يغتاب الرجل أخاه، وإذا أنكر عليه قال: أنا على استعداد للقول أمامه، ويرد على هذا بردود منها:

أ. أنَّك ذكرته من خلفه بما يكره بما فيه، وهذه هي الغِيبة.

ب. استعدادك للحديث أمامه، أمر آخر مستقل، لم يرد فيه دليل على أنه يسوغ لك أن تذكر أخاك من خلفه بما يكره.

8. قول القائل في جماعة من الناس عند ذكر شخص ما: نعوذ بالله من قلة الحياء أو نعوذ بالله من الضلال أو نحو هذا، فإنه يجمع بين ذم المذكور ومدح النفس.

9. قول القائل: فعل كذا بعض الناس، أو بعض الفقهاء، أو نحو ذلك، إذا كان المخاطب يفهمه بعينه، لحصول التفهيم.

10. قول الشخص: فعل كذا الأفندي أو: جناب السيد، ونحو ذلك، إن كان يقصد التنقيص منه.

11. قولهم: هذا صغير تجوز غيبته، وأين الدليل على تجويز هذه الغِيبة، طالما وردت النصوص مطلقة؟!




12. التساهل في غيبة العاصي؛ لأنَّ قوله ﷺ: "الغِيبة ذكرك أخاك بما يكره"[1]، يشمل المسلم الطائع، والعاصي.

13. قولك: هذا هندي، أو مصري، أو فلسطيني، أو أردني، أو عجمي، أو عربي، أو بدوي، أو قروي، أو إسكاف، أو نجار، أو حداد، إن كان ذلك تحقيرًا أو انتقاصًا"[2]

## التوبة من الغيبة

تكون التوبة من الغِيبة بالاستغفار والندم، والاستحلال من الذي اغتيب، **قال الغزالي**: "اعلم أن الواجب على المغتاب أن يندم ويتوب ويتأسف على ما فعله ليخرج به من حق الله ﷻ، ثم يستحل المغتاب ليحله فيخرج من مظلمته"[3]

**وقال ابن القيم** رضي الله عنه: "والصَّحيح أنَّه لا يحتاج إلى إعلامه بل يكفيه الاستغفار، وذكره بمحاسن ما فيه في المواطن التي اغتابه فيها، وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره، والذين قالوا: لا بد من إعلامه، جعلوا الغِيبة كالحقوق المالية، والفرق بينهما ظاهر؛ فإنَّ الحقوق المالية ينتفع المظلوم بعود نظير مظلمته إليه، فإن شاء أخذها، وإن شاء تصدَّق بها، وأما في الغِيبة فلا يمكن ذلك ولا يحصل له بإعلامه إلا عكس مقصود الشارع، فإنَّه يوغر صدره، ويؤذيه، إذا سمع ما رمي به، ولعله يهيج عداوته ولا يصفو له أبدًا، وما كان هذا سبيله، فإن الشارع الحكيم، لا يبيحه ولا يجوزه فضلًا عن أن يوجبه، ويأمر به ومدار الشريعة على تعطيل المفاسد وتقليلها، لا على تحصيلها وتكميلها"[4]

---

[1] رواه مسلم (4/ 2001)
[2] حصائد الألسن لحسين العوايشة ص 90 - 91 - بتصرف يسير-
[3] إحياء علوم الدين للغزالي (3/ 153)
[4] الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم ص 141 - 142



## مضار الغيبة

"1. صاحب الغيبة يعذّب في النّار بأكل النّتن القذر.

2. ينال عقاب الله ﷻ في قبره.

3. تذهب أنوار إيمانه وآثار إسلامه.

4. لا يغفر له حتّى يعفو عنه المغتاب.

5. الغيبة معول هدّام وشرّ مستطير.

6. تؤذي وتضرّ وتجلب الخصام والنّفور.

7. مرض اجتماعيّ يقطع أواصر المحبّة بين المسلمين.

8. دليل على خسّة المغتاب ودناءة نفسه"[1]

## علاج الغيبة

إنَّ الغِيبة مرض خطير، وداء فتَّاك، ومعول هدَّام، وسلوك يفرِّق بين الأحباب، وبهتان يغطِّي على محاسن الآخرين، وبذرة تنبت شرورًا بين المجتمع المسلم، وتقلِّب موازين العدالة والإنصاف إلى الكذب والجور، وعلاج هذا المرض لا يكون إلَّا بالعلم والعمل، فإذا عرف المغتاب أنَّه تعرَّض لسخط الله ﷻ يوم القيامة بإحباط عمله، وإعطاء حسناته من يغتابه، أو يحمل عنه أوزاره، وأنَّه يتعرَّض لهجوم من يغتابه في الدُّنيا، وقد يسلِّطه الله ﷻ عليه، إذا علم هذا وعمل بمقتضاه من خير فقد وفِّق للعلاج.

ومن الوسائل المعينة على ترك الغِيبة والبعد عنها ما يلي:

1. التقرب إلى الله ﷻ بكثرة الأعمال الصالحة، وتقديم رضاه على رضا المخلوقين.

2. زيادة الإيمان، وتقويته بالعلم النافع، والعمل الصالح.

---

[1] نظرة النعيم (11/ 5177)

3. أن ينشغل الإنسان بالبحث عن عيوبه، ويكف عن عيوب الآخرين وتتبعها.

4. اختيار الصحبة الصالحة التي تقربك من الله عز وجل وتبعدك عن المعاصي والابتعاد عن رفاق السوء.

5. تربية الفرد تربية إسلامية سليمة قائمة على الآداب والتعاليم الإسلامية.

6. استغلال وقت الفراغ، بما ينفع الفرد ويقوي إيمانه، ويقربه إلى الله سبحانه وتعالى، من طاعات، وعبادات، وعلم، وتعلم.

7. قناعة الإنسان بما رزقه الله سبحانه وتعالى، وشكره على هذه النعم، وأن يعلم أن ما عند الله عز وجل خير وأبقى.

8. أن يضع الإنسان نفسه مكان الشخص الذي اغتيب، ليجد أنَّه لن يرضى هذا لنفسه.

9. كظم الغيظ والصبر على الغَضَب؛ كي لا يكونا دافعًا للغيبة.

10. الابتعاد عن كل ما يؤدي به إلى الغِيبة.

11. تقوى الله عز وجل والاستحياء منه: ويحصل هذا بسماع وقراءة آيات الوعيد والوعد وما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من أحاديث تحذر من الغيبة ومن كل معصية وشر.

12. تذكر مقدار الخسارة التي يخسرها المسلم من حسناته ويهديها لمن اغتابهم من أعدائه وسواهم.

13. أن يتذكر عيوبه وينشغل بها عن عيوب نفسه، وأن يحذر من أن يبتليه الله سبحانه وتعالى بما يعيب به إخوانه.





14. مجالسة الصالحين ومفارقة مجالس البطالين، قال ﷺ: "مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد، لا يعدمك من صاحب المسك، إما أن تشتريه أو تجد ريحه، وكير الحداد يحرق بيتك أو ثوبك أو تجد منه ريحاً خبيثة"[1]

**قال النووي** في فوائد الحديث: "فيه فضيلة مجالسة الصالحين، وأهل الخير والمروءة ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب، والنهي عن مجالسة أهل الشر وأهل البدع ومن يغتاب الناس أو يكثر فجوره وبطالته، ونحو ذلك من الأنواع المذمومة"[2]

15. أن يعاقب نفسه ويشارطها حتى تقلع عن الغيبة.

16. توفيق الله ﷻ واللُّجوء إليه، وتذكُّر الإنسان لِعيوبه وانشغاله بها، مع إدراكه لخُطورة وعِظم الغيبة.

17. انشغال المسلم بما يُفيده، كتلاوة القُرآن، مع تجنب المجالس التي يكون فيها ذكرٌ للغيبة، واستحضار بشاعة الصُّورة للمُغتاب التي ذكرها الله ﷻ في كتابه.

18. إدراك آثار الغيبة السَّيئة، مع تعويد اللِّسان على ذكر الله ﷻ.

19. مُعالجة الأسباب الدَّافعة للغيبة، كالحسد، والعُجب.

**لكي تتخلص من هذا المرض الخطير، عليك بالعلم والعمل، بأنْ تعلمَ أنك ستتعرض لسخط الله ﷻ يوم القيامة بإحباطِ عملك، وإعطائك حسناتك مَن اغتبته في الدُّنيا حتَّى تصلَ إلى درجة الإفلاس، وذلك في يوم تكون أحوج إلى حسنة واحدة تخرج بها من النار وتدخل الجنة، واسأل نفسك: هل تحب أنْ يغتابَك أحد ويستهزئ بك؟ بالطبع: لا، فعاملِ الناس بما تحب أن يعاملوك به، وإذا حدثتك نفسك باغتياب أحد المسلمين، ففتش في نفسك، فستجد فيها من**

[1] رواه البخاري (3/ 63)
[2] شرح النووي على مسلم (16/ 178)




العيوب أكثر مما تريد أن تقولَ عن أخيك المسلم، واستحضر ما سَبَقَ ذكره من أحاديث وأخبار في ذم الغيبة.



# المـرض الثـامن عشر
# النـميـمة

## تعريف النميمة

### في اللغة:

"النَّمُّ: رَفْع الحديثِ على وجه الإشاعةِ والإفْسادِ، وقيل: تَزْيِينُ الكلام بالكذب، من نمَّ يَنِمُّ ويَنُمُّ، فهو نَمومٌ ونَمَّامٌ ومِنَمٌّ، ونَمٌّ، من قَوْمٍ نَمِّينَ وأَنِمَّاءَ ونُمٍّ، وهي نَمَّةٌ، ويقال للنَّمَّام القَتَّاتُ، ونَمَّامٌ مُبَالَغَةٌ، والاسمُ النَّمِيمَة، وأصل هذه المادة يدلُّ على إظهار شيء وإبرازه"[1]

### في الشرع:

**قال المناويّ الجرجاوي:** "النمام: هو الّذي يتحدّث مع القوم فينمّ عليهم فيكشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول إليه أو الثالث أي النمام، وسواء أكان الكشف بالعبارة أو بالإشارة أو بغيرهما"[2]

**قال ابن منظور وابن الأثير:** "النَّميمة: نقل الحديث من قوم إلى قوم على جهة الإفساد والشَّر"[3]

**قال الغزالي:** "إفشاء السرِّ، وهتك الستر عما يكره كشفه"[4]

[1] مقاييس اللغة لابن فارس (5/ 358)، لسان العرب لابن منظور (12/ 592)، القاموس المحيط للفيروز آبادي ص 1164، المصباح المنير للفيومي (2/ 626)
[2] التعريفات للجرجاني ص 246، التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص 320
[3] النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (5/ 120)، لسان العرب لابن منظور (12/ 592)
[4] إحياء علوم الدين للغزالي (3/ 156)




قال النووي: "هي نقل كلام النّاس بعضهم إلى بعض على جهة الإفساد. وقيل: إفشاء السرّ، وهتك السّتر عمّا يكره كشفه"[1]

قال الجاحظ: "وهو أن يبلّغ إنسان عن آخر قولاً مكروهاً، استسرّ بذلك أو لم يستسرّ، والنّوع الأوّل من قبيل إفشاء السّرّ"[2]

## حكم النميمة

أجمع علماء الأمّة الإسلاميّة على حُرمة النّميمة، ووردت الأدلّة الشرعيّة من القرآن الكريم، والسنّة النبويّة الشريفة الدالّة على حُرمتها؛ فقال ﷻ: ﴿ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ ﴾ القلم: ١١ - ١٢ ، وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: "لا يدخل الجنة قتات"[3][4]

قال الذّهبيّ: "النّميمة من الكبائر، وهي حرام بإجماع المسلمين، وقد تظاهرت على تحريمها الدّلائل الشّرعيّة من الكتاب والسّنّة، وقد أجاب عمّا يوهم أنّها من الصّغائر عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ: أنه مر بقبرين يعذبان، فقال: "إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة"، ثم أخذ جريدة رطبة، فشقها بنصفين، ثم غرز في كل قبر واحدة، فقالوا: يا رسول الله، لم صنعت هذا؟ فقال: "لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا"[5]، بأنّ المراد: ليس بكبير تركه عليهما، أو ليس بكبير في زعمهما، ولهذا قيل في رواية أخرى: "بلى إنّه كبير"[6]

[1] الأذكار للنووي ص 336
[2] تهذيب الأخلاق للجاحظ ص 31
[3] القتّات؛ هو النمّام لكنّه يختلف عنه بأنّه يكون قد سمع الحدث ثمّ نقله دون أن يشهده بعينه.
[4] رواه البخاري (8/ 17)، رواه مسلم (1/ 101)
[5] رواه البخاري (2/ 95)، رواه مسلم (1/ 240)
[6] الكبائر للذهبي ص 160



**قال ابن حجر الهيتمي:** "وجه كونه أي (النّمّ) كبيرة ما فيه من الإفساد وما يترتّب عليه من المضارّ، والحكم على ما هو كذلك بأنّه كبير ظاهر جليّ، وليس في معناه، بل ولا قريباً منه مجرّد الإخبار بشيء عمّن يكره كشفه من غير أن يترتّب عليه ضرر ولا هو عيب ولا نقص، لأنّ الغيبة لا توجد إلّا مع كون الكلام المنقول نقصاً وعيباً، ومن ثّمّ فالنّميمة الأقبح من الغيبة ينبغي ألّا توجد بوصف كونها كبيرة إلّا إذا كان ما ينمّ به مفسدة"[1]

## أسباب النميمة

1. أن ينشأ الفرد في بيئة دأبها النَّمِيمَة والوقيعة بين الناس، فيحاكيها ويتأثر بها.
2. الإساءة للآخرين وإيقاع الإيذاء بهم.
3. الخوض في الباطل وفضول الحديث، للترويح عن النفس.
4. عدم ردع النَّمام وزجره بل استحسان عمله ومسايرته.
5. وجود الفراغ في حياة الفرد، فيشغل وقته بالحديث عن الآخرين وذكر مساوئهم.
6. الغضب والرغبة في الانتقام.
7. تتبع عورات الناس.
8. العمل لصالح أفراد أو جهات مشبوهة.
9. ضعف الإيمان في قلب النَّمَّام وعدم الخوف من الله ونسيان عذاب القبر وعذاب النار.
10. جهل النَّمَّام بالعواقب السيِّئة للنَّميمة التي تعود على الفرد والمجتمع.
11. الحسد للآخرين، وعدم حبِّ الخير لهم.
12. إرادة السّوء بالمحكيّ عنه."

[1] الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي (2/ 38)





13. الحبّ للمحكيّ له، وهذا في ظاهر الأمر وإلّا فإنّ من يحبّ إنسانا على الحقيقة فإنّه لا يبلّغه ما يسوءه.

14. الفرح بالخوض في الفضول"[1]

## آثار النميمة

1. عار على قائلها، وسامعها.
2. تحمل على التجسس، وتتبع أخبار الآخرين.
3. تُؤدي إلى قطع أرزاق الآخرين.
4. تُفرِّق وتُمزِّق المجتمعات الملتئمة.

### 5. النَّمِيمَة تحلق الدين:

قال النَّبي ﷺ: "ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: إصلاح ذات البيّن، فإن فساد ذات البيّن هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدِّين"[2]

### 6. النَّمِيمَة تمنع نزول القطر من السماء:

"روى كعبٌ: أنَّه أصاب بني إسرائيل قحطٌ، فاستسقى موسى عليه السلام مرَّاتٍ فما أجيب، فأوحى الله سبحانه وتعالى إليه أنِّي لا أستجيب لك ولا لمن معك، وفيكم نمَّامٌ، قد أصرَّ على النَّمِيمَة، فقال موسى عليه السلام: يا رب من هو حتَّى نخرجه من بيننا؟ فقال: يا موسى أنهاكم عن النَّمِيمَة، وأكون نمَّامًا؟! فتابوا بأجمعهم فسُقُوا"[3]

---

[1] الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي (2/ 38)
[2] سنن الترمذي (4/ 663)
[3] إحياء علوم الدين للغزالي (3/ 155)



### 7. النَّمِيمَة تجعل صاحبها ذليلًا محتقرًا:

"اتبع رجل حكيمًا سبعمائة فرسخ في سبع كلمات، فلما قدم عليه قال: إِنِّي جئتك للذي آتاك الله ﷻ من العلم، أخبرني عن السماء وما أثقل منها؟ وعن الأرض وما أوسع منها؟ وعن الصخر وما أقسى منه؟ وعن النَّار وما أحرَّ منها؟ وعن الزمهرير وما أبرد منه؟ وعن البحر وما أغنى منه؟ وعن اليتيم وما أذلَّ منه؟ فقال له الحكيم: البهتان على البريء أثقل من السماوات، والحق أوسع من الأرض، والقلب القانع أغنى من البحر، والحرص والحسد أحرُّ من النار، والحاجة إلى القريب إذا لم تنجح أبرد من الزمهرير، وقلب الكافر أقسى من الحجر، والنَّمام إذا بان أمره أذل من اليتيم"[1]

8. النَّمِيمَة تحرم صاحبها دخول الجنة.

### 9. النَّمِيمَة تفسد الدين والدنيا:

**قال ابن الجوزي:** "النَّمِيمَة تفسد الدين والدنيا، وتغيِّر القلوب، وتولِّد البغضاء، وسفك الدماء، والشتات"[2]

## أنواع النميمة

للنَّميمة ثلاثة أنواع، وهي كما يلي:

### 1. النَّمِيمَة المحرمة:

هي نقل الكلام بين الناس على جهة الإفساد والإيقاع بينهم، دون وجود مصلحة شرعية في نقل الكلام.

[1] إحياء علوم الدين للغزالي (3/ 155)
[2] بحر الدموع لابن الجوزي ص 129




### 2. النَّمِيمَة الواجبة:

وهي التي تكون للتحذير من شرٍّ واقع على إنسان ما، فيُخبر بذلك الشر ليحذره، **قال ابن الملقن** وهو يتحدث عن النَّمِيمَة: "أمَّا إذا كان فعلها نصيحة في ترك مفسدة أو دفع ضرر، وإيصال خير يتعلق بالغير لم تكن محرمة ولا مكروهة، بل قد تكون واجبة أو مستحبة"[1]

**قال النووي:** "وهذا كله إذا لم يكن في النقل مصلحة شرعية، وإلا فهي مستحبة، أو واجبة، كمن اطلع من شخص أنه يريد أن يؤذي شخصًا ظلمًا فحذَّره منه"[2]

### 3. النَّمِيمَة المباحة:

**قال ابن كثير** وهو يتحدث عن النَّمِيمَة: "فأمَّا إذا كانت على وجه الإصلاح بين النَّاس وائتلاف كلمة المسلمين، كما جاء في الحديث: "ليس بالكذاب من يَنمَّ خيرًا"[3]، أو يكون على وجه التخذيل والتفريق بين جموع الكفرة، فهذا أمر مطلوب، كما جاء في الحديث: "الحرب خدعة"[4]، وكما فعل نعيم بن مسعود في تفريقه بين كلمة الأحزاب وبين قريظة، وجاء إلى هؤلاء فنمى إليهم عن هؤلاء كلامًا، ونقل من هؤلاء إلى أولئك شيئًا آخر، ثم لأم بين ذلك، فتناكرت النفوس وافترقت، وإنَّما يحذو على مثل هذا الذَّكاء والبصيرة النافذة"[5]

**قال النَّووي:** "فلو دعت إلى النَّمِيمَة حاجةٌ فلا منع منها، كما إذا أخبره أنَّ إنسانًا يريد الفتك به أو بأهله أو بماله، أو أخبر الإمام أو من له ولايةٌ بأنَّ فلانًا يسعى بما فيه مفسدةٌ، ويجب على المتولِّي الكشف عن ذلك"[6]

---

[1] الإعلام بفوائد عمدة الأحكام (1/ 531).
[2] فتح الباري لابن حجر العسقلاني (10/ 473)
[3] رواه البخاري (3/ 183)، رواه مسلم (4/ 2011)
[4] رواه البخاري (4/ 64)، رواه مسلم (3/ 1361)
[5] تفسير القرآن العظيم لابن كثير (1/ 371)
[6] الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي (2/ 197)



وقسَّم النَّبي ﷺ قسمةً، فقال رجلٌ من الأنصار: والله ما أراد محمدٌ بهذا وجه الله، فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته، فتمعَّر وجهه، وقال: "رحم الله موسى، لقد أُوذي بأكثر من هذا فصبر"[1]

**قال ابن بطَّال:** "في هذا الحديث من الفقه أنَّه يجوز للرجل أن يخبر أهل الفضل والستر من إخوانه بما يقال فيهم مما لا يليق بهم؛ ليعرفهم بذلك من يؤذيهم من الناس وينقصهم، ولا حرج عليه في مقابلته بذلك وتبليغه له، وليس ذلك من باب النَّمِيمَة؛ لأنَّ ابن مسعود ﷺ حين أخبر النَّبي ﷺ بقول الأنصاري فيه وتجويره له في القسمة، لم يقل له: أتيت بما لا يجوز، ونمت الأنصاري، والنَّمِيمَة حرام، بل رضي ذلك ﷺ، وجاوبه عليه بقوله: "يرحم الله موسى، لقد أُوذي بأكثر من هذا فصبر"، وإنَّما جاز لابن مسعود ﷺ نقل ذلك إلى النَّبي ﷺ؛ لأنَّ الأنصاري في تجويره للنَّبي ﷺ استباح إثمًا عظيمًا، وركب جرمًا جسيمًا، فلم يكن لحديثه حرمة، ولم يكن نقله من باب النَّمِيمَة"[2]

## الفرق بين النـميمة والصفات الأخرى

### 1. الفرق بين الغيبة والنَّمِيمَة:

**قال ابن حجر العسقلاني:** "اختُلِفَ في الغيبة والنَّمِيمَة، هل هما متغايرتان أو متَّحدتان، والراجح التغاير، وأن بينهما عمومًا وخصوصًا وجيهًا؛ وذلك لأنَّ النَّمِيمَة نقل حال شخص لغيره على جهة الإفساد بغير رضاه، سواء كان بعلمه أم بغير علمه. والغيبة ذكره في غيبته بما لا يرضيه، فامتازت النَّمِيمَة بقصد الإفساد، ولا يشترط ذلك في الغيبة، وامتازت الغيبة بكونها في غيبة المقول فيه، واشتركاً فيما عدا ذلك، ومن العلماء من يشترط في الغيبة أن يكون المقول فيه غائبًا، والله أعلم"[3]

---

[1] رواه البخاري (4/95)
[2] شرح صحيح البخاري لابن بطال (9/ 252)
[3] فتح الباري لابن حجر العسقلاني (10/ 473)

www.alukah.net
شبكة الألوكة



وقال ابن حجر الهيتمي: "كل نميمة غيبة، وليس كل غيبة نميمة، فإن الإنسان قد يذكر عن غيره ما يكرهه، ولا إفساد فيه بينه وبين أحد، وهذا غيبة، وقد يذكر عن غيره ما يكرهه وفيه إفساد، وهذا غيبة، ونميمة معًا"[1]

## 2. الفرق بين القتَّات والنَّمَّام:

"القتَّات والنَّمام بمعنى واحد، وقيل: النمام الذي يكون مع جماعة يتحدثون حديثا فينم عليهم، والقتَّات: الذي يتسمع عليهم وهم لا يعلمون ثم ينم"[2]

## ماذا يعمل من نقلت إليه النميمة

قال الغزالي: "كل من حملت إليه النَّمِيمَة وقيل له: إنَّ فلانًا قال فيك كذا وكذا، أو فعل في حقك كذا، أو هو يدبر في إفساد أمرك، أو في ممالاة عدوك أو تقبيح حالك، أو ما يجري مجراه؛ فعليه ستة أمور:

الأوَّل: أن لا يصدقه؛ لأنَّ النَّمام فاسق، وهو مردود الشهادة، قال ﷻ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦ ﴾ الحجرات: ٦

الثاني: أن ينهاه عن ذلك وينصح له، ويقبح عليه فعله، قال ﷻ: ﴿ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ١٧ ﴾ لقمان: ١٧

الثالث: أن يبغضه في الله ﷻ، فإنَّه بغيض عند الله ﷻ، ويجب بغض من يبغضه الله ﷻ

[1] تطهير العيبة من دنس الغيبة ص 45
[2] الترغيب والترهيب للمنذري (3/ 323)





شبكة الألوكة - قسم الكتب

الرابع: أن لا تظنَّ بأخيك الغائب السوء، لقوله ﷻ: ﴿ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ ﴿١٢﴾ ﴾ الحجرات: ١٢

الخامس: أن لا يحملك ما حكي لك على التجسس والبحث لتحقق اتباعًا لقول الله ﷻ: ﴿ وَلَا تَجَسَّسُواْ ﴿١٢﴾ ﴾ الحجرات: ١٢

السادس: ألا ترضى لنفسك ما نهيت النَّمام عنه ولا تحكي نميمته؛ فتقول: فلان قد حكى لي كذا وكذا، فتكون به نمَّامًا ومغتابًا، وقد تكون قد أتيت ما عنه نهيت"[1]

## مضار النميمة

"1. طريق موصّل إلى النّار.

2. تذكي نار العداوة بين المتآلفين.

3. تؤذي وتضرّ، وتؤلم، وتجلب الخصام والنّفور.

4. تدلّ على سوء الخاتمة، وتمسخ حسن الصّورة.

5. عنوان الدّناءة والجبن والضّعف والدّسّ والكيد والملق والنّفاق.

6. مزيلة كلّ محبّة ومبعدة كلّ مودّة وتآلف وتآخ"[2]

## علاج النميمة

الوسائل المعينة على ترك النَّمِيمَة:

1. توعية النَّمام بخطورة النَّمِيمَة.

2. استشعار عظمة هذه المعصية وأنَّها من الكبائر.

3. حفظ اللسان.

[1] إحياء علوم الدين للغزالي (3/ 156)، انظر إلى الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي (2/ 38)
[2] نظرة النعيم (11/ 5671)




4. تصور خطر المصيبة التي يقترفها بإفساده للقلوب وتفريقه بين الأحبة.

5. التَّقرب إلى الله ﷻ بكثرة الأعمال الصالحة، وتقديم رضاه على رضا المخلوقين.

6. استشعار الفرد أنَّ حفظ اللسان عن النَّمِيمَة يكون سببًا في دخوله الجنة.

7. تقوية الإيمان بالعلم النافع، والعمل الصالح.

8. عدم السماع لكلام النَّمَّام الذي ينمُّ به عن الآخرين.

9. تربية الفرد تربية إسلامية سليمة، قائمة على الآداب والتعاليم الإسلامية.

10. استغلال وقت الفراغ، بما ينفع الفرد.

11. كظم الغيظ والصبر على الغضب.

12. التأمل في سيرة السلف والاقتداء والتأسي بهم.

13. أن يعلم الفرد أنَّ الذين ينمُّ عليهم اليوم هم خصماؤه عند الله يوم القيامة.

14. معرفة خطورتها، وما ينتج عنها من الآثار.

15. استشعار عظمة ما يقوم به النمّام، وأنّه يرتكب بذلك كبيرةً من الكبائر.

16. حفظ اللّسان، وترك تتبع عورات النّاس.

17. معرفة ما يُؤدي بكلامه من الإفساد بين النّاس، وإيقاع المشاكل والبغضاء بينهم بفعله.

18. الإكثار من الأفعال التي تكون سبباً في القرب من الله ﷻ، والانشغال بها عن المخلوقين، والتخلّص من أوقات الفراغ بالقيام بهذه الطاعات.

19. معرفة نتيجة البعد عن النّميمة من دخول الجنّة، والنّجاة من النّار.

20. تجنّب الاستماع لكلام النمّام، ومقاطعته إن لم يتوقف عن فعله.

21. التربية الصّالحة على القيم والأخلاق.




22. التعامل مع النمّام بأسلوب الإحراج؛ من خلال الطلب منه أن يذكر محاسن من يتكلم عنه.

23. علم العبد أنّ الدنيا دار فناء والآخرة دار بقاء، فيرضى بما قسمه الله ﷿ له.

24. الصّبر على الغضب، وكظم الغيظ.

25. الاقتداء برسول الله ﷺ، والصحابة، والتابعين ﭫ، والصالحين من بعده.

26. معرفة العبد أنّ الذي ينمّ عليه سيكون خصيمه يوم القيامة.

**الخلاصة:**

**يكون علاج النميمة والتخلص منها بالكثير من الطرق، ففي البداية لا بد على الأشخاص المحيطين بالشخص النمام أن يساعدوا في إرشاده إلى الصواب، وأن ينصحوه بالبعد عن النميمة، وذلك عن طريق إخباره بأثار النميمة وعواقبها في الدنيا والآخرة، وإذا شعر الشخص النمام بالذنب بعد فعلته فعليه بالاستغفار، والأخص سيد الاستغفار: "اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء لك بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت"[1]، ولا بد أن يكون الإنسان صادق في استغفاره لتتمكن عجائب الاستغفار من أن تحدث.**

**وكي يتخلص الإنسان النمام عن هذه العادة السيئة، فلا بد أن يكون مدرك لأضرار النميمة بشكل كبير، وأنها بالفعل قادرة على إفساد حياة الآخرين من حوله، بالإضافة إلى أنها سوف تفسد حياته هو شخصيًا.**

[1] رواه البخاري (8/ 67)

ولا بد أن يعلم كذلك مدى خطورة النميمة، وأنها قادرة على إبعاده عن الجنة، وإدخاله النار، وذلك لأن النميمة باستطاعتها أن تفسد الدين والدنيا، لذلك فإن النميمة تعتبر مرض، لا بد أن يسعى المريض للعلاج والتخلص منه، بالإضافة إلى أنه لا بد للأشخاص المحيطين به أن يساعدونه في ذلك، إذا رأوا أنه بالفعل يمتلك النية الطيبة الصادقة للتخلص من تلك العادة السيئة، وذلك بحسب قوله ﷻ:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦ ﴾ الحجرات: ٦

# المرض التاسع عشر
# القسوة والغلظة والفظاظة

## تعريف القسوة

### في اللغة:

"القسوة: اسم من قَسا القَلْب يَقْسُو قَسْوة وقَساوة وقَساء، وهو غلظ القلب، وشدَّته، وهو قاسٍ وقَسِي على فعيل، وأقساه الذنب، ويقال: الذنب مقساةٌ للقلب، والقَسْوَةُ الصلابة في كل شيء، وأصل هذه المادة يَدُلُّ عَلَى شِدَّةٍ وَصَلَابَةٍ"[1]

قال الراغب الأصفهاني: " القَسْوَةُ: غلظ القلب، وأصله من: حجر قَاسٍ، والْمُقَاسَاةُ: معالجة ذلك. قال ﷻ: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم ﴾ البقرة: ٧٤، أي خلت من الإنابة والإذعان لآيات الله ﷻ.

قال القرطبي: "القسوة هي الصلابة والشدة واليبس"[2][3]

### في الشرع:

قال ابن منظور: "القسوة في القلب، ذهاب اللين، والرحمة، والخشوع منه"[4]

قال الجاحظ: "القساوة: وهو خلقٌ مركبٌ من البغض، والشَّجَاعَة، والقساوة، وهو التهاون بما يلحق الغير من الألم والأذى"[5]

---

[1] مقاييس اللغة لابن فارس (1/ 753)، لسان العرب لابن منظور (15/ 180)، المصباح المنير للفيومي (2/ 503)
[2] تفسير القرطبي (1/ 462)
[3] المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص 671
[4] لسان العرب لابن منظور (15/ 181)
[5] تهذيب الأخلاق للجاحظ ص 30





**قال القاري:** "هي النبو عن سماع الحق، والميل إلى مخالطة الخلق، وقلة الخشية، وعدم الخشوع والبكاء، وكثرة الغفلة عن دار البقاء"[1]

**قال المناوي والراغب الأصفهاني:** "القسوة غلظ القلب"[2]

**قال العز بن عبد السلام:** "القسوة تصلب القلب ونبوته عن اتباع الحق ورقته ولينه بخلاف ذلك"[3]

## تعريف الغلظة

### في اللغة:

"**الغلظة:** الغلظة اسم من غلظ يغلظ غلظًا صار غليظًا، واستغلظ مثله وهو غليظ وغلاظ، والأنثى غليظة وجمعها غلاظٌ، ورجل غليظ فظ فيه غلظة، بكسر الغين وضمِّها وفتحها، أي: غير لين ولا سلس، وذو غلظةٍ وفظاظةٍ وقساوةٍ وشدةٍ، وأَغْلَظَ له في القول، والغلظ ضد الرِّقة في الخلق، والطبع، والفعل، والمنطق، والعيش، ونحو ذلك"[4]

**قال الفيروز آبادي:** "الغلظة والغلاظة والغلظ ضدّ الرّقّة، والفعل من ذلك غلظ وغلظ، والوصف غليظ وغلاظة"[5]

### في الشرع:

**قال الشوكاني:** "غلظ القلب: قساوته، وقلة إشفاقه، وعدم انفعاله للخير"[6]

---

1 مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للقاري (4/ 1556)
2 التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص 271، المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص 671
3 شجرة المعارف والأحوال ص 120
4 لسان العرب لابن منظور (7/ 449)، مختار الصحاح للرازي (1/ 228)، المصباح المنير للفيومي (2/ 450)
5 القاموس المحيط للفيروز آبادي ص 697
6 فتح القدير للشوكاني (1/ 451)





**قال المناوي:** "الغلظة ضد الرقة، وأصله أن يستعمل في الأجسام، لكن قد يستعمل في المعاني أيضاً"[1]

**قال ابن حيان:** "غلظ القلب: فكونه خلق صلباً لا يلين ولا يتأثر"[2]

## تعريف الفظاظة

### في اللغة:

"**الفظاظة:** الفَظَاظَةُ من فظَّ يفِظُّ- من باب تعب- فَظاظة: إذا غلظ، حتى يهاب في غير موضعه، ورجل فَظٌّ شديد، غليظ القلب، وذو فظاظةٍ: أي غلظٍ في منطقه وتجهمٍ، والفظاظة والفظظ: خشونة الكلام"[3]

**قال الفيروز آبادي:** "الفظاظة كالفظظ أصلها ماء الكرش يعصر ويشرب في المفاوز (الصّحراوات)، وقولهم: رجل فظّ، معناه: غليظ الجانب، سيّء الخلق، قاسي القلب، خشن الكلام"[4]

**قال ابن منظور:** "الفظظ: خشونة الكلام، ورجل فظّ: أي ذو فظاظة جاف غليظ، في منطقه غلظ وخشونة"[5]

### في الشرع:

**قال أبو حيّان:** "الفظاظة قيل هي بمعنى غلظ القلب، وقيل هي الجفوة قولاً وفعلاً"[6]

**قال الفيروز آبادي:** "الفَظُّ: الغليظ الجانب، السيِّئ الخلق، القاسي الخشن الكلام"[7]

---

[1] التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص 253
[2] البحر المحيط لابن حيان (3/ 408)
[3] العين للخليل بن أحمد (8/ 153)، مختار الصحاح للرازي ص 241، المصباح المنير للفيومي (2/ 478)
[4] القاموس المحيط للفيروز آبادي ص 697
[5] لسان العرب لابن منظور (7/ 451)
[6] البحر المحيط لابن حبان (3/ 408)
[7] القاموس المحيط للفيروز آبادي ص 697




## حكم القسوة

عدّ **ابن حجر الهيتمي** قسوة القلب من الكبائر مستدلاً بما روي عنه ﷺ أنّه قال: "اطلبوا المعروف من رحماء أمّتي تعيشوا في أكنافهم، ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فإنّ اللّعنة تنزل عليهم"[1]، وبما ذكره **الخرائطي**: "ولا تطلبوها من القاسية قلوبهم فإنّهم ينتظرون سخطي"[2]، **قال ابن حجر**: "وعدّ هذا كبيرة هو صريح هذين الحديثين؛ لأنّ اللّعنة والسّخط من علامات الكبيرة لما فيها من الوعيد الشّديد"[3]

## أسباب القسوة

### 1. الغفلة عن ذكر الله ﷻ وتدبر القرآن، والتأمل في آياته الكونية:

قال ﷻ: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ طه: ١٢٤، **قال أبو السعود** في قوله ﷻ: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ الحشر: ٢١، أُريدَ به توبيخ الإنسانِ على قسوةِ قلبهِ، وعدمِ تخشعِهِ عندَ تلاوتِه، وقلةِ تدبرِه فيه"[4]

وقال ﷻ في الإعراض عن تدبر الآيات الكونية: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ الحج: ٤٦

[1] المستدرك على الصحيحين للحاكم (4/ 357)
[2] مكارم الأخلاق للخرائطي ص 189
[3] الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي (1/ 195)
[4] إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود (8/ 233)



### 2. كثرة المعاصي:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "إنَّ المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر، صقل قلبه، وإن زاد زادت، حتَّى يعلو قلبه ذاك الرَّان الذي ذكر الله ﷻ في القرآن: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ المطففين: ١٤"[1]، **قال المحاسبي**: "اعلم أنَّ الذنوب تورث الغفلة، والغفلة تورث القسوة، والقسوة تورث البعد من الله ﷻ، والبعد من الله ﷻ يورث النار، وإنَّما يتفكر في هذا الأحياء، وأما الأموات فقد أماتوا أنفسهم بحب الدنيا"[2]

### 3. التفريط في الفرائض وانتهاك المحرمات:

قال ﷻ: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴿١٣﴾ ﴾ المائدة: ١٣، وبيَّن ذلك بقوله ﷻ: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ ﴾ النساء: ١٥٥

### 4. الانشغال بالدنيا والانهماك في طلبها والمنافسة عليها:

عن أبي مسعود ﷺ عن النَّبي ﷺ قال: "وإنَّ القسوة وغلظ القلوب في الفدادين – حيث يطلع قرنا الشيطان – ربيعة ومضر"[3]، **قال الخطابي**: "إنَّما ذمهم لاشتغالهم بمعالجة ما هم فيه عن أمر دينهم، وذلك يفضي إلى قسوة القلب"[4]

---

[1] مسند أحمد (13/ 333)
[2] رسالة المسترشدين للمحاسبي ص 154 - 155
[3] رواه البخاري (7/ 53)
[4] فيض القدير للمناوي (4/ 462)

وقال ابن القيم: "متى رأيت القلب قد ترحل عنه حب الله عز وجل والاستعداد للقائه، وحلَّ فيه حب المخلوق، والرضا بالحياة الدنيا، والطمأنينة بها، فاعلم أنه قد خسف به"[1]

وقال في موضع آخر: "شغلوا قلوبهم بالدنيا، ولو شغلوها بالله والدار الآخرة، لجالت في معاني كلامه وآياته المشهودة، ورجعت إلى أصحابها بغرائب الحكم وطرف الفوائد. إذا غذي القلب بالتذكر، وسقي بالتفكر، ونقى من الدغل، رأى العجائب وألهم الحكمة، إذا زهدت القلوب في موائد الدنيا، قعدت على موائد الآخرة بين أهل تلك الدعوة، وإذا رضيت بموائد الدنيا فاتتها تلك الموائد"[2]

### 5. طول الأمل والتمني:

قال المناوي: "طول الأمل غرور وخداع، إذ لا ساعة من ساعات العمر إلا ويمكن فيها انقضاء الأجل، فلا معنى لطول الأمل المورث قسوة القلب، وتسليط الشيطان، وربما جرَّ إلى الطغيان"[3]

### 6. التوسع المذموم في المباحات:

فإنَّ قسوة القلب من أربعة أشياء إذا جاوزت قدر الحاجة، الأكل، والنوم، والكلام، والمخالطة، قال أبو سعيد الخادمي: "وفي كثرة النوم ضياع العمر، وفوت التهجد، وبلادة الطبع، وقسوة القلب، وفي كثرة الطعام، قسوة القلب"[4]

[1] بدائع الفوائد لابن القيم (3/ 224)
[2] الفوائد لابن القيم ص 98
[3] فيض القدير للمناوي (5/ 327)
[4] بريقه محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية لأبي سعيد الخادمي (4/ 97)

**قال الفضيل بن عياض:** "ثلاث خصال تقسي القلب: كثرة الأكل، وكثرة النوم، وكثرة الكلام"[1]، **قال أبو سليمان الداراني:** "إنَّ النفس إذا جاعت وعطشت، صفا القلب ورقَّ، وإذا شبعت ورويت، عمي القلبُ"[2]

### 7. كثرة مخالطة الناس في غير مصلحة:

**قال المناوي:** "مخالطة غير التقي، يخل بالدين، ويوقع في الشبه والمحظورات، إذ لا تخلو عن فساد، إمَّا بمتابعة في فعل، أو مسامحة في إغضاء عن منكر، فإن سلم من ذلك- ولا يكاد – فلا تخطئه فتنة الغير به"[3]

**وقال ابن القيم** ﷺ: "إن فضول المخالطة هي الداء العضال، الجالب لكلِّ شرٍّ، وكم سلبت المخالطة والمعاشرة من نعمة، وكم زرعت من عداوة، وكم غرست في القلب من حزازات، تزول الجبال الراسيات، وهي في القلوب لا تزول، ففضول المخالطة فيه خسارة الدنيا والآخرة، وإنما ينبغي للعبد أن يأخذ من المخالطة بمقدار الحاجة"[4]

### 8. عدم الرحمة بالخلق والإحسان إليهم:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء أعرابيٌّ إلى النَّبيّ ﷺ فقال: تقبِّلون الصِّبيان؟ فما نقبِّلهم، فقال النَّبيُّ ﷺ: "أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرَّحمة"[5]

**قال المناوي:** "لأنَّ الرحمة تتخطى إلى الإحسان إلى الغير، وكل من رحمته رقَّ قلبك له فأحسنت إليه، ومن لم يعط حظه من الرحمة غلظ قلبه وصار فظًّا، لا يرقُّ لأحد ولا لنفسه، فالشديد يشدُّ على نفسه ويعسر ويضيق، فهو من نفسه في تعب، والخلق منه في نصب، مكدوح الروح، مظلم الصدر، عابس الوجه، منكر الطلعة، ذاهبًا بنفسه،

---

1 طبقات الصوفية للسلمي ص 26
2 الجوع لابن أبي الدنيا ص 188
3 فيض القدير للمناوي (6/ 404)
4 بدائع الفوائد لابن القيم (2/ 273 – 274)
5 رواه البخاري (8/ 7)

تيهًا وعظمةً، سمين الكلام، عظيم النفاق، قليل الذكر لله وللدار الآخرة، فهو أهل لأن يسخط عليه، ويغاضبه ليعاقبه"[1]، وعن أنس بن مالك ﵁: قال: قال رسول الله ﷺ: "ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه، وهو يعلم به"[2]، **قال المناوي:** "المراد نفي الإيمان الكامل، وذلك لأنَّه يدل على قسوة قلبه، وكثرة شحه، وسقوط مروءته، وعظيم لؤمه، وخبث طويته"[3]

### 9. الكسل والفتور:

وقد استعاذ الرسول ﷺ من الكسل، كما في الحديث: "اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل"[4]، **قال المناوي:** "الكسل بالتحريك التقاعس عن النهوض إلى معاظم الأمور وكفايات الخطوب وتحمل المشاق والمتاعب في المجاهدة في الله ﷻ ولله ﷿ والفتور عن القيام بالطاعات الفرضية، والنفلية، الذي من ثمراته قسوة القلب"[5]

### 10. التعصب للرأي وكثرة الجدال:

قال ﷻ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ الجاثية: ٢٣، **قال الشافعي:** "المراء في العلم، يقسي القلوب، ويورث الضغائن"[6]

### 11. الابتداع في الدين:

قال ﷻ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ الأنعام: ١٥٣، وقال ﷻ:

---

[1] فيض القدير للمناوي (1/ 539)
[2] المعجم الكبير للطبراني (1/ 259)
[3] فيض القدير للمناوي (5/ 407)
[4] رواه البخاري (4/ 23)، رواه مسلم (4/ 2088)
[5] فيض القدير للمناوي (1/ 215)
[6] الاعتقاد للبيهقي ص 239



﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾ الصف: ٥،

وقال ﷻ: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾ هود: ١١٢، **قال السعدي**: "أمر نبيه محمدًا ﷺ، ومن معه، من المؤمنين، أن يستقيموا كما أمروا، فيسلكوا ما شرعه الله ﷻ من الشرائع، ويعتقدوا ما أخبر الله ﷻ به من العقائد الصحيحة، ولا يزيغوا عن ذلك يمنةً ولا يسرةً، ويدوموا على ذلك، ولا يطغوا بأن يتجاوزوا ما حده الله ﷻ لهم من الاستقامة"[1]

12. ظلم الضعفاء، وأكل المال الحرام، وعدم التورع عن الشبهات.

13. كبر النفس واحتقار الآخرين.

14. البعد عن الله ﷻ، فيعد الإيمان بالله ﷻ والقرب منه من أكثر الأمور التي ترقّق القلب وتلين طباع الإنسان، فتصبح دمعته قريبةً وقلبه خاشعاً ونفسه طيّبة، وفي المقابل نجد أنّ البعيدين عن منهج وشرع الله ﷻ يتسمون بالقوّة المفرطة السلبية والعنف والشدة.

15. حب الدنيا وتفضيلها على الآخرة.

16. الأفكار الدارجة والمنتشرة بالوراثة وبحكم طبيعة المجتمع التي تزرع في الإنسان ضرورة القسوة حتى يكون مهاباً وقوياً.

17. رفاق السوء الذين يغمسون الإنسان في أجواءَ سيئةٍ ويبعدونه عن الله ﷻ وعن حبّ الخير فيكون قضاء الوقت معهم فيما لا يليق.

---

[1] تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 390

18. التربية الخاطئة التي تقوم على أساس أن يكون الإنسان غليظ القلب ما دام رجلاً.

19. طبيعة البيئة التي تحيط بالإنسان، إذ تؤثر البيئات القاسية وذات الظروف المعيشية السيئة على طباع وطريقة تعامل الإنسان مع من هم حوله، والعكس صحيح.

20. عدم التفكير في الموت.

21. كثرة ارتكاب الذنوب والمعاصي والكبائر أحياناً.

22. هجر القرآن الكريم، وهو كلام الله عز وجل الذي يزلزل المشاعر من خلال الحديث عن قصص الأقوام السابقة والعذاب والثواب أيضاً، كما أنّ قارئ القرآن رقيق القلب، وفي المقابل فإنّ هاجره قاسٍ وكأن على قلبه غبارٌ فلا يحس ولا يلتفت لشيء.

## أعراض القسوة

لقسوة القلوب وموتها دلائلُ وعلاماتٌ تظهر على الشخص وتكون فيه، ونذكر منها ما يلي:

1. الأنانية وتفضيل الذات على الآخرين، والتصرّف فقط وفق الأهواء والمصالح الشخصية.

2. عدم فعل الطاعات والخيرات، إذ تطغى الدنيا وحبها على الآخرة لدى الإنسان.

3. أن يكون شيئاً عظيماً كالموت هيناً بسيطاً لا يهتز له.

4. عدم الخشوع عند سماع القرآن وعدم الاتعاظ من تحذيره ونواهيه أو الخوف من الله عز وجل وعقابه وعذابه. الامتناع عن تقديم أي معونةٍ أو مساعدةٍ للغير كالفقراء والمحتاجين والأيتام وغيرهم.





## آثار القسوة

قال ابن القيم رضي الله عنه: "سبحانه وتعالى الذي جعل بعض القلوب مخبتًا إليه، وبعضها قاسيًا، وجعل للقسوة آثارًا، وللإخباب آثارًا، فمن آثار القسوة:

1. تحريف الكلم عن مواضعه، وذلك من سوء الفهم، وسوء القصد وكلاهما ناشئ عن قسوة القلب.

2. نسيان ما ذكر به، وهو ترك ما أمر به علمًا وعملًا"[1]

قال سبحانه وتعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴿١٣﴾ ﴾ المائدة: ١٣

3. زوال النعم ونزول المصائب والنقم والهلاك:

قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ الأنعام: ٤٢ - ٤٤

﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ أي: استحجرت فلا تلين للحق، ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ فظنوا أنَّ ما هم عليه دين الحق، فتمتعوا في باطلهم برهة من الزمان، ولعب بعقولهم الشيطان، ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ من

[1] شفاء العليل لابن القيم ص 106




الدنيا ولذاتها وغفلاتها، ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴾ أي: آيسون من كل خير، وهذا أشد ما يكون من العذاب، أن يؤخذوا على غرة، وغفلة وطمأنينة، ليكون أشد لعقوبتهم، وأعظم لمصيبتهم"[1]

"فمعنى قوله: ﴿ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ ﴾ أنه لم يكن فيها لين يوجب التضرع، ولم ينزجروا وإنما ابتلوا به ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ أي: من الشرك، فالاستدراك على المعنى لبيان الصارف لهم عن التضرع، وأنه لا مانع لهم إلا قساوة قلوبهم، وإعجابهم بأعمالهم المزينة لهم"[2]

4. **القلب القاسي أضعف القلوب إيمانًا**، وأسرعها قبولًا للشبهات، والوقوع في الفتنة والضلال، قال ﷻ: ﴿ لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٣﴾ ﴾ الحج: ٥٣، فمعنى قوله: ﴿ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡ ﴾ أي: الغليظة، التي لا يؤثر فيها زجر ولا تذكير، ولا تفهم عن الله ﷻ وعن رسوله ﷺ لقسوتها، فإذا سمعوا ما ألقاه الشيطان، جعلوه حجة لهم على باطلهم، وجادلوا به وشاقوا الله ﷻ ورسوله ﷺ، ولهذا قال: ﴿ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴾ أي: مشاقة لله ﷻ، ومعاندة للحق، ومخالفة له، بعيد من الصواب، فما يلقيه الشيطان، يكون فتنة لهؤلاء الطائفتين، فيظهر به ما في قلوبهم، من الخبث الكامن فيها"[3]

---
[1] تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 256
[2] محاسن التأويل للقاسمي (4/ 359)
[3] تيسر الكريم الرحمن للسعدي ص 542



5. سبب في الضلال، واستحقاق لعنة الله ﷻ، وسخطه، وعقابه:

قال سبحانه وتعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ الزمر: ٢٢

"قوله: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ أي: لا تلين لكتابه، ولا تتذكر آياته، ولا تطمئن بذكره سبحانه وتعالى، بل هي معرضة عن ربها ﷻ، ملتفتة إلى غيره، فهؤلاء لهم الويل الشديد، والشرُّ الكبير، ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ وأيُّ ضلال أعظم من ضلال من أعرض عن وليّه، ومَن كلُّ السعادة في الإقبال عليه، وقسا قلبه عن ذكره، وأقبل على كلِّ ما يضرُّه؟!"[1]

6. الفتور عن الطاعة، والوقوع في المحرمات، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

7. الوحشة، والخوف الدائم، وعبوس الوجه، والكآبة.

8. التنافر بين القلوب، وشيوع الكراهية والبغضاء، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ آل عمران: ١٥٩، والفظاظة تنفر الأصحاب والجلساء، وتفرق الجموع.

9. غلظة القلب من علامة الشقاوة في الدنيا والآخرة.

10. قسوة القلب، والغلظة، والفظاظة، من صفات الظلمة المتكبرين.

11. قسوة القلب، والغلظة، والفظاظة، سبب في دخول النار، فعن حارثة بن وهب رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال: "أهل النار كلُّ جواظٍ عتلٍ مستكبرٍ"[2]

[1] تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 722
[2] رواه البخاري (8/ 134)




## الفرق بين الغلظة والفظاظة والقسوة والصفات الأخرى

### 1. الفرق بين الغِلْظَة والفَظَاظَة:

يري البعض أنَّهما بمعنى واحد، كما قال العز بن عبد السلام[1]

ويرى آخرون أنَّهما يختلفان من وجوه:

أنَّ الفظاظة في القول، والغلظة في الفعل، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما[2]

الفظ: هو سيئ الخلق، وغليظ القلب: هو الذي لا يتأثر قلبه عن شيء[3]

الفظاظة خشونة القلب، والغلظة قسوة القلب[4]

### 2. الفرق بين القَسْوة والصَّلابة:

"الفرق بين القسوة والصلابة: أن القسوة تستعمل فيما لا يقبل العلاج، ولهذا يوصف بها القلب، وإن لم يكن صلبًا"[5]

### 3. الفرق بين القَسْوة والصَّبر:

**قال ابن القيم** ﷺ: "الفرق بين الصبر والقسوة: أنَّ الصبر خلقٌ كسبي يتخلق به العبد، وهو: حبس النفس عن الجزع، والهلع، والتشكي، فيحبس النفس عن التسخط، واللسان عن الشكوى، والجوارح عما لا ينبغي فعله، وهو ثبات القلب على الأحكام القدريَّة والشرعيَّة، وأما القسوة: فيبس في القلب يمنعه من الانفعال، وغلظة تمنعه من التأثير بالنوازل، فلا يتأثر لغلظته وقساوته لا لصبره واحتماله"[6]

[1] تفسير ابن عبد السلام ص 697
[2] زاد المسير لابن الجوزي ص 340
[3] مفاتيح الغيب للرازي (9/ 407)
[4] طلبة الطلبة لنجم الدين النسفي ص 132
[5] معجم الفروق اللغوية للعسكري ص 429
[6] الروح لابن القيم ص 241



## ما يباح من القسوة والغلظة والفظاظة

**قال الغزالي:** "قال سفيان لأصحابه: "تدرون ما الرفق؟ قالوا: قل يا أبا محمد، قال: أن تضع الأمور في مواضعها: الشدة في مواضعها، واللين في موضعه، والسيف في موضعه، والسوط في موضعه؛ وهذه إشارة إلى أنه لا بد من مزج الغلظة باللين والفظاظة بالرفق"[1]

**وقال الجاحظ:** "القساوة مكروهة من كل أحد، إلا من الجند وأصحاب السلاح، والمتولين للحروب؛ فإنَّ ذلك غير مكروه منهم إذا كان في موضعه"[2]

وهذه المواطن التي يباح فيها القسوة، والغلظة، والفظاظة، تخضع لقاعدة مراعاة المصالح والمفاسد.

لذا فلا يظننَّ أحد، أنَّه إذا وجدت تلك الأحوال أو بعضها، شرع في استخدام الشدة والقسوة في الدعوة، من غير النظر إلى العواقب والنتائج، بل يجب مراعاة ما يتوقع حدوثه عند استخدام الشدة والقسوة، فإن تأكد لديه أنَّ لجوءه إلى الشدة سيكون سبب حدوث منكر، أعظم من المنكر الذي أراد إزالته، أو ترك معروف أهم منه، فليس له أن يلجأ إليها آنذاك[3]، والكلام وإن كان عن الدعوة، فإنه عام في جميع الأحوال.

**ومن المواطن التي تباح فيها القسوة، والغلظة، والفظاظة:**

### 1. في الجهاد:

جاء في قصة الحديبية حينما قال عروة بن مسعود الثقفي للرسول ﷺ: "فإني والله لأرى وجوهًا، وإني لأرى أوشابًا من الناس خليقًا أن يفرُّوا ويدعوك، فقال له أبو بكر

---

[1] إحياء علوم الدين للغزالي (3/ 186)
[2] تهذيب الأخلاق للجاحظ ص 30
[3] مراعاة أحوال المخاطبين، د. فضل إلهي ظهير ص 180




ﷺ: امصص بظر اللات، أنحن نفر عنه وندعه، فقال: من ذا؟ قالوا: أبو بكر، قال: أما والذي نفسي بيده، لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها، لأجبتك"[1]

تناول عروة بن مسعودٍ الثقفي لحية رسول الله ﷺ والمغيرة بن شعبة واقفٌ على رأس رسول الله ﷺ في الحديد –أي لابس سلاح المقاتل من درع ونحوه– قال: فقرع يده، ثم قال: أمسك يدك عن لحية رسول الله ﷺ قبل– والله– لا تصل إليك، قال: ويحك! ما أفظك وأغلظك"[2]

## 2. مجادلة الظالم المتعد من أهل الكتاب:

قال ﷻ: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ العنكبوت: ٤٦، وقوله: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ ﴾ استثناء من الذين يجادلون بالتي هي أحسن، أي: ناقشوهم وأرشدوهم إلى الحق بالتي هي أحسن، إلا الذين ظلموا منهم، بأن أساءوا إليكم، ولم يستعملوا الأدب في جدالهم، فقابلوهم بما يليق بحالهم من الإغلاظ والتأديب، وعلى هذا التفسير يكون المقصود بالآية الكريمة، دعوة المؤمنين إلى استعمال الطريقة الحسنى في مجادلتهم لأهل الكتاب عموماً، ما عدا الظالمين منهم، فعلى المؤمنين أن يعاملوهم بالأسلوب المناسب لردعهم وزجرهم وتأديبهم"[3]

## 3. عند إقامة الحدود:

قال ﷻ في حق الزناة: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ ﴿٢﴾ ﴾ النور: ٢، **يقول الطبري**: "يقول ﷻ: لا تأخذكم بالزاني

[1] رواه البخاري (3/ 193)
[2] رواه البخاري (3/ 193)
[3] التفسير الوسيط للطنطاوي (11/ 45)



والزانية أيها المؤمنون رأفة، وهي رقة الرحمة في دِينِ اللَّهِ ﷻ، يعني في طاعة الله ﷻ فيما أمركم به من إقامة الحد عليهما على ما ألزمكم به"[1]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "والله ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى إليه قط حتى تنتهك حرمات الله فينتقم لله"[2]

4. عند ظهور العناد والاستهزاء بالدين.

5. عند بدور مخالفة الشرع لدى من لا يتوقع منه ذلك، كما في حديث شفاعة أسامة في المرأة المخزومية التي سرقت: "فكلم فيها أسامة بن زيدٍ رسول الله ﷺ، فتلوَّن وجه رسول الله ﷺ فقال: أتشفع في حد من حدود الله؟! فقال له أسامة: استغفر لي يا رسول الله"[3]

## علامات القسوة والغلظة والفظاظة

### 1. عدم التأثر بالقرآن الكريم:

قال ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٢٣ ﴾ الزمر: ٢٣، يقول ابن كثير: "هذه صفة الأبرار، عند سماع كلام الجبار، المهيمن العزيز الغفار، لما يفهمون منه من الوعد والوعيد، والتخويف والتهديد، تقشعر منه جلودهم من الخشية والخوف، ﴿ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾ لما يرجون ويؤملون من رحمته ولطفه، فهم مخالفون لغيرهم من الكفار من وجوه:

---

[1] جامع البيان للطبري (17/ 139)
[2] رواه البخاري (8/ 160)
[3] رواه البخاري (4/ 175)، رواه مسلم (3/ 1315)




أحدها: أن سماع هؤلاء هو تلاوة الآيات، وسماع أولئك نغمات لأبيات، من أصوات القينات.

الثاني: أنهم إذا تليت عليهم آيات الرحمن خروا سجدًا وبكيًّا، بأدب وخشية، ورجاء ومحبة، وفهم وعلم، كما قال: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ الأنفال: ٢ - ٤، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ ﴾ الفرقان: ٧٣، أي: لم يكونوا عند سماعها متشاغلين لاهين عنها، بل مصغين إليها، فاهمين بصيرين بمعانيها؛ فلهذا إنما يعملون بها، ويسجدون عندها عن بصيرة لا عن جهل ومتابعة لغيرهم أي يرون غيرهم قد سجد فيسجدون تبعًا له.

الثالث: أنهم يلزمون الأدب عند سماعها، كما كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عند سماعهم كلام الله عَزَّ وَجَلَّ من تلاوة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تقشعر جلودهم، ثم تلين مع قلوبهم إلى ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ، لم يكونوا يتصارخون ولا يتكلفون ما ليس فيهم، بل عندهم من الثبات والسكون والأدب والخشية ما لا يلحقهم أحد في ذلك؛ ولهذا فازوا بالقدح المعلى في الدنيا والآخرة"[1]

## 2. جمود العين وقلة دمعها من خشية الله عَزَّ وَجَلَّ:

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مادحًا المؤمنين من أهل الكتاب: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ

[1] تفسير القرآن العظيم لابن كثير (7/ 94)



ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ المائدة: ٨٣، قال ابن القيم ﷺ: "متى أقحطت العين من البكاء من خشية الله ﷻ، فاعلم أنَّ قحطها من قسوة القلب، وأبعد القلوب من الله القلب القاسي"[1]

### 3. عدم الاعتبار بالموت والضحك عند القبور:

قال الغزالي: "الآن لا ننظر إلى جماعة يحضرون جنازة إلا وأكثرهم يضحكون، ويلهون، ولا يتكلمون إلا في ميراثه، وما خلفه لورثته، ولا يتفكر أقرانه وأقاربه إلا في الحيلة التي بها يتناول بعض ما خلفه، ولا يتفكر واحد منهم إلا ما شاء الله في جنازة نفسه، وفي حاله إذا حمل عليها، ولا سبب لهذه الغفلة إلا قسوة القلوب، بكثرة المعاصي والذنوب، حتى نسينا الله ﷻ واليوم الآخر، والأهوال التي بين أيدينا، فصرنا نلهو، ونغفل، ونشتغل بما لا يعنينا"[2]

### 4. الكبر وعدم قبول الحق:

عن حارثة بن وهب ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: "أهل النار كل جواظٍ عتلٍ مستكبرٍ"[3]

قال المناوي: "إذ القلب القاسي لا يقبل الحق، وإن كثرت دلائله"[4]

### 5- عدم الاهتمام بما يصيب الآخرين من أذى والسعادة بذلك:

قال الجاحظ: "القساوة: هي التهاون بما يلحق الغير من الألم والأذى"[5]

## مضار القسوة والغلظة والفظاظة

"1. القسوة تذهب اللّين والرّحمة والخشوع من القلب.

[1] بدائع الفوائد لابن القيم (3/ 224)
[2] إحياء علوم الدين للغزالي (4/ 484)
[3] رواه البخاري (8/ 134)
[4] فيض القدير للمناوي (1/ 93)
[5] تهذيب الأخلاق للجاحظ ص 30

www.alukah.net


2. أنّ صاحب القلب القاسي بعيد من الله ﷻ بعيد من النّاس.

3. القسوة تزيل النّعم وتحلّ النّقم.

4. في الفظاظة وغلظ القلب مع المسلمين ما يؤدّي إلى تفرّق كلمتهم وطمع العدوّ فيهم.

5. الفظاظة والغلظة تؤدّيان- خاصّة في مجال الدّعوة إلى الله ﷻ- إلى انصراف النّاس عن الدّاعية، ونفورهم منه"[1]

## علاج القسوة والغلظة والفظاظة

**قال ابن القيم** رحمه الله: "القلب يمرض كما يمرض البدن، وشفاؤه في التوبة، والحمية، ويصدأ كما تصدأ المرآة، وجلاؤه بالذكر، ويعري كما يعري الجسم وزينته التقوى، ويجوع ويظمأ كما يجوع البدن، وطعامه وشرابه المعرفة والمحبة، والتوكل، والإنابة، والخدمة"[2]

ومن هذه الوسائل العلاجية ما يأتي:

1. الحرص على ذكر الله ﷻ، والالتجاء إلى الله ﷻ دائما بالذكر والسؤال.

2. المحافظة على الفرائض التي كتبها الله ﷻ على عباده، والإكثار من نوافل الطاعات والعبادات.

3. البعد عن الكسب الخبيث، والحرص على الكسب الطيب الحلال.

4. الإكثار من التوبة والاستغفار، قال ﷻ: ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ

[1] نظرة النعيم (11/ 5328)
[2] الفوائد لابن القيم ص 98



شبكة الألوكة - قسم الكتب

(٥٣) ﴾ الزمر: ٥٣، وعن أبي هريرة ﷺ عن النَّبي ﷺ فيما يحكي عن ربه ﷻ قال: "أذنب عبد ذنبًا فقال: اللهم اغفر لي ذنبي، فقال ﷻ: أذنب عبدي ذنبًا فعلم أنَّ له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال ﷻ: عبدي أذنب ذنبًا فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال ﷻ: أذنب عبدي ذنبًا فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، اعمل ما شئت فقد غفرت لك"[1]، **قال ابن رجب الحنبلي:** "والمعنى: ما دام على هذا الحال كلَّما أذنب استغفر، والظاهر أنَّ مرادهُ الاستغفارُ المقرون بعدم الإصرار"[2]

**قال العظيم آبادي:** "إنَّ القلب إنَّما خلق لأن يتخشع لبارئه، وينشرح لذلك الصدر، ويقذف النور فيه، فإذا لم يكن كذلك كان قاسيًا، فيجب أن يستعاذ منه، قال ﷻ: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ (٢٢) ﴾ الزمر: ٢٢ "[3]

5. الاتعاظ بأهل البلاء من المرضى والمحتضرين.
6. التقرّب من الله ﷻ بالخيرات والإيمان والأعمال الصالحة.
7. التردّد على حلقات الذكر وسماع قصص الدين وأحكامه.
8. مساعدة الفقراء والمحتاجين.
9. قراءة القرآن بتفكرٍ وتأملٍ وتدبر معانيها ومدلولاتها.
10. جعل الموت نصب العينين، وتذكره طوال الوقت إذ يعدّ رادعاً ومليّناً لقسوة القلوب.

[1] رواه مسلم (4/ 2112)
[2] جامع العلوم والحكم لابن رجب (3/ 1165)
[3] عون المعبود للعظيم آبادي (4/ 285)




11. الدعاء، قال ﷻ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ البقرة: ١٨٦، قال ابن القيم: "قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إِنِّي لا أحمل هم الإجابة، ولكن هم الدعاء، فإذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه وعلى قدر نية العبد وهمته ومراده ورغبته في ذلك، يكون توفيقه ﷻ، وإعانته، فالمعونة من الله ﷻ تنزل على العباد على قدر هممهم، وثباتهم، ورغبتهم، ورهبتهم، والخذلان ينزل عليهم على حسب ذلك، فالله ﷻ أحكم الحاكمين، وأعلم العالمين، يضع التوفيق في مواضعه اللائقة به، والخذلان في مواضعه اللائقة به، هو العليم الحكيم، وما أُتي من أُتي إلا من قبل إضاعة الشكر، وإهمال الافتقار، والدعاء، ولا ظفر من ظفر بمشيئة الله وعونه، إلا بقيامه بالشكر، وصدق الافتقار، والدعاء، وملاك ذلك الصبر"[1]

12. الإكثار من ذكر الله ﷻ، قال ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ الرعد: ٢٨

13. الإكثار من ذكر الموت وزيارة القبور لما فيها من التذكير بالآخرة، وأخذ العبرة من الدنيا وتغيير أحوالها، فعن سعيد بن جبير رضي الله عنه قال: "لو فارق ذكر الموت قلبي خشيت أن يفسد عليَّ قلبي"[2]

قال المناوي: "من أعظم أدوية قسوة القلوب، زيارة القبور، وتأمل حال المقبور، وما بعده من البعث والنشور، الباعث على ذكر هاذم اللذات، ومفرق الجماعات، وكذا مشاهدة المحتضرين، وتغسيل الموتى والصلاة على الجنائز، فإن في ذلك موعظة بليغة"[3]

[1] الفوائد لابن القيم ص 97
[2] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (4/ 279)
[3] فيض القدير للمناوي (1/ 545)



14. مصاحبة الصالحين، ومجالستهم، وقراءة سير السلف الصالح، قال ﷻ:

﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨ ﴾ الكهف: ٢٨

15. الاعتبار بقصص أهل القسوة، والغلظة، والفظاظة، وتجنب قراءة كتب أهل البدع والفجور.

www.alukah.net



# المـرض العـشـرون
# الـكبـر

## تعريف الكبر

### في اللغة:

"الكبر: العظمة والتجبر، كالكبرياء، وقد تكبر واستكبر وتكابر، وقيل: تكبر من الكبر، وتكابر من السن، والتكبر والاستكبار: التعظم، والكِبْر بالكسر: اسم من التكبر"[1]

**قال ابن فارس:** "ومن الباب الكبر وهو الهرم، والكبر: العظمة، وكذلك الكبرياء، يقال: ورثوا المجد كابرا عن كابر، أي كبيراً عن كبير في الشّرف والعزّ، وأكبرت الشّيء استعظمته، والتّكبّر والاستكبار: التّعظّم، وكبر الشّيء معظمه، قال ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ ﴿١١﴾ ﴾ النور: ١١،أي معظم أمره"[2]

**قال ابن منظور:** "الكبر بالكسر: الكبرياء، والكبر العظمة والتّجبّر، وقيل: الرّفعة في الشّرف، وقيل: هي عبارة عن كمال الذّات ولا يوصف بها إلّا الله ﷻ.

يقال: تكبّر، واستكبر، وتكابر. وقيل: تكبّر: من الكبر وتكابر من السّنّ، والتكبّر والاستكبار: التّعظّم، وقوله ﷻ: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴿١٤٦﴾ ﴾ الأعراف: ١٤٦، **قال الزّجّاج:** "أي أجعل جزاءهم الإضلال عن

[1] تاج العروس للزبيدي (14/ 8)، المصباح المنير للفيومي (2/ 523)
[2] مقاييس اللغة لابن فارس (5/ 154)




شبكة الألوكة - قسم الكتب

هداية آياتي، ومعنى ﴿يَتَكَبَّرُونَ﴾ أي أنّهم يرون أنّهم أفضل الخلق، وأنّ لهم من الحقّ ما ليس لغيرهم، وهذه الصّفة لا تكون إلّا لله ﷻ خاصّة، لأنّ الله ﷻ هو الّذي له القدرة والفضل الّذي ليس لأحد مثله"[1][2]

## في الشرع:

**قال الزَّبيدي:** "الكِبْر: حالةٌ يتخصَّص بها الإنسان من إعجابه بنفسه، وأن يرى نفسَه أَكْبَرَ من غيره"[3]

**قال الجاحظ:** "الكِبْر هو: استعظام الإنسان نفسه، واستحسان ما فيه من الفضائل، والاستهانة بالناس، واستصغارهم، والترفع على من يجب التواضع له"[4]

**قال الغزالي:** " هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير"[5]

**قال الفيروز آبادي:** "الكِبْر هو حالة يتخصّص بها الإِنسان من إِعجابه بنفسه، وأَن يرى نفسه أَكبر من غيره"[6]

**قال التهانوي:** "هو جهل الإنسان بنفسه وإنزالها فوق منزلتها، أمّا المكابرة، فهي المنازعة لا لإظهار الصّواب ولا لإلزام الخصم"[7]

**قال الكفويّ:** "التّكبّر: هو أن يرى المرء نفسه أكبر من غيره، والاستكبار طلب ذلك التّشبّع وهو التّزيّن بأكثر ممّا عنده"[8]

[1] معاني القرآن وإعرابه للزجاج (2/ 376)
[2] لسان العرب لابن منظور (5/ 129 – 130)
[3] تاج العروس للزبيدي (14/ 9)
[4] تهذيب الأخلاق للجاحظ ص 32
[5] إحياء علوم الدين للغزالي (3/ 353)
[6] بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي (4/ 325)
[7] كشف اصطلاحات الفنون العلوم للتهانوي (2/ 1358)
[8] الكليات للكفوي ص 28

## حكم الكبر

إن من الكِبْر ما يكون كفرًا أكبر مخرجًا من الملة، يستحق صاحبه الخلود في النار، ومنه ما يكون صاحبه مرتكبًا لكبيرة من الكبائر يستحق العقوبة، ومع ذلك هو تحت مشيئة الله ﷻ إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، **يقول أبو العباس القرطبي**: "لما تقرَّر أنَّ الكِبْر يستدعي متكبرًا عليه، فالمتكبر عليه: إنْ كان هو اللهَ ﷻ، أو رُسُلَهُ، أو الحَقَّ الذي جاءتْ به رسلُهُ: فذلك الكِبْر كُفْر، وإن كان غَيْرَ ذلك: فذلك الكِبْر معصيةٌ وكبيرة، يُخَاف على المتلبِّس بها المصِرِّ عليها أنْ تُفْضِيَ به إلى الكُفْر، فلا يدخُل الجنَّة أبدًا، فإن سَلِم مِنْ ذلك، ونفَذ عليه الوعيد، عوقِبَ بالإذلالِ والصَّغار، أو بما شاء الله مِنْ عذاب النار، حتَّى لا يبقى في قلبه مِن ذلك الكِبر مثقالُ ذَرَّه، وخَلُص من خَبَث كِبره حتى يصيرَ كالذَّرَّه؛ فحينئذ يتداركُهُ الله ﷻ برحمتِه، ويخلِّصه بإيمانه وبركته، وقد نصَّ على هذا المعنى النَّبي ﷺ في المحبوسين على الصِّرَاط لما قال: "حتَّى إِذَا هُذِّبُوا ونُقُّوا، أُذِن لهم في دُخُول الجنَّة[1]"[2]

**قال ابن عثيمين**: "فالذي في قلبه كبر، إمَّا أن يكون كبرًا عن الحق وكراهة له، فهذا كافر مخلد في النار ولا يدخل الجنة، لقوله ﷻ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ ﴾ محمد: ٩، ولا يحبط العمل إلا بالكفر لقوله ﷻ: ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾ البقرة: ٢١٧، وأمَّا إذا كان كبرًا على الخلق وتعاظمًا على الخلق، لكنه لم يستكبر عن عبادة الله

[1] رواه البخاري (8/ 111)
[2] المفهم للقرطبي (1/ 288)

ﷻ، فهذا لا يدخل الجنة دخولًا كاملًا مطلقًا، لم يسبق بعذاب، بل لابد من عذاب على ما حصل من كبره وعلوائه على الخلق، ثم إذا طهر دخل الجنة"[1]

**قال الذهبي:** "وأشرّ الكبر من يتكبّر على العباد بعلمه فإنّ هذا لم ينفعه علمه، ومن طلب العلم للفخر والرّياسة، وبطر على المسلمين، وتحامق عليهم وازدراهم، فهذا من أكبر الكبر، ولا يدخل الجنّة من كان في قلبه مثقال ذرّة من كبر"[2]، وقد عدّه **ابن حجر الهيتمي** أيضاً من الكبائر وجعل معه العجب والخيلاء[3]

## أسباب الكبر

"الكِبْر الظاهر أسبابه ثلاثة:

1. **سبب في المتكبر:** وهو العجب، فهو يورث الكِبْر الباطن، والكِبْر يثمر التكبر الظاهر في الأعمال، والأقوال، والأحوال.

2. **وسبب في المتكبر عليه:** وهو الحقد والحسد، فأما الحقد فإنه يحمل على التكبر من غير عجب، كالذي يتكبر على من يرى أنه مثله، أو فوقه، ولكن قد غضب عليه بسبب سبق منه، فأورثه الغضب حقدًا، ورسخ في قلبه بغضه فهو لذلك لا تطاوعه نفسه أن يتواضع له، وإن كان عنده مستحقًّا للتواضع، فكم من رذل لا تطاوعه نفسه على التواضع لواحد من الأكابر؛ لحقده عليه، أو بغضه له، ويحمله ذلك على ردِّ الحق إذا جاء من جهته، وعلى الأنفة من قبول نصحه، وعلى أن يجتهد في التقدم عليه، وإن علم أنه لا يستحق ذلك، وعلى أن لا يستحله وإن ظلمه، فلا يعتذر إليه وإن جنى عليه، ولا يسأله عما هو جاهل به، وأما الحسد فإنه أيضًا يوجب البغض للمحسود، وإن لم يكن من جهته إيذاء وسبب يقتضي الغضب والحقد، ويدعو

---

1 شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (3/ 542)
2 الكبائر للذهبي ص 78
3 انظر الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي (1/ 118)

الحسد أيضًا إلى جحد الحق، حتى يمنع من قبول النصيحة وتعلم العلم، فكم من جاهل يشتاق إلى العلم، وقد بقي في رذيلة الجهل؛ لاستنكافه أن يستفيد من واحد من أهل بلده أو أقاربه حسدًا وبغيًا عليه، فهو يعرض عنه، ويتكبر عليه، مع معرفته بأنه يستحق التواضع بفضل علمه، ولكن الحسد يبعثه على أن يعامله بأخلاق المتكبرين، وإن كان في باطنه ليس يرى نفسه فوقه.

3. **وسبب فيما يتعلق بغيرهما:** وهو الرياء، فهو أيضًا يدعو إلى أخلاق المتكبرين حتى إن الرجل ليناظر من يعلم أنه أفضل منه، وليس بينه وبينه معرفة، ولا محاسدة، ولا حقد، ولكن يمتنع من قبول الحق منه، ولا يتواضع له في الاستفادة، خيفة من أن يقول الناس إنه أفضل منه، فيكون باعثه على التكبر عليه الرياء المجرد، ولو خلا معه بنفسه لكان لا يتكبر عليه.

وأما الذي يتكبر بالعجب، أو الحسد، أو الحقد، فإنه يتكبر أيضًا عند الخلوة به، مهما لم يكن معهما ثالث، وكذلك قد ينتمي إلى نسب شريف كاذبًا، وهو يعلم أنه كاذب، ثم يتكبر به على من ليس ينتسب إلى ذلك النسب، ويترفع عليه في المجالس، ويتقدم عليه في الطريق، ولا يرضى بمساواته في الكرامة، والتوقير، وهو عالم باطنًا، بأنَّه لا يستحق ذلك، ولا كبر في باطنه لمعرفته بأنه كاذب في دعوى النسب، ولكن يحمله الرياء على أفعال المتكبرين، وكأنَّ اسم المتكبر إنَّما يطلق في الأكثر على من يفعل هذه الأفعال عن كبر في الباطن، صادر عن العجب والنظر إلى الغير، بعين الاحتقار، وهو إن سمي متكبرًا، فلأجل التشبه بأفعال الكِبْر، فتصير الأسباب بهذا الاعتبار أربعة: العجب، والحقد، والحسد، والرياء"[1]

[1] إحياء علوم الدين للغزالي (3/ 353 -354)



## مظاهر الكبر

"هناك مظاهر وسمات تظهر على المتكبر، في صفاته، وحركاته، وسكناته، تدل على ما وصل إليه من الكِبْر والعجب بالنفس، والازدراء للآخرين، ومن ذلك:

### 1. أن يحب قيام الناس له أو بين يديه:

قال علي رضي الله عنه: "من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل النار، فلينظر إلى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام"، وقال أنس رضي الله عنه: "لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له، لما يعلمون من كراهته لذلك"[1]

### 2. ألا يمشي إلا ومعه غيره يمشي خلفه:

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: "لا يزال العبد يزداد من الله بعدًا، ما مشي خلفه"[2]، وكان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه لا يُعرف من عبيده، إذ كان لا يتميز عنهم في صورة ظاهرة.

ومشى قوم خلف الحسن البصري رضي الله عنه، فمنعهم وقال: "ما يبقي هذا من قلب العبد"

### 3. ألا يزور غيره وإن كان يحصل من زيارته خير لغيره في الدين:

روي أن سفيان الثوري رضي الله عنه قدم الرملة، فبعث إليه **إبراهيم بن أدهم** رضي الله عنه: أن تعالَ فحدِّثنا، فجاء سفيان رضي الله عنه، فقيل له: يا أبا إسحاق، تبعث إليه بمثل هذا؟ فقال: "أردت أن أنظر كيف تواضعه"

### 4. أن يستنكف من جلوس غيره بالقرب منه، إلا أن يجلس بين يديه:

**قال ابن وهب** رضي الله عنه: "جلست إلى عبد العزيز بن أبي رواد، فمس فخذي فخذه، فنحيت نفسي عنه، فأخذ ثيابي فجرَّني إلى نفسه، وقال لي: لم تفعلون بي ما تفعلون بالجبابرة؟ وإني لا أعرف رجلًا منكم شرًّا مني"، وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: "كانت

[1] سنن الترمذي (5/ 90)
[2] الزهد والرقائق لابن المبارك ص 132، تاريخ دمشق لابن عساكر (72/ 276)




الوليدة من ولائد المدينة تأخذ بيد رسول الله ﷺ؛ فلا ينزع يده منها حتى تذهب به حيث تشاء"[1]

### 5. أن يتوقى من مجالسة المرضى والمعلولين ويتحاشى عنهم:

"دخل رجل وعليه جدري قد تقشر على رسول الله ﷺ، وعنده ناس من أصحابه يأكلون، فما جلس إلى أحد إلا قام من جنبه، فأجلسه النَّبي ﷺ إلى جنبه"[2]

وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لا يحبس عن طعامه مجذومًا، ولا أبرص، ولا مبتلى، إلا أقعدهم على مائدته"[3]

### 6. ألا يتعاطى بيده شغلًا في بيته:

رُوي أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أتاه ليلة ضيف، وكان يكتب، فكاد السراج يطفأ، فقال الضيف: أقوم إلى المصباح فأصلحه، فقال: ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه، قال: أفأنبه الغلام؟ فقال: هي أول نومة نامها، فقام وأخذ البطة، وملأ المصباح زيتًا، فقال الضيف: قمت أنت بنفسك يا أمير المؤمنين؟ فقال: ذهبت وأنا عمر، ورجعت وأنا عمر، ما نقص مني شيء، وخير الناس من كان عند الله متواضعًا"

**7. ألا يأخذ متاعه ويحمله إلى بيته، وهو خلاف عادة المتواضعين**، وكان رسول الله ﷺ يفعل ذلك.

وقال علي رضي الله عنه: "لا ينقص الرجل الكامل من كماله، ما حمل من شيء إلى عياله"

"وكان أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه –وهو أمير– يحمل سطلًا له من خشب إلى الحمام"

### 8. أن يميز في إجابة الدعوة بين الغني، والفقير:

فتراه يسارع في إجابة دعوة الغني إذا دعاه، ويستنكف من إجابة دعوة الفقير"[4]

---

[1] مسند أحمد (20/ 178)
[2] مصنف ابن أبي شيبة (8/ 130)
[3] الزهد لابن المبارك ص 611، الجوع لابن أبي الدنيا في ص 56
[4] إحياء علوم الدين للغزالي (3/ 354 – 355)



## آثار الكبر

### 1. الحرمان من النظر والاعتبار:

أي أنَّ الأثر الأول الذي يتركه التكبر على المسلم إنما هو الحرمان من النظر والاعتبار، ومن حرم النظر والاعتبار، كانت عاقبته البوار والخسران المبين؛ لأنه سيبقى مقيمًا على عيوبه وأخطائه، غارقًا في أوحاله، حتى تنتهي الحياة.

### 2. القلق والاضطراب النفسي:

ذلك أن المتكبر يحبُّ إشباعًا لرغبة الترفع والتعالي، أن يحني الناس رؤوسهم له، وأن يكونوا دومًا في ركابه، ولأنَّ أعزة الناس وكرامهم يأبون ذلك، بل ليسوا مستعدين له أصلًا، فإنه يصاب بخيبة أمل، تكون عاقبتها القلق والاضطراب النفسي، هذا فضلًا عن أن اشتغال هذا المتكبر بنفسه يجعله في إعراض تام عن معرفة الله وذكره، وذلك له عواقب أدناها في هذه الدنيا القلق والاضطراب النفسي.

### 3. الملازمة للعيوب والنقائص:

وذلك أن المتكبر لظنه أنَّه بلغ الكمال في كلِّ شيء لا يفتش في نفسه، حتى يعرف أبعادها ومعالمها، فيصلح ما هو في حاجة منها إلى إصلاح، ولا يقبل كذلك نصحًا أو توجيهًا أو إرشادًا من الآخرين، ومثل هذا يبقى غارقًا في عيوبه ونقائصه، ملازمًا لها إلى أن تنقضي الحياة، ويدخل النار مع الداخلين.

### 4. الحرمان من الجنة واستحقاق العذاب في النَّار:

وذلك أمر بدهي، فإنَّ من يعتدي على مقام الألوهية، ويظلُّ مقيمًا على عيوبه ورذائله، ستنتهي به الحياة حتمًا، وما حصَّل خيرًا يستحق به ثوابًا أو مكافأة، فيحرم الجنة مؤبدًا أو مؤقتًا.




### 5. قلة كسب الأنصار بل والفرقة والتمزق، والشعور بالعزلة:

ذلك أنَّ القلوب جُبلت على حبِّ من ألان لها الجانب، وخفض لها الجناح، ونظر إليها من دونٍ لا من علٍ.

### 6. الحرمان من العون والتأييد الإلهي:

ذلك أنَّ الحقَّ سبحانه وتعالى مضت سنته أنَّه لا يعطى عونه وتأييده، إلا لمن هضموا نفوسهم، حتى استخرجوا حظَّ الشيطان من نفوسهم، بل حظَّ نفوسهم من نفوسهم، والمتكبرون قوم كبرت نفوسهم، ومن كانت هذه صفته، فلا حق له في عون أو تأييد إلهي.

### 7. يحمل على الإعراض:

قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ البقرة: ٣٤، فكانت عاقبته أن قال له ربه سبحانه وتعالى: ﴿ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ ﴾ الحجر: ٣٤ - ٣٥، وما عذبت الأمم السابقة إلا بعد كفرهم وتكذيبهم لرسلهم، وإنما حملهم عليه استكبارهم، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ الفرقان: ٢١

### 8. يستوجب صاحبه العقوبة في الدنيا:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بينما رجل يجر إزاره من الخيلاء، خسف به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة"[1]، قال إياس بن سلمة بن الأكوع أن أباه رضي الله عنه، حدثه: "أن

[1] رواه البخاري (4/ 177)



رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله، فقال: "كل بيمينك"، قال: لا أستطيع، قال: "لا استطعت"، ما منعه إلا الكبر، قال: فما رفعها إلى فيه"[1]

### 9. المتكبر مبغوض عند رسول الله ﷺ:

عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون"، قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيهقون؟ قال: "المتكبرون"[2]

### 10. يُحشرون أمثال الذر يوم القيامة:

قال ﷺ: "يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان، فيساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس تعلوهم نار الأنيار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال"[3]

### 11. المتكبر يغضب الله سبحانه وتعالى:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من تعظم في نفسه، أو اختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان"[4]

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: "يطوي الله عز وجل السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون، أين المتكبرون؟"[5]

---

[1] رواه مسلم (3/ 1599)
[2] سنن الترمذي (4/ 370)
[3] سنن الترمذي (4/ 655)
[4] مسند أحمد (10/ 200)، المعجم الكبير للطبراني (13/ 64)
[5] رواه مسلم (4/ 2148)

### 12. لا يدخل الجنة متكبر:

فعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه مرّ في السّوق وعليه حزمة من حطب، فقيل له: ما يحملك على هذا، وقد أغناك الله من هذا؟ قال: "أردت أن أدفع الكبر، سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لا يدخل الجنّة من في قلبه خردلة من كبر"[1]

### 13. المتكبر متوعد بالنار:

قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧١ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٧٢ ﴾ الزمر: ٧١ – ٧٢، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "احتجّت النار والجنة فقالت هذه: يدخلني الجبارون والمتكبرون، وقالت هذه: يدخلني الضعفاء والمساكين، فقال الله عز وجل لهذه: أنت عذابي أعذّب بك من أشاء، وقال لهذه: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء، ولكلّ واحدة منكما ملؤها"[2]، عن حارثة بن وهب الخزاعي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "ألا أخبركم بأهل النار"؟ قالوا: بلى، قال: "كل عتل[3] جواظ[4] مستكبر"[5]، وعن أبي سعيد رضي الله عنه عن نبي الله ﷺ أنه قال: "يخرج عنق من النار يتكلم يقول: وكلت اليوم بثلاثة: بكل جبار، وبمن جعل مع الله إلها آخر، وبمن قتل نفساً بغير نفس، فينطوي عليهم فيقذفهم في غمرات جهنم"[6]

[1] المستدرك على الصحيحين للحاكم (3/ 416)
[2] رواه مسلم (4/ 2186)
[3] العتل: الجافي الشديد الخصومة.
[4] الجواظ: الجموع المنوع، وقيل: المختال في مشيته.
[5] رواه البخاري (8/ 20)، رواه مسلم (4/ 2190)
[6] مسند أحمد (17/ 450)

## درجات الكبر

قال ابن قدامة: "اعلم: أنّ العلماء والعبّاد في آفة الكبر على ثلاث درجات:

الأولى: أن يكون الكبر مستقرّاً في قلب الإنسان منهم، فهو يرى نفسه خيراً من غيره، إلّا أنّه يجتهد ويتواضع، فهذا في قلبه شجرة الكبر مغروسة، إلّا أنه قد قطع أغصانها.

الثّانية: أن يظهر لك بأفعاله من الترّفع في المجالس، والتّقدّم على الأقران، والإنكار على من يقصّر في حقّه، فترى العالم يصعّر خدّه للنّاس كأنّه معرض عنهم، والعابد يعيش ووجهه كأنّه مستقذر لهم، وهذان قد جهلا ما أدّب الله ﷻ به نبيّه ﷺ حين قال: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾ الشعراء: ٢١٥

الدّرجة الثّالثة: أن يظهر الكبر بلسانه كالدّعاوى والمفاخرة، وتزكية النّفس، وحكايات الأحوال في معرض المفاخرة لغيره، وكذلك التّكبّر بالنّسب، فالّذي له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النّسب وإن كان أرفع منه عملاً.

قال ابن عبّاس رضي الله عنهما: "يقول الرّجل للرّجل: أنا أكرم منك، وليس أحد أكرم من أحد إلّا بالتّقوى، قال ﷻ: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴿١٣﴾ ﴾ الحجرات: ١٣، وكذلك التّكبّر بالمال، والجمال، والقوّة، وكثرة الأتباع، ونحو ذلك، فالكبر بالمال أكثر ما يجري بين الملوك والتّجّار ونحوهم، والتّكبّر بالجمال أكثر ما يجري بين النّساء، ويدعوهنّ إلى التّنقّص والغيبة وذكر العيوب، وأمّا التّكبّر بالأتباع والأنصار، فيجري بين الملوك بالمكاثرة بكثرة الجنود، وبين العلماء بالمكاثرة بالمستفيدين، وفي الجملة فكلّ ما يمكن أن يعتقد كمالاً، فإن لم يكن في نفسه كمالاً،

www.alukah.net



أمكن أن يتكبّر به، حتّى إنّ الفاسق قد يفتخر بكثرة شرب الخمر والفجور لظنّه أنّ ذلك كمالاً"[1]

## أنواع الكبر

ينقسم الكِبْر إلى ثلاثة أقسام: بعضها أشد من بعض، وإن كانت كلها مذمومة إلى الله ﷻ، ورسوله ﷺ، والناس جميعًا، وقد ذكر هذه الأقسام **ابن حجر الهيتمي فقال**:

"الكِبْر إمَّا على الله ﷻ، وهو أفحش أنواع الكبر، كتكبُّر فرعون ونمرود حيث استنكفا أن يكونا عبدين له ﷻ وادَّعيا الرُّبوبيَّة، قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾ غافر: ٦٠ ، أَي: صَاغِرِينَ، ﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ١٧٢﴾ النساء: ١٧٢،

وإمَّا على رسوله ﷺ، بأن يمتنع من الانقياد له تكبُّرًا، جهلًا وعنادًا، كما حكى الله ﷻ ذلك عن كفَّار مكَّة وغيرهم من الأمم، وإمَّا على العباد، بأن يستعظم نفسه، ويحتقر غيره، ويزدريه، فيأبى على الانقياد له، أو يترفَّع عليه، ويأنف من مساواته، وهذا، وإن كان دون الأوَّلين إلَّا أنَّه عظيم إثمه أيضًا؛ لأنَّ الكبرياء والعظمة إنَّما يليقان بالملك القادر القوي المتين، دون العبد العاجز الضَّعيف، فتكبُّره فيه منازعة للَّه ﷻ في صفة لا تليق إلَّا بجلاله، فهو كعبد أخذ تاج ملك وجلس على سريره، فما أعظم استحقاقه للمقت، وأقرب استعجاله للخزي، ومن ثمَّ قال ﷻ كما مرَّ في أحاديث: إنَّ من نازعه العظمة والكبرياء أهلكه، أي لأنَّهما من صفاته الخاصَّة به ﷻ"[2]

---

[1] مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة ص 299 - 300

[2] الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي (1/ 118)




شبكة الألوكة - قسم الكتب

## أشر أنواع الكبر

**قال الذهبي:** "وأشرُّ الكِبْر الذي فيه من يتكبر على العباد بعلمه، ويتعاظم في نفسه بفضيلته، فإنَّ هذا لم ينفعه علمه، فإنَّ من طلب العلم للآخرة كسره علمه، وخشع قلبه، واستكانت نفسه، وكان على نفسه بالمرصاد، فلا يفتر عنها، بل يحاسبها كلَّ وقت، ويتفقدها، فإن غفل عنها جمحت عن الطريق المستقيم وأهلكته، ومن طلب العلم للفخر والرياسة، وبطر على المسلمين، وتحامق عليهم، وازدراهم، فهذا من أكبر الكِبْر، ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم"[1]

## الفرق بين الكبر والمرادفات الأخرى

### 1. الفرق بين الكِبْر والزهو:

"أ. **الكِبْر:** إظهار عظم الشأن، وهو فينا خاصة رفع النفس فوق الاستحقاق.

ب. **الزهو:** على ما يقتضيه الاستعمال رفع شيء إياها، من مال، أو جاه، وما أشبه ذلك، ألا ترى أنه يقال: زها الرجل وهو مزهو، كأنَّ شيئًا زهاه، أي: رفع قدره عنده، وهو من قولك: زهت الريح الشيء إذا رفعته، والزهو: التزيد في الكلام"[2]

### 2. الفرق بين الكِبْر والكِبْرياء:

"أنَّ الكِبْر ما ذكرناه، والكِبْرياء هي العز والملك، وليست من الكِبْر في شيء، والشاهد قوله ﷻ: ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلْأَرْضِ ﴿٧٨﴾﴾ يونس: ٧٨، يعني الملك والسلطان، والعزة، وأما التَّكبر فهو إظهار الكِبْر، مثل: التشجع، إظهار الشَّجَاعَة"[3]،

---

[1] الكبائر للذهبي ص 78
[2] الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص 247
[3] الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص 247

www.alukah.net
شبكة الألوكة


**قال أبو العباس القرطبي**: "الكِبْر والكِبْرِيَاء في اللغة: هو العظمة، يقال منه: كَبُرَ الشيءُ، بضمِّ الباء، أي: عَظُمَ، فهو كبيرٌ وكُبَار، فإذا أفرَطَ قيل: كُبَّار، بالتشديد؛ وعلى هذا يكونُ الكِبْر والعظمةُ اسمَيْن لمسمًّى واحد"[1]

وقد جاء في الحديث ما يُشْعِر بالفرق بينهما؛ وذلك أنَّ الله ﷻ قال: "الكبرياء ردائي، والعظمة إِزاري، فمن نازعني واحِدًا منهما"[2]؛ فقد فرَّق بينهما بأنْ عبَّر عن أحدهما بالرداء، وعن الآخر بالإزار، وهما مختلفان، ويَدُلُّ أيضًا على ذلك: قوله ﷻ: "فمن نازعني واحِدًا منهما"؛ إذ لو كانا واحدًا، لقال: فمن نازعنيه"[3]

## 3. الفرق بين الكِبْر والتيه:

أنَّ الكِبْر هو إظهار عظم الشأن، وهو في صفات الله ﷻ مدح؛ لأنَّ شأنه عظيم، وفي صفاتنا ذمٌّ؛ لأنَّ شأننا صغير، وهو أهل للعظمة، ولسنا لها بأهل، والشأن هاهنا معنى صفاته التي هي في أعلى مراتب التعظيم، ويستحيل مساواة الأصغر له فيها على وجه من الوجوه، والكبير الشخص، والكبير في السن، والكبير في الشرف والعلم يمكن مساواة الصغير له، أما في السن فبتضاعف مدة البقاء في الشخص تتضاعف أجزاؤه، وأمَّا بالعلم فباكتساب مثل ذلك العلم.

والتيه أصله الحيرة والضلال، وإنَّما سمِّي المتكبر تائهًا على وجه التشبيه بالضلال والتحير، والتيه من الأرض ما يُتَحيَّر فيه، وفي القرآن ﴿ يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ﴿٢٦﴾ ﴾ المائدة: ٢٦، أي: يتحيرون"[4]

---

[1] المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (1/ 286)
[2] سنن ابن ماجه (2/ 1397)
[3] المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (1/ 286)
[4] الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص 246



شبكة الألوكة - قسم الكتب

### 4. الفرق بين الجَبَروت والجبرية والكِبْر:

"الفرق بين الجَبرية، والجبروت، والكِبْر: أنَّ الجبريَّة أبلغ من الكِبْر وكذلك الجبروت، ويدل على هذا فخامة لفظها، وفخامة اللفظ تدل على فخامة المعنى، فيما يجري هذا المجرى"[1]

### 5. الفرق بين العُجْب والكِبْر:

أنَّ العجب بالشيء شدة السرور به حتى لا يعادله شيء عند صاحبه، تقول: هو مُعجب بفلانة، إذا كان شديد السرور بها، وهو معجب بنفسه، إذا كان مسرورًا بخصالها، ولهذا يقال: أعجبه، كما يقال: سُرَّ به، فليس العجب من الكِبْر في شيء، وقال علي بن عيسى: "العجب: عقد النفس على فضيلة لها ينبغي أن يتعجب منها، وليست هي لها"[2]

### 6. الفرق بين الاستنكاف، والاستكبار، والتكبر:

"الاستنكاف: تكبر في تركه أنفة، وليس في الاستكبار ذلك، وإنَّما يستعمل الاستكبار حيث لا استخفاف، بخلاف التَّكبر، فإنَّه قد يكون باستخفاف، والتَّكبر: هو أن يرى المرء نفسه أكبر من غيره، والاستكبار طلب ذلك بالتَّشبع وهو التزين بأكثر ما عنده"[3]

## الكبر مفتاح كل شقاء

قال الغزالي: "مفتاح السّعادة التّيقّظ والفطنة، ومنبع الشّقاوة الكبر والغفلة، فلا نعمة لله عز وجل على عباده أعظم من الإيمان والمعرفة، ولا وسيلة إليه سوى انشراح الصّدر بنور البصيرة، ولا نقمة أعظم من الكفر والمعصية ولا داعي إليهما سوى عمى القلب

[1] الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص 246
[2] الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص 248
[3] الكليات للكفوي ص 28

بظلمة الجهالة، فالأكياس هم الّذين أراد الله ﷻ أن يهديهم فشرح صدورهم للإسلام والهدى، والمتكبّرون هم الّذين أراد الله ﷻ أن يضلّهم فجعل صدرهم ضيّقاً حرجاً كأنّما يصّعّد في السّماء، فالمتكبّر هو الّذي لم تنفتح بصيرته ليكون بهداية نفسه كفيلاً، وبقي في العمى فاتّخذ الهوى قائداً والشّيطان دليلاً"[1]

"فالكبر آفة عظيمة هائلة، وفيه يهلك الخواصّ من الخلق، وقلّما ينفكّ عنه العبّاد والزّهّاد والعلماء فضلاً عن عوامّ الخلق، وكيف لا تعظم آفته وقد قال ﷺ: "لا يدخل الجنّة من في قلبه مثقال ذرّة من كبر"[2]، وإنّما صار حجاباً دون الجنّة لأنّه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين كلّها، وتلك الأخلاق هي أبواب الجنّة، والكبر يغلق تلك الأبواب كلّها، لأنّه لا يقدر على أن يحبّ للمؤمنين ما يحبّ لنفسه وفيه شيء من الكبر، فما من خلق ذميم إلّا وصاحب الكبر مضطرّ إليه ليحفظ كبره، وما من خلق محمود إلّا وهو عاجز عنه خوفا من أن يفوته عزّه، فمن هذا لم يدخل الجنّة من في قلبه مثقال حبّة منه، والأخلاق الذّميمة متلازمة، والبعض منها داع إلى البعض لا محالة، وشرّ أنواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحقّ والانقياد له"[3]

## بماذا يكون التكبر

**قال ابن قدامة:** "في الجملة، فكلُّ ما يمكن أن يُعتقد كمالًا- وإن لم يكن كمالًا- أمكن أن يتكبر به، حتى الفاسق قد يفتخر بكثرة شرب الخمر والفجور؛ لظنِّه أنَّ ذلك كمال"[4]

**قال الغزالي:** "اعلم أنَّه لا يتكبر إلا من استعظم نفسه، ولا يستعظمها إلا وهو يعتقد لها صفة من صفات الكمال، وجماع ذلك يرجع إلى كمال ديني أو دنيوي، فالديني هو

[1] إحياء علوم الدين للغزالي (3/ 378)
[2] رواه مسلم (1/ 93)
[3] إحياء علوم الدين للغزالي (3/ 344 – 345)
[4] مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة ص 229 - 230



العلم والعمل، والدنيوي هو النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الأنصار، فهذه سبعة أسباب:

**الأول:** العلم وما أسرع الكِبْر إلى العلماء، فلا يلبث العالم أن يتعزز بعزة العلم، يستشعر في نفسه جمال العلم وكماله، ويستعظم نفسه ويستحقر الناس، وينظر إليهم نظره إلى البهائم، ويستجهلهم، هذا فيما يتعلق بالدنيا، أما في أمر الآخرة فتكبره عليهم؛ بأن يرى نفسه عند الله ﷻ أعلى وأفضل منهم، فيخاف عليهم أكثر مما يخاف على نفسه، ويرجو لنفسه أكثر مما يرجو لهم، فإن قلت: فما بال بعض الناس يزداد بالعلم كبرًا وأمنًا؟ فاعلم أنَّ لذلك سببين:

**أحدهما:** أن يكون اشتغاله بما يسمَّى علمًا، وليس علمًا حقيقيًّا، وإنما العلم الحقيقي ما يعرف به العبد ربه ﷻ، ونفسه، وخطر أمره في لقاء الله ﷻ، والحجاب منه، وهذا يورث الخشية، والتواضع، دون الكِبْر والأمن، قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ۝٢٨﴾ فاطر: ٢٨

**السبب الثاني:** أن يخوض العبد في العلم، وهو خبيث الدخلة، رديء النفس، سيئ الأخلاق.

**الثاني:** العمل والعبادة، وليس يخلو عن رذيلة العزِّ والكِبْر، واستمالة قلوب الناس الزهاد، والعباد، ويترشح الكِبْر منهم في الدين والدنيا، أما في الدنيا فهو أنهم يرون غيرهم بزيارتهم أولى منهم بزيارة غيرهم، ويتوقعون قيام الناس بقضاء حوائجهم، وتوقيرهم، والتوسع لهم في المجالس، وذكرهم بالورع، والتقوى، وتقديمهم على سائر الناس في الحظوظ، وأما في الدين فهو أن يرى الناس هالكين، ويرى نفسه ناجيًا، وهو الهالك تحقيقًا.

**الثالث:** التكبر بالحسب والنسب، فالذي له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب، وإن كان أرفع منه عملًا وعلمًا، وقد يتكبر بعضهم، فيرى أنَّ الناس له أموال وعبيد، ويأنف من مخالطتهم ومجالستهم.

**الرابع:** التفاخر بالجمال، وذلك أكثر ما يجري بين النساء، ويدعو ذلك إلى التنقص، والثلب، والغيبة، وذكر عيوب الناس.

**الخامس:** الكِبْر بالمال، وذلك يجري بين الملوك في خزائنهم، وبين التجار في بضائعهم، وبين الدهاقين في أراضيهم، وبين المتجملين في لباسهم وخيولهم، ومراكبهم، فيستحقر الغني الفقير، ويتكبر عليه.

**السادس:** الكِبْر بالقوة وشدة البطش، والتكبر به على أهل الضعف.

**السابع:** التكبر بالأتباع والأنصار، والتلامذة والغلمان، وبالعشيرة، والأقارب، والبنين، ويجري ذلك بين الملوك في المكاثرة بالجنود، وبين العلماء في المكاثرة بالمستفيدين.

فهذه مجامع ما يتكبر به العباد بعضهم على بعض، فيتكبر من يدلي بشيء منه على من لا يدلي به، أو على من يدلي بما هو دونه في اعتقاده، وربما كان مثله أو فوقه عند الله ﷻ، كالعالم الذي يتكبر بعلمه على من هو أعلم منه، لظنه أنه هو الأعلم، ولحسن اعتقاده في نفسه"[1]

## مضار الكبر

"1. طريق موصّل إلى غضب الله ﷻ وسخطه.

2. دليل سفول النّفس وانحطاطها.

3. يورث البعد عن الله ﷻ والبعد عن النّاس.

---

[1] إحياء علوم الدين للغزالي (3/ 347 – 353)

4. الشّعور بالعزلة وضيق النّفس وقلقها.

5. اشمئزاز النّاس منه وتفرّقهم من حوله.

6. استحقاق العذاب في النّار.

7. هلاك النّفس وذهاب البركة من العمر.

8. الكبر من الأسباب الّتي تبعد المتكبّر عن طاعة الله ﷻ.

9. جزاء المتكبّر الطّرد من رحمة الله ﷻ.

10. المتكبّرون يصرفهم الله ﷻ عن آياته فتعمى بصائرهم ولا يرون الحقّ"[1]

## علاج الكبر

1. تذكير النفس بالعواقب والآثار المترتبة على التكبر، سواء كانت عواقب ذاتية، أو متصلة بالعمل الإسلامي، وسواء كانت دنيوية، أو أخروية، فلعل هذا التذكير يحرك النفس من داخلها، ويحملها على أن تتوب، وتتدارك أمرها، قبل ضياع العمر وفوات الأوان.

2. عيادة المرضى، ومشاهدة المحتضرين، وأهل البلاء، وتشييع الجنائز، وزيارة القبور، فلعل ذلك أيضًا يحركه من داخله، ويجعله يرجع إلى ربه ﷻ بالإخبات، والتواضع.

3. الانسلاخ من صحبة المتكبرين، والارتماء في أحضان المتواضعين المخبتين، فربما تعكس هذه الصحبة بمرور الأيام شعاعها عليه، فيعود له سناؤه، وضياؤه الفطري، كما كان عند ولادته.

4. مجالسة ضعاف الناس وفقرائهم، وذوي العاهات منهم، بل ومؤاكلتهم ومشاربتهم، كما كان يصنع النّبي ﷺ وأصحابه ﷺ، وكثير من السلف، فإن هذا مما يهذب النفس، ويجعلها تقلع عن غيها، وتعود إلى رشدها.

[1] نظرة النعيم (11/ 5380)

5. التفكر في النفس، وفي الكون، بل وفي كلِّ النعم التي تحيط به، من أعلاه إلى أدناه، مَن مصدر ذلك كله؟ ومَن ممسكه؟ وبأيِّ شيء استحقه العباد؟ وكيف تكون حاله لو سلبت منه نعمة واحدة، فضلًا عن باقي النعم؟ فإن ذلك التفكر لو كانت معه جدِّية، يحرك النفس ويجعلها تشعر بخطر ما هي فيه، إن لم تبادر بالتوبة والرجوع إلى ربها عَزَّ وَجَلَّ.

6. النظر في سير وأخبار المتكبرين، كيف كانوا؟ وإلى أي شيء صاروا؟ من إبليس والنمرود إلى فرعون، إلى هامان، إلى قارون، إلى أبي جهل، إلى أبي بن خلف، إلى سائر الطغاة والجبارين والمجرمين، في كلِّ العصور والبيئات، فإنَّ ذلك مما يخوِّف النفس، ويحملها على التوبة والإقلاع، خشية أن تصير إلى نفس المصير، وكتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، وسنة النَّبي ﷺ، وكتب التراجم، والتاريخ، خير ما يُعين على ذلك.

7. حضور مجالس العلم التي يقوم عليها علماء ثقات نابهون، لاسيما مجالس التذكير والتزكية، فإنَّ هذه المجالس لا تزال بالقلوب حتى ترقَّ، وتلين، وتعود إليها الحياة من جديد.

8. حمل النفس على ممارسة بعض الأعمال التي يتأفف منها كثير من الناس ممارسة ذاتية، ما دامت مشروعة، كأن يقوم هذا المتكبر بشراء طعامه، وشرابه، وسائر ما يلزمه بنفسه، ويحرص على حمله، والمشي به بين الناس، حتى لو كان له خادم، على نحو ما كان يصنع النَّبي ﷺ، وأصحابه، والسلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فإن هذا يساعد كثيرًا في تهذيب النفس، وتأديبها، والرجوع بها إلى سيرتها الأولى الفطرية، بعيدًا عن أي التواء، أو اعوجاج.





9. الاعتذار لمن تعالى وتطاول عليهم بسخرية أو استهزاء، بل ووضع الخدِّ على التراب وإلصاقه به، وتمكينه من القصاص على نحو ما صنع أبو ذر ﷺ مع بلال بن رباح ﷺ، لما عاب عليه النَّبي ﷺ تعييره بسواد أمه.

10. إظهار الآخرين بنعمة الله ﷻ عليهم، وتحدثهم بها- لاسيما أمام المستكبرين- علهم يثوبون إلى رشدهم وصوابهم، ويتوبون ويرجعون إلى ربهم ﷻ، قبل أن يأتيهم أمر الله ﷻ.

11. التذكير دومًا بمعايير التفاضل، والتقدم في الإسلام، ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ١٣﴾ الحجرات: ١٣

12. المواظبة على الطاعات، فإنها إذا واظب عليها، وكانت متقنة لا يراد بها إلا وجه الله ﷻ، طهرت النفس من كل الرذائل، بل زكتها.





# المرض الحادي والعشرون
# العجب

## تعريف العجب

### في اللغة:

"العُجْب بالضم: الزَّهْوُ والكِبْرُ، ورجلٌ مُعْجَبٌ: مَزْهُوٌّ بِمَا يكون منه حسنًا أَو قبيحًا. وقيل: المعْجَبُ، الإِنسانُ المعْجَب بنفسه أَو بِالشَّيْءِ. وقد أُعْجِبَ فلان بنفسه إذا ترفع وتكبر فهو مُعْجَب برأيه وبنفسه. والاسم العُجْبُ وهذه المادة مما تدلُّ عليه كبر واستكبار للشَّي"[1]

**قال الفيروز آبادي:** "العجب بالضم الزهو والكبر"[2]

**قال الرازي:** "أعجب بنفسه وبرأيه (مبنيّا للمجهول) فهو معجب، والاسم منه العجب"[3]

### في الشرع:

**قال الغزالي:** "هو استعظام النّعمة والرّكون إليها مع نسيان إضافتها إلى المنعم ﷻ"[4]

**قال الجرجاني:** "العُجْب: هو عبارة عن تصور استحقاق الشخص رتبة لا يكون مستحقًّا لها"[5]

[1] لسان العرب لابن منظور (1/ 582)، مقاييس اللغة لابن فارس (4/ 243)، تاج العروس للزبيدي (3/ 318)، المصباح المنير للفيومي (2/ 393)

[2] القاموس المحيط للفيروز آبادي ص 112

[3] مختار الصحاح للرازي ص 200

[4] إحياء علوم الدين للغزالي (3/ 371)

[5] التعريفات للجرجاني ص 147



قال أحمد بن يحيى بن المرتضى: "العُجْب: مسرة بحصول أمر، يصحبها تطاول به على من لم يحصل له مثله، بقول أو ما في حكمه، من فعل، أو ترك، أو اعتقاد"[1]

## حكم العجب

العُجْب كبيرة من كبائر الذنوب التي تستحق غضب الله ﷻ، ومقته، وعذابه في الدنيا والآخرة، فهو سجيَّة مذمومة، وطبع سيِّئ مبغوض، قال ابن حزم: "إن العُجْب من أعظم الذنوب وأمحقها للأعمال. فتحفظوا، حفظنا الله ﷻ وإيَّاكم من العُجْب والرياء"[2]

ويقول الغزالي: "اعلم أن العُجْب مذموم في كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ، قال ﷻ: ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا ﴿٢٥﴾ ﴾ التوبة: ٢٥، ذكر ذلك في معرض الإنكار، وقال ﷻ: ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ﴿٢﴾ ﴾ الحشر: ٢، فردَّ على الكفَّار في إعجابهم بحصونهم، وشوكتهم، وقال ﷻ: ﴿ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ الكهف: ١٠٤"[3]

بل عده ابن تيمية من باب الإشراك بالنفس فقال: "وكثيرًا ما يقرن الرياء بالعُجْب، فالرياء من باب الإشراك بالخلق، والعُجْب من باب الإشراك بالنفس، وهذا حال المستكبر، فالمرائي لا يحقق قوله إيَّاكَ نَعْبُدُ والمعجب لا يُحقِّق قوله: ﴿ وَإِيَّاكَ

[1] البحر الزخار لابن المرتضى (6/ 490)
[2] رسائل ابن حزم (3/ 180)
[3] إحياء علوم الدين للغزالي (3/ 370)




نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ الفاتحة: ٥، فمن حقَّق قوله ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴿٥﴾ ﴾ الفاتحة: ٥، خرج عن الرِّياء، ومن حقَّق قوله: ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ خرج عن الإعجاب"[1]

## أسباب العجب

1. جهل المرء بحقيقة نفسه وغفلته عنها، **قال ابن القيم** رضي الله عنه: "وأنَّ جهله بنفسه، وصفاتها، وآفاتها، وعيوب عمله، وجهله بربه عزَّ وجلَّ، وحقوقه، وما ينبغي أن يعامل به، يتولد منهما رضاه بطاعته، وإحسان ظنه بها، ويتولد من ذلك من العُجْب والكبر والآفات ما هو أكبر من الكبائر الظاهرة، من الزنا، وشرب الخمر، والفرار من الزحف ونحوها"[2]

2. المدح والثناء، والإطراء في الوجه، سبب قوي من أسباب العُجْب، **قال الماوردي**: "من أقوى أسبابه – أي العُجْب - كثرة مديح المتقربين، وإطراء المتملقين، الذين جعلوا النفاق عادةً ومكسبًا، والتملق خديعةً وملعبًا، فإذا وجدوه مقبولًا في العقول الضعيفة أغروا أربابها باعتقاد كذبهم، وجعلوا ذلك ذريعةً إلى الاستهزاء بهم"[3]

**وقال ابن حجر: قال ابن بطال**: "من أفرط في مدح آخر بما ليس فيه لم يأمن على الممدوح العُجْب؛ لظنه أنه بتلك المنزلة، فربما ضيَّع العمل والازدياد من الخير اتكالًا على ما وصف به"[4]

3. ومما يوصل الإنسان إلى العُجْب بنفسه، مقارنته لنفسه بمن هو دونه في العمل، والفضل، واعتقاده أنَّ الناس هلكى بالذنوب والمعاصي، وأنَّه على خير كبير إذا قورن

---

[1] الفتاوي للكبرى لابن تيمية (5/ 247 – 248)
[2] مدارج السالكين لابن القيم (1/ 192)
[3] أدب الدنيا والدين للماوردي ص 239
[4] فتح الباري لابن حجر العسقلاني (10/ 477)



بغيره، فعن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: "إذا قال الرجل هلك الناسُ، فهو أهلكهم[1]"[2]

4. النشأة والتربية، فقد ينشأ الإنسان في بيئة غلب عليها طبع العُجْب والكبر فيتأثر بها، فقد ينشأ بين أبوين يلمس منهما أو من أحدهما: حب المحمدة، ودوام تزكية النفس، إن بالحق وإن بالباطل، والاستعصاء على النصح والإرشاد، ونحو ذلك من مظاهر الإعجاب بالنفس، فيحاكيهما، وبمرور الزمن يتأثر بهما، ويصبح الإعجاب بالنفس جزء من شخصيته إلا من رحم الله"[3]

5. الرفقة والصحبة سبب من أسباب الإعجاب بالنفس، ذلك أن الإنسان شديد المحاكاة والتأثر بصاحبه، لا سيما إذا كان هذا الصاحب قويَّ الشخصية، ذا خبرة ودراية بالحياة، وكان المصحوب غافلًا على سجيته، يتأثر بكلِّ ما يلقى عليه، وعليه فإذا كان الصاحب مصابًا بداء الإعجاب، فإنَّ عدواه تصل إلى قرينه فيصير مثله"[4]

6. الاغترار بالنعمة والركون إليها، مع نسيان ذكر المنعم ﷻ، "فإذا حباه الله ﷻ نعمة من المال، أو علم، أو قوة، أو جاه، أو نحوه وقف عند نعمة ونسي المنعم، وتحت تأثير بريق المواهب وسلطانها تحدثه نفسه أنه ما أصابته هذه النعمة إلا لما لديه من علم، على حدِّ قول قارون: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ ٧٨﴾ القصص: ٧٨، ولا يزال

[1] فهو أهلكهم: روى أهلكهم على وجهين مشهورين رفع الكاف وفتحها والرفع أشهر قال الحميدي في الجمع بين الصحيحين الرفع أشهر ومعناه أشدهم هلاكاً وأما رواية الفتح فمعناها هو جعلهم هالكين لا أنهم هلكوا في الحقيقة واتفق العلماء على أن هذا الذم إنما هو فيمن قاله على سبيل الإزراء على الناس واحتقارهم وتفضيل نفسه عليهم وتقبيح أحوالهم قالوا فأما من قال ذلك تحزناً لما يرى في نفسه وفي الناس من النقص في أمر الدين فلا بأس عليه وقال الخطابي معناه لا يزال الرجل يعيب الناس ويذكر مساويهم ويقول فسد الناس وهلكوا ونحو ذلك فإذا فعل ذلك فهو أهلكهم أي أسوأ حالا منهم بما يلحقه من الإثم في عيبهم والوقيعة فيهم وربما أداه ذلك إلى العجب بنفسه ورؤيته أنه خير منهم.

[2] رواه مسلم (4/ 2024)

[3] آفات على الطريق لسيد محمد نوح (1/ 118)

[4] آفات على الطريق لسيد محمد نوح (1/ 121)

هذا الحديث يُلِحُّ عليه حتى يرى أنَّه بلغ الغاية أو المنتهى، ويُسرُّ ويفرح بنفسه، وبما يصدر عنها، ولو كان باطلًا، وذلك هو الإعجاب بالنفس"[1]

7. تولِّي المناصب القيادية، من سلطة أو قضاء، أو إدارة أو إشراف، وغير ذلك من المسؤوليات.

8. التمتع بصفة أو مزيَّة تجعله يتميز عن غيره فيها، سواء كانت هذه الصفة اضطرارية كالجمال، أو فصاحة اللسان، أو النسب، أو العشيرة، أو المال والبنين، أو غيرها، أو كانت تلك الصفة اختيارية، كالعلم، والطاعة، والإقدام، وغيرها.

9. المبالغة في التوقير، والاحترام، من الأتباع، وفي ذلك قاصمة ظهر للمتبوع.

10. قلَّة الورع، والتقوى، وضعف المراقبة لله عز وجل.

11. قلَّة الناصح والموجه، أو فقده بالكلية.

12. عدم التفكر في حال الدنيا، والافتتان بها، وبزخرفها الفاني، بالإضافة إلى اتباع هوى النفس ومتابعتها فيها.

13. الغفلة عن نهاية العُجْب والمعجبين، ومآلهم في الدنيا والآخرة.

14. عدم التأمل في النصوص الشرعية من القرآن والسنة النبوية، الناهية عن هذه السجيَّة القبيحة، الآمرة بضدها من تواضع وخفض جناح.

15. الأمن من مكر الله عز وجل، والركون إلى عفوه ومغفرته.

16. إطراء الناس للشخص وكثرة ثنائهم عليه مما يعين عليه الشيطان.

17. الافتتان بالدنيا، واتباع الهوى، والنفس الأمارة بالسوء.

18. قلة الفكر؛ لأنه لو تفكر لعلم أن كل نعمة عنده هي من الله عز وجل.

19. قلة الشكر لله عز وجل، وقلة الذكر لله عز وجل.

[1] آفات على الطريق لسيد محمد نوح (1/ 121)

20. عدم تدبر القرآن والسنة النبوية.

## مظاهر العجب

1. رد الحق واحتقار الناس.
2. تصعير الخد.
3. عدم استشارة العقلاء والفضلاء.
4. الاختيال في المشي.
5. استعظام الطاعة واستكثارها.
6. التفاخر بالعلم والمباهاة به.
7. الغمز واللمز.
8. التفاخر بالحسب والنسب وجمال الخِلقة.
9. تعمد مخالفة الناس ترفعاً.
10. التقليل من شأن العلماء الأتقياء.
11. مدح النفس.
12. نسيان الذنوب واستقلالها.
13. توقع الجزاء الحسن والمغفرة وإجابة الدعاء دائماً.
14. الإصرار على الخطأ.
15. الفتور عن الطاعة لظنه أنه قد وصل إلى حد الكمال.
16. احتقار العصاة والفساق.
17. التصدر قبل التأهل.
18. قلة الإصغاء إلى أهل العلم.




## آثار العجب

1. أنه يدعو إلى الكبر؛ لأنَّه أحد أسبابه، **قال ابن الجوزِيّ**: "اعلم أَنَّ من أَسباب الْكِبْرِ العُجْب، فَإِنَّ من أُعْجِب بِشَيْءٍ تكبَّر به"[1]، **وقال المحاسبي**: "إن أوَّل بدوِّ الكبر العُجْب، فمن العُجْب يكون أكثر الكبر، ولا يكاد المعجب أن ينجو من الكبر"[2]

2. أنه يتولد عنه الكثير من الأخلاق السيِّئة والصِّفات الرديئة، كالتيه وازدراء الآخرين، لذا قيل فِي تَعْرِيفِ التِّيهِ: "هو خلق متولد بين أمرين: إعجابه بنفسه، وإزراؤه بغيره، فيتولَّد من بين هذين التيه"[3]

3. يدعو إلى إهمال الذنوب ونسيانها، فلا يحدث العبد بعد ذلك توبة، **قال المحاسبي**: "يجمع العُجْب خصالًا شتى: يعمى عليه كثير من ذنوبه، وينسى مما لم يعم عليه منها أكثرها، وما ذكر منها كان له مستصغرًا، وتعمى عليه أخطاؤه، وقوله بغير الحق"[4]

4. يجعل العبد يستعظم أعماله، وطاعاته، ويمنُّ على الله عز وجل بفعلها.

5. يدعو العبد إلى الاغترار بنفسه، وبرأيه، ويأمن مكر الله عز وجل، وعذابه، ويظن أنه عند الله عز وجل بمكان، ولا يسمع نصح ناصح، ولا وعظ واعظ.

6. يمنعه عن سؤال أهل العلم.

7. يفتره عن السعي، لظنه أنه قد فاز، واستغنى، وهو الهلاك الصريح"[5]

8. يخفي المحاسن، ويظهر المساوئ، ويصدُّ عن الفضائل"[6]

9. يحبط العمل، ويفسده، ويذهب به، **يقول ابن القيم** رضي الله عنه: "لا شيء أفسد للأعمال من العُجْب ورؤية النفس"[7]

---

[1] غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب للسفاريني (2/ 223)
[2] الرعاية في حقوق الله ص 371
[3] غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب للسفاريني (2/ 223)
[4] الرعاية في حقوق الله ص 337
[5] البحر الرائق في الزهد والرقائق لابن نجيم ص 153
[6] أدب الدنيا والدين للماوردي ص 237
[7] الفوائد لابن القيم ص 152



10- يدعو العبد إلى المنِّ بما يقدم من معروف، وإلى تعظيم ما يسدي من خير، **قال المحاسبي**: "ويخرجه المن بمعروفه وصدقته؛ لأنه عظم عنده ما تصدق به، أو تفضل به، وينسى منة الله ﷻ عليه، وأنه مضيع لشكره على ذلك، فمن بما اصطنع من معروفه فحبط أجره، كما قال ﷻ: ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ ﴿٢٦٤﴾﴾ البقرة: ٢٦٤"[1]

11. طريق إلى خذلان العبد، بحيث يكله الله ﷻ إلى نفسه فلا ينصره، ولا يؤيده، وقد قال ﷻ: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ التوبة: ٢٥

12. من اتصف به ساءت عاقبته في الدنيا والآخرة"[2]

## مجالات العجب

قد يحصل العُجْب بصفات اضطرارية وقد يحصل بصفات اختيارية، والفرق بينهما أن الصفات الاضطرارية هي ما خلقت في الإنسان ابتداء دون أن يكون له تدخل فيها، كالجمال والنسب وغيرها، أما الاختيارية فهي ما تحصل عليها ببذل مجهود واكتسبها بعد أن لم يكن متصفًا بها، كالعلم والمال والجاه وغيرها. وكلها العُجْب بها مذموم، **قال أحمد بن يحيى بن المرتضى**: "ولا فرق بين أن تكون تلك الخصلة التي حصل بها الإعجاب اضطرارية، كجمال، أو فصاحة، أو كثرة عشيرة، أو مال، أو بنين، أم اختيارية، كإقدام، أو كثرة علم، أو طاعة، أو نحو ذلك، فإن العُجْب بذلك كله قبيح شرعًا، ولا أعرف فيه خلافًا"[3]

---

[1] الرعاية في حقوق الله ص 337

[2] موسوعة المناهي الشرعية في صحيح السنة النبوية لسليم الهلالي (3/ 305)

[3] البحر الزخار لابن المرتضى (6/ 491)

www.alukah.net



ونذكر هنا الإعجاب ببعض الصفات الاضطرارية والاختيارية ومنها:

1. الإعجاب بالعقل الراجح، والذكاء.
2. الإعجاب بالرأي السديد.
3. الإعجاب بالعلم وغزارته، والتفوق على الأقران فيه.
4. الإعجاب بالشَّجَاعَة، والإقدام، والقوة والبأس.
5. الإعجاب بجمال الصورة، وحسن المظهر.
6. الإعجاب بالجاه، والمنصب، والرئاسة، والتصدر.
7. الإعجاب بالعبادة، والطاعة.
8. الإعجاب بما يقدمه من خير، ومنفعة للناس.
9. الإعجاب بالنسب، والشرف، أو العشيرة، والقبيلة.
10. الإعجاب بالمال، والغنى، والتجارة، وسعة الرزق.
11. الإعجاب بكثرة الأتباع، والأنصار والمريدين.
12. الإعجاب بكثرة الأبناء.

## الفرق بين العجب والمترادفات الأخرى

قال ابن حزم: "الْعُجْب أصل يتفرع عنه التيه، والزهو، والكبر، والنخوة، والتعالي، وهذه أسماء واقعة على معان متقاربة، ولذلك صعب الفرق بينها على أكثر الناس"[1]

ومع ذلك فقد تكلم العلماء وخاصة أهل اللغة عن الفروق بين العُجْب ومترادفاته، ونذكر منها ما يلي:

[1] الأخلاق والسير في مداواة النفوس لابن حزم ص 75




شبكة الألوكة - قسم الكتب

## 1. الفرق بين العُجْب والكبر:

**قال أبو هلال العسكري**: "إنَّ العُجْب بالشيء، شدة السرور به حتى لا يعادله شيء عند صاحبه، تقول: هو معجب بفلانة، إذا كان شديد السرور بها، وهو معجب بنفسه، إذا كان مسرورًا بخصالها، ولهذا يقال أعجبه كما يقال سر به فليس العُجْب من الكبر في شيء، وقال علي بن عيسى: العُجْب عقد النفس على فضيلة لها ينبغي أن يتعجب منها، وليست هي لها"[1]

**وقال الغزالي**: "فإنَّ الكبر يستدعي متكبرًا عليه، ومتكبرًا به، وبه ينفصل الكبر عن العُجْب، فإن العُجْب لا يستدعي غير المعجب، بل لو لم يخلق الإنسان إلا وحده تصور أن يكون معجبًا، ولا يتصور أن يكون متكبرًا إلا أن يكون مع غيره"[2]

## 2. الفرق بين العُجْب والتيه:

**قال الرَّاغب الأصفهاني** في الفرق بين المعْجب والتائه: "المعْجب يصدق نفسه فيما يظنُّ بها وهمًا، والتَّائه يصدقها قطعًا"[3]

## 3. الفرق بين العُجْب والإدلال:

**يقول المحاسبي**: "إن الإدلال معنى زائد في العُجْب، وهو أن يعجب بعمله أو علمه، فيرى أنَّ له عند الله ﷻ قدرًا عظيمًا قد استحق به الثواب على عمله، فإنَّ رجاء المغفرة مع الخوف لم يكن إدلالًا، وإن زايل الخوف ذلك فهو إدلال"[4]

**قال الغزالي**: " الإدلال وراء العجب، فلا مدلّ إلّا وهو معجب، وربّ معجب لا يدلّ، إذ العجب يحصل بالاستعظام ونسيان النّعمة دون توقّع جزاء عليه، والإدلال لا

---

[1] لفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص 248
[2] إحياء علوم الدين للغزالي (3/ 344)
[3] الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني ص 218
[4] الرعاية لحقوق الله ص 343 - 344

يتمّ إلّا مع توقّع جزاء، فإن توقّع إنسان إجابة دعوته، واستنكر ردّها بباطنه وتعجّب منه كان مدلّا بعمله، لأنّه لا يتعجّب من ردّ دعاء الفاسق، ويتعجّب من ردّ دعاء نفسه، وكلاهما أي العجب والإدلال من مقدّمات الكبر وأسبابه"[1]

## مضار العجب

"1. العجب يؤدّي إلى الكبر وكفى به آفة.
2. العجب يؤدّي إلى نسيان الذّنوب وإرجاء التّوبة.
3. العجب يؤدّي إلى التّقليل من الطّاعات والتّقصير فيها.
4. أكثر سعي المعجب بنفسه المدلّ بها سعي ضائع وغير مشكور.
5. العجب يؤدّي إلى الغرور والتّعالي على النّاس ممّا يجعلهم يكرهونه.
6. العجب بالرّأي يؤدّي إلى الإصرار على الخطأ والبعد عن الإفادة من مشورة المخلصين والعلماء النّاصحين.
7. المعجب بنفسه يلقي بها إلى الهلاك ويحرمها من رضوان الله ﷻ ومن ثمّ رضا النّاس"[2]

## علاج العجب

ذكر الغزالي أن علاج العجب يكون بسبعة أمور:

**الأول: أن يعجب ببدنه:** في جماله وهيئته وصحته وقوته، وتناسب شكله وحسن صورته وحسن صوته، فيلتفت إلى جمال نفسه، وينسى أنه نعمة من الله ﷻ وهو معرض للزوال في كل حال.

---

[1] إحياء علوم الدين للغزالي (3/ 371)
[2] نظرة النعيم (11/ 5380)



**وعلاجه:** هو التفكر في أقذار بطنه في أول أمره، وفي آخره، وفي الوجوه الجميلة والأجسام الناعمة كيف أنها تمزقت في التراب وأنتنت القبور، حتى استقذرتها الطباع.

**الثاني: العجب بالبطش والقوة:** كما حكي عن قوم عاد أنهم قالوا ﴿ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴿١٥﴾ ﴾ فصلت: ١٥

**وعلاجه:** أن يشكر الله ﷻ على ما رزق من العقل، ويتفكر أنه بأدنى مرض يصيب دماغه يوسوس ويجن بحيث يُضحك منه، فلا يأمن أن يسلب عقله إن أعجب به، ولم يقم بشكره، وليعلم أنه ما أوتي من العلم إلا قليلاً وأن ما جهله أكثر مما عرفه.

**الثالث: العجب بالنسب الشريف:** حتى يظن بعضهم أنه ينجو بشرف نسبه ونجابة آبائه وأنه مغفور له ويتخيل بعضهم أن جميع الخلق له موالٍ وعبيد!!

**وعلاجه:** أن يعلم أنه مهما خالف آباءه في أفعالهم وأخلاقهم وظنّ أنه ملحق بهم فقد جهل، وإن اقتدى بآبائه فما كان من أخلاقهم العجب، بل الخوف والازدراء على النفس ومذمتها، ولقد شرفوا بالطاعة والعلم والخصال الحميدة لا بالنسب، فليتشرف بما شرفوا به ولقد ساواهم في النسب وشاركهم في القبائل من لم يؤمن بالله ﷻ واليوم الآخر، وكانوا عند الله ﷻ شرًّا من الكلاب وأخسَّ من الخنازير، ولذلك يبين الله ﷻ أن الشرف بالتقوى لا بالنسب، فقال: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴿١٣﴾ ﴾ الحجرات: ١٣

**الرابع: العجب بكثرة العدد:** من الأولاد والخدم والعشيرة والأقارب والأنصار والأتباع، كما قال الكفار: ﴿ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا ﴿٣٥﴾ ﴾ سبأ: ٣٥

**وعلاجه:** أن يتفكر في ضعفه وضعفهم، وأن كلهم عبيد عجزة، لا يملكون لأنفسهم

ضراً ولا نفعاً، ثم كيف يعجب بهم وأنهم سيتفرقون عنه إذا مات، فيدفن في قبره ذليلاً مهيناً وحده لا يرافقه أهلٌ ولا ولد ولا قريبٌ ولا حميمٌ ولا عشيرٌ.

الخامس: العجب بنسب السلاطين الظلمة وأعوانهم دون نسب الدين والعلم، وهذا غاية الجهل.

وعلاجه: أن يتفكر في مخازيهم وما جرى لهم من الظلم على عباد الله ﷻ والفساد في دين الله ﷻ، وأنهم المقوتون عند الله ﷻ، ولو نظر إلى صورهم في النار وأنتانهم وأقذارهم لاستنكف منهم، ولتبرأ من الانتساب إليهم.

السادس: العجب بالمال: كما قال ﷻ إخباراً عن صاحب الجنتين: ﴿ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ٣٤ ﴾ الكهف: ٣٤

وعلاجه: أن يتفكر في آفات المال وكثرة حقوقه وعظيم غوائله، وينظر إلى فضيلة الفقراء وسبقهم إلى الجنة يوم القيامة، وإلى أن المال غادٍ ورائح ولا أصل له، وإلى أن في اليهود من يزيد عليه في المال، وإلى قوله ﷺ: "بينما رجل يتبختر في حلةٍ له، قد أعجبته نفسه إذ خسف الله به، فهو يتجلجل إلى يوم القيامة"، وأشار به إلى عقوبة إعجابه بماله ونفسه.

السابع: العجب بالرأي الخطأ: قال ﷻ: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗا ٨ ﴾ فاطر: ٨ ، وقال ﷻ: ﴿ وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤ ﴾ الكهف: ١٠٤

وجميع أهل البدع والضلال إنما أصروا عليها لعجبهم بآرائهم.





وعلاجه: أن يكون متَّهماً لرأيه أبداً لا يغترُّ به إلا أن يشهد له قاطع من كتاب أو سنة أو دليل عقلي صحيح جامع لشروط الأدلة، فإن خاض في الأهواء والبدع والتعصب في العقائد هلك من حيث لا يشعر"[1]

ويصف ابن حزم علاج العُجْب، ويجعل له علاجًا عامًّا يتداوى به كلُّ من أصيب بهذا الداء العضال، والآفة القاتلة، وهذا العلاج يكمن في التفكر في عيوب النفس، والنظر إلى نقصها وضعفها فيقول: "من امتحن بالعُجْب فليفكِّر في عيوبه، فإن أعجب بفضائله، فليفتش ما فيه من الأخلاق الدنية، فإن خفيت عليه عيوبه جملة حتى يظن أنَّه لا عيب فيه، فليعلم أنَّه مصيبة للأبد، وأنَّه أتمُّ الناس نقصًا، وأعظمهم عيوبًا، وأضعفهم تمييزًا، فليتدارك نفسه بالبحث عن عيوبه، والاشتغال بذلك عن الإعجاب بها، وعن عيوب غيره التي لا تضره لا في الدنيا ولا في الآخرة، ثم تقول للمعجب: ارجع إلى نفسك، فإذا ميَّزت عيوبها فقد داويت عجبك، ولا تميل بين نفسك وبين من هو أكثر منها عيوبًا فتستسهل الرذائل، وتكون مقلدًا لأهل الشرِّ"[2]

ثم يتكلم ابن حزم عن علاج لبعض الحالات الخاصة من حالات العُجْب:

"1. علاج من أعجب بعقله:

فإن أعجبت بعقلك، ففكر في كلِّ فكرة سوء تمرُّ بخاطرك، وفي أضاليل الأماني الطائفة بك، فإنَّك تعلم نقص عقلك حينئذ.

2. علاج من أعجب برأيه:

وإن أعجبت بآرائك، فتفكَّر في سقطاتك، واحفظها ولا تنسها، وفي كلِّ رأي قدرته صوابًا، فخرج بخلاف تقديرك، وأصاب غيرك وأخطأت أنت، فإنَّك إن فعلت ذلك

[1] إحياء علوم الدين للغزالي (3/ 374 – 377)
[2] رسائل ابن حزم (1/ 386)




فأقل أحوالك أن يوازن سقوط رأيك صوابه، فتخرج لا لك ولا عليك، والأغلب أن خطأك أكثر من صوابك، وهكذا كلُّ أحد من الناس بعد النبيين عليهم السلام.

### 3. علاج من أعجب بما يقدمه من الخير:

وإن أعجبت بخيرك، فتفكَّر في معاصيك، وتقصيرك، وفي معايبك ووجوهها، فوالله لتجدنَّ من ذلك ما يغلب على خيرك، ويعفي على حسناتك، فليطل همك حينئذ من ذلك، وأبدل من العُجْب تنقيصًا لنفسك.

### 4. علاج من أعجب بعلمه:

وإن أعجبت بعلمك، فاعلم أنه لا خصلة لك فيه، وأنه موهبة من الله عز وجل مجردة، وهبك إياها ربك سبحانه وتعالى، فلا تقابلها بما يسخطه، فلعله ينسيك ذلك بعلة يمتحنك بها، تولد عليك نسيان ما علمت وحفظت، واعلم أنَّ كثيرًا من أهل الحرص على العلم يجدون في القراءة، والإكباب على الدرس والطلب، ثم لا يرزقون منه حظًّا، فليعلم ذو العلم أنه لو كان بالإكباب وحده لكان غيره فوقه، فصحَّ أنه موهبة من الله سبحانه وتعالى، فأي مكان للعجب ها هنا! ما هذا إلا موضع تواضع، وشكر لله سبحانه وتعالى، واستزادة من نعمه، واستعاذة من سلبها، ثم تفكر أيضًا، في أنَّ ما خفي عليك وجهلته من أنواع العلم الذي تختص به، والذي أعجبت بنفاذك فيه، أكثر مما تعلم من ذلك، فاجعل مكان العُجْب استنقاصًا لنفسك واستقصارًا لها، فهو أولى، وتفكر فيمن كان أعلم منك تجدهم كثيرًا، فلتهن نفسك عندك حينئذ، وتفكر في إخلالك بعلمك، فإنك لا تعمل بما علمت منه، فعلمك عليك حجة حينئذ، لقد كان أسلم لك لو لم تكن عالمًا، واعلم أنَّ الجاهل حينئذ أعقل منك وأحسن حالًا وأعذر، فليسقط عجبك بالكلية، ثم لعل علمك الذي تعجب بنفاذك فيه، من العلوم المتأخرة التي لا كبير خصلة فيها،




كالشعر، وما جرى مجراه، فانظر حينئذ إلى من علمه أجل من علمك في مراتب الدنيا والآخرة، فتهون نفسك عليك.

### 5. علاج من أعجب بشجاعته:

وإن أعجبت بشجاعتك، فتفكر فيمن هو أشجع منك، ثم انظر في تلك النجدة التي منحك الله ﷻ فيما صرفتها، فإن كنت صرفتها في معصية فأنت أحمق، لأنك بذلت نفسك فيما ليس بثمن لها، وإن كنت صرفتها في طاعة فقد أفسدتها بعجبك، ثم تفكر في زوالها عنك بالشيخ، وإنك إن عشت فستصير في عداد العيال وكالصبي ضعفًا.

### 6. علاج من أعجب بجاهه:

وإن أعجبت بجاهك في دنياك، فتفكر في مخالفيك، وأندادك، ونظائرك، ولعلهم أخساء، وضعاء، سقاط، فاعلم أنهم أمثالك فيما أنت فيه، ولعلهم ممن يستحيي من التشبه بهم، لفرط رذالتهم، وخساستهم في أنفسهم، وفي أخلاقهم، ومنابتهم، فاستهن بكل منزلة شارك فيها من ذكرت لك، وإن كنت مالك الأرض كلها ولا خليفة عليك - وهذا بعيد جدًّا في الإمكان- فما نعلم أحدًا ملك معمور الأرض كلها على قلته وضيق مساحته بالإضافة إلى غامرها، فكيف إذا أضيف إلى الفلك المحيط، وإن كنت ملك المسلمين كلهم، فاعلم أنَّ ملك السودان وهو رجل أسود مكشوف العورة جاهل، يملك أوسع من ملكك، فإن قلت أخذته بحقٍّ، فلعمري ما أخذته بحقٍّ إذ استعملت فيه رذيلة العُجْب، وإذا لم تعدل فيه فاستحي من حالك، فهي حالة لا حالة يجب العُجْب فيها.




### 7. علاج من أعجب بماله:

وإن أعجبت بمالك، فهذه أسوأ مراتب العُجْب، فانظر في كلِّ ساقط خسيس فهو أغنى منك، فلا تغتبط بحالة يفوقك فيها من ذكرت، واعلم أنَّ عجبك بالمال حمق؛ لأنَّه أحجار لا تنتفع بها إلا بأن تخرجها عن ملكك بنفقتها في وجهها فقط، والمال أيضًا غاد ورائح، وربما زال عنك، ورأيته بعينه في يد غيرك، ولعل ذلك يكون في يد عدوك، فالعُجْب بمثل هذا سخف، والثقة به غرور وضعف.

### 8. علاج من أعجب بجماله وحسن منظره:

وإن أعجبت بحسنك، ففكر فيما عليك مما نستحيي نحن من إثباته، وتستحي أنت منه إذا ذهب عنك بدخولك في السنِّ.

### 9. علاج من أعجب بمدح الناس له:

وإن أعجبت بمدح إخوانك لك، ففكر في ذمِّ أعدائك إياك، فحينئذ ينجلي عنك العُجْب، فإن لم يكن لك عدو فلا خير فيكن ولا منزلة أسقط من منزلة من لا عدو له، فليست إلا منزلة من ليس الله سبحانه وتعالى عنده نعمة يحسد عليها، عافانا الله عز وجل، فإن استحقرت عيوبك، ففكر فيها لو ظهرت إلى الناس، وتمثل اطلاعهم عليها، فحينئذ تخجل وتعرف قدر نقصك إن كانت لك مسكة من تمييز.

### 10. علاج من أعجب بنسبه:

وإن أعجبت بنسبك، فهذه أسوأ من كلِّ ما ذكرنا؛ لأنَّ هذا الذي أعجبت به لا فائدة له أصلًا في دنيا ولا آخرة، وانظر هل يدفع عنك جوعة، أو يستر لك عورة، أو ينفعك في آخرتك، ثم انظر إلى من يساهمك في نسبك، وربما فيما هو أعلى منه ممن نالته ولادة الأنبياء عليهم السلام، ثم ولادة الخلفاء، ثم ولادة الفضلاء من الصحابة




والعلماء، ثم ولادة ملوك العجم، من الأكاسرة والقياصرة، ثم ولادة التبابعة وسائر ملوك الإسلام، فتأمل غبراتهم وبقاياهم، ومن يدلي بمثل ما تدلي به من ذلك، تجد أكثرهم أمثال الكلاب خساسة، وتلقهم في غاية السقوط والرذالة، والتبذل والتحلي بالصفات المذمومة، فلا تغتبط بمنزلة هم نظراؤك أو فوقك.

## 11. علاج من أعجب بفضل آبائه:

فإن أعجبت بولادة الفضلاء إياك، فما أخلى يدك من فضلهم إن لم تكن أنت فاضلًا، وما أقلَّ غناءهم عنك في الدنيا والآخرة، إن لم تكن محسنًا، والناس كلُّهم ولد آدم الذي خلقه الله ﷻ بيده، وأسكنه جنته وأسجد له ملائكته، ولكن ما أقلَّ نفعه لهم، وفيهم كلُّ عيب، وكلُّ فاسق، وكلُّ كافر، وإذا فكر العاقل في أنَّ فضائل آبائه لا تقربه من ربه ﷻ، ولا تكسبه وجاهة، لم يحزها هو بسعده، أو بفضله في نفسه، ولا ماله، فأي معنى للإعجاب بما لا منفعة فيه.

## 12. علاج من طلب المدح عجبًا بنفسه:

فإن تعدى بك العُجْب إلى الامتداح، فقد تضاعف سقوطك؛ لأنَّه قد عجز عقلك عن مفارقة ما فيك من العُجْب، هذا إن امتدحت بحق، فكيف إن امتدحت بكذب! وقد كان ابن نوح وأبو إبراهيم وأبو لهب، عم النبي ﷺ وعلى نوح وإبراهيم عليهما السلام، أقرب الناس من أفضل خلق الله ﷻ من ولد آدم وممن الشرف كله في اتباعهم، فما انتفعوا بذلك.

## 13. علاج من أعجب بقوة جسمه أو خفته:

وإن أعجبت بقوة جسمك، فتفكر في أنَّ البغل، والحمار، والثور، أقوى منك وأحمل للأثقال، وإن أعجبت بخفتك، فاعلم أن الكلب والأرنب يفوقانك في هذا الباب. فمن أعجب العجيب إعجاب ناطق بخصلة يفوقه فيها غير الناطق"[1]

[1] رسائل ابن حزم (1/ 387 – 393)




# المرض الثاني والعشرون
# اليأس والقنوط

## تعريف اليأس

### في اللغة:

"اليأْس: القنوط، وقيل: اليأْس نقيض الرجاء أو قطع الأمل، يئس من الشيء ييأس وييئس؛ والمصدر اليأْس واليآسة واليأَس، وقد استيأس وأيأسته وإنه ليائس ويئِس ويؤوس ويَؤُس، والجمع يُؤُوس"[1]

قال ﷻ: ﴿أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ٣١﴾ الرعد: ٣١، قال الفيروز ابادي والفرّاء في هذه الآية: "أفلم يعلم قال: وهو في المعنى على تفسيرهم لأنّ الله ﷻ قد أوقع إلى المؤمنين أن لو شاء لهدى النّاس جميعاً، فقال: أفلم ييأسوا علماً، يقول يؤيسهم العلم فيه مضمراً، كما تقول في الكلام: قد يئست منك ألّا تفلح، كأنّك قلت: قد علمته علما، وقيل معناه: أفلم ييأس الّذين آمنوا من إيمان من وصفهم الله ﷻ بأنّهم لا يؤمنون"[2]، وقال القرطبيّ: "والمعنى على ذلك: أفلم يعلم الّذين آمنوا أن لو يشاء الله ﷻ لهدى النّاس جميعاً من غير أن يشاهدوا الآيات، وقيل هو من اليأس المعروف (أي انقطاع الرّجاء) ويكون المعنى أفلم ينقطع رجاء المؤمنين من إيمان هؤلاء الكفّار لعلمهم أنّ الله ﷻ لو أراد هدايتهم لهداهم"[3]

---

[1] لسان العرب لابن منظور (6/ 259 – 260)، القاموس المحيط للفيروز آبادي (1/ 582)، جمهرة اللغة لأبي بكر الأزدي (1/ 238)
[2] بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي (5/ 375)
[3] تفسير القرطبي (9/ 320)





### في الشرع:

**قال العسكري:** "اليأْس: انقطاع الطمع من الشيء"[1]

**قال ابن الجوزي:** "اليأْس: القطع على أنَّ المطلوب لا يتحصل لتحقيق فواته"[2]

**قال المناويّ:** "اليأس: القطع بأنّ الشّيء لا يكون، وهو ضدّ الرّجاء"[3]

**قال العزّ بن عبد السلام:** "اليأس من رحمة الله: هو استصغار لسعة رحمته ﷻ ومغفرته، وذلك ذنب عظيم وتضييق لفضاء جوده"[4]

**قال الكفويّ:** "اليأس: انقطاع الرّجاء"[5]

**قال الرّاغب الأصفهاني:** "اليأس هو انتفاء الطّمع"[6]

## تعريف القنوط

### في اللغة:

"أصل هذه المادة يدُلُّ عَلَى الْيَأْسِ مِنَ الشَّيْءِ، فالقُنُوط: اليأْس، وقيل: أَشَدُّ اليأْس من الشَّيْءِ، مصدر قَنَط يَقنِطُ (من باب ضرب) ويَقنُطُ (من باب قعد)، وقَنِطَ يقنَط (من باب تعب)، وهو قانِطٌ وقَنُوط وقنِط"[7]

**قال ابن الأثير:** "القنوط هو أشدّ اليأس من الشّيء"[8]

**قال الهروى:** "القنوط: اليأس من الخير، شرّ النّاس الّذين يقنّطون النّاس من رحمة الله أي يؤيّسونهم"[9]

---

[1] معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص 436
[2] نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي ص 633
[3] التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص 346
[4] شجرة المعارف والأحوال ص 120
[5] الكليات للكفوي ص 985
[6] المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص 892
[7] مقاييس اللغة لابن فارس (5/ 32)، لسان العرب لابن منظور (7/ 386)، المصباح المنير للفيومي (2/ 517)
[8] النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (4/ 113)
[9] تهذيب اللغة للهروى (9/ 25)





## في الشرع:

قال الشوكاني: "القنوط: الإياس من الرَّحمة"[1]

قال ابن عادل: "القنوط: شدَّة اليأْس من الخير"[2]

قال التميمي: "هو استبعاد الفرج واليأس منه، وهو يقابل الأمن من مكر الله عز وجل، وكلاهما ذنب عظيم وينافيان كمال التّوحيد"[3]

قال المناويّ: "القنوط: هو اليأس من الرّحمة"[4]

قال العزّ بن عبد السّلام: "القنوط استصغار لسعة رحمة الله عز وجل ومغفرته، وذلك ذنب عظيم وتضييق لفضاء جوده سبحانه وتعالى"[5]

## حكم اليأس

عدّ ابن حجر الهيتمي: "اليأس من رحمته سبحانه وتعالى من الكبائر مستدلّا بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ يوسف: ٨٧، وبعد أن ذكر عدداً من الأحاديث المبشّرة بسعة رحمته عز وجل قال: عدّ هذا كبيرة هو ما أطبقوا عليه، وهو ظاهر، لما فيه من الوعيد الشّديد"[6]

## حكم القنوط

قال ابن حجر الهيتمي: "سوء الظّنّ بالله سبحانه وتعالى والقنوط من رحمته من الكبائر، مستدلّا بقوله سبحانه وتعالى في القنوط: ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾

---

[1] فتح القدير للشوكاني (4/ 260)
[2] اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (11/ 471)
[3] فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للتميمي ص 359
[4] التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص 275
[5] شجرة المعارف والأحوال للعز بن عبد السلام ص 120
[6] الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي (1/ 149)



الحجر: ٥٦، وقال: عدّ سوء الظّنّ والقنوط كبيرتين مغايرتين لليأس هو ما ذهب إليه الجلال البلقينيّ وغيره، والظّاهر أنّ القنوط أبلغ من اليأس، للتّرقّي إليه في قوله ﷻ: ﴿ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ فصلت: ٤٩، وقد اتّفقوا على أنّ الشّخص الّذي يئس من وقوع شيء من الرّحمة له مع إسلامه فاليأس في حقّه كبيرة اتّفاقاً، ثمّ هذا اليأس قد ينضمّ إليه حالة هي أشدّ منه، وهي التّصميم على عدم وقوع الرّحمة له وهو القنوط، ثمّ قد ينضمّ إلى ذلك أنّ الله ﷻ يشدّد عقابه له كالكفّار وهذا هو المراد بسوء الظّنّ هنا"[1]

ولقد أجمع العلماء على تحريم اليأْس والقنوط، ومن اليأْس والقنوط ما يخرج من الملة، ومنه ما لا يخرج من الملة، وإنما هو من الكبائر، بل أشد تحريمًا من الكبائر الظاهرة كالزنا، وجعلهما القرطبي في الكبائر بعد الشرك من حيث الترتيب، قال عبد الله بن مسعود ﷺ: "الكبائر أربع: الإشراك بالله، والقنوط من رحمة الله، واليأْس من روح الله، والأمن من مكر الله"[2]

وقال العدوي: "الإياس من الكبائر"[3]

## أسباب اليأس والقنوط

### 1. قسوة القلب وضعف الصلة بالله ﷻ:

إن أصحاب القلوب القاسية يلهثون وقت الرخاء وراء الشهوات، ويتفاخرون بتحصيل اللذات، فإذا أصابتهم الشدة والبلاء والخوف، طغت على تفكيرهم الماديات، وأصابهم الفزع فلا ثقة عندهم بدين، ولا يعتمدون على إيمان بالغيب، بل تنطمس معالم النور، ولا يزيدهم النظر في حالهم إلا ضيقًا وبؤسًا ويأسًا يجعلهم لا يتوجهون إلى الله ﷻ

[1] الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي (1/ 150)
[2] تفسير الطبري (6/ 648)
[3] حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني (2/ 441)




بالخضوع والتضرع، بل إن قلوبهم القاسية تأبى سلوك سبيل الطاعة والرجاء فيما عند الله ﷻ، قال الله ﷻ عنهم: ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ الأنعام: ٤٣

## 2. الجهل بالله ﷻ:

**قال ابن عادل:** "القنوط من رحمة الله ﷻ لا يحصل إلا عند الجهل بأمور:

**أحدها:** أن يجهل كونه ﷻ قادرًا عليه.

**وثانيها:** أن يجهل كونه ﷻ عالمًا باحتياج ذلك العبد إليه.

**وثالثها:** أن يجهل كونه ﷻ، منزهًا عن البخل، والحاجة.

والجهل بكلِّ هذه الأمور سبب للضلال"[1]

**قال ابن القيم** رحمه الله: "الكبائر: القنوط من رحمة الله ﷻ، واليأْس من روح الله ﷻ وتوابع هذه الأمور إنما تنشأ من الجهل بعبودية القلب، وترك القيام بها"[2]

## 3. حب الدنيا:

إن حب الدنيا وحياة الترف تُثني همة المرء عن العمل المثمر الجاد، لأنه يكلفه التضحية بشيء من دنياه المحبوبة التي تربى عليها، وسيكلفه التنازل عن مستوى الرفاهية التي ينعم بها، إن تعلق الإنسان الشديد بدنياه يجعله يقيس الأحداث بقياسها ويزن الأمور بميزانها، ويتوقع الأحداث في المستقبل بما جرت عليه عوائدها المادية القريبة، فتنطمس بصيرته ويهلك بالظن الخاسر لمستقبل هذا الدين وأهله، فيخفي في نفسه اليأس من انتصاره، ويبحث عن أعذار تخفي ما في قلبه من تعظيم الدنيا وحب نعيمها وقوة الارتباط بها، قال ﷻ: ﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا

[1] اللباب في علوم الكتاب لأبي عادل (11/ 471)
[2] مدارج السالكين لابن القيم (1/ 133)



وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ۚ بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾﴾ الفتح: ١١ – ١٢

### 4. الغلو في الخوف من الله سبحانه وتعالى:

قال ابن القيم رضي الله عنه: "لا يدع الخوف يفضي به إلى حدٍّ يوقعه في القنوط، واليأْس من رحمة الله عز وجل، فإنَّ هذا الخوف مذموم، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه يقول: حدُّ الخوف ما حجزك عن معاصي الله عز وجل، فما زاد على ذلك: فهو غير محتاج إليه، وهذا الخوف الموقع في الإياس: إساءة أدب على رحمة الله سبحانه وتعالى، التي سبقت غضبه، وجهل بها"[1]

ولغلبة هذا الخوف على قلب اليائس أسباب منها: "إدراك قلبه من معاني الأسماء والصفات ما يدل على عظمة الله عز وجل وجبروته، وسرعة عقابه، وشدة انتقامه، وحجب قلبه عن الأسماء الدالة على الرحمة، واللطف، والتوبة، والمغفرة... إلخ، فيسيطر على القلب الخوف فيسلمه ذلك إلى اليأْس من روح الله عز وجل، والقنوط من رحمته"[2]

### 5. اتباع الهوى:

إن اتباع الهوى يسهل للمرء سلوك سبيل الهوان والذل واستمراء الواقع المرِّ، والتخلي عن إصلاحه، واليأس من تغييره، بل يصل الأمر إلى ازدراء الجهود الإصلاحية. وكل ذلك يُسوّغ بمراء وجدل وتسويغات كاذبة، ففي حين يعقدون آمالاً عريضة على

---

[1] مدارج السالكين لابن القيم (2/ 371)
[2] أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة لعبد الله الجربوع (2/ 480)




مشاريع دنيوية محتملة ويُعدون له العدة ويضحون من أجلها، ويشقون في تحصيلها بالمال والجهد والوقت؛ تراهم يعتذرون عن مشاريع خيرية وأعمال فاضلة بأعذار واهية، قال ﷻ عن شأنهم: ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ ﴿٤٦﴾ ﴾ التوبة: ٤٦، وقال: ﴿ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ التوبة: ٤٢، وقال: ﴿ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ﴿٩٤﴾ ﴾ التوبة: ٩٤

إنه كشف وبيان لطبيعة النفوس اليائسة الناكلة عن العمل الجاد التي جعلت من الذرائع حجة لستر عوارها وضعفها.

### 6. مصاحبة اليائسين والقانطين والمقنطين:

فإنَّ مصاحبة هؤلاء تورث اليأْس والقنوط من رحمة الله ﷻ إما مشابهةً، أو عقوبةً للاختلاط بهم.

### 7. التعلُّق بالأسباب:

**قال الرازي:** "الكافر يعتقد أن السبب في حصول تلك النعمة سبب اتفاقي، ثم إنه يستبعد حدوث ذلك الاتفاق مرة أخرى فلا جرم يستبعد عود تلك النعمة فيقع في اليأس، وأما المسلم الذي يعتقد أن تلك النعمة إنما حصلت من الله ﷻ وفضله وإحسانه وطوله فإنه لا يحصل له اليأس، بل يقول لعله ﷻ يردها إلي بعد ذلك أكمل وأحسن وأفضل مما كانت، وأما حال كون تلك النعمة حاصلة فإنه يكون كفورًا؛ لأنه لما اعتقد أن حصولها إنما كان على سبيل الاتفاق أو بسبب أن الإنسان حصلها بسبب جده وجهده، فحينئذ لا يشتغل بشكر الله ﷻ على تلك النعمة"[1]

[1] مفاتيح الغيب للرازي (17/ 322)



## 8. التشدد في الدين وترك الأخذ بالرخص المشروعة:

**قال المناوي: قال الغزالي:** "هذا قاله – يقصد حديث إن الله ﷻ يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته– تطييبًا لقلوب الضعفاء، حتى لا ينتهي بهم الضعف إلى اليأْس والقنوط، فيتركوا الميسور من الخير عليهم؛ لعجزهم عن منتهى الدرجات، فما أرسل إلا رحمةً للعالمين، كلهم على اختلاف درجاتهم وأصنافهم"[1]

## 9. قلة الصبر واستعجال النتائج:

إنَّ ضعف النفوس عن تحمل البلاء، والصبر عليه، واستعجال حصول الخير يؤدي إلى الإصابة باليأْس والقنوط، لاسيما مع طول الزمن واشتداد البلاء على الإنسان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ أنه قال: "لا يزال يستجاب للعبد، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، ما لم يستعجل، قيل: يا رسول الله ما الاستعجال؟ قال: يقول: قد دعوت وقد دعوت، فلم أرَ يستجيب لي، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء"[2]

**قال القرطبي:** "والقائل: قد دعوت فلم أرَ يستجاب لي، ويترك قانطًا من رحمة الله ﷻ، وفي صورة الممتن على ربه ﷻ، ثم إنَّه جاهل بالإجابة، فإنَّه يظنها إسعافه في عين ما طلب، فقد يعلم الله ﷻ أنَّ في عين ما طلب مفسدة"[3]

وعن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسِّد بردة له في ظل الكعبة، وقد لقينا من المشركين شدة، فقلنا: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا؟ فقال: "قد كان من قبلكم يؤخذ لرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها، ثم يُؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيُجعل نصفين، ويُمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، ما

---

[1] فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي (2/ 296)
[2] رواه مسلم (4/ 2096)
[3] المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (7/ 63)

يصدُّه ذلك عن دينه، والله ليتمنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنَّكم تستعجلون"[1]

قال ابن القيم رضي الله عنه: "من استطال الطَّرِيق ضعف مَشْيه، وَمَا أَنْت بالمشتاق إِن قلت بَيْننَا، طوال اللَّيالي أَو بعيد المفاوز"[2]

## 10. تعلق القلب بالدنيا:

فمن أسباب اليأْس والقنوط الأساسية تعلق القلب بالدنيا، والفرح بأخذها، والحزن والتأسف على فواتها، بكل ما فيها من جاه، وسلطان، وزوجة، وأولاد، ومال، وعافية، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ الروم: ٣٦

## 11. دُنوُّ الهمة والاستسلام للواقع وضعف الرغبة في التغيير:

"فإنَّ اليأس من الإصلاح يقع فيه كثير من الناس، فإذا عاين الشرور المتراكمة، والمصائب، والمحن، والفتن، ومن الفرقة والتناحر والاختلاف الذي يسري في صفوف المسلمين، يأس من الإصلاح، ومثل ذلك في شأن كثير من الناس ممن يسرف على نفسه بالمعاصي، ويتيه في أودية الرذيلة، فتجده ييأس من إصلاح حاله، والرقي بها إلى الأمثل، بل ربما ظنَّ أنَّ التغيير مستحيل، وهذا كله مظهر من مظاهر دنو الهمة، وصغر النفس، والعجز عن مواجهة المتاعب، والمصاعب"[3]

[1] رواه البخاري (9/ 20)
[2] الفوائد لابن القيم ص 78
[3] انظر الهمة العالية لمحمد بن إبراهيم الحمد (1/ 50)

## ثمار اليأس والقنوط

لليأس ثمرات مُرَّة يتجرعها اليائسون، فلسان حالهم يقول: ليس من بديل لأحوالهم إلا ما هو أمر وأنكى، وليس بالإمكان أفضل مما كان، إنهم يستطيبون باليأس ثمرات عفنة حين يألفونها ولا يرضون عنها بدلاً، ومن جملة تلك الثمرات المرة:

### 1. الزهد في الإصلاح:

اليائسون بقدر ما يتحدثون عن حجم المصائب والنكبات، وعمق المشكلات، وألوان الضعف؛ يُهربون من ميدان العمل والإصلاح؛ بحجة أن الإصلاح لابد له من جهود ضخمة لا طاقة لهم بها، وأما الأعمال الإصلاحية الفردية اليسيرة ففي نظرهم لن تغير التيار الجارف، ولن تصلح ما مضى من فساد عبر سنين عديدة فلا جدوى منها! إنه عجز ويأس وفقدان للهمة، وقد يصل بهم الحال إلى تثبيط المصلحين الساعين في بيان الحق وتبرئة الذمة، قال ﷻ: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ الأعراف: ١٦٤،

إن الناكلين عن العمل يحرصون على بثِّ اليأس وتزهيد الناس في الأعمال الجادة، لأدنى قصور أو خسارة ظاهرية يُشاهدونها، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ ﴾ آل عمران: ١٥٦




## 2. الإغراق في اللهو:

ماذا عساه أن يفعل من زهد في أعمال الخير، وحجب ناظريه تيار الانحراف، ولم يرَ مخرجًا للحياة سوى التعايش مع لوازمه ومتطلباته، والهروب بالنفس إلى ميدان اللهو، والتمادي في الاستجمام والإغراق في حياة العبث والتسلية؛ ليصبح العمل للدنيا هو الاستثناء الجاد في حياته، وإن كان هذا سبيلاً سار فيه أفراد نتاج فكرهم اليأس، فقد وقعت جماهير من الأمة في هذا الفخ المريع والمستنقع المسلّي؛ جرَّاء سيرهم وراء اليائسين الكبار الذين يعبثون بعقولهم وأموالهم.

## 3. الهروب إلى العدو:

إنه مشهد محزن وغريب، ولكنه في الوقت نفسه متوقع من اليائسين حين يطلبون من عدوهم حلَّ مشكلاتهم التي هو سببها، ويفسحون لها المشاركة في ترتيب أولوياتهم التي تُميزهم عنه، إنهم يحذرون منه، ويُحققون ما يرضيه، ويتعايشون مع خططه وتصوراته!

﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ٥٢ ﴾ المائدة: ٥٢، إنه حلٌّ رخيص وجاهز لا يحتاج إلى مزيد من الجهد والعناء، بل إنهم يجعلون الحل العقلاني الأمثل، والتخطيط الثاقب الذي يقي الأمة نزاعات مُدمرة وصراعات جارفة، فما أرخص المبادئ عند اليائسين من الإصلاح، إن المحافظة على الوضع الراهن منتهى تفكير اليائسين، أما أن يفكروا في السعي إلى مستوى أعلى لحال الأمة؛ فهو عندهم ضرب من الجنون، ونوع من التطرف وفوضى فكرية يجب تقييدها.



## آثار اليأس والقنوط

### 1. اليأْس والقنوط من صفات الكافر والضال:

قال ﷻ: ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ الحجر: ٥٦،

وقال: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ يوسف: ٨٧

**قال السعدي:** "يخبر ﷻ عن طبيعة الإنسان، أنه جاهل ظالم بأنَّ الله ﷻ إذا أذاقه منه رحمة كالصحة والرزق، والأولاد، ونحو ذلك، ثم نزعها منه، فإنه يستسلم لليأس، وينقاد للقنوط"[1]

**قال ابن عطية:** "اليأْس من رحمة الله ﷻ وتفريجه، من صفة الكافرين"[2]

### 2. اليأْس والقنوط ليس من صفات المؤمنين:

**قال البغوي:** "إذا هم يقنطون، ييأسون من رحمة الله ﷻ، وهذا خلاف وصف المؤمن، فإنه يشكر الله ﷻ عند النعمة، ويرجو ربه ﷻ عند الشدة"[3]

**قال القاسمي:** "الجزع واليأْس من الفرج عند مسِّ شر قضى عليه، وكل ذلك مما ينافي عقد الإيمان"[4]

### 3. اليأْس والقنوط فيه تكذيب لله ﷻ ولرسوله ﷺ:

**قال ابن عطية:** "اليأْس من رحمة الله ﷻ، وتفريجه من صفة الكافرين، إذ فيه إمَّا التكذيب بالربوبية، وإمَّا الجهل بصفات الله ﷻ"[5]

**قال القرطبي:** "اليأْس من رحمة الله ﷻ، فيه تكذيب القرآن، إذ يقول وقوله الحق:

[1] تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 378
[2] المحرر الوجيز لابن عطية (3/ 274)
[3] معالم التنزيل للبغوي (3/ 579)
[4] محاسن التأويل للقاسمي (6/ 499)
[5] المحرر الوجيز لابن عطية (3/ 274)





﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ ﴿١٥٦﴾ ﴾ الأعراف: ١٥٦، وهو يقول: لا يغفر له، فقد حجَّر واسعًا، هذا إذا كان معتقدًا لذلك، ولذلك قال ﷻ: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ يوسف: ٨٧ ، وبعده القنوط، قال ﷻ: ﴿ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ الحجر: ٥٦بسي"[1]

## 4. اليأس فيه سوء أدب مع الله ﷻ:

قال ابن القيم رضي الله عنه: "الخوف الموقع في الإياس: إساءة أدب على رحمة الله ﷻ، التي سبقت غضبه، وجهل بها"[2]

## 5. اليأْس سبب في الوقوع في الكفر والهلاك والضلال:

قال القاسمي: "﴿ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسٗا ﴿٨٣﴾ ﴾ الإسراء: ٨٣ ، إشارة إلى السبب في وقوع هؤلاء الضالين في أودية الضلال، وهو حب الدنيا وإيثارها على الأخرى، وكفران نعمه ﷻ، بالإعراض عن شكرها، والجزع واليأْس من الفرج عند مسِّ شر قضى عليه"[3]

قال محمد بن سيرين وعبيدة السلماني في تفسير قوله ﷻ: ﴿ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ ﴿١٩٥﴾ ﴾ البقرة: ١٩٥، الإلقاء إلى التهلكة هو القنوط من رحمة الله ﷻ"[4]

## 6. الفتور والكسل عن فعل الطاعات والغفلة عن ذكر الله ﷻ:

قال ابن حجر الهيتمي: "القانط آيس من نفع الأعمال، ومن لازم ذلك تركها"[5]

[1] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي بتصرف يسير (5/ 160)
[2] مدارج السالكين لابن القيم (2/ 371)
[3] محاسن التأويل للقاسمي (6/ 499)
[4] معالم التنزيل للبغوي (1/ 217)
[5] الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي (1/ 122)



قال الرازي: "﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾﴾ الإسراء: ٨٣، أي: إذا مسه فقر أو مرض أو نازلة من النوازل كان يؤوسًا شديد اليأْس من رحمة الله ﷻ إن فاز بالنعمة والدولة اغتر بها فنسي ذكر الله ﷻ، وإن بقي في الحرمان عن الدنيا استولى عليه الأسف والحزن ولم يتفرغ لذكر الله ﷻ، فهذا المسكين محروم أبدًا عن ذكر الله ﷻ"[1]

## 7. الاستمرار في الذنوب والمعاصي:

قال أبو قلابة: "الرجل يصيب الذنب فيقول: قد هلكت ليس لي توبة، فييأس من رحمة الله ﷻ، وينهمك في المعاصي، فنهاهم الله ﷻ عن ذلك، قال ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ يوسف: ٨٧"[2]

## 8. سبب في الحرمان من رحمة الله ﷻ ومغفرته:

قال المباركفوري: "إن اعتقد أو ظن الإنسان أن الله ﷻ لا يقبلها– أعماله – وأنها لا تنفعه فهذا هو اليأْس من رحمة الله ﷻ وهو من الكبائر، ومن مات على ذلك وُكِّل إلى ما ظنَّ، كما في بعض طرق حديث: "أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي عبدي ما شاء[3]"[4]

## 9. سبب لفساد القلب:

قال ابن القيم رضي الله عنه وهو يعدد الكبائر: "الكبائر: القنوط من رحمة الله ﷻ، واليأْس من روح الله ﷻ، وتوابع هذه الأمور التي هي أشد تحريمًا من الزنا، وشرب الخمر وغيرهما

---

[1] مفاتيح الغيب للرازي (21/ 391)
[2] معالم التنزيل للبغوي (1/ 217)
[3] المعجم الكبير للطبراني (22/ 88)
[4] مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للمباركفوري (7/ 382)




من الكبائر الظاهرة، ولا صلاح للقلب ولا للجسد إلا باجتنابها، والتوبة منها، وإلا فهو قلب فاسد، وإذا فسد القلب فسد البدن"[1]

### 10. ذهاب سكينة القلب والشعور الدائم بالحرمان والحزن والهم:

"فـاليأْس من روح الله ﷻ والقنوط من رحمته؛ يؤدي إلى ترك العمل، إذ لا فائدة منه بزعمه، وهذه طامة من الطوام، وكبيرة من كبائر الذنوب، تُخرج القلب عن سكينته وأنسه، إلى انزعاجه وقلقه وهمه"[2]

**قال الشوكاني:** "إذا مسه- الإنسان - الشر من مرض، أو فقر، كان يؤوسًا شديد اليأْس من رحمة الله ﷻ، وإن فاز بالمطلوب الدنيوي، وظفر بالمقصود نسي المعبود، وإن فاته شيء من ذلك استولى عليه الأسف، وغلب عليه القنوط، وكلتا الخصلتين قبيحة مذمومة"[3]

## أنواع اليأس والقنوط

1. **اليأْس التام:** وهذا يخرج من الإسلام إذا لم يوجد الرجاء معه تمامًا.

2. **يأْس العصاة:** وهو يأس عصاة المسلمين بسبب كثرة المعاصي، وهذا لا يخرج من الملة ولكنه من كبائر الذنوب.

**قال السعدي:** "الإياس من رحمة الله ﷻ من أعظم المحاذير، وهو نوعان: إياس الكفار منها، وتركهم جميع سبب يقربهم منها، وإياس العصاة، بسبب كثرة جناياتهم أوحشتهم، فملكت قلوبهم، فأحدث لها الإياس"[4]

---

[1] مدارج السالكين لابن القيم (1/ 133)
[2] أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة لعبد الله الجربوع (2/ 480)
[3] فتح القدير للشوكاني (3/ 301)
[4] تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 629



## مجالات اليأس والقنوط

1. اليأْس والقنوط من مغفرة الله ﷻ للذنوب.

2. اليأْس والقنوط من زوال الشدائد وتفريج الكروب.

3. اليأْس من التغيير للأفضل:

ويتمثل في يأس الإنسان من تحصيل ما يرجوه في أمر من أمور الدنيا كجاه، أو مال، أو زوجة، أو أولاد وغيرهم.

4. اليأْس من نصر الإسلام، وارتفاع الذُّل والمهانة عن المسلمين.

5. اليأْس والقنوط من توبة العصاة، والتخذيل عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

ويكون التخذيل عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بدعوى عدم وجود تغير ملموس وفائدة، كما قال ﷻ حكاية عن بعض الناس: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ الأعراف: ١٦٤، قال ابن كثير: "يخبر ﷻ عن أهل هذه القرية أنهم صاروا إلى ثلاث فرق: فرقة ارتكبت المحذور، واحتالوا على اصطياد السمك يوم السبت، وفرقة نهت عن ذلك، وأنكرت واعتزلتهم. وفرقة سكتت فلم تفعل ولم تنه، ولكنها قالت للمنكرة: ﴿ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ أي: لم تنهون هؤلاء، وقد علمتم أنهم هلكوا واستحقوا العقوبة من الله ﷻ؟ فلا فائدة في نهيكم إيَّاهم، قالت لهم المنكرة: ﴿ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾ أي: نفعل ذلك مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ أي: فيما أخذ علينا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ




﴾ يقولون: ولعل بهذا الإنكار يتّقون ما هم فيه ويتركونه، ويرجعون إلى الله ﷻ تائبين، فإذا تابوا تاب الله ﷻ عليهم ورحمهم"[1]

## الفرق بين اليأس والقنوط والخيبة

### 1. الفرق بين اليأْس والقنوط:

أكثر العلماء على أنهما بمعنى واحد[2]، ويرى بعض العلماء أن بينهما اختلافًا، وأن القنوط: "أتم اليأس وأشده"[3]

وقيل: "إن اليأس من منعات القلب، والقنوط ظهور آثاره على ظاهر البدن"[4]

### 2. الفرق بين اليأْس والخيبة:

1. الخيبة لا تكون إلا بعد أمل، لأنها امتناع نيل ما أمل.

2. اليأْس: قد يكون قبل الأمل، وقد يكون بعده"[5]

## ما يباح من اليأس والقنوط

اليأْس ليس مذمومًا في كل الأحوال بل قد يحمد في بعض المواضع، ومنها:

### 1. اليأْس مما في أيدي الناس:

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في خطبته على المنبر: "إنَّ الطمع فقر، وإن اليأْس غنى، وإن الإنسان إذا أيس من الشيء استغنى عنه"[6]

واليأْس مما في أيدي الناس شرط لتحقيق الإخلاص، **قال ابن القيم** رضي الله عنه: "لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس، إلا كما يجتمع الماء

---

[1] تفسير القرآن العظيم لابن كثير (3/ 494)
[2] انظر: جامع البيان للطبري (20/ 102)، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (3/ 181)
[3] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (3/ 366)، معاني القرآن للنحاس (6/ 314).
[4] انظر: إعراب القرآن وبيانه لمحي الدين درويش (9/ 5 – 6)، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي (1/ 633)
[5] الفروق اللغوية للعسكري ص 245، النكت والعيون للماوردي (1/ 422)
[6] الزهد والرقائق لابن المبارك (1/ 223)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 50)




والنار، والضب والحوت، فإذا حدثتك نفسك بطلب الإخلاص، فأقبل على الطمع أولًا فاذبحه بسكين اليأْس، وأقبل على المدح والثناء فازهد فيهما زهد عشاق الدنيا في الآخرة، فإذا استقام لك ذبح الطمع والزهد في الثناء والمدح سهل عليك الإخلاص"[1]

### 2. ذكر نصوص الوعيد والعذاب لمن غلب رجاؤه وانهمك في المعاصي:

**قال البخاري:** "كان العلاء بن زياد يذكر النار، فقال رجل لِمَ تقنط الناس؟، قال: وأنا أقدر أن أقنط الناس، والله ﷻ يقول: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴿٥٣﴾ ﴾ الزمر: ٥٣، ويقول: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ ﴾ غافر: ٤٣، ولكنَّكم تحبون أن تبشروا بالجنة على مساوئ أعمالكم، وإنما بعث الله ﷻ محمدًا ﷺ مبشرًا بالجنة لمن أطاعه، ومنذرًا بالنار من عصاه"[2]

## مضار اليأس

"1. دليل الضّعف في الدّين وعدم اليقين.

2. تعب وعناء بلا فائدة.

3. اليائس من رحمة الله ﷻ كافر.

4. هو آية السّخط على قدر الله ﷻ"[3]

5. يضعف القوى ويقتل الأجساد.

## مضار القنوط

"1. دليل ضعف الإيمان.

[1] الفوائد لابن القيم ص 149
[2] صحيح البخاري (6/ 126)
[3] نظرة النعيم (11/ 5730)





2. يقطع الإنسان عن الله عَزَّ وَجَلَّ.

3. دليل قلّة الفهم والعقل.

4. يحبّه الشّيطان لتيئيسه لبني الإنسان.

5. يقعد بالإنسان أو يعجزه عن القيام بما أمر به.

6. إذا غلب على الإنسان اليأس والقنوط حرمه الإبداع والتّفوّق واستسهل البطالة والكسل"[1]

## علاج اليأس والقنوط

### 1. العلم بأن اليأس من الأخلاق المذمومة عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

لم يأتِ اليأس في نص واحد في موضع المدح، وقد قال فيه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ يوسف: ٨٧

### 2. الاعتدال في طرح النقد للطرف الآخر:

النظرة للطرف الآخر يجب دائماً أن تكون نظرة اعتدال وتوسط، بعيداً عن الإعجاب المطلق أو الذمّ المطلق، ذلك أن المبالغة في النقد وتجاوز الحدّ فيه يؤدي بالطرف المنتقَد إلى اليأس من رحمة الله عَزَّ وَجَلَّ.

### 3. التفكر في السنن الكونية:

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الذي خلق الكون بما فيه، وهو العالم المتصرّف المدبّر لما فيه، أرسل الرسل، وأنزل الكتب، فهو اللطيف بعباده.

[1] نظرة النعيم (11/ 5351)







### 4. التفكر في النصوص المبشرة بانتصار الإسلام:

قال ﷻ: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ الروم: ٤٧، فالنصر والتمكين والبقاء لدين الإسلام، فإذا علم العبد ذلك وتفكّر فيه فقد تخلّص من اليأس والقنوط.

### 5. إنّ مع العسر يسراً:

ما يصيب العبد من العسر إلّا اليسر في باطنه، وما اشتدت وضاقت بالعبد إلّا فرّجها الله ﷻ عليه بلطفه.

### 6. عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم:

ما يصيب المسلم من نصب ويرى في ظاهره الشرّ، فإنّ الخير فيه، وما أحدثه الله ﷻ إلّا لأنه يعلم بحكمته أنّ هذا هو الخير.

### 7. الإيمان بأسماء الله ﷻ وصفاته:

إنَّ العلم والإيمان بأسماء الله ﷻ وصفاته، وخاصة التي تدلُّ على الرحمة، والمغفرة، والكرم، والجود، تجعل المسلم لا ييأس من رحمة الله ﷻ وفضله، "فإذا علم العبد، وآمن بصفات الله ﷻ من الرحمة، والرأفة، والتَّوْب، واللطف، والعفو، والمغفرة، والستر، وإجابة الدعاء؛ فإنه كلما وقع في ذنب؛ دعا الله ﷻ أن يرحمه ويغفر له ويتوب عليه، وطمع فيما عند الله ﷻ من سترٍ ولطفٍ بعباده المؤمنين، فأكسبه هذا رجعة وأوبة إلى الله ﷻ كلما أذنب، ولا يجد اليأْس إلى قلبه سبيلًا، كيف ييأس من يؤمن بصفات الصبر، والحلم؟! كيف ييأس من رحمة الله ﷻ من علم أنَّ الله ﷻ يتصف بصفة الكرم، والجود، والعطاء"[1]

[1] صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة لعلوي السَّقَّاف ص 36




## 8. حسن الظن بالله ﷻ ورجاء رحمته:

**قال السفاريني**: "حال السلف رجاء بلا إهمال، وخوف بلا قنوط، ولابد من حسن الظن بالله ﷻ"[1]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: "قال الله ﷻ: أنا عند ظَنِّ عبدي بي، وأنا معه حيث يذكرني، والله، لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة، ومن تقرَّب إلي شبرًا، تقربت إليه ذراعًا، ومن تقرَّب إلي ذراعًا، تقربت إليه باعًا، وإذا أقبل إليَّ يمشي، أقبلت إليه أهرول"[2]، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "قال الله سبحانه وتعالى: يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني، غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم، إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا، لأتيتك بقرابها مغفرة"[3]

## 9. تعلق القلب بالله ﷻ والثقة به:

لا بد على المرء أن يعلق قلبه بالله ﷻ، ويجعل الثقة به سبحانه وتعالى في كل أحواله، "ولا يليق بالمسلم أن ييأس من روح الله ﷻ ولا يقنط من رحمته، ولا يكون نظره مقصورًا على الأمور المادية والأسباب الظاهرة، بل يكون متلفتًا في قلبه في كل وقت إلى مسبب الأسباب، إلى الكريم الوهاب، متحريًا للفَرَج، واثقًا بأن الله سبحانه وتعالى سيجعل بعد العسر يسرًا، ومن هنا ينبعث للقيام بما يقدر عليه من النصح والإرشاد والدعوة، ويقنع باليسير إذا لم يمكن الكثير، وبزوال بعض الشر وتخفيفه إذا تعذر غير ذلك"[4]

---

[1] غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب للسفاريني (1/ 466)
[2] رواه البخاري (9/ 121)، رواه مسلم (4/ 2102)
[3] مسند أحمد (5/ 167)، سنن الترمذي (5/ 548)
[4] انظر: الهمة العالية لمحمد الحمد (1/ 50).



### 10. أن يكون العبد بين الخوف والرجاء:

قال ﷻ في مدح عباده المؤمنين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ الأنبياء: ٩٠، قال السفاريني: "نص الإمام أحمد ينبغي للمؤمن أن يكون رجاؤه وخوفه واحدًا، فأيهما غلب صاحبه هلك، وهذا هو العدل، ولهذا من غلب عليه حال الخوف أوقعه في نوع من اليأْس والقنوط، إمّا في نفسه، وإمّا في أمور الناس، ومن غلب عليه حال الرجاء بلا خوف أوقعه في نوع من الأمن لمكر الله، إمّا في نفسه، وإمّا في الناس"[1]

### 11. الإيمان بالقضاء والقدر:

إذا علم المرء وأيقن أنَّ كل ما حصل له هو بقضاء الله ﷻ وقدره استراح قلبه، ولم ييأس لفوات شيء كان يرجوه، أو لوقوع أمر كان يحذر منه، قال ﷻ: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ الحديد: ٢٢، وقال ﷻ: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ التغابن: ١١، قال ابن القيم رضي الله عنه: "إذا جرى على العبد مقدور يكرهه، فله فيه ستة مشاهد: أحدها: مشهد التوحيد، وأن الله ﷻ هو الذي قدره وشاءه وخلقه، وما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن، الثاني: مشهد العدل، وأنه ماض فيه حكمه عدل فيه قضاؤه، الثالث: مشهد الرحمة، وأن رحمته في هذا المقدور غالبه، لغضبه، وانتقامه ورحمته حشوه، الرابع: مشهد الحكمة، وأن حكمته ﷻ اقتضت ذلك لم يقدره سدًى، ولا قضاه عبثًا، الخامس:

---

[1] غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب للسفاريني (1/ 462)

مشهد الحمد، وأنَّ له ﷻ الحمد التام على ذلك من جميع وجوهه، السادس: مشهد العبودية، وأنه عبد محض من كل وجه تجري عليه أحكام سيده وأقضيته بحكم كونه ملكه وعبده فيصرفه تحت أحكامه القدرية كما يصرفه تحت أحكامه الدينية، فهو محل لجريان هذه الأحكام عليه"[1]

## 12. الصبر عند حدوث البلاء:

وذلك أن الله ﷻ ذم اليائسين من رحمته عند حصول البلاء، واستثنى من الذم الصابرين على البلاء، وجعل لهم الثواب العظيم، فقال ﷻ: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ هود: ١٠ - ١١، ونهى النَّبي ﷺ عن تمني الموت بسبب البلاء، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لا يتمنين أحدكم الموت لضرر أصابه، فإن كان لا بد فاعلًا، فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي"[2]

## 13. الدعاء مع الإيقان بالإجابة:

قال ﷻ عن نبيه يعقوب عليه السلام لما عوتب في تذكر يوسف عليه السلام بعد طول الزمان، وانقطاع الأمل، وحصول اليأْس في رجوعه، قال بلسان المؤمن الواثق في وعد الله عز وجل برفع البلاء عن الصابرين وإجابة دعوة المضطرين، ﴿ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ يوسف: ٨٦، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن

[1] الفوائد لابن القيم ص 32
[2] رواه البخاري (7/ 121)



النَّبي ﷺ قال: "لا يزال يستجاب للعبد، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، ما لم يستعجل"[1]

**قال القرطبي**: "ينبغي استدامة الدعاء وترك اليأْس من الإجابة، وداوم رجائهما، واستدامة الإلحاح في الدعاء، فإن الله يحب الملحِّين في الدعاء"[2]

والمرء مع إلحاحه في الدعاء عليه أن يوقن بأن "النَّصر مع الصَّبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرًا"[3]

## 14. الأخذ بالأسباب:

يظهر لنا جليًّا في قصة يوسف عليه السلام أهمية الأخذ بالأسباب، وترك الاستسلام لليأس، فقد قال نبي الله يعقوب عليه السلام لأولاده لما أبلغوه فقد ابنه الثاني: ﴿ يَـٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ يوسف: ٨٧، **قال السعدي**: "ورد النهي عن تمني الموت للضر الذي ينزل بالعبد، من مرض أو فقر أو خوف، أو وقوع في شدة ومهلكة، أو نحوها من الأشياء، فإن في تمني الموت لذلك مفاسد منها: أنه يضعف النفس، ويحدث الخور والكسل، ويوقع في اليأْس، والمطلوب من العبد مقاومة هذه الأمور والسعي في إضعافها وتخفيفها بحسب اقتداره، وأن يكون معه من قوة القلب وقوة الطمع في زوال ما نزل به، وذلك موجب لأمرين: اللطف الإلهي لمن أتى بالأسباب المأمور بها، والسعي النافع الذي يوجبه قوة القلب ورجاؤه، فيجعل العبد الأمر مفوضًا إلى ربه عز وجل

[1] رواه مسلم (4/ 2096)
[2] المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي (7/ 63).
[3] مسند أحمد (5/ 18)، المعجم الكبير للطبراني (11/ 123)





الذي يعلم ما فيه الخير والصلاح له، الذي يعلم من مصالح عبده ما لا يعلم العبد، ويريد له من الخير ما لا يريده، ويلطف به في بلائه كما يلطف به في نعمائه"[1]

## 15. الزهد في الدنيا:

فمن أسباب اليأْس والقنوط الأساسية، تعلق القلب بالدنيا والفرح بأخذها، والحزن والتأسف على فواتها بكل ما فيها، من جاه، وسلطان، وزوجة، وأولاد، ومال، وعافية.. إلخ، فاعلم أنَّ الله ﷻ يعطي الدنيا لمن لا يحب ومن يحب، ولا يعطي الآخرة إلا لمن أحب، وقد منع أحب الخلق إليه، وأكرمهم عليه، نبينا محمد ﷺ الدنيا وما فيها، فخرج وما ملأ بطنه من خبز البر ثلاث أيام متواليات، وأنَّ المرء لن يأخذ أكثر مما قدر له فلا ييأس ولا يقنط لفوات شيء.

**فاتق الله ﷻ، وأحسن الظن بالله ﷻ أنه سيرحمك في الدنيا والآخرة، ولا تتبع خطوات الشيطان الذي أوقعك في عدة ذنوب من القنوط، واليأس، والتقوّل على الله ﷻ؛ فإن هذه ذنوب تستوجب التوبة إلى الله ﷻ.**

---

[1] انظر: بهجة قلوب الأبرار للسعدي ص 175 - 176 بتصرف يسير.





# المرض الثالث والعشرون
# الكذب

## تعريف الكذب

### في اللغة:

قال ابن فارس: "أنّه لا يبلغ نهاية الكلام في الصّدق"، من ذلك: الكذب، خلاف الصّدق، يقال كذب كذباً، وكذّبت فلاناً: نسبته إلى الكذب، وأكذبته وجدته كاذباً، وحمل فلان ثمّ كذب وكذّب، أي لم يصدق في الحملة، وقولهم: ما كذّب فلان أن فعل كذا، أي ما لبث، فأمّا قول العرب كذب عليك كذا، وكذبك كذا، بمعنى الإغراء، أي عليك به، أو قد وجب عليك كما جاء في الحديث: "كذب عليكم الحجّ" أي وجب فكذا جاء عن العرب"[1]

قال الرّاغب الأصفهاني: "الكذب يقال في المقال والفعال، قال ﷻ: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ النحل: ١٠٥، فهذا في القول، وقال ﷻ: ﴿ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ﴾ المنافقون: ١، وكذبهم في اعتقادهم لا في مقالهم، ومقالهم كان صدقاً، أي قولهم ﴿ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ﴿١﴾ ﴾ المنافقون: ١"[2]

قال الجوهري: "وقول الله ﷻ: ﴿ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ ﴾ النبأ: ٢٨، كذّاب أحد مصادر المشدّد أي كذّب؛ لأنّ مصدره قد يجيء على تفعيل مثل تكليم، وعلى

[1] مقاييس اللغة لابن فارس (5/ 168)
[2] المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص 704

فعّال مثل كذّاب، وعلى تفعلة مثل توصية وعلى مفعّل مثل ممزّق، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢﴾ الواقعة: ٢، كاذبة هو اسم يوضع موضع المصدر كالعاقبة والباقية"[1]

قال القرطبيّ: "الكاذبة مصدر بمعنى الكذب، والمعنى لا يسمع لها كذب، وقيل: الكاذبة صفة والموصوف محذوف، أي ليس لوقعتها حال كاذبة، أو نفس كاذبة، أي كلّ من يخبر عن وقعتها صادق، وقال الثّوريّ: "ليس لوقعتها أحد يكذب بها"، وقال الكسائيّ: "ليس لها تكذيب، أي ينبغي ألّا يكذّب بها أحد"[2]

قال ابن منظور: "الكذب نقيض الصّدق، يقال: كذب يكذب كذباً وكذباً، وكذبة مثال همزة، وكذبان، والكذّب: جمع كاذب، مثل راكع وركّع، والكذب: جمع كذوب، مثل صبور وصبر، وكذب الرجل: أخبر بالكذب"[3]

## في الشرع:

قال الجرجاني: " كذب الخبر عدم مطابقته للواقع، وقيل هو إخبار لا على ما عليه المخبر عنه"[4]

وقال ابن حجر العسقلاني: "الكذب: هو الإخبار بالشّيء على خلاف ما هو عليه سواء كان عمدا أم خطأً"[5]

قال التّهانويّ: "الكذب خلاف الصّدق، قيل هو قبيح لعينه، وقيل لما يتعلّق به من المضارّ الخاصّة؛ لأنّ شيئاً من الأقوال والأفعال لا يحسن لذاته ولا يقبح لذاته"[6]

[1] الصحاح للجوهري (1/ 210)
[2] تفسير القرطبي (17/ 195)
[3] لسان العرب لابن منظور (1/ 704 – 705)
[4] التعريفات للجرجاني ص 183
[5] فتح الباري لابن حجر العسقلاني (1/ 201)
[6] كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي (2/ 1360)



**قال الجاحظ:** "الكذب: هو الإخبار عن الشّيء بخلاف ما هو به"[1]

**قال الكفويّ:** "الكذب: إخبار عن المخبر به على خلاف ما هو به مع العلم بأنّه كذلك وقيل: عدم المطابقة لما في نفس الأمر مطلقا"[2]

**قال الكفوي:** "وليس كذلك، بل هو عدم المطابقة عمّا من شأنه أن يطابق لما في نفس الأمر"[3]

**قال النووي:** "الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو، عمدًا كان أو سهوًا، سواء كان الإخبار عن ماض أو مستقبل"[4]

## حكم الكذب وما يباح منه

ذكر الإمامان ابن حجر والذّهبيّ الكذب الّذي لا رخصة فيه من الكبائر، وأفحش الكذب ما كان كذباً على الله ﷻ أو رسوله ﷺ، وقد صرّح العلماء بعدّ هذين النّوعين الكذب على الله ﷻ والكذب على الرّسول ﷺ من الكبائر، وذهب بعضهم إلى أنّ الكذب على الرّسول ﷺ كفر، **قال ابن حجر الهيتمي:** "ولا ريب أنّ تعمّد الكذب على الله ﷻ ورسوله ﷺ في تحليل حرام أو تحريم حلال كفر محض، وإنّما الكلام في الكذب عليهما فيما سوى ذلك"[5]

**وقد ذكر الذّهبيّ:** "أنّ الكذب في الحالتين السّابقتين كبيرة، وأنّ الكذب في غير ذلك أيضاً من الكبائر في غالب أحواله"[6]

**قال النووي:** "قد تظاهرتْ نصوصُ الكتاب والسنة على تحريم الكذب في الجملة، وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب، وإجماعُ الأمة منعقدٌ على تحريمه مع

---

[1] تهذيب الأخلاق للجاحظ ص 32
[2] الكليات للكفوي ص 556
[3] الكليات للكفوي ص 556
[4] شرح النووي على مسلم للنووي (1/ 69)
[5] الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي (1/ 162)
[6] الكبائر للذهبي ص 70

www.alukah.net


النصوص المتظاهرة، فلا ضرورة إلى نقل أفرادها، وإنما المهمُّ بيان ما يُستثنى منه، والتنبيه على دقائقه"[1]

قال الغزالي: "الكلامُ وسيلةٌ إلى المقاصد، فكلُّ مقصودٍ محمودٍ يُمكن التوصلُ إليه بالصدق والكذب جميعًا، فالكذبُ فيه حرامٌ؛ لعدم الحاجة إليه، وإن أمكنَ التوصل إليه بالكذب، ولم يمكن بالصدق، فالكذبُ فيه مباحٌ إن كان تحصيل ذلك المقصود مباحًا، وواجبٌ إن كان المقصود واجبًا، فإذا اختفى مسلم من ظالم، وسأل عنه، وجبَ الكذبُ بإخفائه، وكذا لو كان عندَه أو عندَ غيره وديعة، وسأل عنها ظالمٌ يُريدُ أخذَها، وجبَ عليه الكذب بإخفائها، حتى لو أخبرَه بوديعةٍ عندَه فأخذَها الظالم قهرًا، وجبَ ضمانُها على المودع المخبر، ولو استحلفَه عليها، لزمَه أن يَحلفَ ويورّي في يمينه، فإن حلفَ ولم يورِّ، حنثَ على الأصحِّ، وقيل: لا يحنثُ. وكذلك لو كان مقصودُ حَرْبٍ، أو إصلاحِ ذاتِ البين، أو استمالة قلب المجني عليه في العفو عن الجناية لا يحصل إلا بكذب، فالكذبُ ليس بحرام، وهذا إذا لم يحصل الغرضُ إلا بالكذب، والاحتياطُ في هذا كلِّه أن يورِّي، ومعنى التورية أن يقصدَ بعبارته مقصودًا صحيحًا ليس هو كاذبًا بالنسبة إليه، وإن كان كاذبًا في ظاهر اللفظ، ولو لم يقصد هذا، بل أطلق عبارةَ الكذب، فليس بحرام في هذا الموضع، وكذلك كلُّ ما ارتبط به غرضٌ مقصودٌ صحيح له أو لغيره، فالذي له، مثل أن يأخذَه ظالم، ويسألَه عن ماله ليأخذَه، فله أن ينكرَه، أو يسألَه السلطانُ عن فاحشةٍ بينَه وبينَ الله تعالى ارتكبَها، فله أن ينكرَها ويقول: ما زنيتُ، أو ما شربتُ مثلًا، وقد اشتهرتِ الأحاديث بتلقين الذين أقرُّوا بالحدود الرجوع عن الإقرار، وأما غرضُ غيره، فمثل أن يُسأَل عن سرِّ أخيه فينكرَهُ ونحو ذلك، وينبغي أن يُقابِلَ بين مَفسدةِ الكذب والمفسدةِ المترتبة على

[1] الأذكار للنووي ص 377



شبكة الألوكة - قسم الكتب

الصدق، فإن كانت المفسدةُ في الصدق أشدَّ ضررًا، فله الكذبُ، وإن كان عكسُه، أو شكَّ، حَرُم عليه الكذب، ومتى جازَ الكذب، فإن كان المبيحُ غرضًا يتعلَّق بنفسه، فيستحبُّ ألا يكذبَ، ومتى كان متعلقًا بغيره، لم تجزِ المسامحةُ بحقِّ غيره، والحزمُ تركه في كلِّ موضعٍ أُبيحَ، إلا إذا كان واجبًا"[1]

**وهذه بعض الحالات التي يباح فيها الكذب، وهي:**

1. في الحرب؛ لأنَّ الحرب خدعة، ومقتضياتها تستدعي التمويه على الأعداء، وإيهامهم بأشياء قد لا تكون موجودة، واستعمال أساليب الحرب النفسية ما أمكن، ولكن بصورة ذكية لبقة.

2. في الصلح بين المتخاصمين؛ حيث إنَّ ذلك يستدعي أحيانًا أن يحاول المصلح تبرير أعمال كل طرف وأقواله بما يحقق التقارب ويزيل أسباب الشقاق، وأحيانًا ينسب إلى كل من الأقوال الحسنة في حق صاحبه ما لم يقله، وينفي عنه بعض ما قاله؛ وهو ما يعوق الصلح ويزيد شقة الخلاف والخصام.

3. في الحياة الزوجية؛ حيث يحتاج الأمر أحيانًا إلى أن تكذب الزوجة على زوجها، أو يكذب الزوج على زوجته، ويخفي كل منهما عن الآخر ما من شأنه أن يوغر الصدور، أو يولد النفور، أو يثير الفتن والنزاع والشقاق بين الزوجين، كما يجوز أن يزف كل منهما للآخر من معسول القول ما يزيد الحب، ويسر النفس، ويجمل الحياة بينهما، وإن كان ما يقال كذبًا؛ لأن هذا الرباط الخطير يستحق أن يهتم به غاية الاهتمام، وأن يبذل الجهد الكافي ليظل قويًا جميلًا مثمرًا"[2]

[1] إحياء علوم الدين للغزالي (3/ 137)
[2] الرائد دروس في التربية والدعوة لمازن الفريح (3/ 264)

www.alukah.net
شبكة الألوكة


فعن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وكانت من المهاجرات الأول اللاتي بايعن النَّبي ﷺ أخبرته: أنها سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: "ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، ويقول خيرًا، وينمي خيرًا"[1]، **قال ابن شهاب**: "ولم أسمع يرخص في شيء مما يقول الناس كذب، إلا في ثلاث: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها"[2]

## أسباب الكذب

"1. اجتلاب النّفع واستدفاع الضرّ، فيرى الكذّاب أنّ الكذب أسلم وأغنم، فيرخّص لنفسه فيه اغتراراً بالخدع، واستشفافاً للطّمع.

2. أن يؤثر أن يكون حديثه مستعذباً، وكلامه مستظرفاً، فلا يجد صدقاً يعذب ولا حديثاً يستظرف، فيستحلي الكذب الّذي ليست غرائزه معوزة، ولا طرائفه معجزة.

3. أن يقصد بالكذب التّشفّي من عدوّه فيسمه بقبائح يخترعها عليه، ويصفه بفضائح ينسبها إليه.

4. أن تكون دواعي الكذب قد ترادفت عليه حتّى ألفها، فصار الكذب له عادة، ونفسه إليه منقادة"[3]

"5. **قال الراغب الأصفهاني**: "واعلم أن الداعي إلى الكذب محبة النفع الدنيوي وحب الترأس، وذلك أن المخبر يرى أن له فضلًا على المخبر بما علمه فهو يتشبَّه بالعالم الفاضل في ذلك فيظن أنه يجلب بما يقوله فضيلة ومسرة، وهو يجلب به نقيصة وفضيحة، ففضيحة كذبة واحدة لا توازي مسرات دهره، فالكذب عار دائم وذل

[1] رواه البخاري (3/ 183)، رواه مسلم (4/ 2011)
[2] صحيح مسلم (4/ 2011)
[3] أدب الدنيا والدين للماوردي ص 263 - 264




شبكة الألوكة - قسم الكتب

دائم، وحق الإنسان أن يتحرى الصدق ويتعوده ولا يترخص في أدنى كذب، فمن استحلاه عسر عليه فطامه"[1]

## آثار الكذب

1. الكذب يقرب البعيد، ويبعد القريب خلاف الواقع.

2. الكذب يذهب بالمروءة.

3. الكذب يعرض صاحبه للإهانة.

4. **قال ابن القيم** ﷺ: "الكاذب يصور المعدوم موجودًا، والموجود معدومًا، والحقَّ باطلًا، والباطل حقًّا، والخير شرًّا والشرَّ خيرًا، فيفسد عليه تصوره وعلمه عقوبة له، ثم يصور ذلك في نفس المخاطب"[2]

5. الكذب يهدي إلى الفجور.

6. الكذاب لا تسكن القلوب إليه بل تنفر منه.

7. الكذاب لا يفلح أبدًا.

8. الكذب من علامات النفاق.

9. الكذاب توعده الله ﷻ بجهنم.

## مظاهر الكذب

### 1. الكذب على الله ﷻ ورسوله ﷺ:

وهذا أعظم أنواع الكذب، والكذب على الله ﷻ نوعان:

**النوع الأول:** أن يقول: قال الله ﷻ كذا، وهو يكذب.

[1] الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني ص 196
[2] الفوائد لابن القيم ص 135




**والنوع الثاني:** أن يفسر كلام الله ﷻ بغير ما أراد الله ﷻ، لأن المقصود من الكلام معناه، فإذا قال: أراد الله ﷻ بكذا كذا وكذا، فهو كاذب على الله ﷻ، شاهد على الله سبحانه وتعالى بما لم يرده الله ﷻ، لكن الثاني إذا كان عن اجتهاد وأخطأ في تفسير الآية، فإنَّ الله سبحانه وتعالى يعفو عنه؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى قال: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج: ٧٨]، وقال: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وأما إذا تعمَّد أن يفسِّر كلام الله ﷻ بغير ما أراد الله ﷻ، اتباعًا لهواه أو إرضاء لمصالح أو ما أشبه ذلك، فإنَّه كاذب على الله ﷻ"[1]

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ [الأنعام: ٩٣]، يقول سبحانه وتعالى: "لا أحد أعظم ظلمًا، ولا أكبر جرمًا، ممن كذب على الله ﷻ بأن نسب إلى الله ﷻ قولًا أو حكمًا، وهو سبحانه وتعالى بريء منه، وإنما كان هذا أظلم الخلق؛ لأنَّ فيه من الكذب، وتغيير الأديان أصولها، وفروعها، ونسبة ذلك إلى الله سبحانه وتعالى ما هو من أكبر المفاسد، ويدخل في ذلك، ادعاء النبوة، وأنَّ الله سبحانه وتعالى يوحي إليه، وهو كاذب في ذلك، فإنه مع كذبه على الله ﷻ، وجرأته على عظمته وسلطانه يوجب على الخلق أن يتبعوه، ويجاهدهم على ذلك، ويستحل دماء من خالفه وأموالهم، ويدخل في هذه الآية، كل من ادعى النبوة، كمسيلمة الكذاب، والأسود العنسي، والمختار، وغيرهم ممن اتصف بهذا الوصف"[2]

وقال ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون، قريباً من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله"[3]

[1] شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (6/ 156)
[2] تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 264
[3] رواه البخاري (4/ 200)



قال ﷻ: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ الزمر: ٦٠، وقال ﷻ: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ﴿٣٧﴾ ﴾ الأعراف: ٣٧، وقوله ﷻ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ الأعراف: ٣٣، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار"[1]، وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين"[2]

**قال ابن عثيمين:** "وأكثر الناس كذبًا على رسول الله ﷺ هم الرافضة الشيعة، فإنه لا يوجد في طوائف أهل البدع أحد أكثر منهم كذبًا على رسول الله ﷺ، كما نص على هذا علماء مصطلح الحديث، لما تكلموا على الحديث الموضوع قالوا: إن أكثر من يكذب على الرسول ﷺ هم الرافضة الشيعة، وهذا شيء مشاهد ومعروف لمن تتبع كتبهم"[3]

## 2. الكذب على الناس بادِّعاء الإيمان:

**قال ابن عثيمين:** "كذب يظهر الإنسان فيه أنَّه من أهل الخير والصلاح، والتقى والإيمان، وهو ليس كذلك، بل هو من أهل الكفر والطغيان - والعياذ بالله - فهذا هو النفاق، النفاق الأكبر الذين قال الله ﷻ فيهم: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا

[1] رواه البخاري (1/ 33)، رواه مسلم (1/ 10)
[2] رواه مسلم (1/ 8)، سنن ابن ماجه (1/ 15)
[3] شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (6/ 156 – 157)

﴿بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ٨﴾ البقرة: ٨، لكنَّهم يقولون بألسنتهم، ويحلفون على الكذب وهم يعلمون، وشواهد ذلك في القرآن والسنة كثيرة، إنهم أعني المنافقين أهل الكذب يكذبون على الناس في دعوى الإيمان وهم كاذبون، وانظر إلى قول الله ﷻ في سورة (المنافقون) حيث صدر هذه السورة ببيان كذبهم حيث قال ﷻ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ١﴾ المنافقون: ١، أكدوا هذه الجملة بكم مؤكد؟ بثلاثة مؤكدات، (نشهد) (إن) (اللام) ثلاثة مؤكدات، يؤكدون أنهم يشهدون أنَّ محمدًا رسول الله، فقال الله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ١﴾ المنافقون: ١، في قولهم ﴿نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ هذا أيضًا من أنواع الكذب، وهو أشدُّ أنواع الكذب على الناس؛ لأنَّ فاعله والعياذ بالله منافق"[1]

### 3. الكذب في الحديث بين الناس:

**قال ابن عثيمين:** "الكذب في الحديث الجاري بين الناس يقول: قلت لفلان كذا، وهو لم يقله، قال فلان كذا، وهو لم يقله، جاء فلان، وهو لم يأتِ وهكذا، هذا أيضًا محرم ومن علامات النفاق، كما قال النَّبي ﷺ: "آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب"[2][3]

### 4. الكذب لإضحاك الناس:

قال النَّبي ﷺ: "ويل للذي يحدث بالحديث، ليضحك به القوم فيكذب، ويل له، ويل له"[4]

[1] شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (6/ 157)
[2] رواه البخاري (3/ 180)
[3] شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (6/ 158)
[4] سنن الترمذي (4/ 557)



**قال المناوي** في شرحه للحديث: "كره إيذانًا بشدة هلكته؛ وذلك لأنَّ الكذب وحده رأس كلِّ مذموم، وجماع كلِّ فضيحة، فإذا انضم إليه استجلاب الضحك الذي يميت القلب، ويجلب النسيان، ويورث الرعونة كان أقبح القبائح، ومن ثم قال الحكماء: إيراد المضحكات على سبيل السخف نهاية القباحة"[1]

**قال ابن عثيمين:** "وهذا يفعله بعض الناس ويسمونها النكت، يتكلم بكلام كذب ولكن من أجل أن يضحك الناس، هذا غلط، تكلم بكلام مباح من أجل أن تدخل السرور على قلوبهم، وأما الكلام الكذب فهو حرام"[2]

**قال الميداني:** "والحكمة من هذا المنع أنَّه يجر إلى وضع أكاذيب ملفقة على أشخاص معينين، يؤذيهم الحديث عنهم، كما أنه يعطي ملكة التدرب على اصطناع الكذب، وإشاعته فيختلط في المجتمع الحق بالباطل، والباطل بالحق"[3]

### 5. المبالغة في الإطراء والمدح:

**قال الغزالي:** "تمدح الناس مدرجة إلى الكذب، والمسلم يجب أن يحاذر حينما يثني على غيره، فلا يذكر إلا ما يعلم من خير، ولا يجنح إلى المبالغة في تضخيم المحامد، وطيِّ المثالب، ومهما كان الممدوح جديرًا بالثناء، فإنَّ المبالغة في إطرائه ضرب من الكذب المحرم"[4]

فعن المقداد رضي الله عنه قال: "أمرنا رسول الله ﷺ أن نحثو في وجوه المداحين التراب"[5]

**قال النووي:** "اعلم أنَّ مدح الإنسان والثناء عليه بجميل صفاته قد يكون في حضور الممدوح، وقد يكون بغير حضوره، فأمَّا الذي في غير حضوره، فلا منع منه إلا أن

[1] فيض القدير للمناوي (6/ 368)
[2] شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (6/ 117)
[3] الأخلاق الإسلامية لعبد الرحمن الميداني (1/ 495)
[4] خلق المسلم للغزالي ص 36
[5] رواه مسلم (4/ 2297)

يجازف المادح، ويدخل في الكذب، فيحرم عليه بسبب الكذب لا لكونه مدحًا، ويستحب هذا المدح الذي لا كذب فيه إذا ترتب عليه مصلحة، ولم يجرَّ إلى مفسدة، بأن يبلغ الممدوح فيفتتن به، أو غير ذلك"[1]

### 6. كذب التاجر في بيان سلعته:

عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما: "أن رجلًا أقام سلعة في السوق، فحلف فيها، لقد أعطى بها ما لم يعطه، ليوقع فيها رجلًا من المسلمين"، فنزلت: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَـٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾ آل عمران: ٧٧"[2]

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم: رجل حلف على سلعة لقد أعطي بها أكثر مما أعطي وهو كاذب، ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر؛ ليقتطع بها مال رجل مسلم"[3]

### 7. الكذب على الأولاد:

"فكثيرًا ما يكذب الوالدان على أولادهما الصغار؛ رغبةً في التخلص منهم، أو تخويفًا لهم؛ كي يكفُّوا عن العبث واللعب، أو حفزًا لهم كي يجِدُّوا في أمر ما، أو غير ذلك"[4]

### 8. شهادة الزور:

**قال الغزالي:** "الحيف في الشهادة من أشنع الكذب، فالمسلم لا يبالي إذا قام بشهادة ما أن يقرر الحقَّ، ولو على أدنى الناس منه وأحبهم إليه، لا تميل به قرابة ولا عصبية، ولا تزيغه رغبة أو رهبة، وتزكية المرشحين لمجالس الشورى، أو المناصب العامة، نوع من أنواع الشهادة فمن انتخب المغموط في كفايته وأمانته، فقد كذب وزوَّر، ولم يقم

[1] الأذكار للنووي ص 276
[2] رواه البخاري (6/ 34)
[3] رواه البخاري (3/ 112)
[4] الكذب مظاهره - علاجه لمحمد الحمد ص 24





بالقسط"[1]، فعن أبي بكرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ثلاثًا، قلنا: بلى. قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس. وكان متكئًا فجلس، وقال: ألا وقول الزور، وشهادة الزور. فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت"[2]

## 9. المبالغة في المعاريض:

"لا ريب أنَّ في المعاريض مندوحةً عن الكذب، ولكن هناك من يبالغ في المعاريض، ويتوسَّع فيها توسُّعًا يخرجه عن طوره، ويجعله يدخل فيها ما ليس منها، فتجده يقلب الحقائق، وينال من الآخرين، ويُلبس عليهم، ويحصل على مآربه بالمراوغة والمخاتلة، مما يوقعه في الكذب، فَتُفْقَدُ الثقة به، وبحديثه"[3]

## 10. الكذب السياسي:

"الكذب الذي يقوم على القاعدة الميكافيلية التي تقول: (إن الغاية تبرر الوسيلة) أو (الغاية تسوغ الواسطة)، وهذه القاعدة يأخذ بها غالبية السياسيين"[4]

## 11. الكذب لإفساد ذات البين:

"فبعض الناس لا يهدأ له بال، ولا يقر له قرار حتى يفسد ذات البين، ويفرق شمل المتحابين، فتراه يختلق الأقاويل، وينسج الأباطيل تلو الأباطيل؛ ليفسد بذلك ذات البين، ويحل محلها القطيعة والبين، فهذا العمل بلية عظيمة، ورزية جسيمة، فكم تقطعت لأجله من شواجر، وكم تفصمت من روابط، وكم تحاصت من أرحام، ولا يقوم بهذا الصنيع إلا دنيء النفس حقيرها، فإصلاحه عزيز، والحلية معه قليلة"[5]

---

[1] خلق المسلم للغزالي ص 37
[2] رواه البخاري (8/ 4)، رواه مسلم (1/ 91)
[3] الكذب مظاهره - علاجه لمحمد الحمد ص 22
[4] الكذب مظاهره - علاجه لمحمد الحمد ص 17
[5] الكذب مظاهره - علاجه لمحمد الحمد ص 11 - 12

### 12. الكذب للمفاخرة في إظهار الفضل:

"فهناك من يكذب؛ ليفاخر أقرانه، ويظهر فضله عليهم، فتراه يدعي العلم، ويظهر الفضل، ويتشدق بكثرة الأعمال والإحسان إلى الناس، وهو عاطل من ذلك كله، فلا فضل لديه، ولا علم عنده، ولا إحسان يصدر منه، وإنما يكذب في ذلك كله؛ ليظهر فضله، ويفاخر أقرانه"[1]

### 13. الكذب على النفس:

"كمن يحاول أن يقنع نفسه بأنه بذل ما في وسعه، واستنفذ كل طاقته؛ لأداء ما يجب عليه؛ ليسلم من عتاب النفس وتوبيخها، وهو في الحقيقة لم يفعل شيئاً من ذلك"[2]

### 14. الكذب لتسويغ الأخطاء:

"فما أكثر ما يقع ذلك، فهذا يكذب ليسوغ بخله، وهذا يكذب ليسوغ قسوته، وهذا يكذب ليسوغ تقصيره أو إساءته"[3]

### 15. الكذب لاستدرار العطف، وكسب المؤيدين:

"كحال من يكذب في مسألة الناس واستجدائهم، فتراه يظهر الفقر والفاقة، ويوهم بأن الديون قد ركبته، ولم يعد له طاقة في سدادها، أو يزعم أنه مريض، أو يقوم على رعاية مريض، وربما حمل معه صكاً يوهم أنه معسر ومحتاج إلى المساعدة، وكحال من يكذب لكسب المؤيدين، أو لترويج فكرة يدعو إليها"[4]

## أمارات الكذب

"1. أنّك إذا لقّنته الحديث تلقّنه، ولم يكن بين ما لقّنته إيّاه وبين ما أورده فرق عنده، أي أنّه يخلط بين ما سمعه منك وما اخترعه من عنده.

[1] الكذب مظاهره - علاجه لمحمد الحمد ص 12 - 13
[2] الكذب مظاهره - علاجه لمحمد الحمد ص 15
[3] الكذب مظاهره - علاجه لمحمد الحمد ص 15
[4] الكذب مظاهره - علاجه لمحمد الحمد ص 15

2. أنّك إذا شكّكته في الحديث تشكّك حتّى يكاد يرجع فيه.

3. أنّك إذا رددت عليه قوله حصر وارتبك، ولم يكن عنده نصرة المحتجّين ولا برهان الصّادقين.

4. ما يظهر عليه من ريبة الكذّابين، ولذلك قال بعض الحكماء "الوجوه مرايا، تريك أسرار البرايا"، وإذا اتّسم بالكذب، نسبت إليه شوارد الكذب المجهولة، أي الشّائعات وما في حكمها، وأضيفت إلى أكاذيبه زيادات مفتعلة، حتّى يصير هذا الكاذب مكذوباً عليه فيجمع بين معرّة الكذب منه، ومضرّة الكذب عليه"[1]

## أنواع الكذب

قال الرّاغب الأصفهاني: "الكذب إمّا أن يكون اختراعاً لقصّة لا أصل لها، أو زيادة في القصّة أو نقصاناً يغيّران المعنى، أو تحريفاً بتغيير عبارة، فما كان اختراعاً يقال له الافتراء والاختلاق، وما كان من زيادة أو نقصان يقال له: مين، وكلّ من أورد كذباً في غيره، فهو إمّا أن يقوله في حضرة المقول فيه أو في غيبته فإن كان اختراعاً في حضرة المقول فيه فهو بهتان"[2]

## معاني الكذب في القرآن الكريم

"1. بمعنى النّفاق: ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ البقرة: ١٠، أي ينافقون.

2. بمعنى الإشراك بالله ونسبة الولد: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ ﴿٣٢﴾ ﴾ الزمر: ٣٢ ، ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ الزمر: ٦٠

[1] أدب الدنيا والين للماوردي ص 264 - 265
[2] الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني ص 196




3. بمعنى قذف المحصَنات: ﴿ وَٱلْخَـٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٧﴾ ﴾ النور: ٧، ﴿ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ النور: ١٣

4. بمعنى الإنكار: ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ ﴾ النجم: ١١، أي ما أنكر.

5. بمعنى خلف الوعد: ﴿ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ ﴾ الواقعة: ٢، أي ردّ وخلف.

6. بمعنى الكذب اللّغويّ: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ﴿٥﴾ ﴾ ق: ٥، ﴿ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا ﴿٩﴾ ﴾ القمر: ٩، ﴿ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ﴾ سبأ: ٤٥، ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ﴿١٨٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٨٤، ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ ﴿٣٤﴾ ﴾ الأنعام: ٣٤"[1]

## الكذب يكون بالأفعال

قال الميداني: "وكما يكون الصّدق والكذب في الأقوال يكونان في الأفعال، فقد يفعل الإنسان فعلاً يوهم به حدوث شيء لم يحدث، أو يعبّر به عن وجود شيء غير موجود، وذلك على سبيل المخادعة بالفعل مثلما تكون المخادعة بالقول، وربّما يكون الكذب في الأفعال أشدّ خطرا وأقوى تأثيراً من الكذب في الأقوال، ومن أمثلة ذلك ما حكاه الله عز وجل لنا من أقوال وأفعال إخوة يوسف عليه السلام إذ جاءوا أباهم عشاء يبكون بكاء كاذباً، وقالوا كذباً: ﴿ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَـٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ يوسف: ١٧،

[1] بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي (4/ 340)




وجاءوا على قميص يوسف ﷺ بدم كذب، فجمعوا بين كذب القول وكذب الفعل"[1]

## الفرق بين الكذب والمترادفات الأخرى

### 1. الفرق بين الخرص والكذب:

"أنَّ الخرص هو الحزر، وليس من الكذب في شيء، والخرص ما يحزر من الشيء، يقال: كم خرص نخلك، أي: كم يجئ من ثمرته، وإنما استعمل الخرص في موضع الكذب؛ لأنَّ الخرص يجري على غير تحقيق، فشُبِّه بالكذب، واستُعمل في موضعه، وأما التكذيب فالتصميم، على أنَّ الخبر كذب بالقطع عليه، ونقيضه التصديق"[2]

### 2. الفرق بين الكذب والافتراء والبهتان:

"**الكذب:** هو عدم مطابقة الخبر للواقع، أو لاعتقاد المخبر لهما على خلاف في ذلك.

**والافتراء:** أخص منه؛ لأنَّه الكذب في حق الغير بما لا يرتضيه، بخلاف الكذب فإنه قد يكون في حق المتكلم نفسه، ولذا يقال لمن قال: فعلت كذا ولم أفعل كذا، مع عدم صدقه في ذلك: هو كاذب، ولا يقال: هو مفتر، وكذا من مدح أحدًا بما ليس فيه، يقال: إنه كاذب في وصفه، ولا يقال: هو مفتر؛ لأنَّ في ذلك مما يرتضيه المقول فيه غالبًا، وقال ﷻ حكاية عن الكفار: ﴿ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ﴿٩٣﴾ ﴾ الأنعام: ٩٣؛ لزعمهم أنه أتاهم بما لا يرتضيه الله ﷻ مع نسبته إليه، وأيضًا قد يحسن الكذب على بعض الوجوه، كالكذب في الحرب، وإصلاح ذات البين، وعدة الزوجة، كما وردت به

[1] الأخلاق الإسلامية وأسسها للميداني (1/ 529)
[2] معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص 214

www.alukah.net



الرواية، بخلاف الافتراء، **وأما البهتان:** فهو الكذب الذي يواجه به صاحبه على وجه المكابرة له"[1]

### 3. الفرق بين الكذب والإفك:

"**الكذب:** اسم موضوع للخبر الذي لا مخبر له على ما هو به، وأصله في العربية التقصير، ومنه قولهم: كذب عن قرنه في الحرب. إذا ترك الحملة عليه، وسواء كان الكذب فاحش القبح، أو غير فاحش القبح.

**والإفك:** هو الكذب الفاحش القبح، مثل الكذب على الله ورسوله، أو على القرآن، ومثل قذف المحصنة، وغير ذلك مما يفحش قبحه، وجاء في القرآن على هذا الوجه، قال ﷻ: ﴿ وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ٧ ﴾ الجاثية: ٧"[2]

### 4. الفرق بين الخُلف والكذب:

"الكذب فيما مضى، وهو أن تقول: فعلت كذا، ولم تفعله، والخلف لما يستقبل، وهو أن تقول: سأفعل كذا، ولا تفعله"[3]

## مضار الكذب

"1. الكذب وسيلة لدمار صاحبه أمماً وأفراداً.

2. الكذب قد يؤدّي بصاحبه إلى النّار.

3. الكذب سراب يقرّب البعيد ويبعّد القريب.

4. الكذب يذهب المروءة والجمال والبهاء.

5. الكذّاب لصّ يسرق العقل كما يسرق اللّصّ المال

6. الكاذب مهان ذليل.

[1] معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص 449 - 450
[2] معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص 450
[3] معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص 224



شبكة الألوكة - قسم الكتب

7. الأمم الّتي كذّبت الرّسل لاقت مصيرها من الدّمار والهلاك.
8. يورث فساد الدّين والدّنيا.
9. دليل على خسّة النّفس ودناءتها.
10. احتقار النّاس له وبعدهم عنه.
11. يمقت نفسه بنفسه ويحتقرها"[1]

## علاج الكذب

1. معرفة الكاذب لحرمة الكذب وشدة عقابه، وتذكر ذلك مع كل حديث وفي كل مجلس.
2. تعويد النفس على تحمل المسئولية وقول الحق، حتى وإن كان هناك نقص ظاهري يراه فإن الخير في الصدق.
3. المحافظة على اللسان ومحاسبته.
4. استبدال مجالس الكذب وفضول الكلام بمجالس الذكر وحلق العلماء.
5. أن يعلم الكذاب أنه متصف بصفة من صفات المنافقين.
6. أن يستشعر أن الكذب طريق للفجور وأن الصدق يهدي إلى الجنة.
7. تربية الأطفال تربية إسلامية صحيحة وتعويدهم على الصدق والظهور بمظهر الصادقين أمامهم.
8. أن يعلم الكاذب أن ثقة الناس به تزول، وهذا من خسران الدنيا والآخرة.
9. أن يستشعر عظم الضرر الذي سيلحق بالمسلم من جراء كذبه.

[1] نظرة النعيم (11/ 5430)




## 10. استشعار مراقبة الله عَزَّ وَجَلَّ:

يُعد استحضار رقابة الله عَزَّ وَجَلَّ للعبد من أشد الأسباب المعينة على ترك الكذب، فحين يعلم مَن ابتُلي بهذا الخلق المذموم بأنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يغيب عنه قول أو فعل، لقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ١٨ ﴾ ق: ١٨، ولا تخفى على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى النية الصادقة من الكاذبة، لقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ٧ ﴾ طه: ٧، وقد قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٤ ﴾ الحديد: ٤، عندها فإنّ مَن ابتُلي بالكذب يعلم مقدار ما هو مكشوف أمام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأنّ الله عَزَّ وَجَلَّ يراقبه مراقبة دائمة لا تقلّ، ولا تنتهي، ولا تنقطع، لذلك يجاهد نفسه بأن يكون من الصادقين ما دامت أنّ رقابة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عنه لا تغيب.

## 11. معرفة خطورة الكذب في الإسلام:

يعدّ الكذب في الإسلام من الكبائر، وهو من الذنوب التي توعّد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بها العبد في أكثر من مرة في كتابه، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٥ ﴾ المرسلات: ١٥، ومن خطورة الكذب في الإسلام بأنّه من أسباب الفجور لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وإنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إلى الفُجُورِ"[1]، وقد عدّ أهل العلم بأنّ الكذب لا يَخرج من مؤمن، بل إنّ الكذب كلّه قبيح في الإسلام جدّه ومزحه، وتظهر خطورة الكذب في الإسلام بأنّ الإيمان الكامل يبقى محجوباً عن العبد حتى يترك الكذب، لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لا يُؤمنُ العبدُ الإيمانَ كلَّهُ حتَّى يترُكَ الكَذبَ في المزاحةِ، والمِراءَ وإنْ كان صِدْقًا"[2]، فبالتالي حري بمن علم خطورة الكذب أن يجتنبه، ويجاهد نفسه على ترك هذه العادة مستعينًا بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

[1] رواه البخاري (8/ 25)، رواه مسلم (4/ 2012)

[2] مسند أحمد (14/ 278)



## 12. معرفة أن الكذب من صفات المنافقين:

وصف الله ﷻ المنافقين في القرآن الكريم بأنّهم من الكاذبين فقال ﷻ: ﴿ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١ ﴾ المنافقون: ١، ويقول ﷺ: "آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان"[1]، فهذه الأخلاق الثلاثة مرجعها إلى الكذب، وقد قال الحسن البصري رضي الله عنه: "إنّ الكذب يجمع النفاق"، وإذا كان الكذب يجمع كل أنواع النفاق فعلى المسلم أن يتقي الله ﷻ في نفسه ويبتعد الكذب الذي عاقبته أن يوصف بالنفاق.

## 13. معرفة العواقب المترتبة على الكذب:

كان النبي ﷺ يصد ويُعرض عمّن عُرف عنه الكذب، وتقول أمّ المؤمنين عائشة رضيَ الله عنها عن ذلك: "ما كان خلق أبغض إلى رسول الله ﷺ من الكذب، ولقد كان الرجل يحدث عند النبي ﷺ بالكذبة، فما يزال في نفسه، حتى يعلم أنه قد أحدث منها توبة"[2]، فالكاذب منبوذ في المجتمع ومرفوض في التعامل، **يقول ابن القيم** رضي الله عنه عن الكاذب: "فإن الكاذب يصور المعدوم موجوداً والموجود معدوماً، والحق باطلاً، والباطل حقاً، والخير شراً والشر خيراً"[3]، فمن كانت هذه صفاته فقد الناس ثقتهم به، ولن يجد له صديقاً ولا شريكاً، ولن يجد مَن يأتمنه على زوجة أو مال أو تجارة.

## 14. التحلي بالشجاعة وتحمل المسؤولية:

يدلّ الكذب على خوف من العواقب ومن العقوبة لذا يجعل الكاذب من الكذب له واقياً من لوم الناس وعتابهم، فعلى مَن ابتُلي بخلق الكذب أن يعرف نفسه، ويلزمها

---

[1] رواه البخاري (1/ 16)، رواه مسلم (1/ 78)
[2] صحيح ابن حبان (13/ 44)، السنن الكبرى للبيهقي (10/ 331)
[3] الفوائد لابن القيم ص 135

بالصدق، وأن يبادر إلى تصحيح الضرر الذي تسبب كذبه به حتى ولو كانت عاقبة ذلك إيقاع العقوبة به، والشجاعة لا تكون بالهروب من تحمل المسؤولية، بل تكون بمواجهة العواقب وتحمل المسؤولية، فالكذب يقدر عليه كل الناس لكن مواجهة العواقب وتصحيح الأخطاء من صفات أهل الشجاعة.





# المرض الرابع والعشرون
# الخيانة

## تعريف الخيانة

### في اللغة:

"الخيانة نقيض الأمانة، من خانه خَوْنًا وخيانة ومَخَانة، واختانه، فهو خائن وخائنة وخؤون وخَوَّان والجمع خانة وخَوَنَةً وخُوَّان، ويقال: خُنْتُ فلانًا، وخنت أمانة فلان"[1]

### في الشرع:

**قال الراغب الأصفهاني:** "الخيانة مخالفة الحق بنقض العهد في السر"[2]، "والأظهر أنها شاملة لجميع التكاليف الشرعية"[3]

**قال ابن عاشور:** "وحقيقة الخيانة عمل من اؤتمن على شيء بضد ما أؤتمن لأجله، بدون علم صاحب الأمانة"[4]

**قال الجاحظ:** "الخيانة هي الاستبداد بما يؤتمن الإنسان عليه من الأموال والأعراض والحرم، وتملّك ما يستودع ومجاحدة مودعه، وفيها أيضا طيّ الأخبار إذا ندب لتأديتها، وتحريف الرّسائل إذا تحمّلها فصرفها عن وجوهها"[5]

---
[1] المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص 305، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي (2/ 582).
[2] المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص 305
[3] مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للمباركفوري (8/ 229)
[4] التحرير والتنوير لابن عاشور (24/ 116)
[5] تهذيب الأخلاق للجاحظ ص 31




**قال المناويّ:** "الخيانة: هي التّفريط في الأمانة، وقيل: هي مخالفة الحقّ بنقض العهد في السّرّ"[1]

**قال الكفويّ:** "إنّ الخيانة تقال اعتباراً بالعهد والأمانة، وخيانة الأعين: ما تسارق من النّظر إلى ما لا يحلّ"[2]

**قال ابن الجوزيّ:** "الخيانة: التّفريط فيما يؤتمن الإنسان عليه، ونقيضها: الأمانة"[3]

**قال القرطبيّ:** "الخيانة: الغدر وإخفاء الشّيء، ومنه ﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ ١٩ ﴾ غافر: ١٩"[4]

## حكم الخيانة

ذهب عدد من العلماء إلى أن الخيانة من الكبائر، **قال الذهبي:** "قال ﷻ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٧ ﴾ الأنفال: ٢٧، **قال الواحدي:** "نزلت هذه الآية في أبي لبابة، حين بعثه رسول الله ﷺ إلى بني قريظة لما حاصرهم، وكان أهله وولده فيهم، فقالوا: يا أبا لبابة، ما ترى لنا إن نزلنا على حكم سعد فينا؟ فأشار أبو لبابة إلى حلقه – أي أنه الذبح فلا تفعلوا – فكانت تلك منه خيانة لله ﷻ ورسوله ﷺ، قال أبو لبابة: فما زالت قدماي من مكاني حتى عرفت أني خنت الله ﷻ ورسوله ﷺ، وقوله: ﴿ وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ عطف على النهي، أي: ولا تخونوا أماناتكم، قال ابن عباس رضي اللهم عنهما: "الأمانات الأعمال التي ائتمن الله ﷻ عليها العباد يعني الفرائض يقول: لا تنقضوها،

[1] التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص 162
[2] الكليات للكفوي ص 434
[3] نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي ص 281
[4] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (7/ 395)



**قال الكلبي**: "أما خيانة الله ﷻ ورسوله ﷺ فمعصيتهما، وأما خيانة الأمانة: فكلُّ واحد مؤتمن على ما افترضه الله ﷻ عليه إن شاء خانها، وإن شاء أدَّاها لا يطلع عليه أحد إلا الله ﷻ، وقوله: ﴿ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أنها أمانة من غير شبهة، وقال ﷻ: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ يوسف: ٥٢، أي: لا يرشد كيد من خان أمانته، يعني أنَّه يفتضح في العاقبة بحرمان الهداية، وقال ﷺ: "آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان"[1][2]

**عدّ الإمام الذّهبيّ** الخيانة من الكبائر، فقال: "والخيانة قبيحة في كل شيء وبعضها شر من بعض وليس من خانك في فلس كمن خانك في أهلك ومالك وارتكب العظائم"[3]

**قال ابن حجر الهيتمي**: " أنّ الخيانة في الأمانات كالوديعة والعين المرهونة والمستأجرة أو غير ذلك من الكبائر، وقال: عدّ ذلك كبيرة هو ما صرّح به غير واحد، وظاهر ممّا ذكر في الآيات والأحاديث"[4]

## أسباب الخيانة

1. **الحسد**: فأصبح الكثير من الأشخاص لا يحمدون الله ﷻ على النعم التي لديهم بل ينظرون إلى المتواجد عند الآخرين، وبنية غير جيدة مما يجعل الحسد أهم أسباب الخيانة والغدر.

---
[1] رواه البخاري (1/ 16)، رواه مسلم (1/ 78)
[2] التفسير الوسيط للواحدي (2/ 453 – 454)، الكبائر للذهبي ص 149
[3] الكبائر للذهبي ص 149
[4] الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي (1/ 442)

2. **الطمع في المال أو المنصب**: وجود فروق طبقية ومادية في المجتمع أدى إلى سعي الناس طوال الوقت إلى جمع المال، أو السعي من أجل منصب ما، مما تسبب في زرع الطمع في النفوس.

3. **الجهل**: من الأسباب القوية التي تؤدي إلى الخيانة والغدر، فالجهل هنا هو جهل الفكر.

4. **التكبر**: من الصفات الذميمة والتي تساعد على وضع فروق طبقية وتساعد على انتشار الخيانة والغدر بين الناس.

## آثار الخيانة

1. تسخط الله عز وجل على العبد.
2. داء وبيل إذا استشرى بالإنسان جرده من إنسانيته، وجعله وحشًا يهيم وراء ملذاته.
3. من علامات النفاق.
4. طريق موصل إلى العار في الدنيا، والنار في الآخرة.
5. أسوأ ما يبطن الإنسان.
6. انتشار الخيانة في المجتمع من علامات اضمحلاله.
7. انتشار الغلول والرشوة والمطل والغش؛ لأنها كلها من الخيانة.
8. فقدان الثقة بين أفراد المجتمع.
9. تفكك أواصر المحبة والتعاون بين أفراد المجتمع.
10. أنها تسبب المهانة والذُّل لصاحبها.

## أنواع الخيانة

الخيانة من صفات المنافقين البارزة، فالمنافق إذا سنحت له فرصة الخيانة لم يضيعها أو يدعها تفوت؛ جريًا وراء المغنم، وأصل الخون النقص، كما أنَّ أصل الوفاء التمام، واستعماله ضد الأمانة؛ لأنَّ الخون النقص والضياع، وما أبشع الخيانة بقدر ما يعظم قدر الأمانة، يقول ﷻ: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ الأحزاب: ٧٢، وقد نهى الله ﷻ عن الخيانة بأصنافها، وأنواعها وصورها كالتالي:

### 1. خيانة الله ﷻ ورسوله ﷺ:

قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ الأنفال: ٢٧ - ٢٨، **قال ابن حجر الهيتمي**: "وقوله ﷻ: ﴿ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ ﴾ عطف على النهي، أي: ولا تخونوا أماناتكم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "الأمانات: الأعمال التي ائتمن الله ﷻ عليها العباد"[1]، أما خيانة الله ﷻ ورسوله ﷺ فمعصيتهما.

وأما خيانة الأمانات فكل أحد مؤتمن على ما كلفه الله ﷻ به، فهو ﷻ مُوقفه بين يديه، ليس بينه وبينه ترجمان، وسائله عن ذلك هل حفظ أمانة الله ﷻ فيه أو ضيعها؟ فليستعد الإنسان بماذا يجيب الله ﷻ به إذا سأله عن ذلك، فإنه لا مساغ للجحد ولا للإنكار في ذلك اليوم، وليتأمل قوله ﷻ: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ

[1] تفسير ابن أبي حاتم (5/ 1684)، التفسير الوسيط للواحدي (2/ 453)





﴿الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾﴾ يوسف: ٥٢، أي: لا يرشد كيد من خان أمانته، بل يحرمه هدايته في الدنيا، ويفضحه على رءوس الأشهاد في العقبى، فالخيانة قبيحة في كلِّ شيء"[1]

## 2. خيانة النفس:

وهي أن يفعل المرء من الذنوب ما لا يطلع عليه إلا الله ﷻ، ويخون به أمر الله ﷻ بألا يفعل، مثلما وقع من بعض المسلمين من الرفث إلى النساء ليلة الصيام، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كان المسلمون في شهر رمضان إذا صلوا العشاء حرم عليهم النساء والطعام في شهر رمضان بعد العشاء منهم عمر بن الخطاب، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله ﷻ: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ﴿١٨٧﴾﴾ البقرة: ١٨٧"[2]، وقوله ﷻ: ﴿تَخْتَانُونَ﴾ من الاختيان، وهو أبلغ من الخيانة، كالاكتساب من الكسب"[3][4]

## 3. خيانة الناس وهي أنواع:

أ. **الخيانة في الأموال:** وتتمثل في أكل المال الذي يؤتمن عليه الإنسان، ومن ذلك مال الوديعة، **قال ابن عثيمين** في قوله ﷺ: "إذا اؤتمن خان": "إذا ائتمنه إنسان على شيء خانه، فمثلًا إذا أعطي وديعة، وقيل له: خذها احفظها، دراهم أو ساعة أو قلم أو متاع أو غير ذلك، يكون فيها يستعملها لنفسه، أو يتركها فلا يحفظها في مكانها، أو يُظْفِرُ بها من يتسلَّط عليه ويأخذها، المهم أنه لا يؤدي الأمانة فيها"[5]

[1] الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي (1/ 443 – 444)
[2] تفسير القرآن العظيم لابن كثير (1/ 511)
[3] أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (1/ 126)
[4] أخلاق المنافقين ليعقوب المليجي ص 84
[5] شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (6/ 164)



**ب. إفشاء السر:** وقد تكون خيانة الناس بإفشاء السر الذي يُؤتمن عليه الإنسان، إلا إذا كان في ذلك الإفشاء مصلحة أقوى، مثل: إظهار الحق، ونصرة المظلوم، وإعانة أهل العدل، وصيانة مصلحة الأمة، ولكن أكثر ما تكون الخيانة في إفشاء الأسرار الخاصة التي لا تهمُّ غير صاحبها، مثل عورات البيوت، وأسرار العائلات، والأزواج، فليتقِ الله ﷻ من يطَّلع على شيء من ذلك إذا ائتمنه عليه أصحاب الشأن؛ لاستشارة أو لقيام بينهم بصلح، كما يكون ذلك الإفشاء وخيانة الأمانة ممن يطلعون بحكم علمهم على أسرار الناس، كالأطباء والممرضات فهؤلاء يعلمون من أسرار المرضى ما لا ينبغي أن يُذاع، وكذلك من يقومون بغسل الموتى، وتكفينهم، ودفنهم، فقد وجب عليهم ألا يخونوا أماناتهم، وأن يحفظوا ما علموا سرًّا"[1]، **وقال الحسن البصري** رضي الله عنه: "إنَّ مِن الخيانة أن تحدث بسرِّ أخيك"[2]

ويُروى أنَّ معاوية رضي الله عنه أسرَّ إلى الوليد بن عتبة حديثًا، فقال لأبيه: يا أبت، إنَّ أمير المؤمنين أسرَّ إليَّ حديثًا، وما أراه يطوي عنك ما بسطه إلى غيرك، قال: فلا تحدثني به؛ فإنَّ من كتم سرَّه كان الخيار إليه، ومن أفشاه كان الخيار عليه، قال: فقلت: يا أبت، وإنَّ هذا ليدخل بين الرجل وبين ابنه؟! فقال: لا والله يا بني، ولكن أحب ألا تذلل لسانك بأحاديث السرِّ، قال: فأتيت معاوية فأخبرته. فقال: يا وليد، أعتقك أبوك من رقِّ الخطأ"[3]

**ج. الخيانة في النصيحة:** "ومن صور خيانة الناس كذلك الخيانة في النصيحة، كمن يزكِّي فاسقًا، أو يخفي مالًا مسروقًا، أو يؤوي مجرمًا، أو يعين قاطع طريق. أو من ينصح غيره بما يؤذيه في الدنيا أو الآخرة من الإفساد وقطيعة الرحم"[4]

---

[1] شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (6/ 164)
[2] الصمت لابن أبي الدنيا ص 214
[3] الصمت لابن أبي الدنيا ص 214
[4] أخلاق المنافقين ليعقوب المليجي ص 84

د. الخيانة الزوجية: "وهي من أبشع صور الخيانة: خيانة الزوجة لزوجها في ماله وعرضه، بالسرقة والزنا، وخيانة الرجل لزوجته بالسرقة والزنا كذلك"[1]

هـ. الخيانة في الولايات: كأن يكون الإنسان وليًّا على يتيم؛ على ماله وحضانته وتربيته، فيهمل ماله، ولا يقوم بالواجب، أو يأكل ماله وقد قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ﴿١٠﴾ ﴾ النساء: ١٠"[2]

4. عدم القيام بواجب التربية في الأهل والأولاد، وقد ائتمنه الله ﷻ عليهم قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴿٦﴾ ﴾ التحريم: ٦"[3]

## من معاني الخيانة في القرآن الكريم

أحدها: المعصية، ومنه قوله ﷻ: ﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ ﴿١٨٧﴾ ﴾ البقرة: ١٨٧، قال ابن قتيبة: "تخونونها بالمعصية"[4]

"الثّاني: نقض العهد، ومنه قوله ﷻ: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ الأنفال: ٥٨

الثّالث: ترك الأمانة، ومنه قوله ﷻ: ﴿ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴿١٠٥﴾ ﴾ النساء: ١٠٥، نزلت في طعمة بن أبيرق المنافق كان عنده درع فخانها"

---
[1] أخلاق المنافقين ليعقوب المليجي ص 84
[2] شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (6/ 164)
[3] شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (6/ 164)
[4] تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص 262



**الرّابع:** المخالفة في الدّين، ومنه قوله ﷻ: ﴿ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا ﴿١٠﴾ ﴾ التحريم: ١٠"[1]

**خامساً:** والخيانة تعني الزّنا في قوله ﷻ: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ يوسف: ٥٢"[2]

## الفرق بين الخيانة والصفات الأخرى

### 1. الفرق بين الخيانة والسرقة:

**قال ابن قتيبة:** "لا يكاد الناس يفرقون بين الخائن والسارق، والخائن الذي ائتمن فأخذ، والسارق من سرقك سرًّا بأي وجه كان، يقال: كلُّ خائن سارق، وليس كل سارق خائنًا"[3]

### 2. الفرق بين الخيانة والنفاق:

"الخيانة والنفاق واحد، إلا أنَّ الخيانة تُقال اعتبارًا بالعهد والأمانة، والنفاق يقال اعتبارًا بالدين، ثم يتداخلان، فالخيانة: مخالفة الحقّ بنقض العهد في السّرّ. ونقيض الخيانة: الأمانة، يقال: خُنْتُ فلاناً، وخنت أمانة فلان، وعلى ذلك قوله: ﴿ لَا تَخُونُوا ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا أَمَـٰنَـٰتِكُمْ ﴿٢٧﴾ ﴾ الأنفال: ٢٧"[4]

## مضار الخيانة

"1. تسخط الله ﷻ على العبد.

2. داء وبيل إذا استشرى بالإنسان جرّده من إنسانيّته وجعله وحشايهيم وراء ملذّاته.

---

[1] نزهة الأعين النواظر لابن الجوزي ص 282
[2] التصاريف لابن سلام ص 178
[3] أدب الكاتب لابن قتيبة ص 35
[4] المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص 305

3. من علامات النّفاق.

4. طريق موصل إلى العار في الدّنيا والنّار في الآخرة.

5. أسوأ ما يبطن الإنسان.

6. خيانة المجاهد في أهله أعظم جرما من خيانة غير المجاهد.

7. انتشار الخيانة في المجتمع من علامات اضمحلاله وهو علامة من علامات السّاعة.

8. انتشار الغلول والرّشوة والمطل والغشّ لأنّها كلّها من الخيانة"[1]

## علاج الخيانة

1. دعوة الله ﷻ ومراقبة النفس الدائمة.

2. تجنب منح الثقة العمياء لأي شخص.

3. أخذ الحيطة من العلاقات والأشخاص الغير معروفين.

4. عدم التحدث بكثرة عما يحدث في المنزل أو العمل.

[1] نظرة النعيم (10/ 4497)

# المرض الخامس والعشرون
# الخداع

## تعريف الخداع

### في اللغة:

"أصل هذه المادة يدل على إخفاء الشيء، فالخَدْعُ: إِظْهَارُ خِلَافَ مَا تُخْفيه، يقال: خَدَعَهُ يَخْدَعُهُ خَدْعًا وخِداعًا أي: خَتَلَه، وأراد به المكروه مِن حيث لا يعلم. والاسم الخَدِيعَةُ، وقيل: الاسم هو الخداع، وقيل غير ذلك"[1]

### في الشرع:

**قال الراغب الأصفهاني:** "الخِدَاع: إنزال الغير عمَّا هو بصدده بأمر يبديه على خلاف ما يخفيه"[2]

**قال البقاعي:** "الخِدَاع: إظهار خيرٍ يُتَوَّسل به إلى إبطان شرٍّ، يؤول إليه أمر ذلك الخير المظْهَر"[3]

**قال ابن القيِّم:** "والمخادعة: هي الاحتيال والمراوغة بإظهار الخير مع إبطان خلافه، ليحصل مقصود المخَادِع"[4]

**قال المناويّ:** "إظهار خير يتوسّل به إلى إبطان شرّ يؤول إليه أمر ذلك الخير المظهر. وقيل: هو إظهار ما يخالف الإضمار"[5]

---

1 الصحاح في اللغة للجوهري (1/ 165)، القاموس المحيط للفيروز آبادي ص 919، لسان العرب لابن منظور (8/ 63)
2 المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص 276
3 نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (1/ 107)
4 إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم (1/ 340)
5 التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص 152




## حكم الخداع

عده ابن حجر الهيتمي مِن الكبائر، ويقصدون بذلك النَّوع المذموم منه، **قال ابن حجر الهيتمي**: "عُدَّ هذا كبيرةٌ، صرَّح به بعضهم، وهو ظاهرٌ مِن أحاديث الغشِّ، إذ كون المكْر والخَدِيعَة في النَّار ليس المراد بهما إلَّا أنَّ صاحبهما فيها، وهذا وعيد شديد"[1]

**قال ابن تيمية**: "فإذا كان الله ﷻ قد حرَّم الخِلَابة وهي الخَدِيعَة، فمعلومٌ أنَّه لا فَرْق بين الخِلَابة في البيع وفي غيره؛ لأنَّ الحديث إن عمَّ ذلك لفظًا ومعنًى فلا كلام، إن كان إنَّما قصد به الخِلَابة في البيع، فالخِلَابة في سائر العقود والأقوال وفي الأفعال بمنزلة الخِلَابة في البيع، ليس بينهما فَرْقٌ مؤثر في اعتبار الشَّارع، وهذا القياس في معنى الأصل، بل الخِلَابة في غير البيع قد تكون أعظم، فيكون مِن باب التَّشبيه وقياس الأولى"[2]

لكن استُثْنِي مِن الخِدَاع إذا كان لمصلحة شرعيَّة كالحرب، والإصلاح بين النَّاس، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال النَّبيُّ ﷺ: "الحرب خَدْعَة"[3]

**قال النَّووي**: "واتَّفق العلماء على جواز خِدَاع الكفَّار في الحرب، وكيف أمكن الخِدَاع، إلَّا أن يكون فيه نقض عهدٍ أو أمانٍ فلا يحلُّ، وقد صحَّ في الحديث جواز الكذب في ثلاثة أشياء، أحدها: في الحرب، **قال الطَّبري**: إنَّما يجوز مِن الكذب في الحرب المعاريض دون حقيقة الكذب، فإنَّه لا يحلُّ هذا كلامه، والظَّاهر إباحة حقيقة نفس الكذب، لكن الاقتصار على التَّعريض أفضل"[4]

---

[1] الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي (1/ 406)
[2] الفتاوي الكبرى لابن تيمية (6/ 155)
[3] رواه البخاري (4/ 64)، رواه مسلم (3/ 1361)
[4] شرح النووي على مسلم (12/ 45)



## آثار الخداع

الخِدَاع له آثارٌ وأضرارٌ تعود على المخَادِع نفسه، وعلى المجتمع الذي مِن حوله، ومِن هذه المضَار:

1. أنَّ الخِدَاع دليلٌ على ضعف إيمان صاحبه.
2. الخِدَاع سببٌ مِن أسباب الفُرْقَة بين المسلمين.
3. أنَّه طريق موصل للنَّار.
4. أنَّه صفة مِن صفات المنافقين.
5. يتسبَّب في أكل أموال النَّاس بالباطل.
6. يولِّد ضعف الثِّقة بين أفراد المجتمع.
7. المخَادِع يكون منبوذًا عند النَّاس.
8. الخِدَاع يولِّد الشَّحناء والبغضاء بين النَّاس.
9. أنَّ الخِدَاع يترتَّب عليه نقض المواثيق والعهود بين النَّاس.

## أقسام الخداع

ينقسم الخِدَاع إلى قسمين: خِدَاع محمودٌ، وخِدَاع مذمومٌ، **يقول ابن القيِّم**: "الخِدَاع ينقسم إلى محمود ومذموم، فإن كان بحقٍّ فهو محمود، وإن كان بباطل فهو مذموم. **ومِن النَّوع المحمود:** قوله ﷺ: "الحرب خَدْعَة"[1]، وقوله ﷺ: "كلُّ الكذب يُكْتَب على ابن آدم، إلَّا ثلاث خصال: رجل كذب على امرأته ليرضيها، ورجل كذب بين اثنين ليصلح بينهما، ورجل كذب في خَدْعَة حرب"[2]

[1] رواه البخاري (4/ 64)، رواه مسلم (3/ 1361)
[2] سنن الترمذي (4/ 331)

www.alukah.net



ومِن النَّوعِ المذموم: قوله ﷺ: "أهل النَّار خمسة، ذكر منهم رجلًا لا يصبح ولا يمسي إلَّا وهو يخادعك عن أهلك ومالك"[1]، وقوله ﷻ: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ٩ ﴾ البقرة: ٩، وقوله ﷻ: ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ ٦٢ ﴾ الأنفال: ٦٢

ومِن النَّوعِ المحمود: خِدَاع كعب بن الأشرف وأبي رافع، عدوَّي رسول الله ﷺ حتى قُتِلا، وقتل خالد بن سفيان الهذلي، ومِن أحسن ذلك: خَدِيعَة معبد بن أبي معبد الخزاعي لأبي سفيان وعسكر المشركين حين همُّوا بالرُّجوع ليستأصلوا المسلمين، وردَّهم مِن فورهم، ومِن ذلك: خَدِيعَة نعيم بن مسعود الأشجعي ليهود بني قريظة، ولكفَّار قريش والأحزاب، حتى ألقى الخُلْف بينهم، وكان سبب تفرُّقهم ورجوعهم. ونظائر ذلك كثيرة"[2]

## صور الخداع

### 1. خِدَاع المنافقين بإظهارهم للإسلام وإبطانهم للكفر:

قال ﷻ: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ٩ ﴾ البقرة: ٩، وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٤٢ ﴾ النساء: ١٤٢

### 2. الخِدَاع في المعاملات الماليَّة، كالبيع والشِّراء:

وذلك بأن يُخَادع النَّاس، ويتحصَّل على الأموال بطُرُقٍ محرَّمةٍ، إمَّا عن طريق الكذب، أو كتمان عيب السِّلعة، أو البخس في ثمنها، أو التَّطفيف في وزنها، أو خلط الجيِّد بالرَّديء، أو النجش وغيرها مِن الطُّرق المحرَّمة.

[1] رواه مسلم (4/ 2197)
[2] إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم (1/ 386 – 387)



شبكة الألوكة - قسم الكتب

### 3. خِدَاع الرَّعيَّة للرَّاعي:

خِدَاع الرَّعيَّة للرَّاعي يكون بمدحه وإطرائه بما ليس فيه؛ كأن يذكروا له إنجازات لم يعملها، أو بعدم نصحه إذا رأوا منه منكرًا، وغير ذلك.

### 4. خِدَاع الرَّاعي للرَّعيَّة:

ويُقْصَد بالرَّاعي؛ الرَّئيس، أو الحاكم، والمدير، والرَّجل في أهله، وغيرهم ممَّن لهم الرِّعاية على غيرهم، ويكون الخِدَاع في حقِّهم بظلمهم، وعدم إعطائهم ما يستحقُّونه، وعدم النُّصح لهم.

### 5. خِداع المرَائين بالأعمال:

فهم يشابهون المنافقين في عملهم لأجل النَّاس.

### 6. خِداع العمَّال:

بعدم إعطائهم أجرهم المتَّفق عليه، أو تكليفهم مِن الأعمال فوق طاقتهم.

### 7. خداع المتسولين والشحَّاذين:

بعض المتسولين يخدعون من يسألونه المال بحيث يظهرون بمظهر المرضى، والمعتوهين، وذوي الاحتياجات الخاصة، وهم ليسوا كذلك، ليستجلبوا عطف الناس عليهم، ويأخذوا أموالهم بلا وجه حق.

### 8. خداع النفس لصاحبها:

قد تخدع النفس الأمارة بالسوء صاحبها إذا هو همَّ بالخير، فتقعده وتثبطه.

9. **الخداع بالمدح والإطراء** لشخص ما، ووصفه بالصفات الحميدة، وهو ليس كذلك.

وإذا تأملت هذه الصفة الخبيثة -صفة الخداع- لوجدت أنها لا تقوم إلا على ساق الكذب، وقد حرم الله ﷻ الكذب: "وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار"[1]

والخداع نوع من الغش، والغش في ديننا حرام؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مر على صبرة طعام فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللاً فقال: "ما هذا يا صاحب الطعام؟"، قال أصابته السماء يا رسول الله، قال: "أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس، من غش فليس مني"[2]، ومن الخديعة المحرمة النَّجش، وهو أن يزيد في سعر السلعة ولا يريد في الحقيقة شراءها بل يرد الإيقاع بالمشتري ليأخذها بسعر مرتفع، وفي النهي عن ذلك يقول النبي ﷺ: "لا تناجشوا"[3]

وإذا كان الرجل ممن لا يحسن البيع والشراء ويخاف الخديعة والظلم فإن له أن يشترط عدم الخديعة، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنَّ رجلًا ذكر للنبي ﷺ أنَّه يُخْدَع في البيوع، فقال: "إذا بايعت فقل: لا خِلابة"[4]، **قال النَّوويُّ**: "معنى لا خِلَابة: لا خَدِيعَة، أي: لا تحلُّ لك خَدِيعتي، أو لا يلزمني خديعتك"[5]

## الفرق بين الخداع والصفات الأخرى

### 1. الفرق بين الخِدَاع والغُرُور:

"أنَّ الغُرُور إيهامٌ يحمل الإنسان على فعل ما يضرُّه، مثل أن يرى السَّراب فيحسبه ماءً فيضيّع ماءه، فيهلك عَطَشًا، وتضييع الماء فِعْلٌ أدَّاه إليه غرور السَّراب إيَّاه، وكذلك غَرَّ إبليسُ آدم، ففعل آدم الأكل الضَّار له.

[1] رواه مسلم (4/ 2013)
[2] رواه مسلم (1/ 99)
[3] رواه البخاري (8/ 19)، رواه مسلم (2/ 1033)
[4] رواه البخاري (3/ 65)، رواه مسلم (3/ 1165)
[5] شرح النووي على مسلم للنووي (10/ 177)



والخِدَاع: أن يستر عنه وجه الصَّواب، فيوقعه في مكروه، وأصله مِن قولهم: خَدَع الضَّبُّ، إذا توارى في جحره، وخَدَعَه في الشِّراء أو البيع، إذا أظهر له خِلَاف ما أبطن، فضرَّه في ماله" **وقال علي بن عيسى**: الغُرُور: إيهام حال السُّرور فيما الأمر بخلافه في المعلوم، وليس كلُّ إيهامٍ غُرُورًا؛ لأنَّه يوهمه مَخُوفًا ليحذر منه، فلا يكون، قد غرَّه، والاغْتِرَار: تَرْكُ الحزم فيما يمكن أن يتوثَّق فيه، فلا عُذرَ في ركوبه، ويقال في الغُرُور: غَرَّه، فضيَّع ماله وأهلك نفسه، والغُرُور قد يُسمَّى خِدَاعًا، والخِدَاع يُسمَّى غُرُورًا على التَّوسُّع، والأصل ما قلناه، وأصل الغُرُور الغَفْلَة"[1]

## 2. الفرق بين الخِدَاع والكَيْد:

"أنَّ الخِدَاع هو: إظهار ما يُبْطَن خلافه، أراد اجتلاب نفعٍ أو دفع ضرٍّ، ولا يقتضي أن يكون بعد تدبُّرٍ ونَظَرٍ وفِكرٍ؛ أَلَا ترى أنَّه يقال: خَدَعَه في البيع، إذا غشَّه مِن جَشَعٍ، وأوهمه الإنصاف، وإن كان ذلك بديهة مِن غير فِكْرٍ ونَظَرٍ، والكَيْد لا يكون إلَّا بعد تدبُّرٍ وفِكْرٍ ونَظَرٍ؛ ولهذا قال أهل العربيَّة: الكَيْد: التَّدبير على العدو، وإرادة إهلاكه. وسُمِّيت الحيل -التي يفعلها أصحاب الحروب بقصد إهلاك أعدائهم- مكايد؛ لأنَّها تكون بعد تدبُّرٍ ونَظَرٍ، ويجيء الكَيْد بمعنى الإرادة، وقوله ﷻ:

﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۝٧٦﴾ يوسف: ٧٦، أي أردنا، ودلَّ على ذلك بقوله:

﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۝٧٦ ﴾ يوسف: ٧٦ ، وإن شاء الله بمعنى المشيئة، ويجوز أن يقال: الكَيْد: الحيلة التي تُقرِّب وقوع المقصود به مِن المكروه، وهو مِن قولهم: كاد يفعل كذا، أي: قَرُب، إلَّا أنَّه قيل: هذا يَكَاد، وفي الأولى يَكِيد؛ للتَّصرُّف في الكلام، والتَّفرقة بين المعنيين، ويجوز أن يقال: إنَّ الفرق بين الخِدَاع والكَيْد، أنَّ الكَيْد: اسم

[1] الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص 259

لفعل المكروه بالغير قهرًا، تقول: كايَدِني فلان، أي: ضرَّني قهرًا، والخَدِيعَة: اسم لفعل المكروه بالغير مِن غير قهرٍ، بل بأن يريد بأنَّه ينفعه، ومنه الخَدِيعَة في المعاملة، وسمَّى الله ﷻ قصد أصحاب الفيل مكَّة كيدًا في قوله ﷻ: ﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ ﴾ الفيل: ٢؛ وذلك أنَّه كان على وجه القَهْر"[1]

### 3. الفرق بين الخِدَاع والمكر:

قال الرَّاغب الأصفهاني: "المكر والخَدِيعَة متقاربان، وهما اسمان لكلِّ فعل يقصد فاعله في باطنه خلاف ما يقتضيه ظاهره، وذلك ضربان: أحدهما مذمومٌ، وهو الأشهر عند النَّاس والأكثر، وذلك أن يقصد فاعله إنزال مكروه بالمخْدُوع، والثَّاني: بعكسه، وهو أن يقصد فاعلهما إلى استجْرَار المخْدُوع والممكور به إلى مصلحة بهما، كما يفعل بالصَّبي إذا امتنع مِن فعل خير، وقد قال بعض الحكماء: المكْر والخَدِيعَة يُحْتَاج إليهما في هذا العالم؛ وذلك أنَّ السَّفيه يميل إلى الباطل، ولا يميل إلى الحقّ، ولا يقبله لمنافاته لطبعه، فيحتاج أن يُخْدَع عن باطله بزخارف مموَّهة، كخَدِيعَة الصَّبي عن الثَّدي عند الفطام"[2]

## مضار الخداع

"1. ظلم النّاس وغبنهم وأكل أموالهم بالباطل.

2. انتهاك حرمات الله ﷻ وحرمات النّاس.

3. دليل على عدم الإيمان بالله ﷻ العليم.

4. فيه تحطيم لدعائم المجتمع المسلم المتكافل المسالم.

5. عمل من أعمال المنافقين والفسقة المجرمين.

[1] الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص 258 - 259
[2] الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني ص 254 - 255





6. كبيرة من كبائر الذّنوب.

7. طريق موصّل إلى النّار.

8. سبب في فقد ثقة النّاس بعضهم ببعض"[1]

## علاج الخداع

1. التَّربية على الأخلاق الفاضلة، والالتزام بأحكام الشَّرع الحنيف.

2. الثِّقة بالله عز وجل واستشعار مراقبته.

3. القناعة بما رُزِق.

4. مجالسة الرُّفقة الصَّالحة.

5. معاقبة مَن يُخَادِع؛ لرَدْعِه عن ذلك.

6. العلم بالحكم الشَّرعي بأنَّ الخِدَاع منهيٌّ عنه.

7. تعليم النَّاس حقيقة الخِدَاع وتبيين صوره ليحذروه.

8. النَّظر للعواقب الوخيمة للمُخَادِع في الدُّنيا والآخرة.

**فليعلم المخادع أنه لا خير فيما اكتسبه بطريق الخداع بل هو من الحرام والسحت الذي ينبغي أن يتوب إلى الله سبحانه وتعالى منه.**

[1] نظرة النعيم (10/ 4476)




# المرض السادس والعشرون
# المكر والكيد

## تعريف المكر

### في اللغة:

**قال ابن فارس:** "المكر مصدر قولهم مكر به يمكر، وهو مأخوذ من مادّة (م ك ر) الّتي تدلّ على الاحتيال والخداع"[1]

**قال الخليل بن أحمد:** "والمكر: احتيال بغير ما يضمر، والاحتيال بغير ما يبدي: هو الكيد، والكيد في الحرب حلال، والمكر فى كلّ حلال حرام"[2]

**قال ابن منظور:** "المكر: احتيال في خفية، قال ﷻ: ﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٥٠ ﴾ النمل: ٥٠، وقيل: المكر الخديعة والاحتيال، ويقال، مكر يمكر مكراً ومكر به، ورجل مكّار ومكور: ماكر، **وقال ابن سيدة:** "ولا أنكر أن يكون المكر الّذي هو الخديعة"[3]

### في الشرع:

**قال الراغب الأصفهاني:** "المكْر: صرف الغير عمَّا يقصده بحيلة"[4]

**قال السيوطي:** "المكْر: ما يَقْصد فَاعله فِي بَاطِنه خلاف ما يَقْتَضِيه ظَاهره"[5]

---

[1] مقاييس اللغة لابن فارس (5/ 345)
[2] العين للخليل بن أحمد (5/ 370)
[3] لسان العرب لابن منظور (5/ 183)
[4] المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص 772
[5] معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم للسيوطي ص 207





قال الجرجاني: "هو إيصال المكْروه إلى الإنسان مِن حيث لا يشعر"[1]

قال المناوي: "صرف الغير عمّا يقصده بحيلة"[2]

## حكم المكر

عدَّه ابن حجر الهيتمي: "مِن الكبائر، بل من كبائر الباطن، التي يذمّ العبد عليها أعظم ممّا يذمّ على السّرقة والزّنا ونحوهما من كبائر الظّاهر، وذلك لعظم مفسدتها وسوء أثرها ودوامه؛ لأنّ آثار هذه الكبائر الباطنة تدوم، بحيث تصير حالا وهيئة راسخة في القلب"[3]، وهم يعنون الضَّرب المذموم منه، وهو المكْر السَّيِّئ، قال ابن حجر الهيتمي: "عُدَّ هذا كبيرةً، صرَّح به بعضهم، وهو ظاهرٌ مِن أحاديث الغِشِّ، إذْ كون المكْر والخَدِيعَة في النَّار ليس المراد بهما إلَّا أنَّ صاحبهما فيها، وهذا وعيد شديد"[4]

ذكر الذّهبيّ وابن حجر أنّ المكر السيئ من الكبائر، وقد احتجّ الذّهبيّ بقوله ﷻ: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴿٤٣﴾﴾ فاطر: ٤٣ ، وبقوله ﷺ: "المكر والخديعة في النّار"[5][6]

## أنواع المكر

قال الرَّاغب الأصفهاني: "المكْر: صرف الغير عمَّا يقصده بحيلة، وذلك ضربان: مَكْرٌ محمودٌ، وذلك أن يُتَحرَّى بذلك فعلٌ جميل، وعلى ذلك قال ﷻ: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ آل عمران: ٥٤، ومذموم، وهو أن يُتَحرَّى به

[1] التعريفات للجرجاني ص 227
[2] التوقيف على مهمات التعاريف ص 312
[3] الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي (1/ 131)
[4] الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي (1/ 406)
[5] شعب الإيمان للبيهقي (7/ 208)
[6] الكبائر للذهبي ص 235





فعلٌ قبيح، ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴿٤٣﴾ ﴾ فاطر: ٤٣، ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴿٣٠﴾ ﴾ الأنفال: ٣٠ "[1]

وقال ابن القيِّم: "المكْر ينقسم إلى محمود ومذموم، فإنَّ حقيقته إظهار أمرٍ وإخفاء خلافه؛ ليُتوصَّل به إلى مراده، فمِن المحمود: مَكْرُه ﷻ بأهل المكر، مقابلةً لهم بفعلهم، وجزاءً لهم بجنس عملهم، قال ﷻ: ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الأنفال: ٣٠، وقال ﷻ: ﴿ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ النمل: ٥٠"[2]

وقال الرَّاغب الأصفهاني: "المكْر والخَدِيعَة: متقاربان، وهما اسمان لكلِّ فعل يَقْصِد فاعله في باطنه خلاف ما يقتضيه ظاهره، وذلك ضربان:

أحدهما مذموم: وهو الأشهر عند النَّاس والأكثر، وذلك أن يقصد فاعله إنزال مكروه بالمخدوع، وهو الذي قصده النَّبيُّ ﷺ بقوله: "المكر والخَدِيعَة في النَّار"[3]، والمعنى: أنَّهما يؤدِّيان بقاصدهما إلى النَّار.

والثَّاني: على عكس ذلك، وهو أن يقصد فاعلهما إلى استجرار المخدوع والممكور به إلى مصلحة لهما، كما يُفْعَل بالصَّبي إذا امتنع مِن تعلُّم خيرٍ"[4]

## مكر الله ﷿

"وأمّا المكر الّذي وصف به نفسه فهو صفة فعل حقيقيّة على ما يليق بجلاله ومعناه مجازاته للماكرين بأوليائه ورسله، فيقابل مكرهم السيئ بمكره الحسن، فيكون المكر

[1] المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص 772
[2] إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم (1/ 388)
[3] شعب الإيمان للبيهقي (7/ 208)
[4] الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني ص 254 - 255





منهم أقبح شيء، ومنه أحسن شيء، لأنّه عدل ومجازاة، وكذلك المخادعة منه جزاء على مخادعة رسله وأوليائه، فلا أحسن من تلك المخادعة والمكر"[1]

**وقال الجرجانيّ:** "المكر من جانب الحقّ ﷻ هو إرداف النّعم مع المخالفة، وإبقاء الحال مع سوء الأدب وإظهار الكرامات من غير جهد"[2]

**وقال الكفويّ:** "مكر الله ﷻ: إمهال العبد وتمكينه من أعراض الدّنيا"[3]

## تعريف الكيد

### في اللغة:

**قال ابن فارس:** "الكيد مصدر قولهم: كاده يكيده وهو مأخوذ من مادّة (ك ي د) الّتي تدلّ على معالجة شيء بشدّة، ثمّ إنّهم يتوسّعون في ذلك فيسمّون المكر كيداً"[4]

**قال الجوهري:** "المكر الكيد، وكلّ شيء تعالجه فأنت تكيده"[5]

**قال الرّاغب الأصفهاني:** "الكيد ضرب من الاحتيال يكون مذموماً وممدوحاً، واستعماله في المذموم أكثر وكذلك الاستدراج والمكر، ومن أمثلة المحمود قوله ﷻ: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ﴿٧٦﴾﴾ يوسف: ٧٦ ، وفي قوله ﷻ: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾﴾ يوسف: ٥٢، إشارة إلى أنّه قد يهدي كيد من لم يقصد بكيد الخيانة ككيد يوسف عليه السلام لإخوته"[6]

---

[1] الفوائد لابن القيم ص 163
[2] التعريفات للجرجاني ص 227
[3] الكليات للكفوي ص 771
[4] مقاييس اللغة لابن فارس (5/ 149)
[5] الصحاح للجوهري (2/ 533)
[6] المفردات في غريب القرآن للرغب الأصفهاني ص 728

www.alukah.net
شبكة الألوكة


**قال ابن منظور:** "الكيد: الخبث والمكر، والكيد الاحتيال والاجتهاد وبه سمّيت الحرب كيداً، والكيد التّدبير بباطل أو حقّ، وقوله ﷻ: ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ ﴾ الطارق: ١٥ – ١٦، **قال فيه الزّجّاج:** "يعني به كيد الكفّار وهو أنّهم يخاتلون النّبيّ ﷺ، ويظهرون ما هم على خلافه، أمّا كيد الله ﷻ لهم فهو استدراجهم من حيث لا يعلمون، يقال: فلان يكيد أمراً ما أدري ما هو إذا كان يريغه ويحتال له ويسعى له ويختله"[1]

## في الشرع:

**قال السيوطي:** "الكيد: إرادة متضمنة؛ لاستتار ما يراد عمن يراد به"[2]

**قال الجرجاني:** " الكيد: إرادة مضرة الغير خفية، وهو من الخلق: الحيلة السيئة، ومن الله عزّ وجلّ: التدبير بالحق لمجازاة أعمال الخلق"[3]

**قال المناويّ:** "الكيد إرادة مضرّة الغير حقيقة، وهو ضرب من الاحتيال"[4]

## أنواع الكيد

وينقسم الكَيْد إلى قسمين:

1. محمود: وهو ما قُصِد به الخير.
2. مذموم: وهو ما قُصِد به الشَّر.

[1] لسان العرب لابن منظور (3/ 383)
[2] معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم للسيوطي ص 207
[3] التعريفات للجرجاني ص 189
[4] التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص 286



شبكة الألوكة - قسم الكتب

قال ابن القيِّم: "الكَيْد ينقسم إلى نوعين، قال ﷻ: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾ الأعراف: ١٨٣، وقال ﷻ: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴿٧٦﴾﴾ يوسف: ٧٦، وقال ﷻ: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾ الطارق: ١٥ - ١٦"[1]

قال الرَّاغب الأصفهاني: "الكيد: فإرادة متضمنة لاستتار ما يراد عمن يراد به، وأكثر ما يستعمل ذلك في الشر، ومتى قصد به الشر فمذموم، ومتى قصد به خير فمحمود، وعلى الوجه المحمود، قال ﷻ: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴿٧٦﴾﴾ يوسف: ٧٦"[2]

## كيد الشيطان وغايته

### 1. كيده لنفسه:

قال ابن القيم: "أمَّا كيده لنفسه: فإنَّ الله ﷻ لما أمره بالسُّجود لآدم عليه السلام كان في امتثال أمره وطاعته سعادته وفلاحه وعزُّه ونجاته، فسوَّلت له نفسه الجاهلة الظَّالمة أنَّ في سجوده لآدم عليه السلام غضاضة عليه وهضمًا لنفسه؛ إذ يخضع ويقع ساجدًا لمن خُلِق مِن طين، وهو مخلوق مِن نار، والنَّار -بزعمه- أشرف مِن الطِّين، فالمخلوق منه خيرٌ مِن المخلوق منها، وخضوع الأفضل لمِن هو دونه غضاضةٌ عليه، وهضمٌ لمنزلته، فلمَّا قام بقلبه هذا الهوس، وقارنه الحسد لآدم لمَّا رأى ربَّه -ﷻ- قد خصَّه به مِن أنواع الكرامة، فإنَّه خَلَقَه بيده، ونفخ فيه مِن روحه، وأسجد له ملائكته، وعلَّمه أسماء كلِّ شيء وميَّزه بذلك عن الملائكة، ثمَّ قرَّر ذلك بحجَّته الدَّاحضة في تفضيل مادَّته وأصله

[1] إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم (1/ 388)
[2] الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني ص 255

على مادَّة آدم عليه السلام وأصله، فأنتجت له هذه المقدمات إباءَه وامتناعه مِن السُّجود، ومعصيته الرَّبَّ المعبود"[1]

## 2. كيده للأبوين آدم وحوَّاء:

**قال ابن القيِّم:** "وأمَّا كيده للأبوين فقد قصَّ الله سبحانه وتعالى علينا قصَّته معهما، وأنَّه لم يزل يخدعهما ويَعِدُهما ويمنِّيهما الخلود في الجنَّة، حتى حلف لهما بالله عز وجل جهد يمينه، إنَّه ناصح لهما، حتى اطمأنَّا إلى قوله وأجاباه إلى ما طلب منهما، فجرى عليهما مِن المحنة والخروج مِن الجنَّة ونَزْع لباسهما عنهما ما جرى، وكان ذلك بكيده ومكره الذي جرى به القلم وسبق به القَدَر، وردَّ الله سبحانه وتعالى كيده عليه، وتدارك الأبوين برحمته ومغفرته، فأعادهما إلى الجنَّة على أحسن الأحوال وأجملها، وعاد عاقبة مكره عليه، ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴿٤٣﴾﴾ فاطر: ٤٣"[2]

## 3. كيده لأحد وَلَدَي آدم:

**قال ابن القيِّم:** "ثمَّ كاد أحدَ وَلَدَي آدم عليه السلام، ولم يزل يتلاعب به حتى قتل أخاه، وأسخط أباه، وعصى مولاه سبحانه وتعالى، فسنَّ للذرِّية قتل النُّفوس، وقد ثبت في الصَّحيح عنه أنَّه قال: "ما مِن نفس تُقْتَل ظُلْمًا إلَّا كان على ابن آدم الأوَّل كِفْلٌ مِن دمها؛ وذلك لأنه أوَّل مَن سنَّ القتل"[3]، فكاد العدوُّ هذا القاتل بقطيعة رحمه، وعقوق والديه، وإسخاط ربِّه عز وجل، ونقص عدده، وظُلْم نفسه، وعرَّضه لأعظم العقاب، وحَرَمَه حظَّه مِن جزيل الثَّواب"[4]

[1] إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم (2/ 200 – 201)
[2] إغاثة اللهفان لابن القيم (2/ 202)
[3] سنن الترمذي (5/ 42)
[4] إغاثة اللهفان لابن القيم (2/ 203)

### 4. كيده بتزيين عبادة غير الله ﷻ:

"لم يقتصر كيده على نفسه ولا على آدم وحوَّاء، حتى كاد ذريَّة نفسه وذريَّة آدم عليه السلام، فكان مشؤومًا على نفسه وعلى ذريَّته وأوليائه وأهل طاعته مِن الجنِّ والإنس"[1]، وكان أوَّل ما كاد به عبادة الأصنام مِن جهة العكوف على القبور وتصاوير أهلها ليتذكَّروهم بها، كما قصَّ الله ﷻ قصصهم في كتابه، فقال: ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ ﴾ نوح: ٢٣ ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما: "هذه أسماء رجال صالحين مِن قوم نوح، فلمَّا هلكوا أوحى الشَّيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا، وسمُّوها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تُعْبَد حتى إذا هلك أولئك ونُسِخَ العِلم عُبِدت"[2][3]

**أما غاية كيد الشيطان:**

**قال ابن تيمية:** "غاية كيد الشَّيطان الوسوسة، فإنَّ شيطان الجِنِّ إذا غُلِب وسوس، وشيطان الإنس إذا غُلِب كذب، والوسواس يعرض لكلِّ مَن توجَّه إلى الله ﷻ بذكر أو غيره، لا بدَّ له مِن ذلك، فينبغي للعبد أن يَثْبُت ويصبر، ويلازم ما هو فيه مِن الذِّكر والصَّلاة، ولا يضجر، فإنَّه بملازمة ذلك ينصرف عنه كيد الشَّيطان، ﴿ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾ النساء: ٧٦"[4]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "جاء رجل إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: "إنَّ أحدنا ليجد في نفسه ما يتعاظم أن يتكلَّم به، فقال: الحمد لله الذي ردَّ كيده إلى الوسوسة"[5]

---

[1] إغاثة اللهفان لابن القيم (2/ 200)
[2] رواه البخاري (6/ 160)
[3] إغاثة اللهفان لابن القيم (2/ 205)
[4] مجموع الفتاوي لابن تيمية (22/ 608)
[5] مسند أحمد (4/ 10)، السنن الكبرى للنسائي (6/ 171)

www.alukah.net
شبكة الألوكة


## عاقبة الصبر على مكر الماكرين وكيد الكائدين

قال ابن القيم: "يوسف الصِّدِّيق عليه السلام كان قد كِيد غير مرَّة، أوَّلها أنَّ إخوته كادوا به كيدًا، حيث احتالوا به في التَّفريق بينه وبين أبيه، ثمَّ إنَّ امرأة العزيز كادته بما أظهرت أنَّه راودها عن نفسها، ثمَّ أودع السِّجن، ثمَّ إنَّ النِّسوة كادوه حتى استعاذ بالله مِن كيدهنَّ، فصرفه عنه، وقال له يعقوب عليه السلام: ﴿ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ﴿٥﴾ ﴾ يوسف: ٥، وقال الشَّاهد لامرأة العزيز: ﴿ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ يوسف: ٢٨، وقال سبحانه وتعالى في حق النِّسوة: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ﴿٣٤﴾ ﴾ يوسف: ٣٤، وقال للرسول: ﴿ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّـٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ يوسف: ٥٠، فكاد الله سبحانه وتعالى له أحسن كيدٍ وألطفه وأعدله، بأن جمع بينه وبين أخيه، وأخرجه مِن أيدي إخوته بغير اختيارهم، كما أخرجوا يوسف عليه السلام مِن يد أبيه بغير اختياره، وكاد له عوض كيد المرأة بأن أخرجه مِن ضيق السِّجن إلى فضاء الملك، ومكَّنه في الأرض يتبوَّأ منها حيث يشاء، وكاد له في تصديق النِّسوة اللَّاتي كذَّبنه وراودنه حتى شهدن ببراءته وعفَّته، وكاد له في تكذيب امرأة العزيز لنفسها، واعترافها بأنَّها هي التي راودته، وأنَّه مِن الصَّادقين، فهذه عاقبة مَن صبر على كيد الكائد له بغيًا وعُدْوَانًا"[1]

[1] إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم (3/ 171)



شبكة الألوكة - قسم الكتب

## العلاقة بين المكر والكيد

كلّ من المكر والكيد فيه احتيال وإرادة الأذى بالغير خفية إلّا أنّ الكيد كما يقول الكفويّ: "أقوى من المكر"[1]، كما أنّ الكيد يجمع إلى المكر صفة الخبث، وهو على ذلك مكر وزيادة، "كما أنّ في الكيد مراعاة الاجتهاد"[2]

## الفرق بين المكر والكيد والصفات الأخرى

### 1. الفرق بين المكْر والكَيْد:

المكْر مِثل الكَيْد في أنَّه لا يكون إلَّا مع تدبُّرٍ وفِكْرٍ، إلَّا أنَّ الكَيْد أقوى مِن المكْر، الكَيْد يتعدَّى بنفسه، والمكْر يتعدَّى بحرف، فيقال: كادَه يَكِيدُه، ومَكَرَ به، ولا يقال: مَكَرَه والذي يتعدَّى بنفسه أقوى، المكْر -أيضًا- تقدير ضرر الغير مِن أن يفعل به، أَلَا ترى أنَّه لو قال له: أقدر أن أفعل بك كذا، لم يكن ذلك مَكْرًا، وإنَّما يكون مَكْرًا إذا لم يُعْلِمْه به، والكَيْد اسم لإيقاع المكْروه بالغير قهرًا، سواءً علم أو لا"[3]

قال الزبيدي: "قال شيخنا: وظاهر كلامهم أن الكيد والمكر مترادفان، وهو الظاهر، وقد فرق بينهما بعض فقهاء اللغة، فقال: الكيد: المضرة، والمكر: إخفاء الكيد وإيصال المضرة، وقيل: الكيد: الأخذ على خفاء، ولا يعتبر فيه إظهار خلاف ما أبطنه، ويعتبر ذلك في المكر"[4]

### 2. الفرق بين المكْر والحِيَل:

"أنَّ مِن الحِيَل ما ليس بمَكْر، وهو أن يقدِّر نفع الغير لا مِن وجهه، فيُسَمَّى ذلك حيلة مع كونه نفعًا، والمكْر لا يكون نفعًا، أنَّ المكْر بقدر ضرر الغير مِن غير أن يعلم به، وسواءً كان مِن وجهه أو لا.

[1] الكليات للكفوي ص 771
[2] النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (4/ 217)
[3] الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص 259 - 260
[4] تاج العروس للزبيدي (9/ 122)





والحيلة لا تكون مِن غير وجهه، وسمَّى الله ﷻ ما توعَّد به الكفَّار: مكرًا، في قوله ﷻ: ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ الأعراف: ٩٩، وذلك أنَّ الماكر يُنْزِل المكْروه بالمَمْكُور به حيث لا يعلم، فلمَّا كان هذا سبيل ما توعَّدهم به مِن العذاب سمَّاه مكرًا"[1]

## 3. الفرق بين المكْر والغَدْر:

"أنَّ الغَدْر نقض العهد الذي يجب الوفاء به، والمكْر: قد يكون ابتداءً مِن غير عقد"[2]

## 4. الفرق بين الخِدَاع والكَيْد:

الخِدَاع: هو إظهار ما يُبْطِن خلافه، أراد اجتلاب نفعٍ أَو دفع ضرٍّ، ولا يَقْتَضِي أَن يكون بعد تدبُّرٍ ونظَرٍ وفِكرٍ، أَلَا ترى أَنَّه يُقَال: خدعه في البيع، إذا غشَّه مِن جَشَع، وأوهمه الإنصاف، وإن كان ذلك بديهةً مِن غير فِكْر ونظَر، والكَيْد لا يكون إلَّا بعد تدبُّر وفِكْر ونظَر، ولهذا قال أهل العربيَّة: الكَيْد التَّدْبِير على العَدوِّ، وإرادة إهلاكه، وسُمِّيت الحِيَل التي يَفْعَلهَا أصحاب الحروب بقصد إهلاك أعدائهم: مكايد؛ لأنَّها تكون بعد تدبُّرٍ ونَظَرٍ، ويجيء الكَيْد بمعنى الإرادة، وقوله ﷻ: ﴿ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ﴿٧٦﴾ ﴾ يوسف: ٧٦، أَي أردنَا، ودلَّ على ذلك بقوله: ﴿ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴿٧٦﴾ ﴾ يوسف: ٧٦، و(إن شاء الله) بمعنى المشِيئَة، ويجوز أن يُقَال: الكَيْد: الحِيلَة التي تقرِّب وُقُوع المقصود بِه مِن المكروه، وهو مِن قولهم: كَاد يفعل كذا، أَي قَرُب، إِلَّا أَنه قيل هذا يكَاد، وفي الأولى: يَكِيد؛ للتَّصَرُّف في الكلام، والتَّفرقة بين المعْنيين.

[1] الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص 260
[2] الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص 509





ويجوز أَن يُقَال: إنَّ الفرق بين الخِدَاع والكَيْد أَنَّ الكَيْد اسم لفعل المكْروه بالغير قهرًا، تقول: كايدني فلانٌ، أَي: ضرَّني قهرًا، والخَدِيعَة اسم لفعل المكروه بالغير مِن غير قهر، بل بأن يُرِيد بأنَّه يَنْفَعه، ومنه الخَدِيعَة في المعاملة، وسمَّى الله ﷻ قصد أصحاب الفيل مكَّة كيدًا في قوله ﷻ: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢﴾ الفيل: ٢؛ وذلك أنَّه كان على وَجه القَهْر"[1]

## مضار المكر والكيد

"1. أنّها تجعل المؤمن غافلاً عن طاعة الله ﷻ ورضوانه.
2. إذا أمن المؤمن مكر الله ﷻ لم يراقب الله ﷻ في تصرّفاته ويرتع في الدّنيا كالبهائم.
3. الأمن من مكر الله ﷻ طريق يؤدّي إلى جهنّم وبئس المصير.
4. لا يأمن من مكر الله ﷻ إلّا القوم الخاسرون"[2]

## علاج المكر والكيد

### 1. الصَّبر والتَّقوى:

﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ۝١٢٠﴾ آل عمران: ١٢٠

### 2. إخفاء النِّعمة التي رزقك الله ﷻ بها عن أعين الحاسدين:

كما قال يعقوب عليه السلام ليوسف عليه السلام: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥﴾ يوسف: ٥

[1] الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص 258 - 259
[2] نظرة النعيم (9/ 4005)




### 3. دعاء الله ﷻ بصدق وإخلاص:

كما قال يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾ يوسف: ٣٣ ـ ٣٤

### 4. التَّوكُّل على الله ﷻ:

قال ﷻ عن نبيّه هود عليه السلام وقومه: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٦﴾﴾ هود: ٥٤ ـ ٥٦

# المرض السابع والعشرون
# الطمع

## تعريف الطمع

### في اللغة:

"طَمِعَ طَمَعًا وطماعة وطماعية مخفف، فهو طامِعٌ، وإنه لطَمِعٌ: حريص، والطمَّاع: الكثير الطَّمع، والطَّمع: الأمل والرجاء، وأكثر ما يُسْتَعمل فيما يقرب حُصُوله. ويتعدى بالهمزة فيقال: أطمعته، وأصل هذه المادة يدُلُّ على رجاء في القلب قويٍّ للشَّيء"[1]

### في الشرع:

**قال الراغب الأصفهاني**: "نزوع النَّفس إلى الشَّيء شهوةً له"[2]

**قال المناوي**: "الطَّمع تعلُّق البال بالشَّيء من غير تقدُّم سبب له"[3]

**قال العضد**: "الطَّمع ذلٌّ ينشأ من الحرص، والبطالة، والجهل بحكمة الباري"[4]

## أسباب الطمع

1. الجهل بالآثار السيئة للطَّمع.
2. حبُّ الدنيا وكراهية الموت.
3. ضعف الإيمان.

[1] العين للخليل بن أحمد (2/ 27)، مقاييس اللغة لابن فارس (3/ 425)، المصباح المنير للفيومي (2/ 378)، المعجم الوسيط (2/ 566)
[2] المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص 524
[3] التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص 228
[4] التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص 228

www.alukah.net



4. عدم الاهتمام بتزكية النَّفس، وتهذيبها.

5. الانجراف وراء المغريات، من أموال، ومناصب، وغيرها.

6. مجالسة أهل الطَّمع ومصاحبتهم.

7. ضعف التربية، ونشوء الفرد في مجتمع لا يلتزم بتعاليم الدين الحنيف.

## آثار الطمع

1. الانشغال الدائم والتعب الذي لا ينقطع.

2. يؤدي إلى غياب فضيلة البذل والتضحية والإيثار بين أفراد المجتمع.

3. دليل على سوء الظن بالله عز وجل.

4. دليل على ضعف الثقة بالله سبحانه وتعالى، وقلَّة الإيمان.

5. طريق موصل إلى النار.

6. يجعل صاحبه حقيرًا في عيون الآخرين.

7. يُذِلُّ أعناق الرجال.

8. يُشعر النفس بفقر دائم، مهما كثر المال.

9. يُعمي الإنسان عن الطريق المستقيم.

10. يعود على صاحبه بالخسران في الدنيا والآخرة.

11. يمحق البركة.

12. ينشر العداوة، والكراهية، وعدم الثقة بين أفراد المتجمع.

13. ينشر الفوضى في المجتمع، ويزعزع أمنه.

14. ينقص من قدر الفرد، ولا يزيد في رزقه.

15. يؤدِّي إلى الظلم، والاضطهاد، إذا كان الطامع من أصحاب النفوذ.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

16. يؤدِّي إلى الغش والكذب.

17. يؤدِّي إلى زيادة الأسعار، واحتكار البضائع، مما يلحق الضرر بالمجتمع.

18. يؤدِّي بالفرد إلى ارتكاب الذنوب والمعاصي.

19. الطمع والبركة لا يجتمعان، فهو يمحقها ويبعدها.

20. يجعل الناس ينظرون لمن أصابه الطمعُ نظرةً دونيّةً، ونظرة استحقار.

21. الطمع ملازمٌ للذلّة وانعدام الكرامة، فيقدّم من أصابه هذا الداء الكثير من التنازلات في سبيل تحصيل الفُتات.

22. يورث في النفس شعورًا بالفقرِ والحاجة، مهما جمع من مال الدنيا.

23. يتعارض مع مبادئ التوكل على الله ﷻ.

24. الطمع يتعارض مع مبادئ التضحية والإيثار ومساعدة الغير.

25. يعمي الإنسان عن الطريق المستقيم.

26. يعود على من أصابه المرض بالخسران في الدنيا والآخرة.

27. الطمع يفكك المجتمع وينشر البغضاء والعداوة، وعدم الثقة بين أفراده.

28. الطمع يقلل من مكانة وقيمة الإنسان مهما جمع من مالٍ.

29. يُسهم في نشر الفوضى والملمّات بين الناس.

30. الطمع بوابةٌ للظلم والفساد إن كان في منصبٍ من مناصب الدولة.

31. الطمع يؤدّي إلى الكذب، والغش، والخداع، وانعدام المصداقيّة.

32. طريقٌ إلى العُجب، والرياء، والسمعة السيئة.

33. الطمع يؤدّي إلى مفاسد اقتصاديَّةٍ لما فيه من احتكارٍ للسلع والمعدات والبضائع.

34. يورثُ الطمع عدم الراحة والطمأنينة.





35. يؤدّي إلى ارتكاب الذنوب والمعاصي والمنكرات.

## أنواع الطمع

إنّ الطمع على نوعين وهما كما يأتي:

### 1. الطمع المحمود:

وهو النوع الذي يجب أن يكون متوافرًا في نفس كلّ مسلمٍ؛ لأنّه يدفعهُ إلى كلّ خيرٍ، ومن هذا الخير الطمع في طلب مغفرة الله سبحانه وتعالى للإنسان، والطمع في دخول الجنّة، والطمع في كرم الله عز وجل.

### 2. الطمع المذموم:

وهو الطمع الذي يورثُ في النفس ذلةً ومهانةً وهوانًا بين الناس، فيجب أن يحرص المسلمُ على التخلّص منه، ويكون في الطمع في طلب الدنيا وجمع المال، والطمع في سلطةٍ أو منصبٍ، والطمع في المأكل والمشرب والملذات.

قال المناوي: "الطَّمع طمعان: طمع يوجب الذُّل لله عز وجل، وهو إظهار الافتقار، وغايته العجز والانكسار، وغايته الشرف والعز والسعادة الأبدية، وطمع يوجب الذُّل في الدارين، أي: وهو المراد هنا، وهو رأس حب الدنيا، وحب الدنيا رأس كلِّ خطيئة، والخطيئة ذلٌّ وخزي، وحقيقة الطَّمع: أن تعلِّق همتك، وقلبك، وأملك، بما ليس عندك، فإذا أمطرت مياه الآمال على أرض الوجود، وألقي فيها بذر الطَّمع بسقت أغصانها بالذُّل ومتى طمعت في الآخرة وأنت غارق في بحر الهوى ضللت وأضللت"[1]

[1] فيض القدير للمناوي (3/ 132)



## الطمع فقر دائم

إن الطمع يُذهب البركة ويجعل الشخص في شعور دائم بالفقر، فهو يؤدي إلى إذلال النفس في طلب الرزق بدلاً من التوكل على الله ﷻ والرضى بما كتبه، ونجد أن النبي ﷺ كان يستعيذ من الطمع والجشع، فعن زيد بن أرقم ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: "اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها"[1]

وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: "تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش"[2]، وقد **قال الحسن البصري** ﵁: "فساد الدين الطمع"[3]، وقال علي بن أبي طالب ﵁: "من أراد أن يعيش حراً أيام حياته فلا يسكن الطمع قلبه"[4]

## الطمع بين المدح والذم

إنّ الطّمع بمعنى الرّجاء في رحمة الله ﷻ وتوقّع الخير، أمر محمود، وهذا ما فعله نبيّ الله إبراهيم ﵇ عندما قال الله ﷻ على لسانه: ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾ الشعراء: ٨٢، وامتدح الله ﷻ من يدعونه خوفاً وطمعاً، ووعدهم بما تقرّ به أعينهم، قال ﷻ: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ السجدة: ١٦ - ١٧، أمّا إذا كان الطّمع في حطام الدّنيا

[1] رواه مسلم (4/ 2088)
[2] رواه البخاري (4/ 34)
[3] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للقارى (7/ 3108)
[4] المستطرف في كل فن مستطرف للأبشيهي ص 83

من مال عارض أو منصب زائل، أو جاه حائل، فإنّ ذلك كلّه مذموم خاصّة إذا صدر ممّن له حقّ فيه، وهذا دأب المنافقين الّذين كانوا يطمعون في الصّدقات، ﴿فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ٥٨﴾ التوبة: ٥٨، يقول ابن تيميّة: "وهكذا كان حال من كان متعلّقاً برئاسة أو ثروة ونحو ذلك من أهواء نفسه، إن حصل له رضي وإن لم يحصل سخط فهذا عبد ما يهواه من ذلك، وهو رقيق له إذا لم يحصل، والعبوديّة في الحقيقة هي رقّ القلب وعبوديّته، فما استرقّ القلب واستعبده فهو عبد لهذا، ويقال: "الطمع فقر، واليأس غنى، وإنّ أحدكم إذا يئس من شيء استغنى عنه"، وهذا أمر يجده الإنسان في نفسه، فإنّه الأمر الّذي لا ييأس منه، ولا يطلبه ولا يطمع به، ولا يبقى قلبه فقيراً إليه ولا إلى من يفعله، وأمّا إذا طمع في أمر من الأمور ورجاه تعلّق قلبه به فصار فقيراً إلى حصوله وإلى من يظنّ أنّه سبب في حصوله وهذا في المال والجاه والصّور وغير ذلك.

قال الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ١٧﴾ العنكبوت: ١٧، فالعبد لا بدّ له من رزق، وهو محتاج إلى ذلك، فإذا طلب رزقه من الله سبحانه وتعالى صار عبداً لله عز وجل فقيراً إليه، وإن طلبه من مخلوق صار عبداً لذلك المخلوق فقيراً إليه"[1]

## الفرق بين الطمع والصفات الأخرى

### 1. الفرق بين الحرص والطَّمع:

"قيل: الحرص أشد الطَّمع، وعليه جرى قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ ٧٥﴾ البقرة: ٧٥ ؛ لأنَّ الخطاب فيه للمؤمنين، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ

[1] مجموع الفتاوي لابن تيمية (10/ 181 – 182)



﴿٣٧﴾ ﴾ النحل: ٣٧ ، فإنَّ الخطاب فيه مقصور على النبي ﷺ، ولا شك أنَّ رغبته ﷺ في إسلامهم، وهدايتهم، كان أشدَّ وأكثر من رغبة المؤمنين، المشاركين له في الخطاب الأول في ذلك"[1]

## 2. الفرق بين الأمل والطَّمع:

"قيل: أكثر ما يستعمل الأمل فيما يستبعد حصوله، فإنَّ من عزم على سفر إلى بلد بعيد يقول: (أملت الوصول إليه) ولا يقول: (طمعت) إلا إذا قرب منه، فإن الطَّمع لا يكون إلا فيما قرب حصوله، وقد يكون الأمل بمعنى الطَّمع"[2]

## 3. الفرق بين الرَّجاء والطَّمع:

"أنَّ الرَّجاء: هو الظَّنُّ بوقوع الخير الذي يعتري صاحبه الشَّك فيه، إلا أنَّ ظنَّه فيه أغلب، وليس هو من قبيل العلم، والشاهد أنه لا يقال: أرجو أن يدخل النبي ﷺ الجنَّة؛ لكون ذلك متيقنًا، ويقال: أرجو أن يدخل الجنَّة إذا لم يعلم ذلك.

**والرَّجاء:** الأمل في الخير، والخشية والخوف في الشرِّ، لأنَّهما يكونان مع الشك في المرجو والمخوف، ولا يكون الرَّجاء إلا عن سبب يدعو إليه؛ من كرم المرجو أو ما به إليه، ويتعدى بنفسه تقول: رجوت زيدًا، والمراد رجوت الخير من زيد، لأنَّ الرَّجاء لا يتعدى إلى أعيان الرجال.

**والطَّمع:** ما يكون من غير سبب يدعو إليه، فإذا طمعت في الشيء فكأنَّك حدَّثت نفسك به، من غير أن يكون هناك سبب يدعو إليه، ولهذا ذُمَّ الطَّمع ولم يُذَّم الرَّجاء، والطَّمع يتعدى إلى المفعول بحرف فتقول: طمعت فيه، كما تقول: فرقت منه، وحذرت منه، واسم الفاعل طمع مثل: حذر، وفرق، ودئب؛ إذا جعلته كالنسبة، وإذا بنيته على الفعل قلت: طامع"[3]

[1] معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص 183 )
[2] معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص 73
[3] معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص 248




### 4. الفرق بين الطَّمع والرَّجاء والأمل:

"الطَّمع يقارب الرجاء، والأمل، لكن الطَّمع أكثر ما يقال، فيما يقتضيه الهوى.

والأمل والرجاء قد يكونان فيما يقتضيه الفكر والرويَّة.

ولهذا أكثرُ ذمِّ الحكماء للطَّمع، حتى قيل الطَّمع طبع، والطَّمع يدنس الثياب، ويفرق الإهاب"[1]

## مضار الطمع

"1. دليل قلّة الإيمان، ونقص الثّقة فيما عند الله عَزَّ وَجَلَّ العلّام.

2. دليل سوء الظّنّ بالله عَزَّ وَجَلَّ الواسع العطاء.

3. يشعر صاحبه الفقر الملازم الّذي لا ينفكّ.

4. يذلّ صاحبه لكلّ من يطمع فيما عنده.

5. يحقّر نفسه ويزدريه الآخرون.

6. التّعب الدّائم الّذي لا ينقطع"[2]

## علاج الطمع

لكي ينتزع المسلم تلك الصفة البغيضة منه عليه أن يتحلى بالرضا والقناعة، وأن يعلم أنه لن يحصل من الدنيا إلا ما كتبه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى له، وعليه ألا يجعل حب المال يلهيه عن ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ، بل على العكس يجب عليه أن يجعل من المال الذي أعطاه له سبيلاً لرضا الله عَزَّ وَجَلَّ، وأن يحرص على أداء الزكاة حيث أن فيها شفاء للقلب من الطمع، كذلك يجب أن يحرص على أن يكون كريمًا مع الناس، فالكرم من أقصر الطرق للقضاء على الطمع، كما يجب أن يكون أمينًا على أموال الآخرين وألا يسأل الناس

[1] تفسير الراغب الأصفهاني (1/ 235)
[2] نظرة النعيم (10/ 4856)



الزيادة إذا كان يمتلك ما يكفيه، ومن الضروري أن يراعي الله سبحانه وتعالى في الطريقة التي يتحصل بها على أمواله، فلا يجمعها من الحرام الذي يغضب الله سبحانه وتعالى.

**ومن العلاج من هذا المرض:**

1. الاهتمام بتهذيب النفس.
2. التَّأمُّل في العواقب الوخيمة التي تنتج عن الطَّمع.
3. التَّأمُّل في نعم الله عز وجل الكثيرة والمختلفة، وشكره عليها.
4. التَّحلِّي بالورع عند الميل إلى الطَّمع.
5. التَّسليم لقضاء الله سبحانه وتعالى وقدره.
6. الطَّمع في الجنة وما عند الله سبحانه وتعالى من نعيم في الدار الآخرة.
7. اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى، والاستعانة به، في الابتعاد عن الطَّمع.
8. مجاهدة النفس، وتعويدها على القناعة، والتعفف.
9. مطالعة سير السلف، وأحوال الصالحين.
10. العلم بأنَّ الإنسان لن يأخذ من رزقه أكثر مما كُتِب له مهما حرص.
11. أنْ يعلم بأنَّ الدنيا دنيئة وحقيرة.
12. معرفة أن القناعة طمأنينة للقلب وراحة للنفس.
13. نشر العلم بين أفراد المجتمع، والقضاء على الجهل.
14. النظر إلى من هو أدنى في أمور الدنيا؛ كالفقراء، والمبتلين، والمرضى.
15. اليقين بأن الإنسان لن يموت حتى يستكمل رزقه.
16. تذكر الموت والدار الآخرة.
17. مجالسة ومصاحبة القَنوع.

18. إخراج الزَّكاة، والصَّدقة، والإنفاق في وجوه الخير.

## وصية في التحذير من الطَّمع:

قال سعد بن أبي وقاص ﵁ لابنه: "يا بني إذا طلبت الغنى فاطلبه بالقناعة فإنه من لم يكن له قناعة لم يغنه مال"[1]، وعن سعيد بن عمارة ﵁ أنه قال لابنه: "أظهر اليأس فإنه غنى، وإياك والطمع فإنه فقر حاضر"[2]

[1] المجالسة وجواهر العلم للدينوري (5/ 46)
[2] روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان ص 142



# المرض الثامن والعشرون
# الفسوق

## تعريف الفسوق

### في اللغة:

الفسق والفسوق: الخروج عن طريق الحقّ، **يقول ابن فارس:** "الفاء والسّين والقاف كلمة واحدة، وهي الفسق، وهو الخروج عن الطّاعة"[1]

**قال الراغب الأصفهاني:** "وفسق فلان: خرج عن حجر الشّرع، وذلك من قولهم: فسق الرّطب، إذا خرج عن قشره، وهو أعمّ من الكفر، والفسق يقع بالقليل من الذّنوب، وبالكثير، لكن تعورف فيما كان كثيراً، وأكثر ما يقال الفاسق لمن التزم حكم الشّرع، وأقرّ به ثمّ أخلّ بجميع أحكامه، أو ببعضه، وإذا قيل للكافر الأصليّ فاسق فلأنّه أخلّ بحكم ما ألزمه العقل، واقتضته الفطرة"[2]

**قال الجوهري:** "يقال: فسق عن أمر ربّه ﷻ، أي خرج، والفسّيق: الدّائم الفسق، ويقال في النّداء: يا فسق، ويا خبث، يريد: يا أيّها الفاسق، ويا أيّها الخبيث. وتقول للمرأة: يا فساق مثل قطام"[3]

**يقول الزّبيديّ:** "فسق كنصر، وضرب، وكرم فسقاً وفسوقاً، أي فجر فجوراً، وقوله ﷻ: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٌۗ ﴿١٢١﴾ ﴾ الأنعام: ١٢١، أي خروج عن الحقّ، **قال أبو الهيثم:** ويكون الفسوق شركاً، ويكون إثماً"[4]

---

1 مقاييس اللغة لابن فارس (4/ 502)
2 المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص 636
3 الصحاح للجوهري (4/ 1543)
4 تاج العروس للزبيدي (26/ 302 - 303)




**قال القرطبيّ** في تفسير هذه الآية ﴿ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ﴾ : "أي لمعصية، والفسق: الخروج"[1]

**يقول الزّبيديّ:** "وفسق، جار ومال عن طاعة الله ﷻ، والتّفسيق ضدّ التّعديل، يقال: فسّقه الحاكم أي حكم بفسقه، وفسق في الدّنيا فسقاً: إذا اتّسع فيها وهوّن على نفسه، واتّسع بركوبه لها، ولم يضيّقها عليه"[2]

**قال ابن منظور:** "الفسق: العصيان والتّرك لأمر الله ﷻ، والخروج عن طريق الحقّ، يقال: فسق يفسق ويفسق فسقاً وفسوقاً وفسق: أي فجر، وقيل: الفسوق، الخروج عن الدّين، وكذلك الميل إلى المعصية كما فسق إبليس عن أمر ربّه ﷻ. أي جار ومال عن طاعته، والعرب تقول إذا خرجت الرّطبة من قشرها: قد فسقت الرّطبة من قشرها، وكأنّ الفأرة إنّما سمّيت فويسقة لخروجها من جحرها على النّاس، وفسق فلان ماله إذا أهلكه وأنفقه، ورجل فاسق وفسّيق وفسق: دائم الفسق، وفسّقه: نسبه إلى الفسق، والفواسق من النّساء: الفواجر"[3]

## في الشرع:

**قال الكفوي:** "بأنه الترك لأمر الله ﷻ، والعصيان، والخروج عن طريق الحق، والفجور"[4]

**قال الجرجانيّ:** "الفاسق: من شهد ولم يعمل واعتقد فهو فاسق"[5]، ومن ثمّ يكون الفسوق: هو عدم العمل بأحكام الشّريعة مع الإقرار بالشّهادتين والاعتقاد بالوحدانيّة أي الإيمان القلبيّ"

---

[1] تفسير القرطبي (7/ 77)
[2] تاج العروس للزبيدي (26/ 304)
[3] لسان العرب لابن منظور (10/ 308)
[4] الكليات للكفوي ص 692
[5] التعريفات للجرجاني ص 164



قال المناويّ: "الخروج عن الطّاعة بارتكاب الذّنب، وإن قلّ، ولكن تعورف فيما إذا كان كبيرة، وأكثر ما يقال عن الفاسق لمن التزم حكم الشّرع وأخلّ بأحكامه، والفاسق أعمّ من الكافر، والظّالم أعمّ من الفاسق"[1]

## أنواع الفسوق

الفسوق في كتاب الله عز وجل نوعان: مفرد مطلق، ومقرون بالعصيان.

والمفرد نوعان أيضاً: فسوق كفر يخرج عن الإسلام، وفسوق لا يخرج عن الإسلام، فالمقرون كقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧ ﴾ الحجرات: ٧

والمفرد الّذي هو فسوق كفر، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٢٧ ﴾ البقرة: ٢٦ - ٢٧، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ءَايَٰتِۢ بَيِّنَٰتٖۖ وَمَا يَكۡفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقُونَ ٩٩ ﴾ البقرة: ٩٩، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ٢٠ ﴾ السجدة: ٢٠، فهذا كلّه فسوق كفر.

وأمّا الفسوق الّذي لا يخرج عن الإسلام، فكقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ ٢٨٢ ﴾ البقرة: ٢٨٢، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ

[1] التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص 260

فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾ الحجرات: ٦، وههنا فائدة لطيفة وهي أنّه ﷻ لم يأمر بردّ خبر الفاسق وتكذيبه وردّ شهادته جملة، وإنّما أمر بالتّبيّن، فإن قامت قرائن وأدلّة من خارج تدلّ على صدقه عمل بدليل الصّدق، ولو أخبر به من أخبر، فهكذا ينبغي الاعتماد في رواية الفاسق وشهادته، وكثير من الفاسقين يصدقون في أخبارهم ورواياتهم وشهاداتهم، بل كثير منهم يتحرّى الصّدق غاية التّحرّي، وفسقه من جهات أخر، فمثل هذا لا يردّ خبره ولا شهادته، ولو ردّت شهادة مثل هذا وروايته لتعطّلت أكثر الحقوق، وبطل كثير من الأخبار الصّحيحة، ولا سيّما من فسقه من جهة الاعتقاد والرّأي، وهو متحرّ للصّدق فهذا لا يردّ خبره ولا شهادته.

وأمّا من فسقه من جهة الكذب، فإن كثر منه وتكرّر بحيث يغلب كذبه على صدقه، فهذا لا يقبل خبره ولا شهادته، وإن ندر منه مرّة أو مرّتين، ففي ردّ شهادته وخبره بذلك قولان للعلماء، وهما روايتان عن الإمام أحمد.

والفسوق الّذي تجب التّوبة منه أعمّ من الفسوق الّذي تردّ به الرّواية والشّهادة.

وكلامنا الآن فيما تجب التّوبة منه وهو قسمان:

فسق من جهة العمل، وفسق من جهة الاعتقاد.

**ففسق العمل نوعان**: مقرون بالعصيان، ومفرد.

**فالمقرون بالعصيان**: هو ارتكاب ما نهى الله ﷻ عنه، والعصيان: هو عصيان أمره، كما قال ﷻ: ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ التحريم: ٦، وقال موسى لأخيه هارون عليهما السّلام: ﴿مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ٩٢ أَلَّا

﴿ تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ﴿٩٣﴾ ﴾ طه: ٩٢ - ٩٣، فالفسق أخصّ بارتكاب النّهي، ولهذا يطلق عليه كثيراً، كقوله ﷻ: ﴿ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡ ﴿٢٨٢﴾ ﴾ البقرة: ٢٨٢، والمعصية أخصّ بمخالفة الأمر كما تقدّم.

ويطلق كلّ منهما على صاحبه، كقوله ﷻ: ﴿ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ ﴿٥٠﴾ ﴾ الكهف: ٥٠، فسمّى مخالفته للأمر فسقاً، وقال ﷻ: ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ﴾ طه: ١٢١، فسمّى ارتكابه للنّهي معصية، فهذا عند الإفراد، فإذا اقترنا كان أحدهما لمخالفة الأمر والآخر لمخالفة النّهي.

والتّقوى اتّقاء مجموع الأمرين، وبتحقيقها تصحّ التّوبة من الفسوق والعصيان بأن يعمل العبد بطاعة الله ﷻ على نور من الله ﷻ، ويرجو ثواب الله ﷻ، ويترك معصية الله ﷻ، على نور من الله ﷻ، يخاف عقاب الله ﷻ.

**وفسق الاعتقاد:** كفسق أهل البدع الّذين يؤمنون بالله ﷻ ورسوله ﷺ واليوم الآخر ويحرّمون ما حرّم الله ﷻ، ويوجبون ما أوجب الله ﷻ، ولكن ينفون كثيراً ممّا أثبت الله ﷻ ورسوله ﷺ، جهلاً وتأويلاً، وتقليداً للشّيوخ، ويثبتون ما لم يثبته الله ﷻ ورسوله ﷺ كذلك، وهؤلاء كالخوارج المارقة، وكثير من الرّوافض، والقدريّة، والمعتزلة، وكثير من الجهميّة الّذين ليسوا غلاة في التّجهّم، وأمّا غالية الجهميّة فكغلاة الرّافضة، ليس للطّائفتين في الإسلام نصيب"[1]

---

[1] مدارج السالكين لابن القيم (1/ 367 – 369)




## حكم الفسوق

حرّم الإسلام الفِسْوق؛ لأنّ فيه خروجاً عن أحكام الله ﷻ، ومخالفةً لأوامره، وعدم اجتنابٍ لنواهيه، وأمّا عقوبة الفاسق في الشّريعة الإسلاميّة التي نصّ عليها الفقهاء فهي إمّا أن تكون بالحدّ، وإمّا بالتعزير.

## صفات الفاسقين

ذكر الله ﷻ في القرآن الكريم صفات الفاسقين؛ حيث قال: ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ البقرة: ٢٧، والنّقْض هو الحلُّ بعد الإبرام، وعهد الله ﷻ: ما عَهِد به الله ﷻ إلى النّاس من الإيمان به وطاعته، وطاعة الرّسول ﷺ، فتكون صفات الفاسقين كما يأتي:

1. النَّقْض لعهد الله ﷯؛ بعدم الإيمان به وعدم توحيده.
2. عدم طاعة الله ﷻ، وعدم طاعة الرّسول ﷺ.
3. القَطْع لِما أمر به الله ﷻ من مداومة الإيمان به، وتوحيده، وطاعته، وصِلة الرّحم.
4. الإفساد في الأرض؛ ويكون ذلك بالكفر بالله ﷯ بعد الإيمان به، وارتكاب المعاصي والمنكرات التي تُغضب الله ﷻ.

## معاني الفسوق في القرآن الكريم

"ورد لفظ الفسوق في القرآن الكريم على وجوه:





1. بمعنى الكفر: ومنه قوله ﷻ: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ۝١٨ ﴾ السجدة: ١٨ وفيها ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۝٢٠ ﴾ السجدة: ٢٠

2. بمعنى المعصية من غير شرك: ومنه قوله ﷻ: ﴿ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٢٥ ﴾ المائدة: ٢٥

3. بمعنى الكذب: ومنه قوله ﷻ: ﴿ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ۝٦ ﴾ الحجرات: ٦

4. بمعنى السّبّ: ومنه قوله ﷻ: ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۝١٩٧ ﴾ البقرة: ١٩٧، وقد ذكر الكفويّ هذا الوجه إلّا أنّه قال: "بمعنى السّيّئات" مستدلّا بنفس الآية[1].

5. بمعنى الإثم: نحو قوله ﷻ: ﴿ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۝٢٨٢ ﴾ البقرة: ٢٨٢

6. بمعنى مخالفة أمر الرّسول ﷺ، ومنه قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٦٧ ﴾ التوبة: ٦٧"[2]

## الفرق بين الفسوق والصفات الأخرى

### 1. الفرق بين الفسوق والفجور:

"هناك فرق بين الفِسْوق والفُجُور، وهو أنَّ الفِسْق: هو الخروج مِن طاعة الله ﷻ بكبيرة، والفُجُور: الانبعاث في المعاصي والتَّوسُّع فيها، وأصله مِن قولك: أَفْجَرت السِّكْر إذا خرقت فيها خَرْقًا واسعًا، فانبعث الماء كلَّ مُنْبَعث، فلا يقال لصاحب

[1] الكليات للكفوي ص 693
[2] نزهة الأعين والنواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي ص 465

الصَّغيرة: فاجرٌ، كما لا يقال لمن خَرَق في السِّكْر خرقًا صغيرًا أنَّه قد فَجَر السِّكْر، ثمَّ كثر استعمال الفُجُور حتى خُصَّ بالزِّنا واللِّواط وما أشبه ذلك"[1]

### 2. الفرق بين الفسوق الخروج:

" أن الفسق في العربية خروج مكروه ومنه يقال للفأرة الفويسقة لأنها تخرج من جحرها للإفساد وقيل فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها لأن ذلك فساد لها ومنه سمي الخروج من طاعة الله بكبيرة فسقا ومن الخروج مذموم ومحمود والفرق بينهما بين"[2]

## مضار الفسوق

"1. يجلب غضب الله ﷻ ورسوله ﷺ والمؤمنين.

2. قد يخرج من الملة.

3. الفاسق إنسان ضار في المجتمع.

4. يلحق بالنفاق، والمنافقون في النار.

5. يجلب الدمار للمجتمع"[3]

## علاج الفسوق

ضعف الإيمان مرض يعتري القلوب المؤمنة، وهو من أخطر أمراضها، لما ينشأ عنه من الوقوع في المعاصي، والتهاون في الواجبات، وقسوة القلب، وضيق الصدر، والفسوق، والغفلة عن ذكر الله ﷻ إلى غير ذلك، ولا طريق للتخلص من هذا المرض إلا بالسعي فيما يقوي الإيمان.

1. حضور مجالس الذكر، والصلاة في جماعة، ومجالسة الصالحين، **يقول الحسن البصري** رضي الله عنه: "إخواننا أحبُّ إلينا من أهلينا وأولادنا؛ لأن أهلينا يذكروننا الدنيا، وإخواننا يذكروننا الآخرة"[4]

---

[1] الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص 231
[2] الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص 230
[3] نظرة النعيم (11/ 5269)
[4] البحر المديد في تفسير القرآن المجيد للأنجري (5/ 266)



2. على الصحبة الصالحة.

3. عدم الاختلاط بأهل الفسق والفجور، لأن مخالطتهم من أعظم الأسباب التي تورث قسوة القلب.

4. عدم الانشغال الشديد بأمور الدنيا، وقد ذم النبي ﷺ من هذه حاله، وعده عبداً للدنيا، فقال: " تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش"[1]

ولا بد أن يصحب ذلك كله الدعاء بالثبات، فقد كان من دعاء النبي ﷺ الذي كان يكثر منه: "اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك"[2]

والدعاء بأن يجدد الله ﷻ إيمانك، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: "إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب الخلق، فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم"[3]

[1] رواه البخاري (4/ 34)
[2] المستدرك على الصحيحين للحاكم (4/ 357)
[3] المستدرك على الصحيحين للحاكم (1/ 45)




# المرض التاسع والعشرون
# الكفر

## تعريف الكفر

### في اللغة:

مصدر قولهم: كفر يكفر كفراً وهو مأخوذ من مادّة (ك ف ر) الّتي تدلّ على السّتر والتّغطية.

**يقول ابن فارس:** "يقال لمن غطّى درعه بثوب قد كفر درعه، والمكفّر: الرّجل المتغطّي بسلاحه، ويقال: إنّ الكافر مغيب الشّمس، وقيل البحر، ويشبّه النّهر بالبحر فيقال كافر، والزّارع كافر لأنّه يغطّي الحبّ بتراب الأرض قال ﷻ: ﴿أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ٢٠﴾ الحديد: ٢٠، **قال القرطبيّ:** "الكفّار هنا الزّرّاع لأنّهم يغطّون البذر"[1]، والكفر ضدّ الإيمان، سمّي بذلك لأنّه تغطية الحقّ، وكذا كفران النّعمة: جحودها وسترها"[2]

**قال الرّاغب الأصفهاني:** "الكفر في اللّغة: ستر الشّيء، ووصف اللّيل بالكافر لستره الأشخاص، والزّرّاع لسترهم البذر في الأرض، وليس ذلك باسم لهما كما قال بعض أهل اللّغة، وكفر النّعمة وكفرانها سترها بترك أداء شكرها، وأعظم الكفر جحود الوحدانيّة أو الشّريعة أو النّبوّة، ولما كان الكفران يقتضي جحود النّعمة صار يستعمل في الجحود، قال ﷻ: ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ ٤١﴾ البقرة: ٤١، أي جاحد له

[1] تفسير القرطبي (17/ 255)
[2] مقاييس اللغة لابن فارس (5/ 191)



وساتر، وقد يقال كفر لمن أخلّ بالشّريعة وترك ما لزمه من شكر الله ﷻ، قال ﷻ: ﴿ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ﴿٤٤﴾ ﴾ الروم: ٤٤، يدلّ على ذلك مقابلته بقوله: ﴿ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ الروم: ٤٤"[1]

**قال ابن منظور:** "والكفر نقيض الإيمان في قولهم: آمنّا بالله ﷻ وكفرنا بالطّاغوت، يقال: كفر بالله ﷻ يكفر كفراً، وكفوراً وكفراناً، ويقال لأهل دار الحرب: قد كفروا أي عصوا وامتنعوا، والكفر: كفر النّعمة وهو نقيض الشّكر، وكفر نعمة الله ﷻ يكفرها كفوراً وكفراناً، وكفر بها: جحدها وسترها، ورجل مكفّر: مجحود النّعمة مع إحسانه، ورجل كافر: جاحد لأنعم الله ﷻ مشتقّ من السّتر، وقيل: لأنّه مغطّى على قلبه، وجمع الكافر كفّار، وكفرة، وكفار، مثل جائع وجياع، ونائم ونيام، وجمع الكافرة: الكوافر"[2]

"ويقال إنّما سمّي الكافر كافراً؛ لأنّ الكفر غطّى قلبه كلّه، وكلّ من ستر شيئاً فقد كفره، وكفّره، وقولهم أكفرت الرّجل: دعوته كافراً، وكفّر الرّجل: نسبه إلى الكفر، والكفور: المبالغ في كفران النّعمة، قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾ الزخرف: ١٥، والكفّار أبلغ من الكافر، قال ﷻ: ﴿ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ ق: ٢٤، ويقال: كفر فلان: إذا اعتقد الكفر، ويقال: كفر إذا أظهر الكفر وإن لم يعتقد. والتّكفير: الذّلّ والخضوع"[3]

**قال ابن الأثير:** "التّكفير: هو أن ينحني الإنسان ويطأطئ رأسه قريباً من الرّكوع كما يفعل من يريد تعظيم صاحبه"[4]

---

[1] المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص 714 - 715
[2] لسان العرب لابن منظور (5/ 144)
[3] الصحاح للجوهري (2/ 808)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي (4/ 362)
[4] النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (4/ 188)




## في الشرع:

**قال ابن تيمية:** "الكفر عدم الإيمان بالله ﷻ ورسله عليهم السلام سواء كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب بل شك وريب أو إعراض عن هذا كله حسداً أو كبراً أو اتباعاً لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسالة"[1]

**قال ابنُ حزمٍ:** "وهو في الدين صفة من جحد شيئاً مما افترض الله ﷻ الإيمان به بعد قيام الحجة عليه ببلوغ الحق إليه بقلبه دون لسانه، أو بلسانه دون قلبه، أو بهما معًا، أو عمل عملًا جاء النص بأنَّه مخرج له بذلك عن اسم الإيمان"[2]

**قال الجرجاني:** "هو ستر نعمة المنعم بالجحود أو بعمل هو كالجحود في مخالفة المنعم"[3]

وقيل هو: "الإنكار المتعمّد لما جاء به محمّد ﷺ أو بعض ما جاء به محمّد ﷺ ممّا علم من دينه بالضّرورة، وهذا هو الحقّ الّذي عليه أهل السّنّة والجماعة، وما عداه فهو باطل"

**قال المناويّ:** "الكفر: تغطية ما حقّه الإظهار، والكفران: ستر نعمة المنعم بترك شكرها، وأعظم الكفر: جحود الوحدانيّة أو النّبوّة أو الشّريعة، ولفظ الكفران في جحود النّعمة أكثر استعمالاً والكفر في الدّين أكثر، والكفور فيهما جميعاً"[4]

**قال التّهانويّ:** "الكفر شرعاً: خلاف الإيمان عند كلّ طائفة، فعند الأشاعرة عدم تصديق الرّسول ﷺ في كلّ أو بعض ما علم مجيئه من الدّين بالضّرورة، ومن قال: إنّ الإيمان هو المعرفة بالله ﷻ قال: الكفر هو الجهل بالله ﷻ، ومن قال: إنّ الإيمان هو الطّاعة قال: إنّ الكفر هو المعصية، وقد اختلف في المعصية الّتي تكفّر صاحبها

---

[1] مجموع الفتاوي لابن تيمية (12/ 335)

[2] الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (1/ 49 -50)

[3] التعريفات للجرجاني ص

[4] التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص 282



فقالت الخوارج: كلّ معصية كفر، وقسّمت المعتزلة المعاصي إلى ثلاثة أقسام، يكفّر منها ما دلّ على الجهل بالله ﷻ ووحدته وما لا يجوز عليه"[1]

## حكم الكفر

ذكر ابن حجر الهيتمي: "أنّ كفران نعمة الخلق المستلزم لكفران نعمة الحقّ من الكبائر وقال: عدّ هذا كبيرة هو ظاهر ما جاء في حديث الترّمذيّ "من أعطي عطاء فوجد فليجز به، فإن لم يجد فليثن؛ فإنّ من أثنى فقد شكر، ومن كتم فقد كفر"، ومعنى الكفر هنا أنّه يجرّ إلى كفر نعم الله ﷻ"[2]

أمّا الكفر الّذي هو نقيض الإيمان فقد أشارت إلى حكمه الآية الكريمة ﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ الإسراء: ٨، هذا في الآخرة، فأمّا في الدّنيا فمنهم: أهل الكتاب، ومنهم المعاهدون ومنهم الملحدون، ومنهم المرتدّون، ولكلّ حكمه الّذي فصّلته كتب الفقه"

## أسباب الكفر

1. الجهل والضلال، وتقليد الأسلاف، وهذا كُفْر أكثر الأتباع والعوام، قال ﷻ:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ البقرة: ١٧٠، وقال ﷻ:

﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ الجاثية: ٢٤

[1] كشف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي (2/ 1368)
[2] الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي (1/ 315)

2. الجحود والعناد، والحسد والكبر، وأغلب ما يقع هذا النوع فيمن له رئاسة علمية في قومه كالأحبار، والرهبان، من اليهود والنصارى، أو له رئاسة سلطانية كفرعون وكسرى وقيصر، أوله تجارة في قومه كقارون، فيخاف هذا على ماله، وهذا على سلطانه، وهذا على مكانته، فيؤْثِر الكفر على الإيمان عمداً، قال ﷻ: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ البقرة: ٨٩ ، وقال ﷻ: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ يونس: ٧٥، وقال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴿٣٤﴾ ﴾ التوبة: ٣٤، وقال ﷻ: ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ النمل: ١٤

3. الإعراض المحض عن الحق، فلا ينظر فيه، ولا يحبه، ولا يبغضه، ولا يواليه، ولا يعاديه؛ لأن قلبه متعلق بغيره، كمحبة المال والشهوات، ومحبة الدار والوطن، والأهل والعشيرة والعادة، قال ﷻ: ﴿ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾ الأحقاف: ٣، وقال ﷻ: ﴿ وَإِذَا

قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ لقمان: ٢١

## أركان الكفر

قال ابن القيم: "أَرْكَان الْكفْر أَرْبَعَة: الْكبر والحسد وَالْغَضَب والشهوة، فالكبر يمنعهُ الانقياد، والحسد يمنعهُ قبُول النَّصِيحَة وبذلها، وَالْغَضَب يمنعهُ الْعدْل، والشهوة تمنعهُ التفرّغ لِلْعِبَادَةِ، فَإِذا انْهَدم ركن الْكبر سهل عَلَيْهِ الانقياد، وَإِذا انْهَدم ركن الْحَسَد سهل عَلَيْهِ قبُول النصح وبذله، وَإِذا انْهَدم ركن الْغَضَب سهل عَلَيْهِ الْعدْل والتواضع، وَإِذا انْهَدم ركن الشَّهْوَة سهل عَلَيْهِ الصَّبْر والعفاف وَالْعِبَادَة.

وَزَوَال الْجبَال عَن أماكنها أيسر من زَوَال هَذِه الْأَرْبَعَة عَمَّن بلي بهَا، وَلَا سِيمَا إِذا صَارَت هيئات راسخة وملكات وصفات ثَابِتَة؛ فَإِنَّهُ لَا يَسْتَقِيم لَهُ مَعهَا عمل الْبَتَّةَ، وَلَا تزكو نَفسه مَعَ قِيَامهَا بهَا، وَكلما اجْتهد فِي الْعَمَل أفسدته عَلَيْهِ هَذِه الْأَرْبَعَة.

وكل الْآفَات مُتَوَلّدَة مِنْهَا، وَإِذا استحكمت فِي الْقلب أرته الْبَاطِل فِي صُورَة الْحق، وَالْحق فِي صُورَة الْبَاطِل، وَالْمَعْرُوف فِي صُورَة الْمُنكر، وَالْمُنكر فِي صُورَة الْمَعْرُوف، وَقربت مِنْهُ الدُّنْيَا، وبعدت مِنْهُ الْآخِرَة.

وَإِذا تَأَمَّلت كفر الْأُمَم رَأَيْته نَاشِئا مِنْهَا، وَعَلَيْهَا يَقع الْعَذَاب، وَتَكون خفته وشدته بِحَسب خفتها وشدتها، فَمن فتحهَا على نَفسه فتح عَلَيْهِ أَبْوَاب الشرور كلهَا عاجلاً وآجلاً، وَمن أغلقها على نَفسه أغلق عَنهُ أبوب الشرور؛ فإنها تمنع الانقياد وَالْإِخْلَاص وَالتَّوْبَة والإنابة وَقبُول الْحق ونصيحة الْمُسلمين والتواضع لله ولخلقه.

ومنشأ هَذِه الْأَرْبَعَة من جَهله بربه ﷻ وجهله بِنَفسِهِ؛ فَإِنَّهُ لَو عرف ربه ﷻ بِصِفَات الْكَمَال ونعوت الْجلَال وَعرف نَفسه بالنقائص والآفات لم يتكبر، وَلم يغْضب لَهَا، وَلم

يحْسد أحداً على مَا أَتَاهُ الله ﷻ؛ فَإِن الْحَسَد فِي الْحَقِيقَة نوع من معاداة الله ﷻ؛ فَإِنَّهُ يكره نعْمَة الله ﷻ على عَبده، وَقد أحبها الله ﷻ وَأحب زَوَالهَا عَنهُ، وَالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يكره ذَلِك، فَهُوَ مضاد لله ﷻ فِي قَضَائِهِ وَقدره ومحبته وكراهته؛ وَلذَلِك كَانَ إِبْلِيس عدوه حَقِيقَة؛ لِأَن ذَنبه كَانَ عَن كبر وحسد، فَقلع هَاتين الصفتين بِمَعْرِفَة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وتوحيده وَالرِّضَا بِهِ وَعنهُ والإنابة إِلَيْهِ، وَقلع الْغَضَب بِمَعْرِفَة النَّفس وَأَنَّهَا لَا تسْتَحق أَن يغْضب لَهَا وينتقم لَهَا؛ فَإِن ذَلِك إِيثَار لَهَا بِالرِّضَا وَالْغَضَب على خَالِقهَا وفاطرها.

وَأعظم مَا تدفع بِهِ هَذِه الآفة أَن يعوّدها أَن تغْضب لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وترضى لَهُ، فَكلما دَخلهَا شَيْء من الْغَضَب وَالرِّضَا لَهُ خرج مِنْهَا مُقَابِله من الْغَضَب وَالرِّضَا لَهَا، وَكَذَا بِالْعَكْسِ.

وَأما الشَّهْوَة فدواؤها صِحَة الْعلم والمعرفة بِأَن إعطاءها شهواتها أعظم أَسبَاب حرمانها إِيَّاهَا ومنعها مِنْهَا، وحميتها أعظم أَسبَاب اتصالها إِلَيْهَا، فَكلما فتحت عَلَيْهَا بَاب الشَّهَوَات كنت ساعياً فِي حرمانها إِيَّاهَا، وَكلما أغلقت عَنْهَا ذَلِك الْبَاب كنت ساعياً فِي إيصالها إِلَيْهَا على أكمل الْوُجُوه، فالغضب مثل السَّبع، إِذا أفلته صَاحبه بَدَأَ بِأَكْلِهِ، والشهوة مثل النَّار، إِذا أضرمها صَاحبهَا بدأت بإحراقه، وَالْكبر بِمَنْزِلَة مُنَازعَة الْملك ملكه، فَإِن لم يهلكك طردك عَنهُ، والحسد بِمَنْزِلَة معاداة من هُوَ أقدر مِنْك، وَالَّذِي يغلب شَهْوَته وغضبه يفرق الشَّيْطَان من ظله وَمن تغلبه شَهْوَته وغضبه يفرق من خياله"[1]

## أنواع الكفر

### أولًا: كفر الجحود:

المقصود بهذا النوع من الكفر أن الإنسان يعلم أن الدين حق ويقين، ولكنه لا يُظهره، بل يجحد به لكثير من الأسباب منها: حسد وطمع في الدنيا وغيرها، وأغلب

[1] الفوائد لابن القيم ص 157 - 159



الكافرين ينتمون إلى هذا النوع من الكفر، فقد قال ﷻ: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ الأنعام: ٣٣

**ثانيًا: كفر الإعراض:**

المقصود بهذا النوع من الكفر الإعراض عن تعاليم الدين وأحكامه، وعدم الاهتمام بها والسؤال عنها، بحيث لا يمكن أن يصبح المرء مسلمًا ما لم يتعلمها ويعمل بها، فقد قال ﷻ: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ السجدة: ٢٢

**ثالثًا: كفر النفاق:**

المراد بهذا الكفر التكذيب بما جاء به الرسول ﷺ، أو بجزء مما جاء به، ويكون النفاق بإظهار الإيمان للناس، ولكنه في قرارة نفسه يكفر بالله ﷻ ويبغض الرسول ﷺ وما جاء به، ويكون إيمانه ظاهراً من خلال صلاته وصومه وحجه وجهاده وشهادة الحق بين المسلمين، فقد قال ﷻ: ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ﴾ المنافقون: ١ - ٣

**رابعًا: كفر الشك والريبة:**

المراد بهذا الكفر الإنسان الذي يشك بما أتى به الرسل عليهم السلام ويظن أنهم على غير حق بما جاءوا به، وهذا ما حصل في قصة الرجلين، فقد قال ﷻ عن أحدهما:




﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً ﴿٣٦﴾ ﴾ الكهف: ٣٦ فرد الرجل الآخر: ﴿ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ ﴾ الكهف: ٣٧

**خامسًا: كفر التكذيب:**

المقصود بكفر التكذيب أن يقوم الإنسان بتكذيب الرسول ﷺ وتكذيب القرآن الكريم، فيعد هذا الإنسان كافراً ويخرج من ملة المسلمين، فيعد كفره كفراً أكبر، وقد قال ﷻ: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ العنكبوت: ٦٨، فالله ﷻ بين لنا في كتابه الكريم كذلك سبب هلاك الأمم السابقة، وهو الكفر والتكذيب بالرسالات السماوية وبالرسل، فلا يكون إيمان الإنسان مقبولًا إلا إذا كان مؤمناً بجميع الكتب السماوية وبجميع الرسل.

**قال الأزهري:** "قال بعض أهل العلم: الكفر على أربعة أنحاء: كفر إنكار، وكفر جحود، وكفر معاندة، وكفر نفاق، ومن لقي ربّه ﷻ بشيء من ذلك لم يغفر له، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، فأمّا كفر الإنكار فهو أن يكفر بقلبه ولسانه ولا يعرف ما يذكر له من التّوحيد وكذلك روي في تفسير قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ ﴾ البقرة: ٦، أي الّذين كفروا بتوحيد الله ﷻ، وأمّا كفر الجحود فأن يعرف بقلبه ولا يقرّ بلسانه، فهذا كافر جاحد ككفر إبليس، وكفر أميّة بن أبي الصّلت، ومنه قوله ﷻ: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ البقرة: ٨٩، يعني كفر الجحود، وأمّا



كفر المعاندة فهو أن يعرف بقلبه ويقرّ بلسانه، ويأبى أن يقبل ككفر أبي طالب، وأمّا كفر النّفاق فأن يكفر بقلبه ويقرّ بلسانه"[1]

**قال ابن القيّم**: "الكفر نوعان: كفر أكبر، وكفر أصغر.

**فالكفر الأكبر**: هو الموجب للخلود في النّار.

**والأصغر**: موجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود، ومنه قوله ﷺ: "اثنتان في أمّتي، هما بهم كفر: الطّعن في النّسب، والنّياحة على الميّت"[2]، وقوله ﷺ: "لا ترجعوا بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض"[3]

**الكفر الأكبر**: وأمّا الكفر الأكبر فخمسة أنواع: كفر تكذيب، وكفر استكبار وإباء مع التّصديق، وكفر إعراض، وكفر شكّ، وكفر نفاق.

**فأمّا كفر التّكذيب**: فهو اعتقاد كذب الرّسل عليهم السلام، وهذا القسم قليل في الكفّار، فإنّ الله ﷻ أيّد رسله عليهم السلام، وأعطاهم من البراهين والآيات على صدقهم ما أقام به الحجّة، وأزال به المعذرة، قال ﷻ عن فرعون وقومه: ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴿١٤﴾ ﴾ النمل: ١٤، وقال لرسوله ﷺ: ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ الأنعام: ٣٣، وإن سمّي هذا كفر تكذيب أيضاً فصحيح، إذ هو تكذيب باللّسان.

**وأمّا كفر الإباء والاستكبار**: فنحو كفر إبليس، فإنّه لم يجحد أمر الله ﷻ ولا قابله بالإنكار، وإنّما تلقّاه بالإباء والاستكبار، ومن هذا كفر من عرف صدق الرّسول ﷺ وأنّه جاء بالحقّ من عند الله ﷻ، ولم ينقد له إباء واستكباراً، وهو الغالب على كفر

[1] تهذيب اللغة للأزهري (10/ 110 – 111)
[2] رواه مسلم (1/ 82)
[3] رواه البخاري (9/ 3)، رواه مسلم (1/ 82)

أعداء الرّسل عليهم السلام، كما حكى الله ﷻ عن فرعون وقومه: ﴿ فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ٤٧ ﴾ المؤمنون: ٤٧

**وأمّا كفر الإعراض:** فأن يعرض بسمعه وقلبه عن الرّسول ﷺ لا يصدّقه ولا يكذّبه، ولا يواليه ولا يعاديه، ولا يصغي إلى ما جاء به ألبتّة.

**وأمّا كفر الشّكّ:** فإنّه لا يجزم بصدقه ولا يكذّبه، بل يشكّ في أمره، وهذا لا يستمرّ شكّه إلّا إذا ألزم نفسه الإعراض عن النّظر في آيات صدق الرّسول ﷺ جملة فلا يسمعها ولا يلتفت إليها، وأمّا مع التفاته إليها، ونظره فيها: فإنّه لا يبقى معه شكّ.

**وأمّا كفر النّفاق:** فهو أن يظهر بلسانه الإيمان، وينطوي بقلبه على التّكذيب، فهذا هو النّفاق الأكبر"[1]

## كفر الجحود

**قال ابن القيم:** "وكفر الجحود نوعان: كفر مطلق عام، وكفر مقيد خاص.

**فالمطلق:** أن يجحد جملة ما أنزله الله ﷻ، وإرساله الرسول ﷺ.

**والخاص المقيد:** أن يجحد فرضاً من فروض الإسلام، أو تحريم محرم من محرماته، أو صفة وصف الله ﷻ بها نفسه، أو خبراً أخبر الله ﷻ به، عمداً، أو تقديماً لقول من خالفه عليه لغرض من الأغراض"[2]

## كفر العمل وكفر الاعتقاد

**قال الشّيخ محمّد بن إبراهيم:** "من الممتنع أن يسمّي الله ﷻ الحاكم بغير ما أنزل الله ﷻ كافراً ولا يكون كافراً، بل هو كافر مطلقاً، إمّا كفر عمل، وإمّا كفر اعتقاد، وما

[1] مدارج السالكين لابن القيم (1/ 346 – 347)
[2] مدارج السالكين لابن القيم (1/ 347)

جاء عن ابن عبّاس رضي الله عنهما في تفسير قوله ﷻ: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ المائدة: ٤٤، من رواية طاووس وغيره يدلّ على أنّ الحاكم بغير ما أنزل الله ﷻ كافر، إمّا كفر اعتقاد ناقل عن الملّة، وإمّا كفر عمل لا ينقل عن الملّة.

**أمّا القسم الأوّل، وهو كفر الاعتقاد** فهو أنواع:

**أحدها:** أن يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله ﷻ أحقّيّة حكم الله ﷻ ورسوله ﷺ، وهو معنى ما روي عن ابن عبّاس رضي الله عنهما، واختاره ابن جرير أنّ ذلك هو جحود ما أنزل الله ﷻ من الحكم الشّرعيّ وهذا ما لا نزاع فيه بين أهل العلم.

**الثّاني:** أن يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله ﷻ كون حكم الله ﷻ ورسوله ﷺ حقّا، لكن اعتقد أنّ حكم غير الرّسول ﷺ أحسن من حكمه، وأتمّ وأشمل لما يحتاجه النّاس من الحكم بينهم عند التّنازع، إمّا مطلقاً أو بالنّسبة إلى ما استجدّ من الحوادث الّتي نشأت عن تطوّر الزّمان وتغيّر الأحوال، وهذا أيضاً لا ريب أنّه كفر، لتفضيله أحكام المخلوقين الّتي هي محض زبالة الأذهان وصرف حثالة الأفكار على حكم الحكيم الحميد.

**الثّالث:** أن لا يعتقد كونه أحسن من حكم الله ﷻ ورسوله ﷺ، لكن اعتقد أنّه مثله، فهذا كالنّوعين اللّذين قبله، في كونه كافراً الكفر النّاقل عن الملّة، لما يقتضيه ذلك من تسوية المخلوق بالخالق ﷻ، والمناقضة والمعاندة لقوله ﷻ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴿١١﴾ ﴾ الشورى: ١١

الرّابع: ألا يعتقد كون حكم الحاكم بغير ما أنزل الله ﷻ مماثلاً لحكم الله ﷻ ورسوله ﷺ، فضلاً عن أن يعتقد كونه أحسن منه، لكن اعتقد جواز الحكم بما يخالف حكم الله ﷻ ورسوله ﷺ، فهذا كالّذي قبله يصدق عليه ما يصدق عليه؛ لاعتقاده جواز ما علم بالنّصوص الصّحيحة الصّريحة القاطعة تحريمه.

الخامس: وهو أعظمها وأشملها وأظهرها معاندة للشّرع، ومكابرة لأحكامه، ومشاقّة لله ﷻ ولرسوله ﷺ، وتشكيلاً وتنويعاً وحكماً وإلزاماً، ومراجع ومستندات، فكما أنّ للمحاكم الشّرعيّة مراجع ومستندات، مرجعها كلّها إلى كتاب الله ﷻ وسنّة رسوله ﷺ فلهذه المحاكم مراجع هي: القانون الملفّق من شرائع شتّى وقوانين كثيرة.

السّادس: ما يحكم به كثير من رؤساء العشائر، والقبائل من البوادي ونحوهم، من حكايات آبائهم وأجدادهم، وعاداتهم الّتي يسمّونها "سلموهم" يتوارثون ذلك منهم ويحكمون به ويحملون على التّحاكم إليه عند النّزاع، بقاء على أحكام الجاهليّة وإعراضاً ورغبة عن حكم الله ﷻ ورسوله ﷺ، فلا حول ولا قوّة إلّا بالله.

**وأمّا القسم الثّاني من قسمي الحاكم بغير ما أنزل الله ﷻ**: فهو مرويّ عن ابن عبّاس رضي الله عنهما وذلك في قوله في الآية: ﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ المائدة: ٤٤، كفر دون كفر، وقوله أيضاً: "ليس بالكفر الّذي تذهبون"، وذلك أن تحمله شهوته وهواه على الحكم في القضيّة بغيرها ومجانبة الهدى، وهذا وإن لم يخرجه كفره عن الملّة، فإنّه معصية عظمى أكبر من الكبائر كالزّنا، وشرب الخمر، والسّرقة، واليمين الغموس، وغيرها، فإنّ معصية سمّاها الله ﷻ في كتابه: كفراً،

أعظم من معصية لم يسمّها كفراً، نسأل الله ﷻ أن يجمع المسلمين على التّحاكم إلى كتابه، انقياداً، ورضاء إنّه وليّ ذلك والقادر عليه"[1]

## معاني الكفر في القرآن الكريم

قال ابن الجوزيّ: "ذكر أهل التّفسير أنّ الكفر في القرآن على خمسة أوجه:

أحدها: الكفر بالتّوحيد، ومنه قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٦﴾ البقرة: ٦

والثّاني: كفران النّعمة، ومنه قوله ﷻ: ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢﴾ البقرة: ١٥٢

والثّالث: التّبرّي، ومنه قوله ﷻ: ﴿يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٍ ٢٥﴾ العنكبوت: ٢٥، أي يتبرّأ بعضكم من بعض.

والرّابع: الجحود، ومنه قوله ﷻ: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ٨٩﴾ البقرة: ٨٩

والخامس: التّغطية، ومنه قوله ﷻ: ﴿أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ٢٠﴾ الحديد: ٢٠، يريد الزّرّاع الّذين يغطّون الحبّ"[2]

## الفرق بين الكفر والشرك

"أنّ الكفر خصال كثيرة على ما ذكرنا وكل خصلة منها تضاد خصلة من الإيمان؛ لأن العبد إذا فعل خصلة من الكفر فقد ضيع خصلة من الإيمان والشرك خصلة واحدة وهو ايجاد آلهة مع الله ﷻ أو دون الله ﷻ واشتقاقه ينبئ عن هذا المعنى ثم كثر حتى

[1] رسالة تحكيم القوانين للشيخ محمد بن إبراهيم ص 19 - 22
[2] نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي ص 516 - 517

قيل لكل كفر شرك على وجه التعظيم له والمبالغة في صفته وأصله كفر النعمة لتضييعة حقوق الله عز وجل وما يجب عليه من شكر نعمة فهو بمنزلة الكافر لها ونقيض الشرك في الحقيقة الإخلاص ثم لم استعمل في كل كفر صار نقيضة الإيمان ولا يجوز أن يطلق اسم الكفر إلا لمن كان بمنزلة الجاحد لنعم الله عز وجل وذلك لعظم ما معه من المعصية وهو اسم شرعي كما أن الايمان اسم شرعي"[1]

## مضار الكفر

"1. الكفر الأكبر يخلّد صاحبه في النّار.

2. يورث الذّلّ في الدّنيا والهوان على الله عز وجل في الآخرة.

3. الكافر خبيث النّيّة فاسد الطويّة.

4. يورد صاحبه موارد الهلاك والرّدى.

5. ليس بعد الكفر ذنب.

6. اشمئزاز النّاس منه وتأذّيهم من شرّه.

7. معول هدم في المجتمع الّذى يعيش فيه وإن زعم الكافر أنّه مصلح.

8. نجاسة الكافر وهوانه على الله عز وجل"[2]

## علاج الكفر

1. الاستعاذة بالله سبحانه وتعالى من كيد الشيطان.

2. الإكثار من ذكر الله عز وجل فإنه سبب لانشراح الصدر وطمأنينة النفس، قال سبحانه وتعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ﴾

﴿ الرعد: ٢٨ ﴾

[1] الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص 230

[2] نظرة النعيم (11/ 5509)



3. الإكثار من تلاوة القرآن، وتدبر بآياته، ومعرفة عاقبة الكافرين.

4. ملازمة الصلاة في المسجد جماعة.

5. مرافقة الصالحين الذين يذكرون بالخير ويدلون عليه.

6. الإعراض عن الخواطر التي تؤدي إلى الكفر، ومدافعتها وعدم التفكير فيها.

7. المواظبة على أذكار الصباح والمساء لتحصن نفسك بها.

8. إدامة التفكر في مخلوقات الله عز وجل العظيمة كالسماء وما فيها، فإن هذه المخلوقات تدل دلالة واضحة على خالقها سبحانه وتعالى، ثم عليك بمواصلة التوبة النصوح متى صدر منك ذنب، فإن الله سبحانه وتعالى يقبل توبة التائبين ويفرح لها.

9. أكثر من الصلاة على النبي ﷺ، فعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي؟ فقال: "ما شئت"، قال: قلت: الربع، قال: "ما شئت فإن زدت فهو خير لك"، قلت: النصف، قال: "ما شئت، فإن زدت فهو خير لك"، قال: قلت: فالثلثين، قال: "ما شئت، فإن زدت فهو خير لك"، قلت: أجعل لك صلاتي كلها قال: "إذا تكفى همك، ويغفر لك ذنبك"[1]

[1] سنن الترمذي (4/ 636)




# المرض الثلاثون
# الافتراء والبهتان

## تعريف الافتراء

### في اللغة:

قال ابن فارس: "الافتراء مصدر قولهم: افترى يفتري، وهو مأخوذ من مادّة (ف ر ى) الّتي تدلّ على القطع، ومن ذلك فريت الشّيء فرياً قطعته لإصلاحه، وأفريته: قطعته لإفساده، ويقال: فري فلان كذا، إذا خلقه، والفرى: البهت والدّهش يقال منه: فري يفرى فرى"[1]

قال الرّاغب الأصفهاني: "الفري: قطع الجلد للخرز والإصلاح، والإفراء للإفساد، والافتراء فيهما وفي الإفساد أكثر وقد استعمل في القرآن الكريم في الكذب كما في قوله ﷻ: ﴿ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ﴿٥٠﴾ ﴾ النساء: ٥٠، وفي الشّرك والظّلم، كما في قوله ﷻ: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ النساء: ٤٨"[2]

قال الفيروز آبادي: "الفري والافتراء واحد وهو الكذب واختلاقه، ويقال: افتريت الفرو: لبسته"[3]

قال الجوهري: " وفريت المزادة خلقتها وصنعتها، وفريت الأرض: سرتها وقطعتها، وفلان يفري الفريّ: إذا كان يأتي بالعجب في عمله، وفرى فلان كذباً، اختلقه، والاسم: الفرية"[4]

---

[1] مقاييس اللغة لابن فارس (4/ 496)
[2] المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص 634
[3] بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي (4/ 190)
[4] الصحاح للجوهري (6/ 2454)



قال ابن منظور: "والفرية: الكذب، فرى كذباً فرياً، وافتراه: اختلقه، ورجل فريّ ومفرى وإنّه لقبيح الفرية، قال ﷻ: ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُ ﴿٣٨﴾ ﴾ يونس: ٣٨، أي اختلقه، وفرى فلان كذا إذا خلقه، وافتراه: اختلقه، والاسم الفرية، وجمعها: الفرى، وأفرى أفعل منه للتّفضيل، وأكذب الكذبات أن يقول: رأيت في النّوم كذا وكذا، ولم يكن رأى شيئاً؛ لأنّه كذب على الله ﷻ، فإنّه هو الّذي يرسل ملك الرّؤيا ليريه المنام، وفي حديث عائشة رضي الله عنها: "فقد أعظم الفرية على الله" أي الكذب، وفي حديث بيعة النّساء: ﴿ وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ ﴿١٢﴾ ﴾ الممتحنة: ١٢ وهو افتعال من الكذب، والفريّ: الأمر العظيم، وفي التّنزيل العزيز في قصّة مريم: ﴿ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ﴿٢٧﴾ ﴾ مريم: ٢٧، أي جئت شيئاً عظيماً، وقيل: جئت شيئاً فريّاً أي مصنوعاً مختلقاً، وفلان يفري الفريّ إذا كان يأتي بالعجب في عمله، وفريت: دهشت وحرت"[1]

## في الشرع:

قال العسكري: "الافتراء: هو الكذب في حقِّ الغير بما لا يرتضيه"[2]

قال الكفوي: "الافتراء: هو العظيم من الكذب، يقال لمن عمل عملًا فبالغ فيه: إنه ليفري الفرى، ومعنى افترى: افتعل واختلق ما لا يصحُّ أن يكون؛ وما لا يصحُّ أن يكون أعمُّ مما لا يجوز أن يقال، وما لا يجوز أن يفعل"[3]

قال السيوطي: "الافتراء: اختراع قضية لا أصل لها"[4]

[1] لسان العرب لابن منظور (15/ 154)
[2] معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص 449
[3] الكليات للكفوي ص 154
[4] معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم للسيوطي ص 207

www.alukah.net
شبكة الألوكة


قال الكفويّ في موضع آخر: "كلّ خبر لا يكون عن بصيرة بالمخبر عنه فهو افتراء"[1]

قال الكفوي في موضع ثالث: "أنّ الافتراء تقوّل، لأنّه قول متكلّف، وتسمّى الأقوال المفتراة أقاويل تحقيراً لها كأنّها جمع أفعولة من القول ك (الأضاحيك)"[2]

قال الرّاغب الأصفهاني: "أنّ الافتراء هو: اختراع لقصّة كاذبة لا أصل لها، الكذب إمّا أن يكون اختراعاً لقصّة لا أصل لها، أو زيادة في القصّة أو نقصاناً يغيّران المعنى، أو تحريفاً بتغيير عبارة، فما كان اختراعاً يقال له: الافتراء والاختلاق"[3]

قال ابن بطّال: "الافتراء الكذب العظيم الّذي يتعجّب منه"[4]

## تعريف البهتان

### في اللغة:

البهتان: هو الاسم من البهت، وهو مأخوذ من مادّة (ب هـ ت) الّتي يدور معناها حول الدّهش والحيرة، وتتّصل فروعها بهذا الأصل وتتقارب، يقول ابن فارس: "الباء والهاء والتّاء أصل واحد، وهو كالدّهش والحيرة، يقال: بهت الرّجل، يبهت بهتا، والبهتة الحيرة، فأمّا البهتان فالكذب، يقول العرب: يا للبهتة، أي يا للكذب"، قال ﷻ: ﴿ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ ﴾ النور: ١٦، أي كذب يبهت سامعه لفظاعته"[5]

يقول الجوهريّ: "وبهت الرّجل- بالكسر- إذا دهش وتحيّر، وبهت- بالضّمّ- مثله، وأفصح منهما بهت، كما قال ﷻ: ﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ البقرة: ٢٥٨؛ لأنّه يقال: رجل مبهوت، ولا يقال: باهت، ولا بهيت"[6]

---

[1] الكليات للكفوي ص 556
[2] الكليات للكفوي ص 710
[3] الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني ص 196
[4] فتح الباري لابن حجر العسقلاني (12/ 449)
[5] مقاييس اللغة لابن فارس (1/ 307)
[6] الصحاح للجوهري (1/ 244)




شبكة الألوكة - قسم الكتب

**قال الفيروز آبادي**: "والبهيتة: الباطل الّذي يتحيّر من بطلانه"[1]

**قال ابن منظور**: "والبهتان: من بهت الرّجل يبهته بهتاً، وبهتاً، وبهتاناً، فهو بهّات: أي قال عليه ما لم يفعله، فهو مبهوت، وبهته بهتاً: أخذه بغتة، وفي التّنزيل العزيز: ﴿ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ ﴿٤٠﴾ ﴾ الأنبياء: ٤٠، والبهتان: افتراء، وفي التّنزيل العزيز: ﴿ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ ﴿١٢﴾ ﴾ الممتحنة: ١٢، وباهته: استقبله بأمر يقذفه به، وهو منه بريء لا يعلمه فيبهت منه، والاسم البهتان، وبهتّ الرّجل أبهته بهتا إذا قابلته بالكذب، وقوله ﷻ: ﴿ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ ﴾ النساء: ٢٠، أي مباهتين آثمين، **قال أبو إسحاق**: "البهتان: الباطل الّذي يتحيّر من بطلانه، وهو من البهت وهو التّحيّر، والألف والنّون زائدتان، وبهتاناً موضع المصدر، وهو حال، والمعنى: أتأخذونه مباهتين وآثمين"، وبهت فلان فلاناً إذا كذب عليه، وبهت، وبهت إذا تحيّر، وقوله ﷻ: ﴿ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُۥ ﴿١٢﴾ ﴾ الممتحنة: ١٢، أي لا يأتين بولد عن معارضة من غير أزواجهنّ، فينسبنه للزّوج، فإنّ ذلك بهتان وفرية، يقال: كانت المرأة تلتقطه فتتبنّاه، والبهوت: المباهت، والجمع بهت وبهوت، والبهت والبهيتة: الكذب، وفي حديث الغيبة: "وإن لم يكن فيه ما تقول، فقد بهتّه"، أي كذبت وافتريت عليه، وفي حديث ابن سلام في ذكر اليهود: إنّهم قوم بهت، **قال ابن الأثير**: "هو جمع بهوت، من بناء المبالغة في البهت، مثل صبور وصبر، ثمّ يسكّن تخفيفاً"[2]

[1] القاموس المحيط للفيروز آبادي ص 148
[2] لسان العرب لابن منظور (2/ 12 – 13)




## في الشرع:

**قال الكفوي:** "البهتان: هو الكذب الذي يبهت سامعه، أي: يدهش ويتحير، وهو أفحش الكذب؛ لأنَّه إذا كان عن قصد يكون إفكًا"[1]

**قال أبو هلال العسكري:** "البهتان: هو الكذب الذي يواجه به صاحبه على وجه المكابرة له"[2]

**قال القرطبي:** "البهتان من البهت، وهو أن تستقبل أخاك بأن تقذفه بذنب وهو منه بريء"[3]

**قال ابن الأثير:** "البهتان: هو الكذب والافتراء الباطل الّذي يتحيّر منه"[4]

**قال المناويّ:** "البهتان: كذب يبهت سامعه ويدهشه ويحيّره لفظاعته، وسمّي بذلك لأنّه يبهت أي يسكت لتخيّل صحّته، ثمّ ينكشف عند التّأمّل"[5]

## حكم الافتراء والبهتان

**قال السمرقندي:** "ليس شيء من الذنوب أعظم من البهتان، فإنَّ سائر الذنوب يحتاج إلى توبة واحدة، وفي البهتان يحتاج إلى التوبة في ثلاثة مواضع، وقد قرن الله ﷻ البهتان بالكفر، فقال ﷻ: ﴿ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ ﴾ الحج: ٣٠"[6]

**قال النووي:** "البهت حرام"[7]

---

[1] الكليات للكفوي ص 154
[2] معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص 450
[3] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (5/ 381)
[4] النهاية في حديث الغريب والأثر لابن الأثير (1/ 165)
[5] التوقيف على مهات التعاريف للمناوي ص 84
[6] تنبيه الغافلين للسمرقندي ص 167
[7] شرح النووي على مسلم للنووي (16/ 142)



وعدَّ ابن حجر الهيتمي البهت من الكبائر، قال: "الكبيرة الرابعة والخمسون بعد المائتين: البهت، لما في الحديث الصحيح في الغيبة: "وإن لم يكن فيه فقد بهته"[1]، بل هو أشدُّ من الغيبة؛ إذ هو كذب فيشقُّ على كلِّ أحد، بخلاف الغيبة لا تشقُّ على بعض العقلاء؛ لأنها فيه، وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: "خمس ليس لهنّ كفّارة: الشّرك بالله، وقتل النّفس بغير حقّ، وبهت مؤمن، والفرار يوم الزّحف، ويمين صابرة (أي كاذبة) يقتطع بها مالاً بغير حقّ"[2]

وعن أبي الدرداء ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: "من ذكر امرأ بشيء ليعيبه به حبسه الله في نار جهنّم حتّى يأتي بنفاذ ما قال فيه[3]"[4]

## أسباب الافتراء والبهتان

### 1. الاختلاف والتفرق والتحزب:

قال ابن بطة: "إنَّ الله ﷻ قد أعلمنا اختلاف الأمم الماضين قبلنا، وأنهم تفرقوا واختلفوا، فتفرقت بهم الطرق، حتى صار بهم الاختلاف إلى الافتراء على الله ﷻ، والكذب عليه والتحريف لكتابه، والتعطيل لأحكامه، والتعدي لحدوده، قال ﷻ: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ البقرة: ٢١٣"[5]

[1] رواه مسلم (4/ 2001)
[2] مسند أحمد (2/ 361)
[3] المعجم الأوسط للطبراني (8/ 380)
[4] الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي (2/ 41)
[5] الإبانة الكبرى لابن بطة (1/ 270)





### 2. التعصب والتقليد الأعمى:

إن الناظر في القرآن ليرى أنَّ معارضات الكفار لجميع الأنبياء والرسل عليهم السلام إنما هي بدافع التعصب لدين الآباء والعادات والتقاليد، كما قال ﷻ: ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴿٧﴾ ﴾ ص: ٧، وقال ﷻ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ ۖ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ الزخرف: ٢٣ - ٢٤

### 3. الكبر والحسد والحقد والكراهية:

**قال ابن بطة:** "أعلمنا ﷻ أنَّ السبب الذي أخرجهم إلى الفرقة بعد الألفة، والاختلاف بعد الائتلاف، هو شدة الحسد من بعضهم لبعض، وبغي بعضهم على بعض، فأخرجهم ذلك إلى الجحود بالحق بعد معرفته، وردهم البيان الواضح بعد صحته، وكل ذلك وجميعه قد قصه الله ﷻ علينا، وأوعز فيه إلينا، وحذرنا من مواقعته، وخوفنا من ملابسته، قال ﷻ: ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ ﴾ الشورى: ١٤"[1]

### 4. كثرة الكلام بلا فائدة:

**قال أبو طالب المكي:** "الكلام مفتاح كبائر اللسان، فيه الكذب، والغيبة، والنَّمِيمَة، والبهتان، وفيه شهادة الزور، وفيه قذف المحصن، والافتراء على الله ﷻ"[2]

[1] الإبانة الكبرى لابن بطة (1/ 270)

[2] قوت القلوب لابي طالب المكي (1/ 175)



### 5. الكفر:

أخبر ﷻ أن الذين يفترون الكذب على الله ﷻ وعلى رسوله ﷺ شرار الخلق من الكفرة والملحدين المعروفين بالكذب عند الناس، كما قال ﷻ: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ النحل: ١٠٥، وكان الرسول ﷺ أصدق الناس وأبرهم وأكملهم علمًا وعملًا وإيمانًا وإيقانًا، معروفًا بالصدق في قومه، لا يشك في ذلك أحد منهم بحيث لا يدعى بينهم إلا بالأمين محمد ﷺ"[1]، ولهذا لما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان عن تلك المسائل التي سألها من صفة رسول الله ﷺ، كان فيما قال له: وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت أن لا، فعرفت أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس، ويكذب على الله"[2]

### 6. العناد:

أخبر ﷻ أن العناد والظلم كان سببًا لافتراء المفترين، كما قال ﷻ: ﴿ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ ﴾ سبأ: ٨، فهذا الرجل الذي يأتي بذلك، هل ﴿ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ فتجرأ عليه، وقال ما قال؟ ﴿ أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ﴾ فلا يستغرب منه، فإن الجنون فنون، وكل هذا منهم، على وجه العناد والظلم، ولقد علموا أنه أصدق خلق الله ﷻ وأعقلهم، ومن علمهم أنهم أبدوا وأعادوا في معاداتهم، وبذلوا أنفسهم وأموالهم في صد الناس عنه، فلو كان كاذبًا مجنونًا لم ينبغ لكم –يا أهل العقول غير الزاكية– أن تصغوا لما قال، ولا أن تحتفلوا

---
[1] تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/ 604)
[2] رواه البخاري (1/ 8)

بدعوته، فإن المجنون لا ينبغي للعاقل أن يلفت إليه نظره، أو يبلغ قوله منه كل مبلغ، ولولا عنادكم وظلمكم لبادرتم لإجابته، ولبيتم دعوته، ولكن ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١ ﴾ يونس: ١٠١"[1]

## 7. الجهل:

أخبر ﷻ أن الجهل سبب افتراء المشركين، ومن على شاكلتهم، كما قال ﷻ:

﴿ وَيَجۡعَلُونَ لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ نَصِيبٗا مِّمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡۗ تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ ٥٦ ﴾ النحل: ٥٦، يخبر ﷻ عن جهل المشركين وظلمهم وافترائهم على الله ﷻ الكذب، وأنهم يجعلون لأصنامهم التي لا تعلم ولا تنفع ولا تضر نصيبًا مما رزقهم الله ﷻ، وأنعم به عليهم، فاستعانوا برزقه على الشرك به، وتقربوا به إلى أصنام منحوتة، كما قال ﷻ:

﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمۡۗ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ١٣٦ ﴾ الأنعام: ١٣٦"[2]

**قال أبو حيان**: "قبح ﷻ فعلهم ذلك، وهو أن يفردوا نصيبًا مما أنعم به ﷻ عليهم لجماداتٍ لا تضر ولا تنفع، ولا تنتفع هي بجعل ذلك النصيب لها، ثم أقسم ﷻ على أنه يسألهم عن افترائهم واختلاقهم في إشراكهم مع الله ﷻ آلهةً، وأنها أهلٌ للتقرب

[1] تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 675
[2] تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 442

إليها بجعل النصيب لها، والسؤال في الآخرة، أو عند عذاب القبر، أو عند القرب من الموت"[1]

"ما يزال أناس بعد أن جاءت عقيدة التوحيد وتقررت، يجعلون نصيبًا من رزق الله ﷻ لهم موقوفًا على ما يشبه آلهة الجاهلية، ما يزال بعضهم يطلق عجلًا يسميه «عجل السيد البدوي» يأكل من حيث يشاء لا يمنعه أحد، ولا ينتفع به أحد، حتى يذبح على اسم السيد البدوي لا على اسم الله ﷻ! وما يزال بعضهم ينذرون للأولياء ذبائح يخرجونها من ذمتهم لا لله ﷻ، ولا باسم الله ﷻ، ولكن باسم ذلك الولي، على ما كان أهل الجاهلية يجعلون لما لا يعلمون نصيبًا مما رزقهم الله ﷻ، وهو حرام نذره على هذا الوجه، حرام لحمه، ولو سمي اسم الله ﷻ عليه"

## آثار الافتراء والبهتان

### 1. المفتري على الله ﷻ أعظم الظالمين والمجرمين:

قال ﷻ: ﴿ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ آل عمران: ٩٤، وقال ﷻ: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ يونس: ١٧

### 2. الافتراء والبهتان سمة كلِّ كافر:

قال ﷻ: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ النحل: ١٠٥

[1] البحر المحيط لابن حيان (6/ 547)




### 3. يؤدِّي للوقوع في الشرك والبدع:

**قال ابن تيمية:** "الشرك وسائر البدع مبناها على الكذب والافتراء، ولهذا: كلُّ من كان عن التوحيد والسنة أبعد، كان إلى الشرك والابتداع والافتراء أقرب، كالرافضة الذين هم أكذب طوائف أهل الأهواء، وأعظمهم شركًا، فلا يوجد في أهل الأهواء أكذب منهم، ولا أبعد عن التوحيد منهم، حتى إنهم يخربون مساجد الله التي يذكر فيها اسمه، فيعطلونها عن الجماعات والجمعات، ويعمرون المشاهد التي على القبور، التي نهى الله ﷻ ورسوله ﷺ عن اتخاذها"[1]

### 4. سبب في الحرمان من الهداية:

قال سبحانه وتعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ الأنعام: ١٤٤

### 5. سبب في عدم الفلاح:

قال سبحانه وتعالى: ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ الأنعام: ١٤٠، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ يونس: ٦٩

### 6. يؤدِّي إلى الذُّل والمهانة:

قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ الأعراف: ١٥٢

[1] اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أهل الجحيم لابن تيمية (2/ 281 – 282)




قال السعدي: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴾ فكلُّ مفترٍ على الله ﷻ، كاذب على شرعه، متقوّلٍ عليه ما لم يقل، فإن له نصيبًا من الغضب من الله ﷻ، والذُّل في الحياة الدنيا"[1]

### 7. سبب في وقوع العذاب في الدنيا:

قال ﷻ: ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ ﴾ طه: ٦١

### 8. سبب في شدة سكرات الموت والعذاب الأليم يوم القيامة:

قال ﷻ: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ الأنعام: ٩٣

### 9. سبب في استحقاق لعنة الله ﷻ وغضبه:

قال ﷻ: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ هود: ١٨، قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ الأعراف: ١٥٢

[1] تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 303




### 10. سبب في مناقشة الحساب يوم القيامة:

قال ﷻ: ﴿ وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ١٣ ﴾ العنكبوت: ١٣

## أنواع الافتراء والبهتان

مما لا شك فيه أن الافتراء والبهتان بالمعنى الذي بيناه من المحرمات، وعدَّه بعض أهل العلم من الكبائر، ولا شك أيضاً أنه درجات وأنواع، ونشير منها إلى ما يلي:

### أولاً: الافتراء على الله ﷿:

وهو أشد أنواع البهتان وهو قسمان:

**القسم الأول:** أن يقول: قال الله ﷻ كذا، وهو كاذب على الله ﷿، قال ﷻ:

﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ ٦٨ ﴾ العنكبوت: ٦٨

**قال ابن كثير:** "لا أحد أشدُّ عقوبة ممن كذب على الله ﷿، فقال: إنَّ الله ﷿ أوحى إليه شيئًا، ولم يوحَ إليه شيء، ومن قال: سأنزل مثل ما أنزل الله ﷿، وهكذا لا أحد أشدُّ عقوبة ممن كذَّب بالحقِ لما جاءه، فالأول مفترٍ، والثاني مكذِّب؛ ولهذا قال: أليس في جهنم مثوى للكافرين"[1]

**وقال الطبري:** "يقول ﷻ: "ومن أظلم أيُّها الناس ممن اختلق على الله ﷿ كذبًا- فقالوا إذا فعلوا فاحشة: وجدنا عليها آباءنا، والله ﷻ أمرنا بها، والله ﷿ لا يأمر بالفحشاء- أو كذَّب بالحقِّ لما جاءه"[2]

[1] تفسير القرآن العظيم لابن كثير (6/ 296)
[2] جامع البيان للطبري (20/ 62)




وقال ﷻ: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ الأعراف: ٢٨

قال الطبري: "يقول الله ﷻ لنبيه محمد ﷺ: " قل "يا محمد لهم: " ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾، يقول: لا يأمر خلقه بقبائح الأفعال ومساويها " ﴿ أَتَقُولُونَ ﴾ أيها الناس، ﴿ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ يقول: أتروون على الله ﷻ أنه أمركم بالتعرِّي والتجرد من الثياب واللباس للطواف وأنتم لا تعلمون أنه أمركم بذلك؟"[1]

القسم الثاني: أن يفسر متعمدًا كلام الله ﷻ بغير ما أراد الله ﷻ؛ لأنَّ المقصود من الكلام معناه، قال ﷻ: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَـٰذَا حَلَـٰلٌ وَهَـٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ النحل: ١١٦، وهو من القول على الله ﷻ بغير علم، وهو من أكبر الكبائر وأعظم الذنوب، وقد جعله الله ﷻ عديل الشرك، وتوعد عليه بالعذاب الأليم، قال ﷻ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ الأعراف: ٣٣

ثانياً: الافتراء على الرسول ﷺ:

وهو قسمان:

القسم الأول: بأن يقول: قال رسول الله ﷺ كذا، ولم يقله، لكن يكذب عليه، قال رسول الله ﷺ: "من كذب علي متعمداً، فليتبوأ مقعده من النار"[2]

---

[1] جامع البيان للطبري (12/ 379)
[2] رواه البخاري (1/ 33)، رواه مسلم (1/ 10)




والكذب على النبي ﷺ داخل في الكذب على الله ﷻ، **يقول ابن حجر**: "تقويله ﷺ ما لم يقل يقتضي الكذب على الله ﷻ، لأنه إثبات حكم من الأحكام الشرعية سواء كان في الإيجاب أو الندب، وكذا مقابلهما وهو الحرام والمكروه"[1]

وعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن من أعظم الفرى أن يدعي الرجل إلى غير أبيه، أو يري عينه ما لم تر، أو يقول على رسول الله ﷺ ما لم يقل"[2]، وقال ﷺ: "لا تكذبوا عليَّ فإنه من كذب عليَّ فليلج النار"[3]

**القسم الثاني**: تفسير حديث رسول الله ﷺ بغير معناه متعمدًا، وهو من الكذب على رسول الله ﷺ أيضاً؛ فكما أنه لا يجوز الكلام في تفسير القرآن العظيم بغير علم، فكذلك السنة فإنها وحي ثان، فتفسير الأحاديث النبوية دون علم شرعي، وبمجرد الرأي، هو من القول على الله ﷻ بلا علم، **قال ابن تيمية**: "والمقصود: أن من تكلم بلا علم يسوغ، وقال غير الحق فإنه يسمى كاذباً"[4]

**ثالثاً: الافتراء على المؤمنين:**

كأن يتقوَّل على أحد من المسلمين ما لم يقله، أو يقذفه بذنب هو منه بريء، أو أن يغتابه بما ليس فيه، وقد قال ﷻ فيمن ينقل عن المؤمنين والمؤمنات ما لم يفعلوه:

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾ الأحزاب: ٥٨

**قال الطبري**: " ﴿ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ يقول: فقد احتملوا زورًا وكذبًا وفرية شنيعة، وبهتان: أفحش الكذب، وإثمًا مبينًا يقول: وإثمًا يبين لسامعه أنَّه إثم وزور"[5]

---
[1] فتح الباري لابن حجر العسقلاني (1/ 200)
[2] رواه البخاري (4/ 180)
[3] رواه البخاري (1/ 33)
[4] الإخنائية أو الرد على الإخنائي لابن تيمية ص 107
[5] جامع البيان للطبري (20/ 324)




وقال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ الممتحنة: ١٢، **قال السعدي**: "البهتان: الافتراء على الغير، أي: لا يفترين بكلِّ حالة، سواء تعلَّقت بهنَّ وأزواجهنَّ، أو سواء تعلَّق ذلك بغيرهم"[1]

وعن عبادة بن الصامت ﷺ وكان شهد بدرًا وهو أحد النقباء ليلة العقبة: أنَّ رسول الله ﷺ قال – وحوله عصابة (أي مجموعة) من أصحابه-: "بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا، فعوقب في الدنيا، فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئًا، ثم ستره الله، فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه" فبايعناه على ذلك"[2]

**قال البغوي**: "معنى الحديث لا تبهتوا الناس افتراءً واختلاقاً بما لم تعلموه منهم، فتجنوا عليهم من قبل أيديكم وأرجلكم، أي: قِبَل أنفسكم جناية تفضحونهم بها، وهم برآء، واليد والرِّجل كناية عن الذات"[3]

## صور الافتراء والبهتان

للافتراء والبهتان صور عديدة منها:

### 1. الافتراء على الله ﷻ:

ومن صوره:

[1] تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 857
[2] رواه البخاري (1/ 12)
[3] شرح السنة للبغوي (1/ 62)





أ. التشريع في دين الله عز وجل من غير مستند شرعي:

قال سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ يونس: ٥٩ - ٦٠

ب. الإفتاء بغير علم:

قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ النحل: ١١٦

ج. ادعاء الولاية، والكرامة.

2. الكذب في الرؤيا:

عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "إن من أفرى الفرى أن يُري عينه ما لم تَرَ"[1]

3. الافتراء على الأنبياء والرسل ونسبتهم للكذب على الله سبحانه وتعالى:

قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ ﴾ الفرقان: ٤، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ المؤمنون: ٣٨، وعن واثلة بن

[1] رواه البخاري (9/ 43)



الأسقع رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: " إن من أعظم الفرى أن يدعي الرجل إلى غير أبيه، أو يري عينه ما لم تر، أو يقول على رسول الله ﷺ ما لم يقل"[1]

### 4. الافتراء بانتساب الرجل إلى غير أبيه:

فعن أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "إن أعظم الناس فرية لرجل هاجى رجلاً، فهجا القبيلة بأسرها، ورجل انتفى من أبيه وزنى أمه"[2]

### 5. هجاء وسبُّ المؤمنين الأبرياء:

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "إن أعظم الناس فرية لرجل هاجى رجلًا؛ فهجا القبيلة بأسرها"[3]

## معاني الافتراء والبهتان في القرآن الكريم

"من معاني البهتان الّتي وردت في القرآن الكريم ما يلي:

الأوّل: الكذب: ومنه قوله ﷻ: ﴿ سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ ﴾ النور: ١٦

والثّاني: الزّنا: ومنه قوله ﷻ: ﴿ وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ ﴾ الممتحنة: ١٢

والثّالث: الحرام: ومنه قوله ﷻ: ﴿ أَتَأۡخُذُونَهُۥ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴾ النساء: ٢٠"[4]

## الفرق بين الافتراء والبهتان والصفات الأخرى

### 1. الفرق بين الكذب والافتراء والبهتان:

"يشترك الجميع في عدم مطابقة الخبر للواقع.

---

[1] رواه البخاري (4/ 180)
[2] سنن ابن ماجه (2/ 1237)
[3] سنن ابن ماجه (2/ 1237)
[4] نزهة الأعين والنواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي ص 193 - 194

**الكذب:** هو عدم مطابقة الخبر للواقع، أو لاعتقاد المخبر لهما على خلاف في ذلك.

**الكذب:** يكون في حق النفس، وحق الغير، والافتراء والبهتان: يكون في حق الغير فقط.

**الكذب:** يحسن في بعض الأحوال، كالكذب في الحرب، وإصلاح ذات البين، وعلى الزوجة، ولا يحسن الافتراء والبهتان في جميع الأحوال"[1]

### 2. الفرق بين الزور والبهتان:

"**الزور:** هو الكذب الذي قد سُوِّي وحُسِّن في الظاهر؛ ليحسب أنه صدق.

**البهتان:** هو مواجهة الإنسان بما لم يحبه وقد بهته"[2]

### 3. الفرق بين البهتان والاغتياب والافتراء والإفك:

تتقارب معاني هذه الألفاظ، بيد أنّها عند التّدقيق ممّا تختلف دلالته وتتفاوت، فالاغتياب هو أن يتكلّم شخص خلف إنسان مستور، بكلام هو فيه، وإن لم يكن ذلك الكلام فيه فهو بهتان، والكذب الفاحش الّذي يدهش له سامعه هو بهتان إن لم يكن بحضرة المقول فيه، فإن كان بحضرته كان افتراء، سواء أكان ذلك عن قصد أو عن غير قصد، فإذا كان ذلك عن قصد كان إفكاً"[3]

## مضار الافتراء

"1. الافتراء أعظم من الكذب وأشدّ خطراً على المجتمع.

2. وسيلة لدمار صاحبه ومن حوله.

3. الافتراء يسخط الجبّار ﷻ وطريق إلى النّار.

4. يسقط عدالة صاحبه بين النّاس.

---

[1] معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص 449، الكليات للكفوي ص 154

[2] الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص 47

[3] الكليات للكفوي ص 669



5. يصبح المفتري مهيناً محتقراً بين النّاس.

6. دليل ضعف الإيمان"[1]

## مضار البهتان

"1. تستجلب سخط الله ﷻ والملائكة المقرّبين.

2. صاحب البهتان مبغوض من النّاس، ومحتقر عند عباد الله ﷻ.

3. البهتان يفسد المجتمع ويشيع الفواحش.

4. يعيش صاحب البهتان مضطرب النّفس لا يهنأ بعيش ولا يعرف للسّعادة سبيلاً.

5. صفة من صفات المنافقين وهم في الدّرك الأسفل من النّار.

6. يقلب صاحبها الحقّ باطلاً، والباطل حقّاً، ويبرّيء المتّهم ويتّهم البريء"[2]

## علاج الافتراء والبهتان

إذا أردت أن تعرف قبح الافتراء والبهتان من نفسك، فانظر إلى افتراء وبهتان غيرك وإلى نفور نفسك عنه، واستحقارك لصاحبه واستقباحك لافترائه وبهتانه.

ويجب على المسلم تجديد التوبة إلى الله ﷻ من كل ذنب وخطيئة، وعليه تحري الأسباب التي تعين على ترك الافتراء والبهتان، ومنها:

1. معرفة المفتري لحرمة الافتراء والبهتان وشدة عقابه، وتذكر ذلك مع كل حديث وفي كل مجلس.

2. تعويد النفس على تحمل المسئولية وقول الحق، حتى وإن كان هناك نقص ظاهري يراه فإن الخير في الصدق.

3. المحافظة على اللسان ومحاسبته.

[1] نظرة النعيم (9/ 3945)
[2] نظرة النعيم (9/ 4112)

4. استبدال مجالس الكذب والافتراء والبهتان وفضول الكلام بمجالس الذكر وحلق العلماء.

5. أن يعلم المفتري والباهت أنه متصف بصفة من صفات المنافقين.

6. أن يستشعر أن الافتراء والبهتان طريق للجحيم، وأن الابتعاد عنهما طريق إلى الجنة.

7. أن يعلم المفتري والباهت أن ثقة الناس به تزول، وهذا من خسران الدنيا والآخرة.

8. أن يستشعر عظم الضرر الذي سيلحق بالمسلم من جراء افترائه وبهتانه.

# المرض الحادي والثلاثون
# العصيان

## تعريف العصيان

### في اللغة:

قال ابن فارس: "العصيان اسم من عصى يعصي عصياً وعصياناً ومعصية، وتدلّ مادّته على أصلين متباينين، يدلّ أحدهما على التّجمّع، ويدلّ الآخر على الفرقة.

فمن الأوّل: العصا، وسمّيت بذلك لاشتمال يد ممسكها عليها، والأصل الآخر: العصيان والمعصية، يقال عصا، وهو عاص، والجمع عصاة وعاصون"[1]

وجعل الرّاغب الأصفهاني العصيان من العصا فقال: "وعصا عصياناً إذا خرج عن الطّاعة، وأصله أن يمتنع بعصاه، قال ﷻ: ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ﴾ طه: ١٢١

وقال: ﴿ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴿١٤﴾ ﴾ النساء: ١٤، ويقال فيمن فارق الجماعة: فلان شقّ العصا"[2]

قال القرطبيّ: "في قوله ﷻ: ﴿ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ ﴿٦﴾ ﴾ التحريم: ٦، أي لا يخالفونه في أمر من زيادة أو نقصان"[3]

قال ابن كثير: "في قوله ﷻ: ﴿ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَ ﴿٧﴾ ﴾ الحجرات: ٧ والعصيان وهي جميع المعاصي"[4]

---

[1] مقاييس اللغة لابن فارس (4/ 334 – 335)
[2] المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص 570
[3] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (18/ 196)
[4] تفسير القرآن العظيم لابن كثير (7/ 373)




**قال ابن منظور:** "العصيان ترك الانقياد، وهو خلاف الطّاعة، يقال: عصى العبد ربّه ﷻ إذا خالف أمره، وعصى فلان أميره يعصيه عصياً وعصياناً ومعصية إذا لم يطعه، فهو عاص وعصيّ، وعاصاه أيضاً: مثل عصاه، ويقال للجماعة إذا خرجت عن طاعة السّلطان: قد استعصت عليه، **قال ابن الأثير:** "وفي الحديث: "لولا أن نعصي الله ما عصانا"، أي لم يمتنع عن إجابتنا إذا دعوناه، فجعل الجواب بمنزلة الخطاب فسمّاه عصياناً كقوله ﷻ: ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ﴿٥٤﴾ ﴾ آل عمران: ٥٤، وفي الحديث: أنّه غيّر اسم العاصي؛ إنّما غيّره لأنّ شعار المؤمن الطّاعة، والعصيان ضدّها"[1]، والعاصي: الفصيل إذا لم يتبع أمّه"[2]

## في الشرع:

**قال القرافي:** "مخالفة أمر الله ﷻ، بترك ما أمر به، أو فعل ما نهى عنه، سواء كان الذنب كبيراً أم صغيراً، فهي أعم من الصغائر والكبائر"[3]

**قال الجرجانيّ:** "العصيان هو ترك الانقياد"[4]، لما أمر الله ﷻ به أو نهى عنه.

**قال المناويّ:** "هو الامتناع عن الانقياد لما أمر الله ﷻ به أو نهى عنه"[5]

**قال الكفويّ:** "العصيان بحسب أصل اللّغة هو المخالفة لمطلق الأمر، أمّا في الشّرع فيراد به المخالفة للأمر التّكليفيّ خاصّة"[6]

**قال حامد المصلح:** "هو ترك المأمورات، وفعل المحظورات، أو ترك ما أوجب وفرض من كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، وارتكاب ما نهى الله ﷻ عنه أو رسوله ﷺ من الأقوال والأعمال الظّاهرة أو الباطنة"[7]

---

[1] النهاية في غريب الأثر والحديث لابن الأثير (3/ 251)
[2] لسان العرب لابن منظور (15/ 67)
[3] الفروق للقرافي (4/ 66)
[4] التعريفات للجرجاني ص 151
[5] التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص 242، الكليات للكفوي ص 656
[6] الكليات للكفوي ص 41
[7] المعاصي وأثرها على الفرد والمجتمع، لحامد بن محمد المصلح، ص 30

**قال السيوطي**: " المعصية مخالفة أمر الله ﷻ مع التزام المؤاخذة"[1]

## حكم العصيان

يختلف حكم المعصية بحسب نوع هذه المعصية إن كبيرة وإن صغيرة، ولكنّ إدمان صغيرة أو صغائر بحيث تغلب المعاصي على الطّاعات؛ فإنّ ذلك يجعل هذه الصّغيرة أو تلك الصّغائر في حكم الكبيرة، **يقول ابن حجر الهيتمي**: "وكون هذا كبيرة أي مثلها في سقوط العدالة، **ونقل عن الرّافعيّ قوله**: "من ارتكب كبيرة فسق، وردّت شهادته، وأمّا الصّغائر فلا يشترط تجنّبها بالكلّيّة لكنّ الشّرط ألّا يصرّ عليها فإن أصرّ كان الإصرار كارتكاب الكبيرة"[2]

## أسباب العصيان

### 1. الغفلة عن الهدف الأسمى:

إن من أشد أسباب الجرأة على المعصية عدم إدراك المرء للهدف الذي خلقه الله ﷻ من أجله، والغاية التي ينبغي أن يعيش من أجلها، وكثير من الناس تجد أهدافهم محصورة وقاصرة على الدنيا وعلائقها، كل همهم في الحياة إشباع شهواتهم، وإرضاء نزواتهم، والبعض لا يعلم له هدفًا أصلاً، وإنما يعيش في هذه الحياة هملاً كما يعيش الدواب، لا يعلم لِمَ خُلق، ولا لِمَ يعيش، وقد حدد الخالق ﷻ للإنسان هدفه وغايته، فقال ﷻ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ الذاريات: ٥٦

إذن فهدف الإنسان وغايته التي ينبغي أن يعيش من أجلها، هي عبادة الله ﷻ وحده، بالمفهوم الشامل، وبكل ما تحمله كلمة العبادة من معانٍ صحيحة، وهي التي

[1] معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم للسيوطي ص 75
[2] الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي (2/ 356)

عرَّفها لنا العلماء بقولهم: " العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ﷻ ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة"[1]

وحتى ندرك لماذا يعصي الناس ربهم ﷻ؟ نقول إن كل قول باللسان، وكل فعل بالجوارح، وكل شعور وإحساس ظاهر أو باطن، ينبغي أن يُوجَّه لله ﷻ، ويتحول إلى عبادة له ﷻ، ويعني ذلك دمج كل الأهداف والغايات المحصورة والقاصرة في هذا الهدف الأكبر، وهذا الدمج يعطي لها امتدادًا ورفعة وسموًّا، يربط الإنسان بخالقه ﷻ، ويجعله ينفلت من جاذبية الطين والماء، ويحلق مع الملأ الأعلى.

### 2. ضعف الإيمان:

لا شك في أن ضعف الإيمان بالله ﷻ وباليوم الآخر سبب كبير للإقدام على المعصية، فالعبد يعصي؛ لأنه يحب شيئًا لا يحبه الله ﷻ أو يبغض شيئًا يحبه الله ﷻ، أما الإيمان الكامل فيجعل العبد يحب ما يحبه الله ﷻ ويبغض ما يبغضه الله ﷻ، يقول ﷺ: "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به"[2]

والإنسان ساعة المعصية لا يرى الله ﷻ، ولا يرى ثواب المطيعين ولا عقاب العاصين، إنه لا يرى إلا لذة الذنب وتزيين الشيطان له.

### 3. الجهل بالله ﷻ وأمره ونهيه وثوابه وعقابه:

إن الجهل هو السمة المميزة للمجترئين على معصية الله ﷻ؛ لأنهم لو عرفوا ربهم ﷻ معرفة صحيحة لأحبوه وعظموه وأطاعوا أمره، وعلموا أنه ﷻ أهل لأن يُتَّقَى، ولو تعلموا دينهم وشرعهم لوجدوا بغيتهم وسعادتهم فيه، ولو علموا ثواب الله ﷻ وعقابه لرغبوا في الثواب وخافوا من العقاب، ولقد قرن النبي ﷺ بين رفع العلم وثبوت الجهل

[1] العبودية لابن تيمية ص 44
[2] السنة لابن لأبي عاصم (1/ 12)



وظهور المعاصي في آخر الزمان، فقال ﷺ: "إن من أشراط الساعة: أن يرفع العلم ويثبت الجهل، ويشرب الخمر، ويظهر الزنا"[1]

**وقال ابن القيم:** "إن النفوس الجاهلة التي لا علم عندها قد ألبست ثوب الذل والإزراء عليها والتنقص بها أسرع منه إلى غيرها"[2]

### 4. وسوسة الشيطان:

أن الشيطان هو العدو الأول للإنسان، فهو لا يهنأ ولا يهدأ له بال حتى يستدرج الإنسان إلى المعصية، وهو كما أخبر ﷺ من الإنسان مجرى الدم في العروق، والشيطان يسير معك ويستدرجك خطوة خطوة، ويقتحم بك عقبة عقبة، لا يكل ولا يمل، فقد قطع العهد على نفسه بذلك.

### 5. الاغترار بعفو الله ﷻ:

كثير من الناس يقضي عمره يجمع المعاصي والسيئات، ومع ذلك يتعلق بحبال الأماني، وعنده أمل في أن يدخل الجنة بغير حساب، أو لا تمسه النار إلا أيامًا معدودة، وتجد هؤلاء يتعلقون بأن الله ﷻ غفور رحيم، وأنه يتجاوز عن السيئات ويعفو ويصفح ويغفر، وينسون أن الله ﷻ كما أنه غفور رحيم لمن تاب وأناب، فهو سبحانه وتعالى منتقم جبار لمن عصى واستكبر، وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ الحجر: ٤٩ – ٥٠

### 6. القنوط من رحمة الله ﷻ:

إن بعض العصاة يستعظمون ذنوبهم، وييأسون من إمكانية غفران الله ﷻ لهم؛ وذلك لأنهم أفنوا سنوات طويلة من أعمارهم غارقين في الرذيلة، لا يتورعون عن حُرمة،

---

[1] رواه البخاري (1/ 27)، رواه مسلم (4/ 2056)
[2] مفتاح دار السعادة لابن القيم (1/ 166)




مضيعين للفرائض، متبعين للشهوات، متعدين للحدود، فيظن الواحد من هؤلاء أنه هالك لا محالة، وأنه سيدخل النار حتمًا، فيجعله هذا الاعتقاد يستمر في عصيانه، ويترك قياده للشيطان يجره حيث شاء، ولقد نسي هذا وأمثاله أن مغفرة الله ﷻ أوسع وأكبر من ذنوبهم وإن كثرت، وأن رحمته ﷻ لا تضيق يومًا بخطاياهم وإن تفاقمت، فقد قال ﷻ: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ الزمر: ٥٣، إن الخوف من الله ﷻ مطلوب، ولكن المبالغة فيه قد تنتهي بالإنسان إلى اليأس من روح الله ﷻ، والقنوط من رحمته.

## 7. الاحتجاج بقدر الله ﷻ:

ما دام كل شيء بقدر الله ﷻ، فإن الله ﷻ إذا شاء أن يهديني اهتديت وأقلعت عن المعصية، وإن لم يشأ أن يهديني فلن أهتدي، وهذه حجة باطلة لا يُقصَد بها إلا الهروب من مواجهة النفس بالحقيقة، فإن الله ﷻ الذي أخبرنا أن كل شيء خلقه بقدر، هو نفسه ﷻ الذي أمرنا بطاعته ونهانا عن معصيته، ووعدنا الجزاء الأوفى يوم القيامة، ولو أن هذا المتكاسل عن العبادة النشيط في المعصية، قيل له: لا تستذكر دروسك، ونم طول العام، ولو قُدِّر لك النجاح ستنجح، لماذا نحتج بالقدر في أمر الدين والآخرة، ونأخذ بالأسباب ونجتهد في أمور الدنيا؟!.

## 8. الاحتجاج بحسن النية:

كثير من الناس يحتجون على انحرافهم ومعاصيهم، وتقصيرهم في القيام بفرائض الإسلام، بحسن نواياهم، وأن الله ﷻ رب قلوب، وأنه طالما أن القلب سليم، والنية صالحة فلا تضر المعصية، ولا يضر ترك الفريضة، وقد تضافرت النصوص الشرعية التي





تأمر بإصلاح الباطن، مع النصوص الشرعية التي تأمر بإصلاح الظاهر، وبالعبادات والتكاليف الظاهرة، وعلى المسلم أن يجمع بين هذه النصوص وتلك، فيصلح ظاهره وباطنه معًا، فأنت مطالب بإصلاح الاثنين، الظاهر والباطن، وليس أحدهما فقط، يقول ﷻ: ﴿وَذَرُوا۟ ظَـٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾﴾ الأنعام: ١٢٠

## 9. طول الأمل:

فطول الأمل معناه أن يعتبر الإنسان أن الحياة ستمتد معه وتطول، وأن الموت لا يزال بعيدًا، وأن في العمر متسعًا لمزيد من اللهو والغفلة، والسير في ركاب الشيطان، وطول الأمل يجعل الإنسان غافلاً عن حقائق كثيرة، وغفلته عن هذه الحقائق لا يجعلها أوهام، ولا يعفيه من التعرض لها، فإنها ستظل حقائق سواء صدَّق بها أو كذَّب، تذكرها أم غفل عنها، فمن هذه الحقائق: حقيقة الموت، وحقيقة الحياة في القبر في عذاب أو في نعيم، وحقيقة البعث يوم النشور، وحقيقة العرض على الملك الجبار، والسؤال عن القليل والكثير، وحقيقة المرور على الصراط، وحقيقة الخلود، إما في جنة عرضها السموات والأرض، وإما في نار وقودها الناس والحجارة، ومن هذه الحقائق أيضًا: حقيقة ضمان الرزق والأجل، وحقيقة حقارة الدنيا وهوانها على الله عز وجل

## 10. حب الدنيا:

**قال يحي بن معاذ:** "الدنيا خمر الشيطان، من شربها لم يفق إلا بين عساكر الموتى، نادمًا بين الخاسرين"[1]، قد ترك منها لغيره ما جَمَع، وتعلق بحبل غرورها فانقطع، وقدم

[1] صفة الصفوة لابن الجوزي (2/ 297)

على من يحاسبه على الفتيل والنقير والقطمير، فيما كُتِبَ عليه من الصغير والكبير، يوم تزل بالعُصاة القدم، ويندم المسيء على ما قدم.

## 11. اتباع الهوى:

يقول ﷺ: "الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله"[1]، ويقول أيضًا: "ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه"[2]، **قال الشعبي:** "إنما سُمِّي هوى؛ لأنه يهوي بصاحبه في النار"[3]، والهوى يدعو إلى تحصيل اللذة الحاضرة من غير تفكير في العاقبة، ويحث على نيل الشهوات عاجلاً، وإن كانت سببًا للألم والأذى في العاجل، ومنع لذات في الآجل.

## 12. اقتحام الشبهات:

والشبهات هي الأمور المختلطة التي لا يعلم كثير من الناس، أحلال هي أم حرام، وقد قيل: الشبهة أخت الحرام، فقد قال النبي ﷺ: "إن الحلال بين، وإن الحرام بين، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه، وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى، يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه"[4]

## 13. الكِبْر:

يقول ﷻ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ (٢٠٦) ﴾ البقرة: ٢٠٦، إن هذه صفة الكافر والمنافق الذاهب بنفسه زهوًا

---

[1] مسند أحمد (28/ 350)، المستدرك على الصحيحين للحاكم (1/ 125)
[2] المعجم الأوسط للطبراني (5/ 328)، شعب الإيمان للبيهقي (2/ 203)
[3] معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي (4/ 187)
[4] رواه مسلم (3/ 1219)

واختيالاً، يقول عبد الله بن مسعود ﷺ: "كفى بالمرء إثمًا أن يقول له أخوه: اتق الله، فيقول: عليك بنفسك، مثلك يوصيني"[1]، وبهذا الداء امتنع عبد الله بن أبي بن سلول عن الإيمان، وبه تخلف الإيمان عن أبي جهل، وكذلك سائر المشركين، فإنهم كلهم لم يكونوا يرتابون في صدقه ﷺ، وأن الحق معه، ولكن حملهم الكبر على الكفر والعناد.

### 14. مخالطة أهل المعاصي وقرناء السوء:

**قال بعض السلف**: "ليس شيء أضر على القلب من مخالطة الفاسقين والنظر إلى أفعالهم، وقُل لي من صاحبك، أقول لك من أنت"، ومخالطة العصاة تجعل القلب يألف المعصية ويجترئ عليها، فينساق وراء العصاة وهو لا يدري، والرفيق السيئ قاطع طريق بينك وبين الله ﷻ، فكلما سلكت درب الله ﷻ حاول أن يصرفك عنه إلى طريق الغواية، وعندما يأتي يوم القيامة سيتبرئ منك، ويلقي باللوم كله عليك، وساعتها تتمنى لو أعطيت لك الفرصة لتتبرأ منه كما تبرأ هو منك، ولكن لا تجد سوى الحسرة والندم، يقول ﷻ: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾ الفرقان: ٢٧ - ٢٩

### 15. شيوع الفتن:

أن من الناس من يعرض عن دينه، وينهمك في المعاصي، ويقول: أكثر الناس يفعلون هكذا، لماذا أخالف الكثرة؟ ولماذا أشذ عن المجتمع؟ إني أفعل كما يفعل الناس!! وهل معقول أن هذه الكثرة الغالبة على خطأ؟ وهل سيعذب الله ﷻ كل هؤلاء الناس، أما

[1] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (3/ 19)

سمع من يقول ذلك ويغتر بهذه الشبهة الفاسدة، آيات القرآن الكريم التي نزلت تترى لتحذر الناس من الاغترار بالكثرة العاصية الهالكة؟؟ يقول ﷻ: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ الأنعام: ١١٦، ويقول ﷻ: ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ يوسف: ١٠٣، ويقول ﷻ: ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ الأعراف: ١٨٧، كما أن النبي ﷺ أوضح لنا أن الله ﷻ لا يبالي بكثرة العاصين وقلة الطائعين، ولا يضره ﷻ أن يعذب أهل الأرض جميعًا إن عصوه، والدليل على ذلك أن نسبة من يدخل الجنة إلى من يدخل النار هي واحد في الألف، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "يقول الله ﷻ: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك، فيقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟، قال: من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين"[1]، فهل تضمن أن تكون أنت هذا الواحد بين ألف ممن حولك؟ فينبغي للمسلم أن يأنف لنفسه من أن ينعق مع الناعقين، ويسدر مع السادرين، ويحمل المباخر للعصاة الظالمين، ويسير في ركابهم، متخليًا عن دينه وعقيدته، تائهًا في زحامهم، بل ينبغي له أن يقاوم الذوبان في هذه اللجة، مستعينًا بالله ﷻ، وبالرفقة الصالحة والغرباء من أمثاله، يقول ﷺ: "لا تكونوا إمعة، تقولون: إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا فلا تظلموا"[2]، وليس الضعف وكثرة العصاة بعذر مقبول عند الله ﷻ للمُضِي في طريق المعصية، فأرض الله ﷻ واسعة، وفي الهجرة مندوحة للمستضعفين، إن لم

[1] رواه البخاري (4/ 138)، رواه مسلم (1/ 201)
[2] رواه الترمذي (4/ 364)



يستطيعوا حماية دينهم وعقيدتهم، يقول ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ النساء: ٩٧

فلا تستوحش الطريق، لقلة سالكيه، ولكن اطمئن لوعد الله ﷻ ووعد رسوله ﷺ، واعلم أنك على الحق المبين.

## 16. سلطان العادة:

وهذا السبب وإن كان أضعف الأسباب فهو أغلبها على الناس، فدين العادة هو الغالب على أكثر الناس، والانتقال عنه كالانتقال من طبيعة إلى طبيعة ثانية، ولذا قيل: "خير عادة ألا تكون لك عادة"

## 17. ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

نهى النبي ﷺ عن السكوت عن المنكر إذا علم به المرء أو رآه، وكان في استطاعته تغييره دون مفاسد، فإن السكوت على المنكر من أفظع الأمور التي تضيع كرامة المرء في الدنيا وتوجب العقاب الشديد في الآخرة، وبيّن أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب للعنة، فقال ﷻ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ المائدة: ٧٨ - ٧٩، وقال ﷺ معلقًا على هذه الآية: "إن بني إسرائيل لما وقع فيهم النقص، كان الرجل يرى أخاه على الذنب فينهاه عنه، فإذا كان الغد لم يمنعه ما رأى منه، أن يكون أكيله وشريبه وخليطه، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ونزل




فيهم القرآن"، وكان رسول الله ﷺ متكئاً فجلس، وقال: "لا حتى تأخذوا على يدي الظالم، فتأطروه على الحق أطراً"[1]

## آثار العصيان

### 1. حرمان العلم النافع:

فإن هذا العلم نور يقذفه الله عز وجل في القلب والمعصية تطفئه، ولهذا كان السلف رضي الله عنهم يرشدون تلاميذهم إلى ترك المعاصي؛ لكي يورثهم الله عز وجل حقيقة العلم، ومن حرم العلم تخبط في دنياه، وسار على غير هدى مولاه عز وجل.

### 2. الوحشة بين العبد وربه عز وجل:

وهي وحشة لو اجتمعت لصاحبها ملذات الدنيا كلها لم تذهبها، ومن علاماتها وفروعها: الوحشة بينه وبين أهل التقوى والإيمان.

### 3. الظلمة التي يجدها العاصي في قلبه:

فإن الطاعة نور والمعصية ظلمة، وكلما قويت الظلمة ازدادت حيرته حتى يقع في البدع والضلالات، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "إن للحسنة ضياءً في الوجه ونوراً في القلب وسعة في الرزق وقوة في البدن ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة سواداً في الوجه وظلمة في القبر والقلب ووهناً في البدن ونقصاً في الرزق وبغضة في قلوب الخلق"[2]

### 4. وهن القلب:

فلا تزال المعاصي توهنه حتى تزيل حياته بالكلية، وهذا الوهن يظهر أثره على البدن، فتأمل قوة أبدان فارس والروم كيف خانتهم عند أحوج ما كانوا إليها، وقهرهم أهل الإيمان بقوة أبدانهم وقلوبهم.

---

[1] رواه الترمذي (5/ 252)
[2] الجواب الكافي لابن القيم ص 54



### 5. تقصير العمر ومحق بركته:

بمقدار ما تمرض القلب وتذهب حياته، فإن حقيقة الحياة هي حياة القلب وعمر الإنسان هو مدة حياته، فكلما كثرت الطاعة زادت حياته فزاد عمره الحقيقي، وكلما كثرت المعاصي أضاعت حياته وعمره.

**6. أن العبد كلما عصى خفّت عليه المعصية** حتى يعتادها ويموت إنكار قلبه لها، فيفقد عمل القلب بالكلية، حتى يصبح من المجاهرين بها المفاخرين بارتكابها، وأقل ذلك أن يستصغرها في قلبه ويهون عليه إتيانها، حتى لا يبالي بذلك وهو باب الخطر، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "إن المؤمن يرى ذنوبه كأنها في أصل جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه فقال به هكذا فطار"[1]

### 7. الذل:

فالمعصية تورث الذل ولا بد، فالعز كل العز في طاعة الله سبحانه وتعالى، قال سبحانه وتعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًا ﴿١٠﴾ ﴾ فاطر: ١٠، أي: فيطلبها بطاعة الله عز وجل، فإنه لا يجدها إلا في طاعته، وكان من دعاء بعض السلف: "اللهم أعزني بطاعتك ولا تذلني بمعصيتك"[2]، **وقال عبد الله بن المبارك**: "رأيت الذنوب تميت القلوب وقد يورث الذل إدمانها، وترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانها، وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها"[3]

### 8. الصدى والران والطبع والقفل والختم:

وذلك أن القلب يصدأ من المعصية، فإذا زادت غلب عليه الصدأ حتى يصير راناً، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ المطففين: ١٤، ثم يغلب حتى

---

[1] رواه البخاري (8/ 67)
[2] الجواب الكافي لابن القيم ص 59
[3] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (8/ 279)، شعب الإيمان للبيهقي (9/ 442)




يصير طبعاً وقفلاً وختماً، فيصير القلب في غشاوة وغلاف، فإذا حصل له ذلك بعد الهدى والبصيرة انتكس، فصار أعلاه أسفله؛ فحينئذٍ يتولاه عدوه ويسوقه حيث أراد، وبمثل هذا اتخذ الشيطان من البشر دعاة وجنوداً.

### 9. إطفاء الغيرة من القلب:

وهي الغيرة على محارم الله عز وجل أن تنتهك، وعلى حدوده أن تقتحم، وعلى دينه أن يضعف أو يضيع، وعلى إخوانه المسلمين أن يهانوا أو يبادوا، بل على أهله ونفسه أن يقعوا في المعصية والهلاك، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم أغير الناس، كما ثبت في الصحيح: "أتعجبون من غيرة سعد، لأنا أغير منه والله أغير مني"[1]

### 10. إذهاب الحياء الذي هو مادة الحياة للقلب:

وهو أصل كل خير، وذهابه ذهاب كل خير بأجمعه، والذنوب تضعف الحياء من العبد حتى ربما انسلخ منه بالكلية، فلا يستحيي لا من الله عز وجل ولا من العباد، والتلازم بين ارتكاب المحرمات وقلة الحياء لا يخفى على أحد.

### 11. إذهاب تعظيم الله عز وجل ووقاره من القلب:

فكما أن تعظيم الله عز وجل وتوقيره يحجز عن المعصية، فإن ارتكاب المعصية يضعف التعظيم والتوقير – حتى يستخف العبد بربه عز وجل ويستهين بأمره ولا يقدره حق قدره.

### 12. مرض القلب وإعاقته عن الترقي في مراتب الكمال ودرجاته:

فالذنوب تخرج صاحبها من دائرة اليقين وتنزله من درجة الإحسان، بل تخرجه من دائرة الإيمان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن"[2]، فلا يبقى له إلا اسم الإسلام وربما أخرجته منه؛ فإن المعاصي بريد الكفر.

---
[1] رواه البخاري (8/ 173)، رواه مسلم (2/ 1136)
[2] رواه البخاري (8/ 164)، رواه مسلم (1/ 77)



### 13. إضعاف همة القلب وإرادته وتثبيطه عن الطاعة وتكسيله عنها:

حتى يؤول به الأمر من الاستثقال إلى الكراهية والنفور، فلا ينشرح صدره لطاعة ولا يتحرج ويضيق من معصية ويصير جسوراً مقداماً على الخطايا جباناً رعديداً على الحسنات.

### 14. الخسف بالقلب:

كما يخسف بالمكان وما فيه، فيخسف به -بسبب ارتكاب الرذائل- إلى أسفل سافلين وصاحبه لا يشعر، وعلامة ذلك الخسف أن يكون القلب جوالاً حول السفليات والقاذورات، متعلقاً بالمحقرات والأمور التافهة، عكس القلب الذي تزكى بالطاعات، فصار جوالاً في معالي الأمور ومكارم الأخلاق، **قال بعض السلف**: "إن هذه القلوب جوَّالة، فمنها ما يجول حول العرش ومنها ما يجول حول الحش[1]"[2]

### 15. نكد القلب وقلقه وضنكه:

وهذا ملازم للمعصية ملازمة الظل لأصله، كما قال ﷻ: ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ ﴾ طه: ١٢٤، فالمعرض عن ذكر الله ﷻ متعرض لذلك، لكن قد يتوارى داؤه بسكرات الشهوات والعشق وحب الدنيا والرياسة، إن لم ينضم إلى ذلك الخمر، كالمشاهد في عصرنا الحاضر من إدمان المسكرات والمخدرات، تخلصاً من ضيق الحياة ونكد العيش.

## أنواع المعاصي

### 1. الذنوب الملكية:

فالذنوب الملكيّة: أن يتعاطى العبد ما لا يصلح له من صفات الرّبوبيّة، كالعظمة، والكبرياء، والجبروت، والقهر، والعلوّ، واستعباد الخلق، ونحو ذلك.

---

[1] الحش: مكان قضاء الحاجة

[2] الجواب الكافي لابن القيم ص 118

ويدخل في هذا الشّرك بالرّبّ ﷻ، وهو نوعان: شرك به في أسمائه وصفاته وجعل آلهة أخرى معه، وشرك به في معاملته، وهذا الثّاني قد لا يوجب دخول النّار، وإن أحبط العمل الّذي أشرك فيه مع الله ﷻ غيره، وذلك هو الرّياء.

وهذا القسم أعظم أنواع الذّنوب، ويدخل فيه القول على الله ﷻ بلا علم في خلقه وأمره، فمن كان من أهل هذه الذّنوب، فقد نازع الله ﷻ في ربوبيّته وملكه، وجعل له ندًا، وهذا أعظم الذنوب عند الله ﷻ، ولا ينفع معه عمل.

### 2. الذنوب الشيطانية:

وأمّا الشّيطانيّة: فالتّشبّه بالشّيطان في الحسد، والبغي، والغشّ، والغلّ، والخداع، والمكر، والأمر بمعاصي الله ﷻ، وتحسينها، والنّهي عن طاعته، وتهجينها، والابتداع في دينه، والدّعوة إلى البدع والضّلال.

وهذا النّوع يلي النّوع الأوّل في المفسدة، وإن كانت مفسدته دونه.

### 3. الذنوب السبعية:

وأمّا السّبعيّة: فالعدوان، والغضب، وسفك الدماء، والتوثّب على الضعفاء والعاجزين، ويتولّد منها أنواع أذى النّوع الإنسانيّ، والجرأة على الظلم والعدوان.

### 4. الذنوب البهيمية:

وأمّا الذنوب البهيميّة فمثل الشّره، والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج، ومنها يتولّد الزّنى، والسّرقة، وأكل أموال اليتامى، والبخل، والشّحّ، والجبن، والهلع، والجزع، وغير ذلك.





وهذا القسم أكثر ذنوب الخلق لعجزهم عن الذّنوب السّبعيّة والملكيّة، ومنه يدخلون إلى سائر الأقسام، فهو يجرّهم إليها بالزّمام، فيدخلون منه إلى الذّنوب السّبعيّة، ثمّ إلى الشّيطانيّة، ثمّ إلى منازعة الرّبوبيّة، والشّرك في الوحدانيّة"[1]

## أقسام العصاة

يؤخذ ممّا ذكره الماورديّ عن أحوال النّاس في فعل الطّاعات واجتناب المعاصي أنّ العصاة على قسمين:

"**الأوّل**: من يرتكب المعاصي ويمتنع عن الطّاعات، وهذه أخبث أحوال المكلّفين وشرّ صفات المتعبّدين.

**الثّاني**: من يرتكب المعاصي ويفعل الطّاعات، وهذا يستحقّ عذاب المجترئ؛ لأنّه تورّط بغلبة الشّهوة على الإقدام على المعصية، وإن سلم من التّقصير في فعل الطّاعة"[2]

## أصول الذنوب

**يقول ابن القيم**: "أصول المعاصي كلها كبارها وصغارها ثلاثة:

تعلق القلب بغير الله ﷻ، وطاعة القوة الغضبية، والقوة الشهوانية، وهي: الشرك، والظلم، والفواحش، فغاية التعلق بغير الله ﷻ شرك، وأن يدعي معه إله آخر، وغاية طاعة القوة الغضبية القتل، وغاية طاعة القوة الشهوانية الزنا، ولهذا جمع الله ﷻ بين الثلاثة في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَ ۝٦٨﴾ الفرقان: ٦٨"[3]

---

[1] الداء والدواء لابن القيم ص 287 - 288
[2] أدب الدنيا والدين للماوردي ص 97
[3] الفوائد لابن القيم ص 81

**قال الغزالي:** "اعلم أنّ للإنسان أخلاقاً وأوصافاً كثيرة، لكن تنحصر مسارات الذنوب في أربع صفات:

**أحدها: صفات ربوبيّة**، ومنها يحدث الكبر والفخر وحبّ المدح والثّناء، والعزّ وطلب الاستعلاء، ونحو ذلك، وهذه ذنوب مهلكات، وبعض النّاس يغفل عنها، فلا يعدّها ذنوباً.

**الثّانية: صفات شيطانيّة**، ومنها يتشعّب الحسد والبغي والحيل والخداع والمكر، والغشّ والنّفاق والأمر بالفساد ونحو ذلك.

**الثّالثة: الصّفات البهيميّة**، ومنها يتشعّب الشّرّ والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج، فيتشعّب من ذلك الزّنى واللّواطة والسّرقة، وأخذ الحطام لأجل الشّهوات.

**الرّابعة: الصّفات السّبعيّة**، ومنها يتشعّب الغضب والحقد، والتهجّم على النّاس بالقتل والضّرب، وأخذ الأموال، وهذه الصّفات لها تدرّج في الفطرة، فهذه أمّهات الذّنوب ومنابعها، ثمّ تتفجّر الذنوب من هذه المنابع إلى الجوارح: فبعضها في القلب، كالكفر، والبدعة، والنّفاق، وإضمار السّوء، وبعضها في العين، وبعضها في السّمع، وبعضها في اللّسان، وبعضها في البطن والفرج، وبعضها في اليدين والرّجلين وبعضها على جميع البدن، ثمّ الذّنوب تنقسم إلى ما يتعلّق بحقوق الآدميّين وإلى ما بين العبد وبين ربّه عز وجل، فيما يتعلّق بحقوق العباد، فالأمر فيه أغلظ، والّذي بين العبد وبين ربّه عز وجل، فالعفو فيه أرجى وأقرب إلّا أن يكون شركاً والعياذ بالله، فذلك الّذي لا يغفر"[1]

## مضار العصيان

"1. حرمان العلم، فإنّ العلم نور يقذفه الله عز وجل في القلب، والمعصية تطفأ ذلك النّور.

[1] مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة ص 252






2. حرمان الرّزق، فكما أنّ التّقوى مجلبة للرّزق، فترك التّقوى مجلبة للفقر.

3. حرمان الطّاعة، فلو لم يكن للذّنب عقوبة إلّا أن يصدّ عن الطّاعة لكان في ذلك كفاية من الحرمان.

4. أنّ المعاصي توهن القلب والبدن.

5. أنّ المعاصي تقصّر العمر، وتمحق البركة.

6. أنّ المعاصي تزرع أمثالها، ويولّد بعضها بعضاً.

7. أنّ الذّنوب تضعف القلب عن إرادته، فتقوى إرادة المعصية وتضعف إرادة التّوبة شيئاً فشيئاً إلى أن تنسلخ من القلب إرادة التّوبة بالكلّيّة.

8. أنّ كلّ معصية من المعاصي فهي ميراث عن أمّة من الأمم الّتي أهلكها الله عزّ وجلّ.

9. أنّ المعصية سبب لهوان العبد على ربّه عزّ وجلّ.

10. أنّ غير المذنب من النّاس والدوابّ يعود عليه شؤم ذنبه فيحترق هو وغيره بشؤم الذّنوب والظّلم.

11. أنّ العبد لا يزال يرتكب الذّنب حتّى يهون عليه ويصغر في قلبه وذلك علامة الهلاك، فإنّ الذّنب كلّما صغر في عين العبد عظم عند الله عزّ وجلّ.

12. أنّ المعصية تورث الذّلّ، والعزّ كلّ العزّ في طاعة الله عزّ وجلّ.

13. أنّ المعاصي تفسد العقل، فإنّ للعقل نوراً، والمعصية تطفأ نور العقل، وإذا طفئ نوره ضعف ونقص.

14. أنّ الذّنوب إذا تكاثرت طبع على قلب صاحبها فكان من الغافلين، قال سبحانه وتعالى:

﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ المطففين: ١٤

15. أنّ الذنوب تحدث في الأرض أنواعاً من الفساد في المياه والهواء والزّروع والثمار والمساكن، قال ﷻ: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ الروم: ٤١

16. ذهاب الحياء الّذي هو مادّة حياة القلب، وهو أصل كلّ خير وذهابه ذهاب الخير أجمعه، وقد صحّ عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: "الحياء خير كلّه"[1]

17. أنّ الذنوب دليل ضعف إيمان العبد، وجرأته على ارتكاب المعاصي دليل على ظلمة قلبه، وانعدام بصيرته، وحرمانه من توقير ربّه ﷻ واستشعار عظمته.

18. أنّها تستدعي نسيان الله ﷻ لعبده وتركه وتخليته بينه وبين نفسه وشيطانه. وهناك الهلاك الّذي لا يرجى معه نجاة.

19. أنّ الذّنوب تخرج العبد من دائرة الإحسان وتمنعه ثواب المحسنين، فإنّ الإحسان إذا باشر القلب منعه من المعاصي.

20. أنّها تزيل النّعم وتحلّ النّقم، فما زالت عن العبد نعمة إلّا بذنب ولا حلّت به نقمة إلّا بذنب، قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: "ما نزل بلاء إلّا بذنب وما رفع إلّا بتوبة"، قال ﷻ: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ الشورى: ٣٠، وقوله ﷻ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ الأنفال: ٥٣"[2]

[1] رواه مسلم (1/ 64)
[2] نظرة النعيم (10/ 5009 – 5010)



## علاج العصيان

### 1. تعظيم محبة الله ﷻ:

تعد محبة الله ﷻ في قلب المسلم أحد أهم الوسائل المانعة من الذنوب والمعاصي، وكلما عظمت محبة الله ﷻ في قلب العبد كلما عزَّ عليه الوقوع في المعصية وعزَّ عليه نظر الله ﷻ إليه وهو يعصيه؛ إذ إن المحب الصادق لله ﷻ لا يفكر فقط في العقاب أو الثواب الحاصل في الدار الآخرة؛ وإنما يفكر دائماً في كيفية إرضاء الله ﷻ والاقتراب منه أكثر فأكثر، ومما يسهل على المسلم الابتعاد عن الذنوب والمعاصي معرفة الآثار الإيجابية لتركه لها؛ فترك المعاصي والذنوب يبارك له في الرزق ويُيسّره له من حيث لا يحتسب، ويملأ قلب المسلم بالسكينة والطمأنينة، كما يلقي الله ﷻ حبه ومهابته في قلوب الناس، كل ذلك بالإضافة إلى تحقيق الهدف الأسمى والغاية الأعظم؛ ألا وهي محبة الله ﷻ ورضاه.

### 2. الابتعاد عن الخلوة:

قد يتجرأ البعض في أثناء خلوته على اقتراف الذنوب والمعاصي أكثر مما قد يفعل أثناء تواجد الناس حوله؛ لذلك فإن الابتعاد عن الخلوة قد يكون أحد الأسباب الهامة في التقليل من فرصة وقوع المسلم في الذنوب والمعاصي، ويجدر بالمسلم معرفة الأثر الخطير لذنوب الخلوات، واستشعار رقابة الله ﷻ وعليه ألا يجعل الله ﷻ أهون الناظرين إليه؛ وقد قال الله ﷻ في الذَّم من الذنوب التي يفعلها المسلم في الخلوات: ﴿ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ النساء: ١٠٨




### 3. هجر أسباب المعصية:

لكل معصية من المعاصي أسباب معينة تؤدي إلى الوقوع بها؛ فمثلاً قد تكثر الغيبة والنميمة بين أوساط معينة من الناس أو رفقة معينة عند الاجتماع بها يقع الأطراف في الغيبة والنميمة، وقد يكون سبب ذنب آخر إطلاق النظر فيما حرَّمه الله ﷻ، لذا يكون الحل هنا بهجر كل الأسباب المؤدية للوقوع في المعاصي وقطعها ابتداءً قبل الوصول إلى الذنب والمعصية النهائية.

### 4. مرافقة الصالحين:

إن الرفقة الصالحة تعد أحد أهم أسباب الابتعاد عن الذنوب والمعاصي؛ وذلك أن دين المرء وأخلاقه غالباً ما تشابه أخلاق ودين من يرافقهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "الرجلُ على دينِ خليلِه فلْينظر أحدُكم من يخالِلْ"[1]، فلو صاحب المسلم رفيقاً سيء الخلق وقليل الدين فسيحث صديقه على الوقوع في الذنوب والمعاصي، أما إن رافق الصالحين فلن يتجرأ على فعل المعصية أمامهم، وإن فعل فسيجد النصح الصادق والإعانة على تركه هذا الذنب.

### 5. تذكر الموت:

تذكر الموت وسيلة نافعة من وسائل ترك الذنوب والمعاصي والابتعاد عنها؛ حيث إن الموت يعد الحقيقة الكبرى التي سيلاقيها كل إنسان لا محالة، وتذكير المسلم لنفسه بالموت يعينه على ترك المعصية والخوف من عاقبتها ومن الموت عليها، كما يحثه تذكر الموت على التزود من الأعمال الصالحة للدار الآخرة والإكثار منها.

[1] رواه الترمذي (4/ 589)



### 6. الخوف من الله سبحانه وتعالى:

تذكر دائمًا أن الله سبحانه وتعالى هو القاهر.. القادر.. شديد العقاب.. الذي لا يعذب عذابه أحد، وإذا كنت أيها الضعيف لا تطيق بطش مخلوق متجبر؛ فكيف تطيق بطش ملك الملوك؟ فكثير من العصاة يقعون في الذنوب ولا يستحضرون خوف الله عز وجل، ولو خاف العاصي بأس الله سبحانه وتعالى لأقلع عن الذنب، وقد حذرك الله سبحانه وتعالى شديد انتقامه وبأسه: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ ﴾ آل عمران: ٢٨، قال **الحسن البصري** رضي الله عنه: "ما خافه إلا مؤمن ولا أمنه إلا منافق"[1]

فيا أيها العاصي خف الله سبحانه وتعالى واهرب من المعاصي إليه؛ فذلك خير لك، **قال ابن حجر الهيتمي**: "واعلم أن أعظم زاجر عن الذنوب هو خوف الله سبحانه وتعالى، وخشية انتقامه وسطوته وحذر عقابه وغضبه وبطشه، ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ النور: ٦٣"[2]

### 7. صدق التوجه إلى الله عز وجل وسؤاله الهداية:

على المسلم أن يكون دائم التوجه إلى ربه سبحانه وتعالى وسؤاله من فضله وإحسانه، وهذه أخلاق المؤمنين الصادقين، ولكن مجرد التوجه لا يكفي إن لم يصحبه صدق وإخلاص، وأن يراعي في ذلك شروط الدعاء المستجاب؛ حتى يثمر دعاؤه عن الإجابة، والعبد في جهاده للنفس والشيطان إن لم يوفقه الله عز وجل، فلن يتغلب عليهما

عن جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس، يحمد الله ويثني عليه بما هو أهله، ثم يقول: "من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له"[3]

---

[1] رواه البخاري (1/ 18)
[2] الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي (1/ 26)
[3] رواه مسلم (2/ 593)




فلتكثر من دعاء الله ﷻ في أمرك كله، ولتستعذ بربك ﷻ من شر نفسك، ومن شر الشيطان الرجيم، وإذا أخلصت في ذلك فستجد الله ﷻ قريبًا منك.

## 8. مجاهدة النفس وفطمها عن شهواتها:

لا تظنن أن نفسك التي بين جنبيك صديق حميم! وإنما هي العدو النازل بين جنبيك تحب دائمًا أن ترتع في هواها وشهواتها، فإن لم تجاهدها لا تزال تدعوك إلى هواها حتى تهلكك.

فلتعزم على جهاد نفسك وعصيانها، فإن فعلت ذلك فستجد ربك ﷻ مسددًا لك، وهاديًا لك إلى صراطه المستقيم، قال ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ العنكبوت: ٦٩، **قال عبد الواحد بن زيد**: "من نوى الصبر على طاعة الله ﷻ صبره الله ﷻ عليها، وقواه لها ومن عزم على الصبر عن المعاصي؛ أعانه الله ﷻ على ذلك وعصمه عنها"[1]

فجهاد النفس دواء مجرب، وترياق نافع لسموم المعاصي، وقد جربه قبلك الصالحون، فأعانهم الله ﷻ على طاعته، ورفع ذكرهم.

## 9. العزيمة الصادقة على مفارقة المعاصي:

عزمك الصادق هو الذي سينسف عروش المعاصي، وضعفك، وترددك، وتسويفك للتوبة، هو الذي سيجعل للمعاصي سلطانًا عليك؛ ولا تدري بعدها على أي حال سيُختم لك، **سئل بعض العارفين**: كيف غلبت نفسك؟ قال: "قمت في صف حربها بسلاح الجد، فخرج مرحب[2] الهوى يدافع فعلاه عليُّ العزم بصارم الحزم، فلم تمض ساعة حتى ملكت خيبر"[3]

---

[1] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للأصبهاني (6/ 163)
[2] يعني بمرحب: مرحب اليهودي الذي قتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم خيبر، فشبه الهوى بمرحب اليهودي وشبه العزم بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقصد من ذلك كله: أن عزمه غلب هواه.
[3] المدهش لابن الجوزي ص 229 - 230



## 10. الإكثار من النوافل والطاعات:

الإكثار من النوافل والطاعات؛ عدو لدود للمعاصي؛ لأن الطاعات ضد المعاصي، واجتماع الضدين غير ممكن؛ كما لا يجتمع الماء والنار، والماء هو الطاعات، والنار هي المعاصي.

## 11. مجالسة الأخيار:

إن مجالسة الأخيار والصالحين من الأدوية النافعة للنجاة من شرور المعاصي، فإن أثر الصحبة والمخالطة على الإنسان مما لا ينكره أحد؛ وقرين السوء كالداء الملازم للبدن، كما أن القرين الصالح كالمرهم الواقي على الجرح، يهديك النصيحة، ويدلك إلى طريق الهداية والسداد.

**وأخيرًا: تلك كلمات تكشف لك بعض عيوب المعاصي، ولا تنس أن أقبح عيب للمعاصي، أن العاصي معاند لربه ﷻ، متمرد على طاعته، فلتجعل طاعة الله ﷻ شعارًا في حياتك، حتى تفوز بالخيرات في الدنيا والآخرة.**




# المرض الثاني والثلاثون
# الفجور

## تعريف الفجور

### في اللغة:

الفجر والفجور: الانبعاث في المعاصي، وهو مأخوذ من مادّة "ف ج ر" الّتي تدلّ على التّفتّح في الشّيء، يقول ابن فارس: "الفاء والجيم والرّاء أصل واحد، وهو التّفتّح في الشّيء، من ذلك الفجر: انفجار الظّلمة عن الصّبح، ومنه انفجر الماء انفجاراً: تفتّح، ثمّ كثر هذا حتّى صار الانبعاث والتّفتّح في المعاصي فجوراً، ولذلك سمّي الكذب فجوراً، ثمّ كثر هذا حتّى سمّي كلّ مائل عن الحقّ فاجراً، وكلّ مائل عندهم: فاجر"[1]

قال الرّاغب الأصفهاني: "وقد جعل أصل المادّة الشّقّ، الفجر شقّ الشّيء شقّاً واسعاً، يقال: فجرته فانفجر، يقال: فجر فجوراً فهو فاجر، وجمعه فجّار وفجرة، قال سبحانه وتعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ ﴾ المطففين: ٧، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾ ﴾ عبس: ٤٢، وسمّي الكاذب فاجراً لكون الكذب بعض الفجور"[2]

يقول الزّبيديّ: "وأصل الفجر الشّقّ، ثمّ استعمل كالفجورة في الانبعاث في المعاصي والمحارم، والزّنى وركوب كلّ أمر قبيح من يمين كاذبة أو كذب ونحو ذلك، يقال: فجر

[1] مقاييس اللغة لابن فارس (4/ 475)
[2] المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص 626





الرّجل بالمرأة يفجر فجوراً، زنى، والمرأة زنت فهي فجور كصبور من قوم فجر ويقال للمرأة يا فجار كقطام، وهو اسم معدول عن الفاجرة، يريد يا فاجرة، وفجر فجوراً عصى وخالف، وبه فسّر ثعلب قولهم في الدّعاء: "ونخلع ونترك من يفجرك"، فقال: من يعصيك ومن يخالفك، ويقال: أفجر الرّجل، إذا كذب، وأفجر إذا زنى، وأفجر إذا كفر، وأفجر إذا عصى بفرجه، وأفجر إذا مال عن الحقّ"[1]

**قال ابن منظور:** "الفجور: الرّيبة والكذب، وأصله الميل عن الحقّ، والفاجر: المائل، أي لا يفجر أمر الله ﷻ أي لا يميل عنه ولا يتركه، وفجر الإنسان يفجر فجراً وفجوراً: انبعث في المعاصي. وفي الحديث: "إنّ التّجّار يبعثون يوم القيامة فجّاراً إلّا من اتّقى الله"، الفجّار: جمع فاجر وهو المنبعث في المعاصي والمحارم، وفجر فجوراً أي فسق، وفجر إذا كذب، وفجر الرّجل بالمرأة يفجر فجوراً: زنى، وفجرت المرأة: زنت"[2]

## في الشرع:

**قال الجرجاني:** "الفُجُور: هو هيئةٌ حاصلةٌ للنَّفس بها يُبَاشر أمورًا على خلاف الشَّرع والمروءة"[3]

**قال العسكري:** "الفُجُور بمعنى: الانبعاث في المعاصي والتوسع فيها"[4]

**قال ابن عباد:** "الفُجُور: المَيْلُ عن الحقِّ إلى الباطل"[5]

**البخاري:** "الفُجُور: اسم جامع لكلِّ شرٍّ، أي: الميْل إلى الفساد، والانطلاق إلى المعاصي"[6]

**قال الرّاغب الأصفهاني:** "الفجور: شقّ ستر الدّيانة"[7]

---

[1] تاج العروس للزبيدي (13/ 300)
[2] لسان العرب لابن منظور (5/ 47)
[3] التعريفات للجرجاني ص 165
[4] الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص 231
[5] المحيط في اللغة للصاحب بن عباد (2/ 112)
[6] انظر صحيح البخاري (8/ 25)
[7] المفردات في غريب القرآن للرغب الأصفهاني ص 626

**قال الجاحظ:** "الفجور هو الانهماك في الشّهوات، والاستكثار منها، والتّوفّر على اللّذّات، والإدمان عليها، وارتكاب الفواحش، والمجاهرة بها، وبالجملة هو السّرف في جميع الشّهوات"[1]

## حكم الفجور

الفجور بكلّ أنواعه من كفر ومعصية وكذب وزنى وعدول عن الحقّ من الكبائر، وقد نهينا ليس فقط عن الفجور، وإنّما عن معاملة الفجّار والجلوس معهم، **قال العزّ بن عبد السلام:** "فراق الفجرة من شيم البررة؛ لأنّ جليس السّوء كنافخ الكير"[2]

## أسباب الفجور

1. هشاشة الإيمان في قلب الموصوف بالفُجُور، وضعف الوازع الدِّيني، وعدم الخوف مِن الله سبحانه وتعالى ومراقبته.
2. قد تُسَبِّب بعض الظَّواهر الاجتماعيَّة في الوقوع في الفُجُور، كأن يكون المجتمع مجتمع غير منضبط بضوابط الشَّرع، وقد تكون التَّنشئة والتَّربية هي السَّبب في ظهور هذه الظَّاهرة.
3. غياب فريضة الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر.
4. التَّساهل بالمعاصي الصَّغيرة واستمرائها، يصل بالمرء إلى مرتبة الفُجُور، وكما قال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: "وإنَّ الكذب يهدي إلى الفُجُور"[3]
5. ضعف الإيمان، وضعف الوازع الديني، قال سبحانه وتعالى: ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ الحجرات: ١٤

[1] تهذيب الأخلاق للجاحظ ص 28
[2] شجرة المعارف والأحوال للعز بن عبد السلام ص 287
[3] رواه البخاري (8/ 25)، رواه مسلم (4/ 2012)



6. الغضب، قال سفيان الثوري: "وإياك والحدة والغضب، فإنهما يجران إلى الفجور، والفجور يجر إلى النار"[1]

7. التساهل بالذنوب الصغيرة واستمراؤها وعدم محاسبة النفس عليها، والتوبة منها، فعن سهل بن سعد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "إياكم ومحقرات الذنوب فإنما مثل محقرات الذنوب كقوم نزلوا في بطن واد، فجاء ذا بعود، وجاء ذا بعود حتى أنضجوا خبزتهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه"[2]

8. الصُّحْبة السيئة، قال ﷻ: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ الزخرف: ٣٦ - ٣٧، وقال عمر بن الخطاب ﷺ: "ولا تصحب الفاجر يعلِّمك مِن فجوره، ولا تفش إليه سرَّك، واستشر في دينك الذين يخشون الله ﷻ"[3]

9. ضعف التربية الإيمانية والأخلاقية، ﷻ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ الشمس: ٩ - ١٠

## آثار الفجور

1. الفُجُور مِن الطُّرق الموصلة إلى النَّار، كما قال النَّبيُّ ﷺ: "وإنَّ الفُجُور يهدي إلى النَّار"[4]

2. الفُجُور دليلٌ على خِسَّة النَّفس، وعلامة مِن علامات الدَّناءة في الشَّخص، وعنوانٌ للانحطاط الأخلاقي.

[1] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للأصبهاني (7/ 82)
[2] مسند أحمد (37/ 466)
[3] السنن الكبرى للبيهقي (10/ 192)
[4] رواه البخاري (8/ 25)، رواه مسلم (4/ 2012)




3. الفُجُور خُلُقٌ يدعو لكراهية صاحبه، ويجعله ممقوتًا مِن الخَلْق، ممَّا يزرع الشَّحناء والبغضاء في المجتمع.

4. كما أنَّ هذه الصِّفة ليس ضررها محصورًا على الفاجر وحده، بل إنَّ تداعيات فجوره قد تُلْحِق الأذى على الأفراد وعلى المجتمع.

## الفرق بين الفجور والفسوق

هناك فرق بين الفِسْق والفُجُور، وهو أنَّ **الفِسْق:** هو الخروج مِن طاعة الله ﷻ بكبيرة، **والفُجُور:** الانبعاث في المعاصي والتَّوسُّع فيها، وأصله مِن قولك: أَفْجَرت السِّكْر إذا خرقت فيها خَرْقًا واسعًا، فانبعث الماء كلَّ مُنْبَعث، فلا يقال لصاحب الصَّغيرة: فاجرٌ، كما لا يقال لمن خَرَق في السِّكْر خرقًا صغيرًا أنَّه قد فَجَر السِّكْر، ثمَّ كثر استعمال الفُجُور حتى خُصَّ بالزِّنا واللِّواط وما أشبه ذلك"[1]

## مضار الفجور

"1. طريق موصل إلى النّار.

2. عنوان للدّناءة والخسّة.

3. مزيل لكلّ محبّة ومبعد عن كلّ مودّة.

4. ينبئ عن سوء الخاتمة ووخيم العاقبة.

5. سبب لهلاك الإنسان في الدّين والدّنيا"[2]

## علاج الفجور

1. بتقديم التوبة النصوح أولاً، ثم الاستقامة على طاعة الله ﷻ، والانشغال بذكره وتلاوة كتابه، وصحبة أهل الخير والصلاح، وترك صحبة أهل الشر والفساد.

[1] الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص 231
[2] نظرة النعيم (11/ 5230)





2. النظر في حال الصالحين، والاقتداء بهم، والنظر في حال المفسدين والفاجرين، والبعد عن طريقهم، والاتعاظ بسوء أحوالهم وعواقبهم، فإنه قل أن يفجر رجل بلسانه أو بفرجه أو بغير ذلك، إلا وكان سبيله الخزي والنكال.

3. تعرف على صفات المتقين، من حسن الخلق وصدق اللسان وعفة الفرج وحفظ النظر وحسن العشرة، ونحو ذلك، ونجتهد في تحقيق ذلك في أنفسنا.

4. نبتعد عما يثير كوامن الشهوة المحرمة، ويدعو إلى الحرام، من إطلاق النظر، ومصاحبة المفسدين من أهل البطالة.



# المرض الثالث والثلاثون
# الغضب

## تعريف الغضب

### في اللغة:

الغضب نقيض الرّضا، وهو مصدر غضب يغضب غضباً.

**يقول ابن فارس:** "الغين والضّاد والباء أصل صحيح يدلّ على شدّة وقوّة، يقال: إنّ الغضبة: الصّخرة الصّلبة، قالوا: ومنه اشتقّ الغضب، لأنّه اشتداد السّخط"[1]

قال الجوهري: "وغضب عليه غضباً، ومغضبة، وأغضبته أنا فتغضّب، ورجل غضبان وامرأة غضبى ولغة بني أسد غضبانة وملآنة وأشباههما، وقوم غضبى وغضابى، مثل سكرى وسكارى"[2]

**قال ابن منظور:** "يقال: غضب له: أي غضب على غيره من أجله وذلك إذا كان حيّاً، فإن كان ميّتاً قلت: غضب به أي بسببه، **قال ابن عرفة:** "الغضب من المخلوقين، شيء يداخل قلوبهم ومنه محمود ومذموم، فالمذموم ما كان في غير الحقّ، والمحمود ما كان في جانب الدّين والحقّ، وأمّا غضب الله سبحانه وتعالى فهو من صفات الأفعال لله عزّ وجلّ حقيقة على ما يليق بجلاله، وأمّا لازم الغضب فهو إنكاره على من عصاه ومعاقبته إيّاه، والوصف من ذلك: غضب وغضوب، وغضبان أي يغضب سريعاً،

[1] مقاييس اللغة لابن فارس (4/ 428)
[2] الصحاح للجوهري (1/ 194)



وغاضبت الرّجل أغضبته وأغضبني، وغاضبه: راغمه، وفي التّنزيل العزيز: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا ﴿٨٧﴾ ﴾ الأنبياء: ٨٧، قيل مغاضباً لربّه ﷻ، وقيل: مغاضباً لقومه، قال ابن سيده: والأوّل أصحّ لأنّ العقوبة لم تحلّ به إلّا لمغاضبته ربّه ﷻ، وقيل المعنى: ذهب مراغماً لقومه"[1]

وقال القرطبيّ: "المعنى مغاضباً من أجل ربّه ﷻ كما تقول: غضبت لك أي من أجلك، والمؤمن يغضب لله ﷻ إذا عصي، وروى عن الأخفش أنّه خرج مغاضباً للملك الّذي كان على قومه"[2]

"وقولهم امرأة غضوب أي عبوس، والغضوب أيضاً الحيّة الخبيثة، وغضب بصر فلان، إذا انتفخ من داء يصيبه يقال له: الغضاب والغضاب، والغضبة: الصّخرة الصّلبة المركّبة في الجبل، المخالفة له، وقيل الأكمة، وقيل: الصّخرة الرّقيقة، وغضبى اسم للمائة من الإبل"[3]

## في الشرع:

قال الجرجاني: "الغَضَبُ: تغير يحصل عند غليان دم القلب، ليحصل عنه التشفي للصَّدر"[4]

قال ابن رجب: "هو غليانُ دم القلب، طلبًا لدفع المؤذي عند خشية وقوعه، أو طلبًا للانتقام ممن حصل له منه الأذى بعد وقوعه"[5]

قال الرّاغب: "هو ثوران دم القلب إرادة الانتقام"[6]

[1] لسان العرب لابن منظور (1/ 648 – 649)
[2] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (11/ 329)
[3] لسان العرب لابن منظور (1/ 650)
[4] التعريفات للجرجاني ص 162
[5] جامع العلوم والحكم لابن رجب (1/ 396)
[6] المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص 608

**قال التّهانويّ:** "الغضب هو حركة للنّفس مبدؤها الانتقام، وقيل: هو كيفيّة نفسانيّة تقتضي حركة الرّوح إلى خارج البدن طلبا للانتقام"[1]

**قال الغزاليّ:** "الغضب: غليان دم القلب بطلب الانتقام"[2]

## أسباب الغضب

من أسباب الغَضَب:

1. "العُجب، والافتخار، والمراء، واللجاج، والمزاح، والتيه، والضيم، والاستهزاء، وطلب ما فيه التنافس، والتحاسد، وشهوة الانتقام"[3]

2. "العجب، والمزاح، والمماراة والمضادة، والغدر، وشدة الحرص على فضول المال والجاه، وهذه أخلاق رديئة مذمومة شرعًا"[4]

3. "ومن أشد البواعث على الغَضَب عند أكثر الجهال؛ تسميتهم الغَضَب شجاعةً، ورجوليةً، وعزة نفس، وكبر همَّة، وتلقيبه بالألقاب المحمودة، غباوةً وجهلًا، حتى تميل النفس إليه وتستحسنه، وقد يتأكد ذلك بحكاية شدَّة الغَضَب عن الأكابر في معرض المدح بالشَّجَاعَة، والنفوس مائلة إلى التشبه بالأكابر، فيهيج الغَضَب إلى القلب بسببه، وتسمية هذا عزة نفس، وشجاعة، جهلٌ، بل هو مرض قلب، ونقصان عقل، وهو لضعف النفس، ونقصانها"[5]

4. "من أسباب الغضب: الزّهو والعجب والمزاح والهزل والهزء والتّعيير والمماراة، والمضادّة والعناد والغدر، وشدّة الحرص على فضول المال والجاه"[6]

## آثار الغضب

[1] كشف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي (2/ 1254)
[2] إحياء علوم الدين للغزالي (3/ 167)
[3] الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني ص 244
[4] مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة ص 180
[5] إحياء علوم الدين للغزالي (3/ 172)
[6] إحياء علوم الدين للغزالي (3/ 172)

لا شكَّ أنَّ الغَضَب له آثار سيئة على نفس الغاضب، في مظهره، وفي لسانه؛ بأن ينطق كل قبيح، وله آثاره السيئة على المجتمع الذي من حوله:

"ومن آثار هذا الغَضَب في الظاهر، تغير اللون، وشدَّة رعدة الأطراف، وخروج الأفعال عن الانتظام، واضطراب الحركة والكلام، حتى يظهر الزَّبد على الأشداق، وتشتد حمرة الأحداق، وتنقلب المناخر، وتستحيل الخلقة، ولو يرى الغَضَبان في حال غضبه صورة نفسه، لسكن غضبه حياءً من قبح صورته، لاستحالة خلقته، وقبح باطنه أعظم من قبح ظاهره، فإنَّ الظَّاهر عنوان الباطن، إذ قبح ذاك إنما نشأ عن قبح هذا، فتغيُّر الظاهر ثمرة تغير الباطن، هذا أثره في الجسد.

وأما أثره في اللسان؛ فانطلاقه بالقبائح، كالشتم، والفحش، وغيرهما، مما يستحي منه ذَوُو العقول مطلقًا، وقائله عند فتور غضبه على أنَّه لا ينتظم كلامه، بل يتخبَّط نظمه، ويضطرب لفظه.

وأما أثره في الأعضاء، فالضرب فما فوقه إلى القتل عند التمكن، فإن عجز عن التشفي رجع غضبه عليه، فمزَّق ثوبه، وضرب نفسه وغيره، حتى الحيوان والجماد - بالكسر - وغيره، وعدَا عدو الواله السكران، والمجنون الحيران، وربما سقط وعجز عن الحركة، واعتراه مثل الغشية، لشدة استيلاء الغَضَب عليه.

وأما أثره في القلب، فالحقد على المغضوب عليه، وحسده، وإظهار الشماتة بمساءته، والحزن بسروره، والعزم على إفشاء سره، وهتك ستره، والاستهزاء به، وغير ذلك من القبائح"[1]

**قال الراغب الأصفهاني:** "واعلم أنَّ نار الغَضَب متى كانت عنيفة، تأجَّجت، واضطرمت، واحتد منه غليان الدم في القلب، وملأت الشَّرايين والدماغ دخانًا مظلمًا

---

[1] الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي (1/ 95 – 96)

مضطرمًا، يسود منه مجال العقل، ويضعف به فعله، فكما أن الكهف الضيق إذا ملئ حريقًا اختنق فيه الدخان، واللهب، وعلا منه الأجيج، فيصعب علاجه وإطفاؤه، ويصير كل ما يدنو منه مادة تقويه – فكذلك النفس، إذا اشتعلت غضبًا عميت عن الرشد، وصمَّت عن الموعظة، فتصير مواعظه مادة لغضبه، ولهذا حكي عن إبليس لعنه الله، أنه يقول: متى أعجزني ابن آدم فلن يعجزني إذا غضب؛ لأنَّه ينقاد لي فيما أبتغيه منه، ويعمل بما أريده وأرتضيه، وقد قيل: الغَضَب جنون ساعة، وربما أفضى إلى تلف باختناق حرارة القلب فيه، وربما كان سببًا لأمراض صعبة مؤدية إلى التلف"[1]

**قال ابن رجب:** "وينشأ من ذلك – أي: من الغَضَب – كثير من الأفعال المحرمة، كالقتل والضربِ، وأنواعِ الظلم والعُدوان، وكثير من الأقوال المحرَّمة، كالقذفِ والسبِّ والفحش، وربما ارتقى إلى درجة الكفر، كما جرى لجبلة بن الأيهم، وكالأيمان التي لا يجوزُ التزامُها شرعًا، وكطلاق الزوجة الذي يُعقِب الندمَ"[2]

**قال أبو حاتم:** "سرعة الغَضَب أنكى في العاقل من النار في يبس العوسج[3]؛ لأنَّ من غضب زايله عقله، فقال ما سوَّلت له نفسه، وعمل ما شانه وأرداه"[4]

**قال ابن مسكويه:** "فإنَّ صاحب هذا الخلق – خلق الغَضَب - الذي ذممناه تصدر عنه أفعال رديئة كثيرة، يجور فيها على نفسه، ثُمَّ على إخوانه، ثُمَّ على الأقرب فالأقرب من معامليه، حتى ينتهي إلى عبيده، وإلى حرمه، فيكون عليهم سوط عذاب، ولا يقيلهم عثرة، ولا يرحم لهم عبرة، وإن كانوا برآء من الذنوب، غير مجترمين ولا مكتسبين سوءًا، بل يتجرَّم عليهم، ويهيج من أدنى سبب يجد به طريقًا إليهم، حتى يبسط لسانه، ويده، وهم لا يمتنعون منه، ولا يتجاسرون على رده عن أنفسهم، بل يذعنون

[1] الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني ص 243
[2] جامع العلوم والحكم لابن رجب (1/ 369)
[3] العوسج، شجر من شجر الشوك، وله ثمر أحمر مدور كأنه خرز العقيق. انظر لسان العرب لابن منظور (2/ 324)
[4] روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص 138

له، ويقرُّون بذنوب لم يقترفوها استكفافًا لشره، وتسكينًا لغضبه، وهو مع ذلك مستمر على طريقته، لا يكفُّ يدًا ولا لسانًا، وربما تجاوز في هذه المعاملة الناس إلى البهائم التي لا تعقل، وإلى الأواني التي لا تحسُّ. فإن صاحب هذا الخلق الرديء... ربما عض القفل إذا تعسر عليه، وكسر الآنية التي لا يجد فيها طاعة لأمره.

وهذا النوع من رداءة الخلق، مشهور في كثير من الجهَّال، يستعملونه في الثوب، والزجاج، والحديد، وسائر الآلات"[1]

## درجات الغضب

**قال الغزاليّ:** "يتفاوت النّاس في قوّة الغضب على درجات ثلاث وهي: التّفريط، والإفراط، والاعتدال.

**أوّلاً:** التّفريط ويكون إمّا بفقد قوّة الغضب بالكلّية أو بضعفها، وحينئذ يقال للإنسان: إنّه لا حميّة له ويذمّ جدّا، ومن هنا **قال الشّافعيّ:** "من استغضب فلم يغضب فهو حمار"[2]، وهذا يثمر ثمرات مرّة، كقلّة الأنفة ممّا يؤنف منه من التّعرّض للحرم والزّوجة والأمة واحتمال الذّلّ من الأخسّاء وصغر النّفس.

**ثانياً:** الإفراط: ويكون بغلبة هذه الصّفة حتّى تخرج عن سياسة العقل والدّين والطّاعة ولا يبقى للمرء معها بصيرة ونظر وفكرة ولا اختيار، بل يصير في صورة المضطرّ، وسبب غلبته أمور غريزيّة، وأمور اعتياديّة، فربّ إنسان هو بالفطرة مستعدّ لسرعة الغضب حتّى كأنّ صورته في الفطرة صورة غضبان ويعيش على ذلك حرارة مزاج القلب، وأمّا الأسباب الاعتياديّة: فهو أن يخالط قوماً يتبجّحون بتشفّي الغيظ وطاعة الغضب ويسمّون ذلك شجاعة ورجوليّة.

[1] تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق لابن مسكويه ص 211
[2] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للأصبهاني (9/ 143)

**ثالثاً**: الاعتدال: وهو المحمود وذلك بأن ينتظر إشارة العقل والدّين فينبعث حيث تجب الحميّة وينطفئ حيث يحسن الحلم وحفظه على حدّ الاعتدال هو الاستقامة الّتي كلّف الله ﷻ بها عباده وهو الوسط، فمن مال غضبه إلى الفتور حتّى أحسّ من نفسه بضعف الغيرة وخسّة النّفس في احتمال الذّلّ والضّيم في غير محلّه فينبغي أن يعالج نفسه، ومن مال غضبه إلى الإفراط حتّى جرّه إلى التّهوّر واقتحام الفواحش ينبغي أن يعالج نفسه لينقص سورة غضبه ويقف على الوسط الحقّ بين الطّرفين وهذا هو الصّراط المستقيم وهو أرقّ من الشّعرة وأدقّ من السّيف فإن عجز عنه فليطلب القرب منه"[1]

## أنواع الغضب

### الأول: الغضب المحمود:

وهو ما كان لله ﷻ عندما تنتهك محارمه، وهذا النوع ثمرة من ثمرات الإيمان إذ أن الذي لا يغضب في هذا المحل ضعيف الإيمان، قال ﷻ عن موسى عليه السلام بعد علمه باتخاذ قومه العجل: ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ الأعراف: ١٥٠، أما غضب النبي ﷺ فلا يُعرف إلا أن تنتهك محارم الله ﷻ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده، ولا امرأة، ولا خادمًا، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن

[1] إحياء علوم الدين للغزالي (3/ 167 – 168)



يُنتهك شيء من محارم الله فينتقم لله ﷻ"[1]، وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: "خرج رسول الله ﷺ على أصحابه وهم يختصمون في القدر فكأنما يفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب فقال: "بهذا أُمِرتُم؟ -أو لهذا خُلِقتُم؟ تضربون القرآن بعضه ببعض بهذا هلكت الأمم قبلكم"، فقال عبد الله بن عمرو: ما غبطت نفسي بمجلس تخلفت فيه عن رسول الله ﷺ ما غبطت نفسي بذلك المجلس وتخلفي عنه"[2]

وما أكثر ما تُنتهك محارم الله ﷻ في هذا الزمان علنًا وسرًا، وكذلك من الغضب المحمود: الغضب لما يحدث للمسلمين من سفك للدماء، وانتهاك للأعراض، واستباحة للأموال، وتدمير للبلدان بلا حق.

إذن فهو أن يكون لله ﷻ عند ما تنتهك حرماته، والغَضَب على أعدائه؛ من الكفَّار، والمنافقين، والطَّغاة، والمتجبّرين، وقد ذكر القرآن ذلك للرُّسل الكرام في مواضع عديدة، ووردت أحاديث كثيرة تدل على أن النَّبي ﷺ كان يغضب لله ﷻ، قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٧٣ ﴾ التوبة: ٧٣

قال الكلاباذي في قوله ﷻ حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ٩٢ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ٩٣ ﴾ طه: ٩٢ - ٩٣، قال: "فكانت تلك الحدَّة منه، والغَضَب فيه صفة مدح له، لأنَّها كانت لله ﷻ وفي الله ﷻ، كما كانت رأفة النَّبي ﷺ ورحمته في الله ﷻ ولله ﷻ، ثم كان يغضب حتى يحمرَّ وجهه، وتدَرَّ عروقه لله ﷻ وفي الله ﷻ، وبذلك وصف الله ﷻ المؤمنين بقوله: ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ

[1] رواه مسلم (4/ 1814)
[2] مسند أحمد (2/ 178)، رواه ابن ماجه (1/ 33)




﴿ بَيْنَهُمْ ﴿٢٩﴾ ﴾ الفتح: ٢٩، وقال ﷻ: ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ المائدة: ٥٤"[1]

**قال الباجي:** "وأمَّا فيما يعاد إلى القيام بالحق، فالغَضَب فيه قد يكون واجبًا، وهو الغَضَب على الكفار والمبالغة فيهم بالجهاد، وكذلك الغَضَب على أهل الباطل، وإنكاره عليهم بما يجوز، وقد يكون مندوبًا إليه، وهو الغَضَب على المخطئ، إذا علمت أنَّ في إبداء غضبك عليه ردعًا له، وباعثًا على الحق، فعن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فسأله عن اللقطة، فقال: "اعرف عفاصها ووكاءها، ثم عرفها سنة، فإن جاء صاحبها وإلا فشأنك بها"، قال: فضالة الغنم؟ قال: "هي لك أو لأخيك أو للذئب"، قال: فضالة الإبل؟ قال: "ما لك ولها، معها سقاؤها وحذاؤها، ترد الماء وتأكل الشجر حتى يلقاها ربها"[2]، وغضب رسول الله ﷺ لمَّا شكا إليه رجلٌ معاذَ بن جبل، أنَّه يُطوِّل بهم في الصلاة"[3]

**الثاني: الغضب المذموم:**

وهو ما كان في سبيل الباطل والشيطان كالحمية الجاهلية، والغضب بسبب تطبيق الأحكام الشرعية، وانتشار حِلَق تحفيظ القرآن الكريم، ومعاداة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر بسبب محاربتهم للرذيلة، وكذا الدفاع عن المنكرات كالتبرج والسفور، وسفر المرأة بلا محرم، ويظهر ذلك جليًا في كتابة بعض كُتَّاب الصحف فتجد أحدهم يغضب بسبب ذلك، ولا همَّ له سوى مسايرة العصر، سواءً وافق الشرع المطهر أو خالفه فالحق عندهم ما وافق هواهم والباطل ما حدَّ من مبتغاهم، قال ﷻ:

﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ ۚ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾

---

[1] معاني الأخبار للكلاباذي ص 356
[2] رواه البخاري (3/ 113)، رواه مسلم (3/ 1346)
[3] المنتقى شرح الموطأ للباجي (7/ 214)




شبكة الألوكة - قسم الكتب

وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ
أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ
﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن
يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا
دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾
وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ النور: ٤٦ - ٥٢

**الثالث: الغضب المباح:**

وهو الغضب في غير معصية الله ﷻ ولم يتجاوز حدَّه كأن يجهل عليه أحد، وكظمه هنا خير وأبقى، قال ﷻ: ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٣٤، ومما يُذكر هنا: "أن جارية لعلي بن الحسين جعلت تسكب عليه الماء، فتهيأ للصلاة، فسقط الإبريق من يد الجارية على وجهه فشجه، فرفع علي بن الحسين رأسه إليها، فقالت الجارية: إن الله ﷻ يقول: ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٣٤ فقال لها: قد كظمت غيظي، قالت: ﴿ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ﴿١٣٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٣٤، فقال لها: قد عفا الله عنك، قالت: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٣٤، قال: اذهبي فأنت حرة"[1]

[1] شعب الإيمان للبيهقي (10/ 545)

قال ابن حبان: "والخلق مجبولون على الغضب، والحلم معًا، فمن غضب وحلم في نفس الغضب فإن ذلك ليس بمذموم ما لم يخرجه غضبه إلى المكروه من القول والفعل على أن مفارقته في الأحوال كلها أحمد"[1]

## الفرق بين الغضب والصفات الأخرى

### 1. الفرق بين الغَضَب والسخط:

"أنَّ **الغَضَب** يكون من الصغير على الكبير، ومن الكبير على الصغير.

**والسخط** لا يكون إلا من الكبير على الصغير، يقال: سخط الأمير على الحاجب، ولا يقال: سخط الحاجب على الأمير، ويستعمل الغَضَب فيهما.

والسخط إذا عديته بنفسه فهو خلاف الرضا، يقال: رضيه وسخطه، وإذا عديته بعلى فهو بمعنى الغَضَب، تقول: سخط الله عليه إذا أراد عقابه"[2]

### 2. الفرق بين الغَضَب والغيظ:

"أنَّ الإنسان يجوز أن يغتاظ من نفسه، ولا يجوز أن يغضب عليها، وذلك أنَّ الغَضَب إرادة الضرر للمغضوب عليه، ولا يجوز أن يريد الإنسان الضرر لنفسه، والغيظ يقرب من باب الغم"[3]

### 3. الفرق بين الغَضَب والاشتياط:

"أنَّ الاشتياط خفَّة تلحق الإنسان عند الغَضَب، وهو في الغَضَب كالطَّرب في الفرح، وقد يستعمل الطرب في الخفَّة التي تعتري من الحزن، والاشتياط لا يستعمل إلا في الغَضَب، ويجوز أن يقال: الاشتياط سرعة الغَضَب"[4]

[1] روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان ص 141
[2] الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص 130
[3] الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص 130
[4] الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص 130



### 4. الفرق بين الغضب الذي توجبه الحمية والغضب الذي توجبه الحكمة:

"أن الغضب الذي توجبه الحمية انتقاض الطبع بحال يظهر في تغير الوجه والغضب الذي توجبه الحمة جنس من العقوبة يضاد الرضا وهو الغضب الذي يوصف الله ﷻ به"[1]

### 5. الفرق بين الغضب والحرد:

"أن الحرد هو أن يغضب الإنسان فيبعد عمن غضب عليه وهو من قولك كوكب حريد أي بعيد عن الكواكب وحي حريد أن بعيد المحل ولهذا لا يوصف الله ﷻ بالحرد وهو الحرد"[2]

### 6. الفرق بين الغضب والحزن:

**قال الماورديّ:** "سبب الغضب هجوم ما تكرهه النّفس ممّن دونها، وسبب الحزن هجوم ما تكرهه النّفس ممّن فوقها، والغضب يتحرّك من داخل الجسد إلى خارجه والحزن يتحرّك من خارج الجسد إلى داخله، فلذلك قتل الحزن، ولم يقتل الغضب؛ لكمون الحزن وبروز الغضب، وصار الحادث عن الغضب السّطوة والانتقام لبروزه، والحادث عن الحزن المرض والأسقام لكمونه، وكذلك أفضى الحزن إلى الموت، ولم يفض إليه الغضب"[3]

## مضار الغضب

"1. يغضب الرّحمن الرّحيم ويرضي الشّيطان الرّجيم.

2. الصّبر عليه أشدّ وأصعب من مجاهدة العدوّ.

3. يؤول إلى التّقاطع وإفساد ذات البين.

4. يتولّد منه الحقد والحسد وهذا نقص في العقل والدّين.

[1] الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص 130
[2] الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص 130
[3] أدب الدنيا والدين للماوردي ص 258




5. كثيراً ما يعقبه الاعتذار والنّدم، وقد يكون بعد فوات الأوان.

6. يجعل صاحبه لا يستفيد من الموعظة والعبرة.

7. قد يؤثّر على البدن حتّى يعمي البصر ويصمّ الآذان، ويخرس اللّسان، ويعجز الإنسان، بل قد يموت الإنسان وتزهق نفسه بالكلّيّة.

8. نفرة الخلق عنه وخوفهم من القرب منه"[1]

## علاج الغضب

1. الاستعاذة بالله ﷻ من الشيطان الرجيم، قال ﷻ: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٠٠ ﴾ الأعراف: ٢٠٠، وعن سليمان بن صرد رضي الله عنه قال: "استبَّ رجلان عند النبي ﷺ، وأحدُهما يسبُّ صاحبَه مُغضباً قد احمَرَّ وجهُه، فقال النبي ﷺ: "إني لأعلمُ كلمةً، لو قالها لذهبَ عنه ما يجد، لو قال: أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم"[2]

قال ابن القيم: "وأما الغضب فهو غول العقل يغتاله كما يغتال الذئب الشاة وأعظم ما يفترسه الشيطان عند غضبه وشهوته"[3]

2. أن يتفكر في الأخبار الواردة في فضل كظم الغيظ، والعفو، والحلم، والاحتمال، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "أن رجلاً استأذن على عمر رضي الله عنه، فأذن له، فقال له: يا ابن الخطاب، والله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر رضي الله عنه، حتى هم أن يوقع به، فقال الحر بن قيس: يا أمير المؤمنين إن الله ﷻ قال لنبيه ﷺ: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩ ﴾ الأعراف: ١٩٩، وإن

[1] نظرة النعيم (11/ 5097)
[2] رواه البخاري (8/ 28)، رواه مسلم (4/ 2015)
[3] التبيان في أقسام القرآن لابن القيم ص 417



هذا من الجاهلين، فوالله ما جاوزها عمر ﷺ حين تلاها عليه، وكان وقافاً عند كتاب الله ﷻ"[1]

3. أن يخوف نفسه من عقاب الله ﷻ، وهو أن يقول: قدرة الله ﷻ علي أعظم من قدرتي على هذا الإنسان، فلو أمضيت فيه غضبي، لم آمن أن يمضي الله ﷻ غضبه علي يوم القيامة فأنا أحوج ما أكون إلى العفو، وقد قال ﷻ في بعض الكتب: "يا ابن آدم! اذكرني عند الغضب، أذكرك حين أغضب، ولا أمحقك فيمن أمحق"[2]

4. أن يحذر نفسه عاقبة العداوة، والانتقام، وتشمير العدو في هدم أعراضه، والشماتة بمصائبه، فإن الإنسان لا يخلو عن المصائب، فيخوف نفسه ذلك في الدنيا إن لم يخف من الآخرة وهذا هو تسليط شهوة على غضب ولا ثواب عليه، لأنه تقديم لبعض الحظوظ على بعض، إلا أن يكون محذوره أن يتغير عليه أمر يعينه على الآخرة، فيثاب على ذلك.

5. أن يتفكر في قبح صورته عند الغضب المذموم، وأنه يشبه حينئذ الوحش الضاري، وأنه يكون مجانباً لأخلاق الأسوياء والأنبياء والعلماء في عادتهم، حتى تميل نفسه إلى الاقتداء بهم.

6. أن يعلم أن غضبه إنما كان من شيء جرى على وفق مراد الله ﷻ، لا على وفق مراده، فكيف يقدم مراده على مراد الله ﷻ، يقول ﷻ في معرض المدح:

﴿ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾

آل عمران: ١٣٤، وقال رسول الله ﷺ: ""من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه، دعاه الله على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أي الحور شاء"[3]

---

[1] رواه البخاري (9/ 94)
[2] مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة ص 180
[3] مسند أحمد (24/ 398)، سنن ابن ماجه (2/ 1400)

7. تغيير الحال، فعن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع"[1]

8. ترك المخاصمة والسكوت، **قال السعدي:** "ومن الأمور النافعة أن تعلم أن أذية الناس لك وخصوصًا في الأقوال السيئة لا تضرك بل تضرهم إلا إن أشغلت نفسك في الاهتمام بها، وسوّغت لها أن تملك مشاعرك، فعند ذلك تضرك كما ضرتهم، فإن أنت لم تصنع لها بالًا، لم تضرك شيئًا"[2]، عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: "علموا، ويسروا، ولا تعسروا، وإذا غضب أحدكم فليسكت"[3]

**قال ابن رجب:** "وهذا أيضًا دواء عظيم للغضب؛ لأن الغضبان يصدر منه في حال غضبه من القول ما يندم عليه في حال زوال غضبه كثيرًا من السباب وغيره مما يعظم ضرره، فإذا سكت زال هذا الشر كله عنده"[4]

9. الوضوء، فعن عطية السعدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الغضب من الشيطان؛ وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ"[5]

10. الإكثار من ذكر الله عز وجل؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ﴾ الرعد: ٢٨، فمن اطمئن قلبه بذكر الله عز وجل كان أبعد ما يكون عن الغضب، **قال عكرمة** في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ٢٤ ﴾ الكهف: ٢٤، أي "إذا غضبت"[6]

[1] مسند أحمد (35/ 278)، صحيح ابن حبان (12/ 501)
[2] الوسائل المفيدة للحياة السعيدة للسعدي ص 25
[3] مسند أحمد (4/ 39)
[4] جامع العلوم والحكم لابن رجب (1/ 366)
[5] مسند أحمد (29/ 505)
[6] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للأصبهاني (3/ 334)، شعب الإيمان للبيهقي (10/ 532)





11. العمل بوصية رسول الله ﷺ؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلًا قال للنبي ﷺ أوصني، قال: "لا تغضب"، فردَّد مِرارًا قال: "لا تغضب"[1]

12. النظر في نتائج الغضب؛ فكثير الغضب تجده مصابًا بأمراض كثيرة كالسكري والضغط والقولون العصبي وغيرها مما يعرفها أهل الاختصاص، كما أنه بسببه تصدر من الغاضب تصرفات قولية أو فعلية يندم عليها بعد ذهاب الغضب، فعن علي رضي الله عنه أنه قال: "لذة العفو يلحقها حمد العاقبة، ولذة التشفي يلحقها ذم الندم"[2]

**وقال ابن رجب**: "والغضب هو غليان دم القلب المؤذي عنه خشية وقوعه أو طلبًا للانتقام ممن حصل له منه الأذى بعد وقوعه، وينشأ من ذلك كثير من الأفعال المحرَّمة كالقتل والضرب وأنواع الظلم والعدوان، وكثير من الأقوال المحرَّمة كالقذف والسب والفحش، وربما ارتقى إلى درجة الكفر كما جرى لجبلة بن الأيهم"[3]

**قال ابن القيم**: "إن الغضب مرض من الأمراض، وداء من الأدواء فهو في أمراض القلوب نظير الحمى والوسواس والصرع في أمراض الأبدان فالغضبان المغلوب في غضبه كالمريض والمحموم والمصروع المغلوب في مرضه والمبرسم المغلوب في برسامه"[4]

13. معرفة أن المعاصي كلها تتولد من الغضب والشهوة، فتركه إغلاق لباب من أبواب العصيان، **قال ابن القيم**: "ولما كانت المعاصي كلها تتولد من الغضب والشهوة، وكان نهاية قوة الغضب القتل، ونهاية قوة الشهوة الزنى جمع الله سبحانه وتعالى بين القتل والزنى، وجعلهما قرينين في سورة الأنعام، وسورة الإسراء، وسورة الفرقان، وسورة

---

[1] رواه البخاري (8/ 28)
[2] المستطرف في كل فن مستطرف للأبشيهي ص 406
[3] جامع العلوم والحكم لابن رجب (1/ 369)
[4] إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان ص 53




الممتحنة، والمقصود أنه سبحانه وتعالى أرشد عباده إلى ما يدفعون به شر قوتي الغضب والشهوة من الصلاة والاستعاذة"[1]

14. اجتناب وإزالة أسباب الغضب، **قال السعدي**: "ومن الأسباب الموجبة للسرور وزوال الهم والغم؛ السعي في إزالة الأسباب الجالبة للهموم، وفي تحصيل الأسباب الجالبة للسرور، وذلك بنسيان ما مضى من المكاره التي لا يمكنه ردُّها، ومعرفته أن اشتغال فكره فيها من باب العبث والمحال، وأن ذلك حمق وجنون"[2]

[1] زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم (2/ 424)
[2] الوسائل المفيدة للحياة السعيدة للسعدي ص 23



# المرض الرابع والثلاثون
# البخل والشح

## تعريف البخل

### في اللغة:

"البخل ضد الكرم والجود، وقد بَخِلَ بكذا: أي ضنَّ بما عنده ولم يجُدْ، ويقال: هو بخيل وباخل، وجمعه بخلاء، والبَخَّال: الشَّديد: البُخْل"[1]

"مصدر قولهم: بخل بالشّيء يبخل به، وهو مأخوذ من مادّة (ب خ ل) الّتي تدلّ على خلاف الكرم، والبخيل: ذو البخل، وجمعه بخّل وبخّال، وأبخلت الرّجل: وجدته بخيلاً، ومنه قول عمرو بن معد يكرب: يا بني سليم لقد سألناكم فما أبخلناكم (أي فما وجدناكم بخلاء)، وبخّلته: نسبته إلى البخل ورميته به مثل فسّقته وكفّرته أي نسبته إلى الفسق والكفر، ومن مصادر بخل أيضاً: البخل والبخل والبخول، وقول ﷻ:

﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ ٣٧ ﴾ النساء: ٣٧، قيل: أريد بهم اليهود، وقيل: المنافقون، والمبخلة: الشّيء الّذي يحملك على البخل، وفي الحديث: "الولد مجبنة مجهلة مبخلة"، أي أنّه مظنّة لأن يحمل أبويه على الجبن والجهل والبخل ويدعوهما إلى ذلك، مصداق ذلك ما ورد في الحديث الآخر: "إنّكم لتبخّلون وتجبّنون" والبخلة: المرّة الواحدة من البخل"[2]

---

[1] المعجم الوسيط ص 41، تاج العروس للزبيدي (28/ 63)، مختار الصحاح للرازي ص 30

[2] المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص 38، بصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي (2/ 277)، النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (1/ 103)، الصحاح للجوهري (4/ 1632)، لسان العرب لابن منظور (11/ 47)، القاموس المحيط ص 243




## في الشرع:

**قال الجرجاني:** "البخل هو المنع من مال نفسه"[1]

**قال الراغب الأصفهاني:** "البُخْلُ: إمساك المقتنيات عما لا يحق حبسها عنه"[2]

**قال ابن حجر:** "البخل هو منع ما يطلب مما يقتنى، وشره ما كان طالبه مستحقًّا، ولا سيما إن كان من غير مال المسئول"[3]

**قال الفيومي:** "البخل في الشرع: منع الواجب"[4]

**قال الجرجاني:** "البخل ترك الإيثار عند الحاجة"[5]

**قال المناويّ:** "البخل: إمساك المقتنيات عمّا لا يحلّ حبسها عنه، وضدّه: الجود"[6]

**قال القرطبيّ:** "البخل المذموم في الشّرع: هو الامتناع عن أداء ما أوجب الله سبحانه وتعالى عليه"[7]

**قال الجاحظ:** "البخل: هو منع المسترفد (العطاء)، مع القدرة على رفده"[8]

## تعريف الشح

## في اللغة:

هو الاسم من قولهم: شحّ يشحّ شحّا، وشحّا، والضّمّ أعلى، وهو مأخوذ من مادّة (ش ح ح) الّتي تدلّ على المنع.

---

[1] التعريفات للجرجاني ص 42
[2] المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص 109
[3] فتح الباري لابن حجر العسقلاني (10/ 457)
[4] المصباح المنير للفيومي (1/ 37)
[5] التعريفات للجرجاني ص 43
[6] التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص 72
[7] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (5/ 193)
[8] تهذيب الأخلاق للجاحظ ص 33



**قال ابن فارس**: "الأصل فيه المنع، ثمّ يكون منعاً مع حرص، يقال: تشاحّ الرّجلان على الأمر، إذا أراد كلّ واحد منهما الفوز به ومنعه من صاحبه"[1]

**قال الرّاغب الأصفهاني**: "الشّحّ: بخل مع حرص وذلك فيما يكون عادة، قال ﷻ: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحشر: ٩، **قال الطبري في تفسيرها**: "الشّحّ أن تأكل مال أخيك بغير حقّه، وقيل: من وقي شحّ نفسه فلم يأخذ من الحرام شيئا، ولم يقربه ولم يحبس من الحلال شيئاً فهو من المفلحين"[2]، **وقال القرطبي**: "المراد بالشّحّ في الآية: الشّحّ بالزّكاة وما ليس بفرض من صلة ذوي الأرحام والضّيافة وما شاكل ذلك، فليس بشحيح ولا بخيل من أنفق في ذلك، وإن أمسك عن نفسه، ومن وسّع على نفسه ولم ينفق فيما ذكر من الزّكوات والطّاعات فلم يوق شحّ نفسه، وقيل: الشّحّ: أن يشحّ بما في أيدي النّاس، يحبّ أن يكون له ما في أيديهم بالحلّ والحرام، لا يقنع"[3]

**قال الجوهريّ**: "يقال: شححت بالكسر تشحّ، وشححت بالفتح تشحّ وتشحّ، ورجل شحيح، وشحاح من قوم أشحّة وأشحّاء وشحاح، والشّحاح بالفتح الشّحيح، ويقال أيضاً: أرض شحاح: لا تسيل إلّا من مطر كثير، والزّند الشّحاح: الّذي لا يوري"[4]

**قال ابن الأثير**: "وفيه أي الحديث: "إيّاكم والشّحّ"[5]، الشّحّ: أشدّ البخل وقيل: هو البخل مع الحرص، وقيل: الشّحّ يكون بالمال والمعروف، وفي الحديث: "بريء من الشّحّ من أدّى الزّكاة، وقرى الضّيف وأعطى في النّائبة"[6]

---

[1] مقاييس اللغة لابن فارس (3/ 178)
[2] جامع البيان للطبري (23/ 286)
[3] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (18/ 29)
[4] الصحاح للجوهري (1/ 378)
[5] مسند أحمد (11/ 398)، المستدرك على الصحيحين للحاكم (1/ 576)
[6] النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (2/ 448)




قال ابن منظور: "الشّحّ: حرص النّفس على ما ملكت وبخلها به، وما جاء في التّنزيل من الشّحّ فهذا معناه"[1]، وقول ﷻ: ﴿ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ١٢٨ ﴾ النساء: ١٢٨، قال القرطبيّ: "الشّحّ هنا: هو شحّ المرأة بالنّفقة من مال زوجها وبقسمه لها أموالها وقال ابن زيد: "الشّحّ هنا منه ومنها إذ الغالب على المرأة الشّحّ بنفسها من زوجها، والغالب على الزّوج الشّحّ بنصيبه من الشّابّة"[2]

## في الشرع:

قال النووي: "الشحُّ: هو البخل بأداء الحقوق، والحرص على ما ليس له"[3]

قال الطبري: "الشحُّ: الإفراط في الحرص على الشيء"[4]

قال الراغب الأصفهاني: "الشحُّ: بخل مع حرص، وذلك فيما كان عادة"[5]

قال الكفويّ: "الشّحّ: هو الحالة النّفسيّة الّتي تقتضي منع الإنسان ما في يده أو في يد غيره"[6]

## حكم البخل

قال الجاحظ: "البخل خلق مكروه من جميع النّاس، إلّا أنّه من النّساء أقلّ كراهية، بل قد يستحبّ من النّساء البخل بمال أزواجهنّ إلّا أن يؤذنّ بالجود، فأمّا سائر النّاس فإنّ البخل يشينهم، وخاصّة الملوك والعظماء، فإنّ البخل أبغض منهم أكثر ممّا هو أبغض من الرّعيّة والعوامّ، ويقدح في ملكهم لأنّه يقطع الأطماع منهم ويبغّضهم إلى رعيّتهم"[7]

---

[1] لسان العرب لابن منظور (2/ 496)
[2] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (11/ 325)
[3] شرح النووي على مسلم للنووي (16/ 222)
[4] جامع البيان للطبري (9/ 282)
[5] المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص 446
[6] الكليات للكفوي ص
[7] تهذيب الأخلاق للجاحظ ص 33



وليس للبخل حكمًا واحدًا ينطبق على جميع صوره وأنواعه، وإنما لكل صورة من صور البخل حكمًا خاصًّا بها، وإن كان البخل في عمومه مذمومًا مكروهًا، **يقول ابن تيمية**: "والبخل جنس تحته أنواع كبائر وغير كبائر"[1]

فإن كان المنع بخلًا بواجب فهو محرم شرعًا، بل هو كبيرة من الكبائر توعَّد الله ﷻ صاحبها بالعقوبة والعذاب، كمن منع الزكاة الواجبة بخلًا بالمال وحرصًا عليه، **قال ابن تيمية**: "فإنَّ البخل من الكبائر، وهو منع الواجبات: من الزكاة، وصلة الرحم، وقرى الضيف، وترك الإعطاء في النوائب، وترك الإنفاق في سبيل الله ﷯"[2]

## حكم الشح

**عدّ ابن حجر الهيتمي**: "شحّ الدّائن على مدينه المعسر مع علمه بإعساره بالملازمة أو الحبس من الكبائر بدليل أنّ النّبيّ ﷺ خرج إلى المسجد وهو يقول هكذا– وأومأ أبو عبد الرّحمن بيده إلى الأرض–: "من أنظر معسراً أو وضع عنه– أي حطّ عنه دينه أو بعضه بالبراءة منه– وقاه الله من فيح جهنّم"[3]، وبقوله أيضاً: "من نفّس عن مسلم كربة من كرب الدّنيا نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسّر على معسر في الدّنيا يسّر الله عليه في الدّنيا والآخرة، ومن ستر على مسلم في الدّنيا ستر الله عليه في الدّنيا والآخرة، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه"[4]

وما ذكره من أنّ فعل الدّائن بمدينه كبيرة ظاهر جدّا وإن لم يصرّحوا به، إلّا أنّه داخل في إيذاء المسلم الشّديد الّذي لا يطاق عادة، ومفهوم الحديثين الأوّلين:

---

[1] مجموع الفتاوي لابن تيمية (28/ 156)
[2] المستدرك على مجموع الفتاوي لابن تيمية (1/ 125)
[3] مسند أحمد (5/ 149)
[4] سنن ابن ماجه (1/ 82)، سنن الترمذي (4/ 326)

أنّ من لم ينظر مدينة المعسر لا يوقى فيح جهنّم، وذلك وعيد شديد، وبه يتأكّد عدّ ذلك كبيرة"[1]

## أسباب البخل والشح

1. ضعف إيمان البخيل وسوء ظنِّه بالله ﷻ، فهو يستثقل أمر الإنفاق، ويغفل عن تعويض الله ﷻ له على ما أنفق، كما أنَّه يغيب عنه أنَّ هذا المال هو مال الله ﷻ، وأنَّه لم يأتِ إلى الدُّنيا وبيده شيء منه.
2. الظلم سبب آخر من أسباب البخل، حيث ينتج عنه تعطيل لحقوق الآخرين.
3. حب المال والتعلق به يورث هذه الصفة الدنيئة، والسجية القبيحة.
4. الظنُّ بأنَّ البخل نوع من الذكاء والفطنة والتدبير لأمور الدنيا.
5. الخوف من المستقبل، والهلع من الفقر والحاجة التي يعد بها الشيطان الرجيم.
6. الخوف على الأبناء؛ فالأبناء مبخلة مجبنة.
7. النشأة والتربية، فقد ينشأ الشخص بين والدين بخيلين، أو مجتمع يتصف بالبخل؛ فيتشرب هذه الصفة ممن حوله، وتصبح سجية له.
8. عدم استشعار ما ينتظر البخيل من العقوبة يوم القيامة.
9. الغفلة عن الأجور المترتبة على الإنفاق، والقيام بالحقوق الواجبة.
10. طول الأمل، والتشبث بالحياة.
11. ضعف إيمان البخيل، وقلة ثقته بالله ﷻ وسوء ظنّه به، فهو لا يعلم أنّ المال مال الله ﷻ، وأن الإنفاق في سبيل الله ﷻ سيردّه الله ﷻ إليه أضعاف الأضعاف.
12. ضعف الهمّة، وعدم الرغبة بالذكر الحسن والسمعة الطيبة بين الخلق.

[1] الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي (1/ 295 – 297)

13. التربية على البخل، أو أنّ البخيل قد نشأ في بيئةٍ تتصف بهذه الصفة فيكون قد تشرّبها واتصف بها.

14. الجهل بما أعدّه الله ﷻ للبخيل من العقوبة يوم القيامة، وعدم العلم بالأجر العظيم الذي أعدّه الله ﷻ لعباده المنفقين الذين قاموا بواجباتهم في الإنفاق.

15. السعي وراء شهوات النفس وملذاتها، فيعتقد البخيل أنّه في حال أنفق من أمواله فسيكون ذلك عائقاً أمام تحقيق ما تريده نفسه والسعي وراء ملذاتها.

## آثار البخل

1. الحرمان من الأجر المترتب على الإنفاق في أبواب الخير.

2. سبب في ضعف الإيمان واضمحلاله؛ لما فيه من سوء الظنّ بالله سبحانه وتعالى.

3. كراهية الناس له، فهو مبغوض مكروه حتى من أقرب الناس إليه كزوجته وأبنائه وأقربائه، بل قد يصل بهم الحد إلى أن يدعوا عليه، ويتمنوا موته؛ حتى يستطيعوا التنعم بما حرمهم منه من أموال.

4. سبب لحرمان الرزق، فكما أن الإنفاق سبب في زيادة الرزق وسعته، فإنَّ البخل والشح سبب في تضييقه.

5. الوقوع في الإثم بسبب منعه لما يجب عليه من حقوق وواجبات.

6. حرمان البخيل الشحيح لنفسه ولغيره من لذائذ الدُّنيا المباحة.

7. "ومن ضررهما في الدنيا تعريض مال الغني للضياع والنهب والسرقة والأحقاد، وفي عصرنا وغيره ظهور الحملات الشنيعة على الأغنياء المترفين، وانتشار الأفكار والنظريات المسماة بالاشتراكية التي ظهرت لتقويض أركان الرأسمالية"[1]

[1] التفسير المنير للزحيلي (4/ 180)



8. سبب لكشف عيوب المرء، وإظهارها للخلق، **قال شمس الدين السفيري**: "والسخاء والكرم سبب لستر العيوب، والبخل والشح سبب جالب لكشفها"[1]

9. "الحرص على ملازمة الأسواق لجمع المال، والأسواق هي معشش الشياطين"[2]

10. "البخل صنو لعدد من الأخلاق السيئة التي يجر بعضها بعضًا، كالجهل والحسد وسوء الظنِّ بالله عَزَّ وَجَلَّ وغيرها من الأخلاق الرديئة، ولهذا قيل في حدِّ البخل: جهل مقرون بسوء الظن"[3]

11. والبخل صفة غير لائقة بأهل الإسلام، بل هي سجية عرف بها اليهود قديمًا وحديثًا، **قال الشوكاني**: "البخل قد لزم اليهود لزوم الظلِّ للشمس، فلا ترى يهوديًّا، وإن كان ماله في غاية الكثرة، إلا وهو من أبخل خلق الله عَزَّ وَجَلَّ"[4]

12. "البخل محو صفات الإنسانية، وإثبات عادات الحيوانية"[5]

13. ما ينتظر البخيل والشحيح من عقاب أخروي وطول حساب، خاصة إذا كان بخله قد أداه إلى عدم تأدية ما فرض الله عليه من زكاة، وإنفاق على من تجب نفقتهم عليه.

14. إفساد العلاقات بين الناس وإعاقة الصلح بينهم، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ ﴾ النساء: ١٢٨، **قال السعدي**: "اعلم أنَّ كلَّ حكم من الأحكام لا يتمُّ ولا يكمل إلا بوجود مقتضيه وانتفاء موانعه، فمن ذلك هذا الحكم الكبير الذي هو الصلح، فذكر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى المقتضي لذلك ونبَّه على أنَّه خير، والخير كلُّ عاقل يطلبه ويرغب

[1] شرح صحيح البخاري للسفيري (1/ 348)
[2] إحياء علوم الدين للغزالي (3/ 34)
[3] مفتاح دار السعادة لابن القيم (1/ 116)
[4] فتح القدير للشوكاني (2/ 66)
[5] التعريفات للجرجاني ص 43



فيه، فإن كان –مع ذلك– قد أمر الله ﷻ به وحثَّ عليه ازداد المؤمن طلبًا له ورغبة فيه، وذكر المانع بقوله: ﴿ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ﴾ أي: جُبلت النفوس على الشحِّ، وهو: عدم الرغبة في بذل ما على الإنسان، والحرص على الحقِّ الذي له، فالنفوس مجبولة على ذلك طبعًا، أي: فينبغي لكم أن تحرصوا على قلع هذا الخلق الدنيء من نفوسكم، وتستبدلوا به ضدَّه وهو السماحة، وهو بذل الحقِّ الذي عليك؛ والاقتناع ببعض الحقِّ الذي لك. فمتى وُفِّق الإنسان لهذا الخلق الحسن سهل حينئذ عليه الصلح بينه وبين خصمه ومعامله، وتسهلت الطريق للوصول إلى المطلوب، بخلاف من لم يجتهد في إزالة الشح من نفسه، فإنَّه يعسر عليه الصلح والموافقة؛ لأنَّه لا يرضيه إلا جميع ماله، ولا يرضى أن يؤدِّي ما عليه، فإن كان خصمه مثله اشتدَّ الأمر"[1]

## آثار الشح

1. الشحُّ من صفات المنافقين، قال ﷻ –في وصف المنافقين–: ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾ الأحزاب: ١٩

**قال الطبري:** "إن الله ﷻ وصف هؤلاء المنافقين بالجبن والشحِّ، ولم يخصص وصفهم من معاني الشحِّ، بمعنى دون معنى، فهم كما وصفهم الله ﷻ به: أشحَّة على المؤمنين بالغنيمة، والخير، والنفقة في سبيل الله ﷻ على أهل مسكنة المسلمين"[2]

[1] تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 206
[2] جامع البيان للطبري (20/ 231)




2. الإنسان الشحيح لا خير فيه ولا عنده، قوله ﷻ ﴿ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ١٩ ﴾ الأحزاب: ١٩، قال ابن كثير: "وهم مع ذلك أشحة على الخير، أي: ليس فيهم خير، قد جمعوا الجبن والكذب وقلة الخير"[1]

3. الشحُّ أسوأ صفات الإنسان، قوله ﷻ ﴿ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ١٩ ﴾، قال السعدي: "أشحَّة على الخير: الذي يُراد منهم، وهذا شرُّ ما في الإنسان، أن يكون شحيحًا بما أمر به، شحيحًا بماله أن ينفقه في وجهه، شحيحًا في بدنه أن يجاهد أعداء الله ﷿، أو يدعو إلى سبيل الله ﷿، شحيحًا بجاهه، شحيحًا بعلمه، ونصيحته ورأيه"[2]

4. الشحُّ سبب في الهلاك وفساد المجتمع، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: "إيَّاكم والظلم؛ فإنَّ الظلم ظلمات يوم القيامة، واتَّقوا الشحَّ، فإنَّ الشحَّ أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلُّوا محارمهم"[3]

5. يوقع الإنسان في كبائر الذنوب، ومن ذلك سفك الدماء واستحلال المحارم.

6. سبب في الخسران في الدنيا والآخرة، قال ﷻ: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ٩ ﴾ الحشر: ٩

قال السعدي: "لعلَّ ذلك الوقاية من الشحِّ شامل لكلِّ ما أمر به العبد، ونهي عنه، فإنَّه إن كانت نفسه شحيحة، لا تنقاد لما أمرت به، ولا تخرج ما قبلها، لم يفلح، بل خسر الدنيا والآخرة"[4]

[1] تفسير القرآن العظيم لابن كثير (6/ 391)
[2] تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 660
[3] رواه مسلم (4/ 1996)
[4] تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 868



## آثار البخل والشح

1. الحرمان من الأجر والثواب الذي أعدّه الله ﷻ لعباده المنفقين، واستحقاق العقاب من الله ﷻ.

2. بُغض الناس للبخيل، وبخاصةٍ من يعيشون معه كالأبناء والزوجة والوالدين.

3. حرمان السعة في الرزق، والبركة في المال.

4. وقوعه في الإثم بسبب تقصيره في القيام بالواجبات المطلوبة منه.

5. حرمان نفسه ومن حوله من الاستمتاع بالملذات المباحة في الدنيا.

6. كشف عيوب البخيل وصفاته الذميمة.

7. كثرة التواجد في الأسواق لكسب المزيد من المال.

8. الاتصاف بالعديد من الأخلاق السيئة نتيجة الاتصاف بالبخل؛ كالحسد، والجهل، وسوء الظنّ بالله سبحانه وتعالى.

9. سوء العلاقات بين الناس، وصعوبة الإصلاح فيما بينهم.

## أنواع البخل

يتمثَّلُ البُخل في عدّة صورٍ، منها:

1. **البُخلُ بالمال:** يُقسَم البُخل بالمال، أو بالمقتَنَيات الشخصيّة إلى عدّة أنواع، منها:

أ. بُخلُ الإنسان بماله على نفسه.

ب. بُخلُ الإنسان بمال غيره على غيره.

ج. بُخلُ الإنسان بمال غيره على نفسه، وهو أسوأ الأنواع وأقبحها.

2. **البُخلُ بالنفس:** وهو أن يبخل الإنسان بنفسه فلا يُقدِّمُها في سبيل الله ﷻ؛ بسبب تعلُّقِه بالدُّنيا، وحِرْصِه عليها، على عكس الجُود بالنفس من أجل نشر الدِّين،

www.alukah.net
شبكة الألوكة


وإعلاء كلمة الله ﷻ، **قال ابن القيم** عن بعض الحكماء: "إنَّ الإحسان المتوقع من العبد؛ إما بماله، وإما ببدنه، فالبخيل مانع لنفع ماله، والجبان مانع لنفع بدنه، المشهور عند الناس أنَّ البخل مستلزم الجبن من غير عكس؛ لأنَّ من بخل بماله فهو بنفسه أبخل، والشَّجاعَة تستلزم الكرم من غير عكس؛ لأنَّ من جاد بنفسه فهو بماله أسمح وأجود" ثم قال: "وهذا الذي قالوه ليس بلازم أكثره، فإنَّ الشَّجاعة والكرم وأضدادها أخلاق وغرائز، قد تجمع في الرجل، وقد يعطى بعضها دون بعض، وقد شاهد الناس من أهل الإقدام والشَّجاعة والبأس من هو أبخل الناس، وهذا كثيرًا ما يوجد في أمة الترك، يكون أشجع من ليث، وأبخل من كلب، فالرجل قد يسمح بنفسه، ويضنُّ بماله، ولهذا يقاتل عليه حتى يُقتل، فيبدأ بنفسه دونه، فمن الناس من يسمح بنفسه وماله، ومنهم من يبخل بنفسه، ومنهم من يسمح بماله ويبخل بنفسه، وعكسه، والأقسام الأربعة موجودة في الناس"[1]

3. **البُخل بالجاه:** وهو أن يبخل صاحب الجاه أو المنصِب العالي بقدرته على نفع المحتاجِين، فلا يُصلحُ بين الناس، ولا يسعى من أجل سدِّ حاجة مسكينٍ، أو ضعيفٍ.

4. **البُخل بالعِلْم:** هو أسوأ وأقبح أنواع البُخل، حيث يقوم صاحب العِلْم بكَتْمِه عن من يحتاجُه، فهو لا يَنصحُ ولا يُعلِّم الآخرين، قال ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٣٧ ﴾ النساء: ٣٧

[1] مفتاح دار السعادة لابن القيم (1/ 113 – 114)



شبكة الألوكة - قسم الكتب

5. البُخل بالتصدُّق: وهو ألا يتصدَّقَ الإنسان من المال الذي أكرمَه اللهُ ﷻ به إلّا إن كان قد نَذرَ، كأن يقومَ البخيلُ بالأعمال الصالحة من صيامٍ، أو صدقةٍ؛ من أجل تحقيق بعض المطامعِ؛ أو بسبب الخوف، فعن أبي هريرة ﵁ قال، قال رسول الله ﷺ: "لا يأتي ابن آدم النذر بشيء لم يكن قدر له، ولكن يلقيه النذر إلى القدر قد قدر له، فيستخرج الله به من البخيل، فيؤتي عليه ما لم يكن يؤتي عليه من قبل"[1]

## درجات البخل

قال ابن قدامة المقدسي: "اعلم أن السخاء والبخل درجات، فأرفع درجات السخاء الإيثار، وهو أن تجود بالمال مع الحاجة إليه، وأشد درجات البخل أن يبخل الإنسان على نفسه مع الحاجة، فكم من بخيل يمسك المال، ويمرض فلا يتداوى، ويشتهي الشهوة فيمنعه منها البخل، فكم بين من يبخل على نفسه مع الحاجة، وبين ما يؤثر على نفسه مع الحاجة، فالأخلاق عطايا يضعها الله ﷻ حيث يشاء"[2]

## البخل أصل النقائص وخلق مذموم

إن البخل دليل على قلة العقل وسوء التدبير، وهو أصل لنقائص كثيرة، ويدعو إلى خصال ذميمة، ولا يجتمع مع الإيمان، بل من شأنه أن يهلك الإنسان ويدمر الأخلاق كما أنه دليل على سوء الظن بالله ﷻ، يُؤخر صاحبه، ويبعده عن صفات الأنبياء والصالحين.

فالبخيل محروم في الدنيا مؤاخذ في الآخرة، وهو مكروه من الله ﷻ مبغوض من الناس، قال بشر الحافي: "البخيل لا غيبة له"[3]

---

[1] رواه البخاري (8/ 141)

[2] مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة ص 2050

[3] شعب الإيمان للبيهقي (13/ 322)

**قال الماوردي:** "قد يحدث عن البخل من الأخلاق المذمومة، وإن كان ذريعة إلى كلّ مذمّة أربعة أخلاق، ناهيك بها ذمّاً وهي: الحرص، والشّره، وسوء الظّنّ، ومنع الحقوق، وإذا آل البخيل إلى ما وصفنا من هذه الأخلاق المذمومة، والشّيم اللّئيمة لم يبقَ معه خير موجود ولا صلاح مأمول"[1]

**وقال ابن تيميّة:** "إنّ الجميع يتمادحون بالشّجاعة والكرم، حتّى إنّ ذلك عامّة ما تمدح به الشّعراء ممدوحيهم في شعرهم، وكذلك يتذامّون بالبخل والجبن، ثمّ قال: ولما كان صلاح بني آدم لا يتمّ في دينهم ودنياهم إلّا بالشّجاعة والكرم، بيّن الله ﷻ أنّه من تولّى عنه بترك الجهاد بنفسه أبدل الله ﷻ به من يقوم بذلك، ومن تولّى عنه بإنفاق ماله أبدل الله ﷻ به من يقوم بذلك، فقال: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ٣٨ ﴾ محمد: ٣٨"[2]

## الفرق بين البخل والشح

**قال الكفويّ:** "البخل هو المنع نفسه، والشّحّ هو الحالة النّفسيّة الّتي تقتضي ذلك المنع"[3]

**قال القرطبيّ:** "اختلف في البخل والشّحّ هل هما بمعنى واحد أو معنيين؟ فقيل: البخل: الامتناع من إخراج ما حصل عندك، والشّحّ: الحرص على تحصيل ما ليس عندك، وقيل: الشّحّ هو البخل مع حرص، وهو الصّحيح لما روي عنه ﷺ من قوله:

---
[1] أدب الدنيا والدين للماوردي ص 186
[2] الاستقامة لابن تيمية (2/ 263)
[3] الكليات للكفوي ص 242



"واتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم"[1]، وهذا يردّ قول من قال: إنّ البخل منع الواجب، والشّحّ منع المستحبّ، إذ لو كان الشّحّ منع المستحبّ لما دخل تحت هذا الوعيد العظيم، ويؤيّد ذلك ما روي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "لا يجتمع شحّ وإيمان في قلب رجل مسلم"[2]، وهذا يدلّ على أنّ الشّحّ أشدّ في الذّمّ من البخل، إلّا أنّه قد جاء في الحديث ما يدلّ على مساواتهما، وذلك قوله ﷺ عندما سئل: "أيكون المؤمن بخيلاً؟ قال لا"[3]

**قال: الفيروز آباديّ:** "البخل ثمرة الشّحّ، والشّحّ يأمر بالبخل"[4]

**قال القرطبيّ: قال طاووس:** "البخل أن يبخل الإنسان بما في يده، والشّحّ أن يشحّ بما في أيدي النّاس، يحبّ أن يكون له ما في أيديهم بالحلّ والحرام"[5]

**قال ابن منظور:** "الشّحّ أشدّ البخل، وقيل البخل في أفراد الأمور وآحادها، والشّحّ عامّ، وقيل البخل بالمال، والشّحّ بالمال والمعروف"[6]

**قال أبو هلال العسكري:** "الشّحّ: الحرص على منع الخير، والبخل: منع الحقّ فلا يقال لمن يؤدّي حقوق الله ﷻ بخيل"[7]

**قال ابن القيّم:** "الفرق بين الشّحّ والبخل أنّ الشّحّ هو شدّة الحرص على الشّيء والإحفاء في طلبه والاستقصاء في تحصيله وجشع النّفس عليه، والبخل: منع إنفاقه بعد حصوله وحبّه وإمساكه، فهو شحيح قبل حصوله بخيل بعد حصوله، فالبخل ثمرة

---

[1] رواه مسلم (4/ 1996)
[2] مسند أحمد 12/ 450)، سنن النسائي (6/ 14)
[3] تفسير القرطبي (4/ 293)
[4] بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي (2/ 227)
[5] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (18/ 30)
[6] لسان العرب لابن منظور (2/ 495)
[7] الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص 176




الشّحّ، والشّحّ يدعو إلى البخل، والشّحّ كامن في النّفس، فمن بخل فقد أطاع شحّه، ومن لم يبخل فقد عصى شحّه ووقي شرّه، وذلك هو المفلح، قال ﷻ: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحشر: ٩"[1]

إذن فقد اختلف أهل العلم في البخل والشح، هل هما مترادفان أم لكلٍّ واحد منهما معنى غير معنى الآخر.

## وقيل أنهما مختلفان لكل منهما معنى غير معنى الآخر:

يرى ابن مسعود ﵁: "أن البخل هو البخل بما في اليد من مال، أما الشح فهو أن يأكل المرء مال الآخرين بغير حقٍّ، فقد قال له رجل: إني أخاف أن أكون قد هلكت قال: وما ذاك قال: إني سمعت الله يقول: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحشر: ٩، وأنا رجل شحيح، لا يكاد يخرج مني شيء، فقال له ابن مسعود ﵁: "ليس ذاك بالشحِّ، ولكنه البخل، ولا خير في البخل، وإنَّ الشحَّ الذي ذكره الله في القرآن أن تأكل مال أخيك ظلمًا"[2]

وفرَّق ابن عمر رضي الله عنهما بين الشحِّ والبخل، فقال: "ليس الشحيح أن يمنع الرجل ماله، ولكنه البخل، وإنه لشرٌّ، إنما الشحُّ أن تطمح عين الرجل إلى ما ليس له"[3]

## وقيل أنهما مترادفان لهما نفس المعنى:

قال القرطبي: "البخل: الامتناع من إخراج ما حصل عندك، والشحُّ: الحرص على تحصيل ما ليس عندك"[4]

---

[1] الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم ص 33

[2] مصنف ابن أبي شيبة (9/ 98)، المعجم الكبير للطبراني (9/ 218)، المستدرك على الصحيحين للحاكم (2/ 532)، شعب الإيمان للبيهقي (7/ 426)

[3] أحكام القرآن لابن العربي (1/ 396)

[4] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (4/ 293)



قال ابن العربي: "البخل منع الواجب، والشحُّ منع المستحب"[1]

"وهؤلاء قالوا: إن منع المستحب لا يمكن أن يكون بخلًا لعدة أمور:

أحدها: أن الآية دالة على الوعيد الشديد في البخل، والوعيد لا يليق إلا بالواجب.

وثانيها: أنه ﷻ ذم البخل وعابه، ومنع التطوع لا يجوز أن يذمَّ فاعله، وأن يعاب به.

وثالثها: وهو أنه ﷻ لا ينفك عن ترك التفضل؛ لأنه لا نهاية لمقدوراته في التفضل، وكلُّ ما يدخل في الوجود فهو متناه، فيكون لا محالة تاركًا التفضل، فلو كان ترك التفضل بخلًا لزم أن يكون الله ﷻ موصوفًا بالبخل لا محالة، تعالى الله ﷻ عنه علوًّا كبيرًا.

ورابعها: قال ﷺ: "وأيُّ داء أدوأ من البخل"[2]، ومعلوم أن تارك التطوع لا يليق به هذا الوصف.

وخامسها: أنه لو كان تارك التفضل بخيلًا لوجب فيمن يملك المال كلَّه العظيم ألا يتخلص من البخل إلا بإخراج الكلِّ.

وسادسها: أنه ﷻ قال: ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ٣ ﴾ البقرة: ٣،كلمة من للتبعيض، فكان المراد من هذه الآية: الذين ينفقون بعض ما رزقهم الله ﷻ، ثم إنه ﷻ قال في صفتهم: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥ ﴾ البقرة: ٥، فوصفهم بالهدى والفلاح، ولو كان تارك التطوع بخيلًا مذمومًا لما صحَّ ذلك، فثبت بهذه الآية أن البخل عبارة عن ترك الواجب"[3]

[1] أحكام القرآن لابن العربي (1/ 396)
[2] رواه البخاري (5/ 172)
[3] مفاتيح الغيب للرازي (9/ 444)

www.alukah.net



## مضار البخل

"1. البخل لا يجتمع مع الإيمان.

2. أصل لنقائص كثيرة، ويدعو إلى خصال ذميمة.

3. البخيل مكروه من الله عَزَّ وَجَلَّ، ومبغوض من النّاس.

4. دليل على سوء الظّنّ بالله عَزَّ وَجَلَّ.

5. دليل على قلّة العقل وسوء التّدبير.

6. مهلك للإنسان ومدمّر للأخلاق.

7. يضع السّيّد ويؤخّر السّابق.

8. ليس من صفات الأنبياء الأصفياء ولا السّادة الشّرفاء.

9. البخيل محروم في الدّنيا مؤاخذ في الآخرة"[1]

## مضار الشح

"1. يورث قطيعة الرّحم وانفصام عرى المحبّة.

2. من أسباب الظّلم والبغي والعدوان وسفك الدّماء.

3. بغض النّاس للشّحيح وبعدهم عن شرّه.

4. يجرئ على المعاصي وفعل السّيّئات.

5. ينافي الإيمان ويغضب الرّحمن عَزَّ وَجَلَّ.

6. من أسباب هلاك الخلق.

7. من أعظم الموبقات الّتي أمر الشّارع باجتنابها.

8. الشّحيح محروم، والمنفق مرزوق.

---
[1] نظرة النعيم (9/ 4046)



شبكة الألوكة - قسم الكتب

9- يستوجب عذاب الله ﷻ"[1]

## علاج البخل والشح

1. أن يحسن المرء الظنَّ بالله ﷻ، وليعلم أنَّ الله ﷻ الذي أمره بالإنفاق قد تكفَّل له بالزيادة، وقد قيل: "قلة الجود سوء ظنٍّ بالمعبود"

2. الإكثار من الصدقة، وإن كان ذلك ثقيلًا على من اتصف بهذه الصفة، وبذلك يعتاد على صفة الكرم والإنفاق، قال ابن القيم: "فالفقير الآخذ لصدقتك يستخرج منك داء البخل، كالحجام يستخرج منك الدم المهلك"[2]

3. معرفة أن الإيحاء بالفقر والتخويف منه إنما هو وعد شيطاني، وأن وعد الله ﷻ هو المغفرة للذنوب وزيادة الفضل، يقول ﷻ: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ ﴾ البقرة: ٢٦٨

4. الاستعاذة بالله ﷻ من البخل، كما كان يفعل أكرم الخلق وأجودهم ﷺ، حيث كان يستعيذ من البخل فيقول: "اللهمَّ إني أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك أن أُردَّ إلى أرذل العمر"[3]

5. معالجة طول الأمل بالإكثار من ذكر الموت، والنظر في موت الأقران.

6. التأمُّل في حال البخلاء الذين تعبوا في جمع المال، والحرص عليه ثم تركهم له يتقاسمه الورثة، وربما استخدموه في غير طاعة الله ﷻ، فكان وبالًا عليهم.

7. التأمل في الآيات الواردة في ذمِّ البخل، وما أعده الله ﷻ للمتصفين بهذه الصفة القبيحة.

8. صرف القلب إلى عبادة المولى ﷻ، حتى لا ينشغل بعبادة المال والحرص عليه.

---

[1] نظرة النعيم (10/ 4694)
[2] عدة الصابرين لابن القيم ص 116
[3] رواه البخاري (8/ 78)





9. معرفة أن المستقبل بيد الله ﷻ إن شاء أغناك، وإن شاء أفقرك، وإن كنت أحرص الناس.

10. عدم الخوف على مستقبل الأبناء، والتيقن أنَّ من خلقهم قد خلق أرزاقهم معهم، ولن يضيعهم. فكم من ولد لم يرث من والده مالًا صار أحسن حالًا ممن ورث الأموال الطائلة.

11. علاج القلب بكثرة التأمل في الأخبار الواردة في ذمِّ البخل، ومدح السخاء وما توعد الله ﷻ به البخيل من العقاب العظيم.

12. التأمل في أحوال البخلاء، ونفرة الطبع منهم، وبغض الناس لهم، وبقاء الذكر السيئ من بعدهم.





# المرض الخامس والثلاثون
# اتباع الهوى

## تعريف الهوى

### في اللغة:

قال ابن فارس: "وهوى النّفس مأخوذ من المعنيين جميعاً أي من الخلوّ والسّقوط؛ لأنّه خال من كلّ شيء، ويهوي بصاحبه فيما لا ينبغي"[1]

قال الراغب الأصفهاني: "الهوى: ميل النفس إلى الشهوة، ويقال ذلك للنّفس المائلة إلى الشّهوة، وأنّه مأخوذ من معنى السّقوط فقط، وقيل سمّي بذلك لأنّه يهوي بصاحبه في الدّنيا إلى كلّ داهية وفى الآخرة إلى الهاوية"[2]

قال القرطبي: "والهوى، مقصور: هوى النّفس، وجمعه أهواء، وإذا أضفته إليك قلت: هواي وبعض العرب يقول: هويّ، وقولهم: هذا الشّيء أهوى إليّ من كذا أي أحبّ إليّ، وهوي بالكسر يهوي هوى، أي أحبّ، وهوى بالفتح يهوى هويّاً، أي سقط إلى أسفل، وهوى وانهوى بمعنى وتهاوى القوم في المهواة، إذا سقط بعضهم في إثر بعض، واستهواه الشّيطان أي استهامه، قال ﷻ: ﴿ كَٱلَّذِى ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلۡأَرۡضِ حَيۡرَانَ ﴿٧١﴾ ﴾ الأنعام: ٧١، أي استغوته وزيّنت له هواه ودعته إليه"[3]

---

[1] مقاييس اللغة لابن فارس (6/ 16)
[2] المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص 849
[3] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (7/ 18)

**قال ابن منظور**: "وهوى النّفس: إرادتها، وقيل محبّة الإنسان الشّيء وغلبته على قلبه، قال ﷻ: ﴿ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ النازعات: ٤٠، معناه: نهاها عن شهواتها وما تدعو إليه من معاصي الله ﷻ، وقيل الهوى: هوى الضّمير، ومتى تكلّم بالهوى مطلقاً لم يكن إلّا مذموماً، حتّى ينعت بما يخرج معناه عن الذّمّ كقولهم: هوى حسن، وهوى موافق للصّواب"[1]

## في الشرع:

**قال الكفويّ**: "الهوى: ميل النّفس إلى ما تستلذّه من الشّهوات من غير داعية الشّرع"[2]

**قال المناويّ**: "الهوى: نزوع النّفس لسفل شهواتها لباعث انبساطها ويكون ذلك في مقابلة معتلى الرّوح"[3]

**قال الرّاغب الأصفهاني**: "هو ميل النّفس إلى الشّهوة"[4]

**قال ابن الجوزيّ**: "ميل الطّبع إلى ما يلائمه"[5]

**قال الجرجاني**: " الهوى: ميلان النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع"[6]

## تعريف اتباع الهوى

هو إيثار ميل النّفس إلى الشّهوة والانقياد لها فيما تدعو إليه من معاصي الله ﷻ.

[1] لسان العرب لابن منظور (15/ 372)
[2] الكليات للكفوي ص 962
[3] التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص 344
[4] المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص 849
[5] ذم الهوى لابن الجوزي ص 12
[6] التعريفات للجرجاني ص 257



## حكم اتباع الهوى

خلق الميل في الإنسان لضرورة بقائه؛ فإنه لولا ميله إلى المطعم والمشرب والمنكح ما أكل وما شرب ولا نكح، فالهوى مستحث لها لما يريده كما إن الغضب دافع عنه ما يؤذيه فلا ينبغي ذم الهوى مطلقاً ولا مدحه مطلقاً كما إن الغضب لا يذم مطلقاً ولا يمدح مطلقاً وإنما يذم المفرط من النوعين وهو ما زاد على جلب المنافع ودفع المضار.

ولما كان الغالب من مطيع هواه وشهوته وغضبه أنه لا يقف فيه على حد المنتفع به أطلق ذم الهوى والشهوة والغضب؛ لأنه ينذُر من يقصد العدل في ذلك ويقف عنده؛ فلذلك لم يذكر الله ﷻ الهوى في كتابه إلا ذمه، وكذلك في السنة لم يجئ إلا مذموماً إلا ما جاء منه مقيداً بما يخرج معناه عن الذم كقولهم: هوى حسن، وهوى موافق للصواب" وقد قيل: الهوى لا يؤمن.

## أسباب اتباع الهوى

1. مجالسة أهل الأهواء ومصاحبتهم؛ فمن لازم مجالسة أهل الهوى، وأدام صحبتهم؛ فلا بد أنْ يتأثر بهم، ولذلك كان السلف ﷺ ينهون عن مجالسة أهل البدع والأهواء، قال أبو قلابة: "لا تجالسوا أصحاب الأهواء؛ فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، أو يلبسوا عليكم بعض ما تعرفون"[1]

2. المسارعة إلى ما تشتهيه النَّفسُ من المباحات؛ وقد كان أهل العلم يرَبُّون طلاَّبهم على مخالفة ما تهواه أنفسُهم من المباحات، وحرمان النفس - أحيانًا - من بعض المباحات؛ لأجل التعويد على الصبر؛ لأنَّ النفس إذا عودت على نيل المباحات؛ فإنها تضعف أمامَ المحرَّمات.

---

[1] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للأصبهاني (9/ 217)




3. حب الدنيا والركون إليها؛ فإنَّ من أحب الدنيا، وركن إليها؛ تولد عنده سعي حثيث لتلبية كل ما يشتهيه، وإنْ كان مخالفًا لشرع الله ﷻ، قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ يونس: ٧ – ٨

4. الجهل بالعواقب المترتبة على اتباع الهوى؛ فإن الجهل بعاقبة الشيءِ داعٍ إلى ممارسته.

## آثار اتباع الهوى

1. أنه سبب لفساد الأمور، قال ﷻ: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴿٧١﴾﴾ المؤمنون: ٧١

2. أنه سبب الضلال عن الهدى والهوان في الدنيا، قال ﷻ: ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ الأعراف: ١٧٦

3. أنه سبب فساد الرأي والفكر والوقوع في التناقض، ولهذا حذرنا ﷻ من طاعة صاحب الهوى؛ لأنه يتكلم بغير هدى ويقع في الغفلة والعمى، قال ﷻ: ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾﴾ الكهف: ٢٨؛ ولأنه لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا إلا ما وافق هواه، فعن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ: "تُعرض الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا، فأي قلب أشربها نكت فيه




نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والأخر أسود مُربادًّا كالكوز مجخيًا لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا إلا ما أُشرب من هواه"[1]

4. أنه سبب التفرق والاختلاف وكثرة الشقاق والنزاع، **يقول ابن بطة**: "أعاذنا الله وإياكم من الآراء المخترعة والأهواء المتبعة والمذاهب المبتدعة، فإن أهلها خرجوا عن اجتماع إلى شتات وعن نظام إلى تفرق، وعن أنس إلى وحشة، وعن ائتلاف إلى اختلاف، وعن محبة إلى بغضة، وعن نصيحة وموالاة إلى غش ومعاداة، وعصمنا وإياكم من الانتماء إلى كل اسم خالف الإسلام والسنة"[2]

5. أنه موجب للعقوبة من الله ﷻ؛ لأنه يؤدي بصاحبه إلى تزيين الباطل والزهد في الحق وتأليه الهوى فيطبع على قلبه ويختم على سمعه، ويجعل على بصره غشاوة، قال ﷻ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ الجاثية: ٢٣، وقال ﷻ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ القصص: ٥٠

6. أنه يورث الكبر والعجب فيزري بصاحبه أمام الآخرين، لا سيما أهل الصدق والعدل، ويكون مستثقلاً عندهم ممقوتًا في نفوسهم لما يرونه فيه من المخالفة للحق والتكبر عن اتباعه وإعجاب صاحبه برأيه وهواه.

---

[1] رواه مسلم (1/ 128)

[2] الإبانة لابن بطة (1/ 388)

7. أن يصد عن قبول الحق واتباعه، ويزين الباطل ويقلبه في صورة الحق، بل ربما صار صاحبه منافحًا عن الباطل مضادًا للصواب من حيث يشعر أو لا يشعر، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "إن أخوف ما أخاف عليكم اثنتان: طول الأمل، واتباع الهوى، فأما طول الأمل فينسي الآخرة، وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق"[1]، **وقال ابن تيمية**: "وما أكثر ما تفعل النفوس ما تهواه ظانة أنها تفعله طاعة لله عز وجل"[2]

8. أنه سبب في ظلم العبد لنفسه ولغيره، فيظلم نفسه بارتكابه ما حرم الله عز وجل وإعراضه عما أمر الله عز وجل به، ويظلم غيره بالبغي والعدوان في أقواله وأفعاله.

9. أنه يضعف الإرادة والعزيمة ويخذل عن طلب المعالي، ويجعل صاحبه في عداد أهل الجهل والخذلان ويحجبه عن منازل أهل الشرف والعرفان.

10. أنه سبب في البعد عن السنة والنطق بالبدعة، **يقول أبو عثمان النيسابوري**: "من أمر السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة، ومن أمَّر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة؛ لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْ ۝٥٤﴾ النور: ٥٤"[3]

11. أنه سبب للهموم والأحزان، **يقول ابن تيمية**: "من اتبع هواه في مثل طلب الرئاسة والعلو، وتعلقه بالصور الجميلة، أو جمعه للمال يجد في أثناء ذلك من الهموم والغموم والأحزان والآلام وضيق الصدر ما لا يعبر عنه وربما لا يطاوعه قلبه على ترك الهوى، ولا يحصل له ما يسره، بل هو في خوف وحزن دائمًا، إن كان طالبًا لما يهواه فهو قبل إدراكه حزين متألم حيث لم يحصل، فإذا أدركه كان خائفًا من زواله وفراقه"[4]

---
[1] أنساب الأشراف للبلاذري (2/ 114)
[2] مجموع الفتاوي لابن تيمية (28/ 207)
[3] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للأصبهاني (10/ 244)
[4] مجموع الفتاوي لابن تيمية (10/ 651)



## علامات اتباع الهوى

المسارعة إلى النوافل والتكاسل عن الواجبات، **يقول ابن عطاء الله السكندري**: "من علامات اتباع الهوى، المسارعة إلى نوافل الخيرات، والتكاسل عن القيام بالواجبات"

في الناس من يتلاقون للحديث عن شؤون الإسلام والمسلمين، ويسهرون الليالي الطويلة في سبيل ذلك ثم إنَّهم يتفرقون كلٌ إلى مضجعه مستسلماً للرقاد إلى طلوع الشمس، وقد فاتته صلاة الفجر في ميقاتها.

وفي الناس من تكون ذمته مشغولة بفوائتٍ من الصلوات المكتوبة، يتكاسل عن قضائها، ويُشغل نفسه بدلاً عن ذلك بنوافل الصلاة كالتراويح وقيام الليل، ونحوها مما يجتمع له الناس اليوم في المساجد، في رمضان وغيره من المناسبات.

وفي الناس أيضاً من يستهويهم الخروج للدعوة وتعريف الناس بالإسلام، دون أن يبالي الواحد منهم أنه قد أهمل من جراء ذلك واجب رعاية أهله ومهمة الإشراف عليهم، وربما واجب الإنفاق عليهم، وفي الناس أيضاً من إذا خرج إلى السوق ولقي الناس، في مجال عمله المعيشي وعلاقاته الاجتماعية أو المالية بهم، قابلهم بالبشاشة والبسمة ورقة الجانب ودماثة الخلق، حتى إذا انتهى من عمله وعاد إلى داره، طوى تلك البشاشة والأخلاق اللطيفة الوادعة، وأقبل إلى زوجته وربما أولاده أيضاً بوجه متهم وخلق فظ، وكلمات قاسية، **يقول ابن عطاء**: "إن علامة اتباع هؤلاء الناس–وأمثالهم كثير– أهواءهم وحظوظهم النفسية، إعراضهم عن الواجبات المنوطة بأعناقهم والمسارعة إلى النوافل التي لا حرج عليهم في تركها"

ولعل من أهم ما تدل عليه هذه الحكمة، أن اتباع الهوى لا يتمثل بالضرورة في ارتكاب المعاصي والتورط في المنهيات، بل كثيراً ما يتمثل ذلك في غطاء من الطاعات

والقربات وفضائل الأعمال، وعلامة ذلك ألا يراعي صاحب هذه الطاعات والقربات في أعماله سلّم الأولويات المرسوم في أحكام الشريعة الإسلامية.

كأن يضحي بمصالح الدين في سبيل مصالح المال، أو كأن يضحي بالضروريات في سبيل الحاجيات، أو أن يضحي بالحاجيات في سبيل التحسينات

وإنما يتم تجنب الوقوع في هذا المحظور بوسيلتين اثنتين: علم وحال.

أما العلم فأعني به التبصر بقواعد التعارض والترجيح، والوقوف على ما يسمى بسلَّم الأولويات في تصنيف أحكام الشريعة الإسلامية، وأما الحال–وإنما يأتي دوره بعد العلم– فأعني به فراغ القلب من التعلق بالأغيار، سواء على وجه المحبة لها أو الخوف منها أو الاهتمام بها، وقد علمت أن السبيل إلى ذلك كثرة الذكر والإكثار من مراقبته وتجنب الوقوع في المحارم وأكل الحرام جهد الاستطاعة.

فإذا أحرز المسلم ضوابط العلم، وتحقق بهذا الحال، فلن يقع إذن في المغبّة التي يحذر منها ابن عطاء الله، لن يسارع إلى النوافل معرضاً عن الواجبات، ولن يهمل الضروريات سعياً وراء الحاجيات أو التحسينات، وستُقصيه عن ذلك كوابح العلم بأحكام الشرع، وستجنبه آفةَ الاستجابة لأهوائه نعمةُ الحال التي وصفتها لك إذ يمتعه الله عز وجل بها.

## مظاهر اتباع الهوى

### 1. القول على الله عز وجل بلا علم:

فالقول على الله عز وجل بلا علم من أعظم مظاهر اتباع الهوى؛ إذ الواجب على المسلم حقًّا أن يتقيد بشرع الله عز وجل فيما يأمر به وفيما ينهى عنه، فلا يحرم بهواه ولا يبيح بهواه ولا يحكم إلا بحكم الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ٥٧﴾ الأنعام: ٥٧، وقد حرّم




شبكة الألوكة - قسم الكتب

الله ﷻ القول بلا علم ورتب عليه الآثار السيئة فجعله أكبر الذنوب وأعظمها، قال ﷻ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ الأعراف: ٣٣، وقال ﷻ: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ يونس: ٥٩، وقال ﷻ: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ الإسراء: ٣٦، فمن أعظم الهوى: أن يقول العبد على الله ﷻ بلا علم، فيحلل ويحرم برأيه وهواه وأشد من ذلك أن يُقدِم على هذا مع علمه بالحق؛ لكن يتبع هواه، اليوم يُفتيك بأن هذا حرام وغدًا يفتي بأنه حلال، ويفتي لفلان بحكم ويفتي لآخر بحكم يكيف فتواه على حسب آرائه ومصالحه المادية ومكانته الاجتماعية ليرضي الأطراف كلها، فاليوم يفتي لي بأن هذا حرام وغدًا يقول هذا حلال، وغدا يحلّل ويحرم بهواه لا برجوع إلى الشرع، وإنما يتلاعب بشرع الله ﷻ، فيوم يرجح هذا القول ومرةً يرجح هذا القول، لا أنه استبان له حق فرجع إليه؛ لكن الهوى يملي عليه أن يقول فيه في دين بلا علم، فالقول على الله ﷻ بلا علم من أعظم المصائب والذنوب.

### 2. ظلم العباد في دمائهم وأموالهم وأعراضهم:

فربما سُفك دم حرام بالهوى، وربما انتُهكت أعراض بالهوى، أو نُهبت أموال بالهوى، وربما قذف هذا بالهوى، وانتقص من قدر هذا بلا حجة ولا برهان، قال ﷻ: ﴿ وَإِنَّ




كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ الأنعام: ١١٩

## 3. عدم العدل في إصدار الأحكام:

فالحاكم يجب عليه تقوى الله عز وجل فيما يصدر من أي حكم يحكم به، وليراقب الله عز وجل، ويعلم أن هذه الخصومة ستعاد يوم القيامة في: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ الشعراء: ٨٨ - ٨٩، فيحرص على العدل في أحكامه لا يبالي ولا يجامل، وإنما يتقي الله عز وجل ويراقب الله عز وجل في أحكام يصدرها، يقول الله سبحانه وتعالى لنبيه داود عليه السلام: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ ص: ٢٦

إذاً فالحكم بالعدل واجب، فعن عبد الله بن بريدة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "القضاة ثلاثة: قاضيان في النار وقاضٍ في الجنة، قاضٍ عرف الحق فقضى به فهو في الجنة، وقاضٍ عرف الحق فجار متعمداً فهو في النار، وقاضٍ قضى بغير علم فهو في النار"[1]، وقد أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالحكم بين الناس في العدل فقال سبحانه وتعالى: ﴿ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴿٤٨﴾ ﴾ المائدة: ٤٨، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴿٤٩﴾ ﴾ المائدة: ٤٩

[1] المستدرك على الصحيحين للحاكم (4/ 101)



### 4. غرور الإنسان في نفسه وإعجابه بنفسه:

إن غرور الإنسان في نفسه وإعجابه بنفسه وتكبره على عباد الله ﷻ واغتراره بنفسه بماله بجاه بمنصبه بصورته كل ذلك من أنواع الهوى، فعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"[1]، وعن عبد الله بن مسعود ﵁ عن النبي ﷺ قال: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر" قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة، قال: "إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس"[2]،أي ظلمهم والعدوان عليهم.

### 5. تعصب الإنسان لقوله ورأيه وعدم عدوله عما قال:

قد تقول قولاً خاطئاً فتتعصب لخطأك ولا ترضى الرجوع عن خطأك، لا، لست بمعصوم قد تكون أفتيت فتوى قصر نظرك فيها وقل إدراكك، فلا بد أن تتراجع إذا تبين الحق لك فالحق ضالة المسلم أينما وجده سلكه، أما التعصب للأقوال والدفاع عنها مع الخطأ فهذا خلاف الحق، التعصب للآراء والتعصب للشخصيات والدول بلا حجة ولا برهان كل ذلك من اتباع الهوى، قال ﷻ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ الأنعام: ١٥٣

## مفاسد اتباع الهوى

1. إن اتباع الهوى وهو "ما تميل إليه النفس مما لم يبحه الشرع"، خلاف مقصود الشرع؛ لأن المقصد الشرعي من وضع الشريعة إخراج المكلَّف عن داعية هواه؛ حتى يكون عبداً لله ﷻ اختياراً، كما هو عبد لله ﷻ اضطراراً".

---
[1] رواه مسلم (4/ 1987)
[2] رواه مسلم (1/ 93)

2. صاحب الهوى لا حكَمَةَ له ولا زمام، ولا قائد له ولا إمام، إلهه هواه، حيثما تولت مراكبه تولى، وأينما سارت ركائبه سار، فآراؤه العلمية، وفتاواه الفقهية، ومواقفه العملية، تبع لهواه، فدخل تحت قوله ﷻ: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الجاثية: ٢٣

3. صاحب الهوى ليس له معايير ضابطة، ولا مقاييس ثابتة، يردُّ الدليل إذا خالف هواه لأدنى احتمال، ويستدل به على ما فيه من إشكال أو إجمال، وإذا لم يستطع ردَّ الدليل لقوته، حمله على غير وجهه، وصرفه عن ظاهره إلى احتمال مرجوح بغير دليل، **قال ابن تيمية**: "والمفترقة من أهل الضلال تجعل لها دينًا وأصول دين قد ابتدعوه برأيهم، ثم يعرضون على ذلك القرآن والحديث، فإن وافقه احتجوا به اعتضادًا لا اعتمادًا، وإن خالفه فتارة يحرفون الكلم عن مواضعه ويتأولونه على غير تأويله، وهذا فعل أئمتهم، وتارة يعرضون عنه، ويقولون: نفوّض معناه إلى الله ﷿، وهذا فعل عامتهم"[1]

4. صاحب الهوى إذا كان عنده شيء من العلم الشرعي مفزع كل مفترٍ، ومأوى كل مبطلٍ، ومستشار كل طاغٍ، وفتنة كل جاهل، بما يسوغه لهم من الآراء الباطلة، ويسوقه لهم من الأدلة الزائفة، ويلبس عليهم به من الشبه الصارفة، **قال الحسن البصري** رضي الله عنه: "شرار عباد الله الذين يتبعون شرار المسائل؛ ليعموا بها عباد الله ﷿"[2]

[1] مجموع الفتاوي لابن تيمية (13/ 142)
[2] الإبانة الكبرى لابن بطة (1/ 402)






5. صاحب الهوى تسهل استمالته من قبل أعداء الأمة، والمتربصين بها الدوائر، فسرعان ما يرتد خنجراً في خاصرة الأمة، وسوطاً يلهبُ ظهرَها، وعيناً يكشف سرها، ويبدي سوأتها، ويهتك سترها، داعيةً لتثبيط العزائم، إماماً لكل متهتك وخائن.

6. صاحب الهوى مفرق لجماعة المسلمين، مبتغٍ لهم العنت والمشقة، الطعن في الصالحين ديدنه، والهمز واللمز دأبه، والحسد طبعه، تراه معتزلاً كل من يخالف هواه، وإن كان أهدى سبيلاً، مقرباً لكل من هو على شاكلته وإن كان للشيطان قبيلاً، قال عنبسة بن سعيد: "ما ابتدع رجل بدعة إلا غلَّ صدرُه على المسلمين، واختلجتْ منه الأمانة" وذلك لأن "جميع المعاصي يجتمع فيها هذان الوصفان، وهما العداوة والبغضاء، والصد عن ذكر الله ﷻ وعن الصلاة، فإن التحابّ والتآلف إنما هو بالإيمان، والعمل الصالح كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ مريم: ٩٦، أي: يلقي بينهم المحبة، فيحب بعضهم بعضاً، فيتراحمون، ويتعاطفون، بما جعل الله ﷻ لبعضهم في قلوب بعض من المحبة"[1]

## أهل الأهواء والبدع

"هم أهل القبلة الذين لا يكون معتقدهم معتقد أهل السنة"[2] ،كالذين يُكَفِّرون بالكبيرة أو يقولون بعصمة الأئمة أو سقوط التكاليف عن الواصل بزعمهم وكالذين يقدمون العقل على النصوص الشرعية، وقد صاروا فرقاً لاتباع أهوائهم، وبمفارقة الدين تشتت أهواؤهم فافترقوا، ولذلك برأ الله ﷻ نبيه ﷺ منهم بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟

[1] تاريخ دمشق لابن عساكر (47/ 13)
[2] التعريفات للجرجاني ص 40




يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ الأنعام: ١٥٩، ومن علامات أهل الأهواء أنهم يكفرون المخالف لهم ويفسقونه ويبدعونه بلا سبب موجب، وعادتهم التقاطع والتنافر والتباغض، أما أهل السنة فكانوا يتناظرون في المسألة ما يقصدون إلا الخير ولا يتقاطعون ولا يتبارون حذراً من الفرقة التي نبه عليها بقوله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ الأنعام: ١٥٩، ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٥﴾ ﴾ آل عمران: ١٠٥، ولا يسلم العبد من الأهواء والبدع إلا بالرجوع للكتاب والسنة، وأن يكون على مثل ما كان عليه رسول الله ﷺ والصحابة ﵃.

## أثر اتباع الهوى على المجتمع والفرد

إنّ انقياد الإنسان واتّباعه للشّهوة يجعله في مصافّ الحيوانات، ويجلب له الخزي في الدّنيا، والعذاب في الآخرة.

يقول الجاحظ: "إذا تمكّنت الشّهوة من الإنسان وملكته وانقاد لها كان بالبهائم أشبه منه بالنّاس، لأنّ أغراضه ومطلوباته وهمّته تصير أبداً مصروفة إلى الشّهوات واللّذّات فقط، وهذه هي عادة البهائم، ومن يكون بهذه الصّفة يقلّ حياؤه، ويكثر خرقه، ويستوحش من أهل الفضل، ويبغض أهل العلم، ويودّ أصحاب الفجور، ويستحبّ الفواحش، ويسرّ بمعاشرة السّخفاء، ويغلب عليه الهزل وكثرة اللهو، وقد يصير من هذه الحالة إلى الفجور، وارتكاب الفواحش، والتّعرّض للمحظورات، وربّما دعته محبّة اللّذّات إلى اكتساب الأموال من أقبح وجوهها، وربّما حملته على الغضب والتّلصّص والخيانة وأخذ ما ليس له بحقّ؛ فإنّ اللّذّات لا تتمّ إلّا بالأموال والأعراض، فمحبّ اللّذّة إذا




تعذّرت عليه الأموال من وجوهها، جسّرته شهوته إلى اكتسابها من غير وجوهها، ومن تنتهي به شهواته إلى هذا الحدّ، فهو أسوأ النّاس حالا، ويصبح من الأشرار الّذين يخاف خبثهم، ويصير واجبا على متولّي السّياسات تقويمهم وتأديبهم، وإبعادهم ونفيهم، حتّى لا يختلطوا بالنّاس فإنّ اختلاط من هذه صفته بالنّاس مضرّة لهم، وبخاصّة الأحداث منهم، لأنّ الحدث صغير السّنّ سريع الانطباع، ونفسه مجبولة على الميل إلى الشّهوات، فإذا شاهد غيره مرتكباً لها، مستحسناً للانهماك فيها، مال هو أيضاً إلى الاقتداء به"[1]

## اتباع الهوى من علامات أهل البدع

قال الشّاطبيّ: "وهو يذكر علامات أهل البدع، منها: الفرقة الّتي نبّه عليها قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ الأنعام: ١٥٩، ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٥﴾ ﴾ آل عمران: ١٠٥، فعزا إلى بعض المفسّرين: أنّهم صاروا فرقاً لاتّباع أهوائهم، وبمفارقة الدّين تشتّتت أهواؤهم فافترقوا ثمّ برّأ الله ﷻ نبيّه ﷺ منهم بقوله: ﴿ لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍ ﴿١٥٩﴾ ﴾ ثمّ ذكر أنّ الصّحابة ﷺ اختلفوا ولم يتفرّقوا إلى أن قال – رحمه الله ﷻ-: فكلّ مسألة حدثت في الإسلام فاختلف النّاس فيها ولم يورث ذلك الاختلاف بينهم عداوة ولا بغضاء ولا فرقة علمنا أنّها من مسائل الإسلام، وكلّ مسألة طرأت فأوجبت العداوة والتّنافر والتّنابز والقطيعة علمنا أنّها ليست من أمر الدّين في شيء، قال: فيجب على كلّ ذي دين وعقل أن يجتنبها، فإذا اختلفوا وتقاطعوا كان ذلك لحدث أحدثوه من

[1] تهذيب الأخلاق للجاحظ بتصرف ص 15 - 16

اتّباع الهوى، وذكر منها أيضاً: اتّباع الهوى: وهي الّتي نبّه عليها قوله ﷻ: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴿٧﴾ ﴾ آل عمران: ٧، وهو الميل عن الحقّ اتّباعاً للهوى، وقوله ﷻ: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ القصص: ٥٠، وقوله ﷻ: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الجاثية: ٢٣"[1]

## الفرق بين اتباع الهوى والصفات الأخرى

### 1. الفرق بين الهوى والشهوة:

يقول الماورديّ: "فرق ما بين الهوى والشّهوة، أنّ الهوى مختصّ بالآراء والاعتقادات، والشّهوة مختصّة بنيل المستلذّات فصارت الشّهوة من نتائج الهوى، والهوى أصل وهو أعمّ"[2]

وقال الرّاغب الأصفهاني في الفرق بين الهوى والشّهوة: "أنّ الشّهوة ضربان: محمودة ومذمومة، فالمحمودة من فعل الله ﷻ، والمذمومة من فعل البشر، وهي استجابة النّفس لما فيه لذّاتها البدنيّة، والهوى هو هذه الشّهوة الغالبة إذا استتبعتها الفكرة، وذلك أنّ الفكرة بين العقل والشّهوة، فالعقل فوقها، والشّهوة تحتها، فمتى ارتفعت الفكرة ولّدت المحاسن، وإذا سفلت ولّدت القبائح"[3]

### 2. الفرق بين ما يسومه العقل وما يسومه الهوى:

[1] الموافقات للشاطبي (5/ 160 – 165) بتصرف
[2] أدب الدنيا والدين للماوردي ص 33
[3] الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني ص 94



يوضّح الرّاغب الأصفهاني ذلك فيما يلي:

"1. من شأن العقل أن يرى ويختار أبدا الأصلح في العواقب وإن كان في المبدأ على النّفس مشقّة، والهوى على الضّدّ من ذلك، فإنّه يؤثر ما يدفع به المؤذي في الوقت العاجل وإن كان يعقبه مضرّة في الآجل، ولذلك قال رسول الله ﷺ: "حفّت الجنّة بالمكاره، وحفّت النّار بالشّهوات"[1]

2. الهوى يري الإنسان ماله دون ما عليه، ويعمّي عليه ما يعقبه من المكروه، أمّا العقل فإنّه يري الإنسان ما له وما عليه، وما يريه العقل يتقوّى إذا فزع فيه المرء إلى الله عزّ وجلّ بالاستخارة.

3. العقل يري ما يري بحجّة وعذر، والهوى يري ما يري بشهوة وميل"[2]

## مضار اتباع الهوى

"1. حبوط الأعمال وإن كانت كثيرة.

2. من لوازمه دعوى عدم كمال الدّين.

3. صاحبه من أعوان الشّيطان ومن أعداء الرّحمن سبحانه وتعالى.

4. أبغض إلى الله عزّ وجلّ من كثير من المعاصي.

5. صاحبه لا يرجى له التّوبة بخلاف أهل المعاصي.

6. كلّ البدع ضلال ليس فيها شيء حسن.

7. أنواعها في العقيدة والعبادة وشرّها بدع العقيدة.

8. البدع تركيّة وفعليّة، وكلّها مذمومة.

9. إثمها متجدّد لا ينقطع مادام يعمل بها في الأرض.

[1] رواه مسلم (4/ 2174)

[2] الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني ص 92 بتصرف





10. من أقرب مداخل الشّيطان للإنسان.

11. تؤدّي إلى خلط الحقّ بالباطل وحيرة الأغرار في التّمييز بينهما.

12. تؤدّي إلى نفرة من ليس له قدم في فهم الإسلام منه لكثرة ما يظنّ من تكاليفه"[1]

## علاج اتباع الهوى

يعالج بالعزم القويّ في هجران ما يؤذي، والتّدرّج فيما لا يؤمن أذاه، وهذا يفتقر إلى صبر ومجاهدة، ويهوّن ذلك على المبتلى أمور سبعة هي:

"1. التّفكّر في أنّ الإنسان لم يخلق للهوى، وإنّما هيئ للنّظر في العواقب والعمل للآجل، فلو كان نيل المشتهى فضيلة لما بخس الإنسان- وهو سرف في حظّه- منه وزاد عن حظّ البهائم، وفي توفير حظّ الآدميّ من العقل وبخس حظّه من الهوى دليل على فضل هذا وذاك.

2. التّفكّر في عواقب الهوى، فكم فوّت من فضيلة، وكم قد أوقع في رذيلة، وكم من زلّة أوجبت انكسار جاه وقبح ذكر مع إثم، غير أنّ صاحب الهوى لا يرى إلّا الهوى.

3. تصوّر العاقل لانقضاء غرضه من هواه، ثمّ يتصوّر مدى الأذى الّذي يحصل له عقب اللّذّة، فإنّه حينئذ سيرى أنّ ما حصل له من الأذى يربو على الهوى أضعافاً مضاعفة.

4. تصوّر عاقبة ذلك في حقّ غيره؛ فعندئذ سيرى ما يعلم به عيب نفسه إن هو وقف في ذلك المقام وارتكس في هذه الآثام.

5. التّفكّر في حقيقة ما يناله باتّباعه هواه من اللّذّات والشّهوات، فإنّ العقل سيخبره أنّه ليس بشيء، وإنّما عين الهوى عمياء.

[1] نظرة النعيم (9/ 3770)







6. التّدبّر لما يحصل له من عزّ الغلبة إن ملك نفسه، وذلّ القهر إن غلبته، فما من أحد غلب هواه إلّا أحسّ بقوّة العزّ، وما من أحد غلبه هواه إلّا وخز في نفسه ذلّ القهر.

7. التّفكّر في فائدة مخالفة الهوى من اكتساب الذّكر الجميل في الدّنيا، وسلامة النّفس والعرض والأجر في الآخرة، ثمّ يعكس فيتفكّر لو وافق هواه في حصول عكس ذلك على الأبد، من كان يكون يوسف لو نال تلك اللّذّة؟ فلمّا تركها وصبر عنها بمجاهدة ساعة، صار من قد عرفت"[1]

[1] ذم الهوى لابن الجوزي ص 14 - 15

www.alukah.net





# المرض السادس والثلاثون
# الانتقام

## تعريف الانتقام

### في اللغة:

يقول ابن فارس: "النّون والقاف والميم أصل يدلّ على إنكار شيء وعيبه، ونقمت عليه أنقم: أنكرت عليه فعله، والنّقمة من العذاب والانتقام، كأنّه أنكر عليه فعاقبه"[1] فالعقوبة ناتجة عن الإنكار، يقول الرّاغب الأصفهاني: "نقمت الشّيء، ونقمته إذا أنكرته إمّا باللّسان وإمّا بالعقوبة، قال ﷻ: ﴿ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦۚ ﴿٧٤﴾ ﴾ التوبة: ٧٤، والنّقمة: العقوبة"[2]

قال ابن منظور: "النّقمة والنّقمة: المكافأة بالعقوبة، والجمع نقم ونقم، فنقم لنقمة، ونقم لنقمة، وقال اللّيث: "يقال لم أرض منه حتّى نقمت وانتقمت إذا كافأه عقوبة بما صنع"[3]

قال ابن الأعرابيّ: "النّقمة العقوبة، والنّقمة الإنكار، وقوله ﷻ: ﴿ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ ﴿٥٩﴾ ﴾ المائدة: ٥٩ أي هل تنكرون"[4]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "ما ضرب رسول الله ﷺ خادماً له قط، ولا امرأة له قط، ولا ضرب بيده، إلا أن يجاهد في سبيل

---

[1] مقاييس اللغة لابن فارس (5/ 464)
[2] المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص 822
[3] لسان العرب لابن منظور (12/ 590)
[4] تهذيب اللغة للهروى (9/ 163)





شبكة الألوكة - قسم الكتب

الله، وما نيل منه شيء فانتقمه من صاحبه، إلا أن تنتهك محارم الله ﷻ"[1]، أي ما عاقب أحداً على مكروه أتاه من قبله"[2]

ونقمت الأمر ونقمته إذا كرهته، وانتقم الله ﷻ منه أي عاقبه، والاسم منه النّقمة، والجمع نقمات ونقم مثل كلمة وكلمات، وكلم، وفي التّنزيل العزيز: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴿٥٩﴾ ﴾ المائدة: ٥٩، قال أبو إسحاق: "يقال نقمت على الرّجل أنقم ونقمت عليه أنقم، قال: والأجود نقمت أنقم، وهو الأكثر في القراءة"، وقال ابن برّيّ: "يقال: نقمت نقما ونقوما ونقمة، ونقمة، ونقمت: بالغت في كراهة الشّيء، ومن أسمائه ﷻ: المنتقم، وهو البالغ في العقوبة لمن شاء، وهو مفتعل من نقم ينقم إذا بلغت به الكراهة حدّ السّخط"[3]

## في الشرع:

"الانتقام هو: إنزال العقوبة مصحوبًا بكراهية تصل إلى حدِّ السَّخط"[4]

قال أبو هلال العسكريُّ: "الانتِقَام: سَلْبُ النِّعمة بالعذاب"[5]

## حكم الانتقام

الانتِقَام جائزٌ إذا انتُهِك شيءٌ مِن محارم الله ﷻ، وأمَّا في غير ذلك العفو والصَّفح أولى وأفضل، فعن عائشة رضي الله عنها أنَّها قالت: ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلَّا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد النَّاس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه، إلَّا أن تُنْتَهَك حُرْمَة الله، فينتقم لله بها"[6]

[1] مسند أحمد (40/ 37)
[2] النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (5/ 110)
[3] لسان العرب لابن منظور (12/ 591)
[4] نظرة النعيم (9/ 4007)
[5] الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص 240
[6] رواه البخاري (4/ 189)، رواه مسلم (4/ 1813)

والله ﷻ قد أذن لمن اعتُدي عليه أن يردَّ بالمثل على مَن اعتدى عليه، قال ﷻ: ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴿١٩٤﴾ ﴾ البقرة: ١٩٤، وقال ﷻ: ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴿٤٠﴾ ﴾ الشورى: ٤٠، ومع هذا فقد بيَّن ﷻ أنَّ العفو عن المعتدي والتَّغاضي عن خطئه، أفضل مِن الانتِقَام منه، قال ﷻ: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ الشورى: ٤٠، وهذا فيما يتعلَّق بحقوق العباد مِن ضربٍ وتعدِّي أو تجنِّي ونحو ذلك.

وأمَّا إن كان الاعتداء حاصلًا في شيء مِن حقوق الله ﷻ، كالجور في الحكم بين الخصوم، أو الخيانة في الأهل ونحو ذلك، فإنَّ الاعتداء بالمثْل حينئذ لا يجوز، فليس لك أن تجور في الحكم، ولا أن تخونه في أهله؛ لأنَّ ذلك اعتداء على حقوق الله ﷻ وحدوده.

قال القرطبيُّ في تفسير قوله ﷻ: ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ الشورى: ٤٠، ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ قال العلماء: جعل الله ﷻ المؤمنين صنفين؛ صنفٌ يعفون عن الظَّالم، فبدأ بذكرهم في ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ الشورى: ٣٧، وصنفٌ ينتصرون من ظالمهم، ثمَّ بيَّن حدَّ الانتصار بقوله: ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ فينتصر ممَّن ظلمه مِن غير أن يعتدي، قال مقاتل وهشام بن حُجَير: "هذا في المجروح ينتقم مِن الجارح بالقِصَاص دون غيره مِن سب أو شتم"[1]

[1] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (16/ 40)



قال ابن رجب: "وأما قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ الشورى: ٣٩، فليس منافيًا للعفو، فإنَّ الانتصار يكون بإظهار القُدْرة على الانتِقَام، ثمَّ يقع العفو بعد ذلك، فيكون أتمَّ وأكمل"[1]

قال الأبشيهي: "والذي يجب على العاقل إذا أَمْكَنه الله ﷻ ألا يجعل العقوبة شيمته، وإن كان ولا بدَّ مِن الانتِقَام، فليرفق في انتقامه، إلَّا أن يكون حدًّا مِن حدود الله ﷻ"[2]

## أسباب الانتقام

1. عدم التَّحلِّي بالحِلْم والصَّبر.
2. عدم التَّحلِّي بالعفو والصَّفح.
3. عدم القُدْرَة على كَظْم الغَيْظ.
4. الغضب، وهو مِن أهمِّ الأسباب المؤدِّية إلى إيقاع الأذى بالشَّخص المنتقم منه، فالإنسان عندما يغضب، تدعوه نفسه إلى البطش والانتِقَام.
5. العداوة والبغضاء والحقد، قال الغزَّالي: "فإنَّ مَن آذاه شخصٌ بسببٍ مِن الأسباب، وخالفه في غرضٍ بوجهٍ مِن الوجوه، أبغضه قلبه وغضب عليه، ورسخ في نفسه الحقد، والحقد يقتضي التَّشفِّي والانتِقام، فإن عجز المبْغِض عن أن يتشفَّى بنفسه، أحبَّ أن يتشفَّى منه الزَّمان، وربَّما يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله ﷻ، فمهما أصابت عدوَّه بليَّةٌ فرح بها، وظنَّها مكافأة له مِن جهة الله ﷻ على بغضه،

[1] جامع العلوم والحكم لابن رجب (1/ 450)
[2] المستطرف في كل فن مستطرف للأبشيهي ص 197

www.alukah.net
شبكة الألوكة


وأنَّها لأجله، ومهما أصابته نعمة ساءه ذلك؛ لأنَّه ضدُّ مراده، وربَّما يخطر له أنَّه لا منزلة له عند الله عَزَّلَجَلَّ، حيث لم ينتقم له مِن عدوّهِ الذي آذاه، بل أنعم عليه"[1]

6. تسمية بعض الجهَّال الانتِقَام شجاعةً ورجولةً وعزَّة نفسٍ وكِبر همَّة، وتلقيبه بالألقاب المحمودة غباوةً وجهلًا، حتى تميل النَّفس إليه وتستحسنه.

7. وقوع أذية أو إساءة تدفع إلى الرغبة في الانتقام.

8. عدم الانتصاف للمظلوم، وردِّ الحقوق لأصحابها.

## آثار الانتقام

1. أنَّ صاحب هذه الصِّفة لا ينال السِّيادة والشَّرف، **قال داود بن رشيد**: قالت حكماء الهند: "لا ظفر مع بغي، ولا سؤدد مع انتقام"[2]

**وعن ابن الكلبيِّ عن أبيه، قال**: "كان سلم بن نوفل الدِّيليُّ سيِّد بني كِنَانة، فخرج عليه ذات ليلة رجل مِن قومه، فضربه بالسَّيف، فأُخِذ بعد أيامٍ، فأُتِيَ به سلم بن نوفل، فقال: ما الذي فعلت؟! أما خشيت انتقامي؟! قال: له فلِمَ سوَّدناك إلَّا أن تكَظْم الغَيْظ، وتعفو عن الجاني، وتَحْلُم عن الجاهل، وتحتمل المكروه في النَّفس والمال. فخلَّى سبيله"[3]

2. أنَّ الانتِقَام ليس مِن عادة الكرام، **قال بعض البلغاء**: "ليس مِن عادة الكِرَام سرعة الانتِقَام، ولا مِن شروط الكَرَم إزالة النِّعم"[4]

3. أنَّ المنتقم لا يجب شكره ولا يحمد ذكره، **قال الأبشيهي**: "قيل: مَن انتقم فقد شَفَى غَيْظه، وأخذ حقَّه، فلم يجب شُكْرُه، ولم يُحمَد في العالمين ذِكْرُه"[5]

[1] إحياء علوم الدين للغزالي (3/ 192)
[2] المجالسة وجواهر العلم للدينوري (4/ 358)
[3] المجالسة وجواهر العلم للدينوري (4/ 498)
[4] أدب الدنيا والدين للماوردي ص 260
[5] المستطرف في كل فن مستطرف للأبشيهي ص 197



شبكة الألوكة - قسم الكتب

4. أنَّ الانتِقَام يعقبه النَّدامة، قال ابن القيِّم: "فما انتقم أحدٌ لنفسه قطُّ إلَّا أعقبه ذلك ندامة"[1]

5. يُوَلِّد بين النَّاس الأحقاد والضَّغائن.

## أنواع الانتقام

الانتقام يكون أحياناً محموداً، وأحياناً مذموماً، فهو محمود لمن ابتلي بشيء من الولايات بأن يكون ذلك من الجناة الّذين ينتهكون محارم الله ﷻ بالحدود والتّعزيرات والعقوبات المشروعات، ويكون مذموماً إذا تعلّق الأمر بالأفراد، إذا أصيبوا بالأذى؛ لأنّ فيه تركاً للتّخلّق بالعفو الّذي أمرنا بالتّخلّق به لما فيه من الإحسان إلى المسيء واقتداء بسنّة النبي ﷺ الّذي لم ينتقم لنفسه قطّ، وإنّما كان ذلك منه إذا انتهكت حرمات الله ﷻ"[2]

## المنتقم من أسماء الله ﷻ

قال الغزاليّ: "المنتقم: هو الّذي يقصم ظهور العتاة، وينكّل بالجناة، ويشدّد العقاب على الطّغاة، وذلك بعد الإعذار والإنذار، وبعد التّمكّن والإمهال وهو أشدّ للانتقام من المعاجلة بالعقوبة، فإنّه إذا عوجل بالعقوبة لم يمعن في المعصية، فلم يستوجب العاصي غاية النّكال في العقوبة"[3]

قال ابن منظور: "المنتقم هو البالغ في العقوبة لمن شاء، وهو على وزن مفتعل من نقم ينقم: إذا بلغت به الكراهة حدّ السّخط"[4]

قال الزّجّاج: "النّقمة كراهة يضامّها سخط فمن كره أمراً من الأمور مع سخط منه له فهو ناقم، وقد كره الله ﷻ أموراً وسخط أموراً فهو نقم عليها ومنتقم منها"[5]

[1] مدارج السالكين لابن القيم (2/ 303)
[2] شجرة المعارف والأحوال للعز بن عبد السلام (مجانبة الانتقام ص 183، والتخلق بالانتقام ص 36
[3] المقصد الأسنى للغزالي ص 139
[4] لسان العرب لابن منظور (12/ 591)
[5] تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ص 62





**قال العزّ بن عبد السّلام:** "المنتقم: هو المعذّب لمن يشاء من عباده عدلاً "[1]

## الفرق بين الانتقام والصفات الأخرى

### الفرق بين الانتِقَام والعقاب:

"أنَّ الانتِقَام: سَلْبُ النِّعمة بالعذاب.

والعقاب: جزاء على الجُرم بالعذاب، لأنَّ العقاب نقيض الثَّواب، والانتِقَام نقيض الإنعام"[2]

## مضار الانتقام

"1. صفة ذميمة يبغضها الله ﷻ ورسوله ﷺ.

2. إذا انتقم العبد ظلماً وعدواناً انتقم الله ﷻ منه.

3. يورث الأحقاد والضّغائن بين النّاس.

4. الانتقام لا يأتي من نبيل كريم ولا يفعله إلّا خسيس لئيم.

5. الانتقام أقرب إلى الظّلم، ومن استمرأه صار في عداد الظّالمين.

6. الّذي ينتقم ممّن هو دونه لا يأمن من انتقام من هو فوقه"[3]

## علاج الانتقام

### 1. تذكُّر انتقام الله ﷻ مِن أهل معاصيه:

قال ﷻ: ﴿ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ ﴾ إبراهيم: ٥، **قال الطبري:** "أيَّامه التي انتقم فيها مِن أهل معاصيه مِن الأمم، خوَّفهم بها، وحذَّرهم إيَّاها، وذكَّرهم أن يصيبهم ما أصاب الذين مِن قبلهم"[4]

---

[1] شجرة المعارف والأحوال للعز بن عبد السلام ص 36
[2] الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص 240
[3] نظرة النعيم (9/ 4015)
[4] جامع البيان للطبري (16/ 522)



### 2. العفو والصَّفح:

**قال ابن تيمية:** "الإنسان إذا عفا وأحسن، أورثه ذلك مِن سلامة القلب لإخوانه، ونقائه مِن طلب الانتِقَام وإرادة الشَّرِّ، وحصل له مِن حلاوة العفو ما يزيد لذَّته ومنفعته عاجلًا وآجلًا على المنفعة الحاصلة له بالانتقام أضعافًا مضاعفةً"[1]

**قال ابن حبَّان:** "ولم يُقْرَن شيءٌ إلى شيءٍ أحسن مِن عفوٍ إلى مَقْدِرة، والحِلْم أجمل ما يكون مِن المقتدر على الانتِقَام"[2]

### 3. كَظْم الغَيْظ:

قال ﷻ: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤، **قال السعدي:** "قوله ﷻ: ﴿ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ ﴾ أي: إذا حصل لهم مِن غيرهم أذيَّةٌ توجب غيظهم، وهو امتلاء قلوبهم مِن الحَنَق الموجب للانتقام بالقول والفعل، هؤلاء لا يعملون بمقتضى الطِّباع البشريَّة، بل يكظمون ما في القلوب مِن الغيظ، ويصبرون عن مقابلة المسيء إليهم"[3]

### 4. تجنُّب السُّخرية والاستهزاء بين أفراد المجتمع:

فشيوع أمثال هذه الأخلاق يبْذُر بذور العداوة والبغضاء بين الناس، ويوَلِّد الرَّغبة في الانتِقَام.

---

[1] جامع المسائل لابن تيمية ص 169

[2] روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان ص 208

[3] تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 148




### 5. الخوف مِن ضياع الزَّمان والعمر، وتفرُّق القلب وفَوْت المصالح:

**قال ابن تيمية:** "أن يعلم أنَّه إذا اشتغلت نفسه بالانتِقَام وطلب المقَابَلة، ضاع عليه زمانه، وتفرَّق عليه قلبه، وفاته مِن مصالحه ما لا يمكن استدراكه، ولعلّ هذا أعظم عليه من المصيبة التي نالتْه من جهتهم، فإذا عفا وصَفحَ فَرغَ قلبُه وجسمُه لمصالحه التي هي أهمُّ عنده من الانتقام"[1]

### 6. التَّفكير بأنَّ في الانتِقَام زيادة شرِّ الخصومة:

فإذا انتقم لنفسه، تسبَّب إلى زيادة شرِّ خصمه.

### 7. فراغ القلب مِن الاشتغال به والفِكْر فيه:

**قال ابن القيم:** "وأن يقصد أن يمحوه مِن باله كلَّما خطر له، فلا يلتفت إليه، ولا يخافه، ولا يملأ قلبه بالفِكر فيه"[2]

8. الإقبال على الله عز وجل والإخلاص له، وذلك في كلِّ وقت وحين.

9. دفع أسباب الانتِقَام: ومنها الغضب: ولا يأتي إلَّا عند هيجانه، فلا بدَّ مِن معرفة العلاج للغضب عند هيجانه؛ حتى يتسنَّى للمرء التَّخلُّص مِن هذه المعضلة، **وقد ذكر الغزَّالي** أسباب علاج الغضب، فقال: "وإنَّما يُعَالَج الغضب عند هيجانه بمعجون العلم والعمل، **وأمَّا العلم فهو أمور:**

**الأوَّل:** أن يتفكَّر فيما ورد في فضل كَظْم الغَيْظ والعفو والحِلْم والاحتمال، فيرغب في ثوابه، وتمنعه الرَّغبة في الأجر عن الانتِقَام، وينطفئ عنه غيظه.

**الثَّاني:** أن يخوِّف نفسه بعقاب الله عز وجل لو أمضى غضبه، وهل يأمن مِن غضب الله عز وجل يوم القيامة، وهو أحوج ما يكون إلى العفو.

---
[1] جامع المسائل لابن تيمية ص 170
[2] بدائع الفوائد لابن القيم (2/ 240)



**الثَّالث**: أن يحذِّر نفسه عاقبة العداوة والانتِقَام، وتشمُّر العدو لمقابلته، والسَّعي في هدم أغراضه، والشَّماتة بمصائبه، وهو لا يخلو عن المصائب، فيخوِّف نفسه بعواقب الغضب في الدُّنيا، إن كان لا يخاف مِن الآخرة.

**الرَّابع**: أن يتفكَّر في قُبْح صورته عند الغضب، بأن يتذكَّر صورة غيره في حالة الغضب، ويتفكَّر في قُبْح الغضب في نفسه، ومشابهة صاحبه للكلب الضَّاري والسَّبع العادي، ومشابهة الحليم الهادي التَّارك للغضب للأنبياء والأولياء والعلماء والحكماء، ويخيِّر نفسه بين أن يتشبَّه بالكلاب والسِّباع وأراذل النَّاس، وبين أن يتشبَّه بالعلماء والأنبياء في عادتهم؛ لتميل نفسه إلى حب الاقتداء بهؤلاء إن كان قد بقي معه مُسْكَةٌ مِن عقل.

**الخامس**: أن يتفكَّر في السَّبب الذي يدعوه إلى الانتِقَام، ويمنعه مِن كَظْم الغَيْظ، مثل قول الشَّيطان له: إنَّ هذا يحمل منك على العجز والذِّلَّة وتصير حقيرًا في أعين النَّاس. فيقول لنفسه: "ما أعجبك! تأنفين مِن الاحتمال الآن، ولا تأنفين مِن خزي يوم القيامة، ولا تحذرين مِن أن تصغري عند الله والملائكة والنَّبيين"، فمهما كَظَمَ الغَيْظ فينبغي أن يكظمه لله عَزَّ وَجَلَّ، وذلك يعظِّمه عند الله عَزَّ وَجَلَّ، فما له وللنَّاس؟!

**السَّادس**: أن يستشعر لذَّة العفو، فلو علم النَّاس أنَّ لذَّة العفو خيرٌ مِن لذَّة التَّشفِّي؛ لأنَّ العفو يأتي بالحمد، والتَّشفِّي يأتي بالنَّدم، لو علموا هذا ما انتقم لنفسه إنسان، لأنَّه لو فعل كلُّ إنسان هذا، وانتقم لنفسه لانحطَّ عالم الإنسان إلى دَرْك السِّباع والوحوش.

**وأمَّا العمل**: فأن تقول بلسانك: أعوذ بالله مِن الشَّيطان الرَّجيم، وإن كنت قائمًا فاجلس، وإن كنت جالسًا فاضطجع، ويُستحبُّ أن يتوضأ بالماء البارد؛ فإنَّ الغضب مِن النَّار، والنَّار لا يطفئها إلا الماء"[1]

[1] إحياء علوم الدين للغزالي (3/ 173 – 174)


www.alukah.net


# المرض السابع والثلاثون
# البغض والكراهية

## تعريف البغض

### في اللغة:

البغض مصدر قولهم بغض يبغض، وهو مأخوذ من مادّة (ب غ ض) الّتي تدلّ على خلاف الحبّ.

قال الرّاغب الأصفهاني: "البغض نفار النّفس عن الشّيء الّذي ترغب عنه، وضدّه الحبّ من حيث إنّ الحبّ هو انجذاب النّفس إلى الشّيء الّذي ترغب فيه، والفعل من ذلك: بغض وبغض، وبغض، يقال بغض الشّيء يبغضه بغضاً وبغضة، وبغضت الشّيء بغضاء"[1]

وبغض الشّيء بغاضة فهو بغيض، وقيل: البغضاء والبغضة: أشدّ البغض، والتّبغيض، والتّباغض والتّبغّض ضدّ التّحبيب والتّحابب والتّحبّب، ويقال: بغّضه الله عزّ وجلّ إلى النّاس تبغيضاً فأبغضوه أي مقتوه، فهو مبغض، وقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴿١١٨﴾ ﴾ آل عمران: ١١٨،يعني ظهرت العداوة"[2] ، والتّكذيب لكم من أفواههم. والبغضاء: البغض، وهو ضدّ الحبّ. وخصّ سبحانه وتعالى الأفواه دون الألسنة إشارة إلى تشدّقهم وثرثرتهم في أقوالهم هذه، فهم فوق المتستّر

[1] المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص 136
[2] لسان العرب لابن منظور (7/ 121 – 122)





شبكة الألوكة - قسم الكتب

الّذي تبدو البغضاء في عينيه، وفي قوله ﷻ: ﴿ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾: إخبار وإعلام بأنّهم يبطنون من البغضاء أكثر ممّا يظهرون بأفواههم"[1]

**قال ابن منظور:** "البغض والبغضة نقيض الحبّ، والبغضاء والبغاضة جميعاً شدّة البغض"[2]

**قال الرازي:** "البغض ضد الحب، وقد بغض الرجل من باب ظرف أي صار بغيضاً وبغضه الله ﷻ إلى الناس تبغيضاً فأبغضوه أي مقتوه فهو مبغض، والبغضاء شدة البغض وكذا البغضة بالكسر، وقولهم: ما أبغضه لي شاذ والتباغض ضد التحاب"[3]

## في الشرع:

**قال الكفويّ:** "البغض: عبارة عن نفرة الطّبع عن المؤلم المتعب، فإذا قوي يسمّى مقتاً"[4]

**قال المناويّ** ما ذكره الرّاغب الأصفهاني عن البغض فقال: "البغض: نفور النّفس عن الشّيء الّذي يرغب عنه"[5]

**قال ابن علان:** "البغض: النّفرة عن الشّيء لمعنى فيه مستقبح، وترادفه الكراهة"[6]

# تعريف الكراهية

## في اللغة:

**قال ابن فارس:** "كره: الكاف والراء والهاء أصل صحيح واحد، يدل على خلاف الرضا والمحبة، يقال: كرهت الشَّيء أكرهه كراهة وكراهية، فهو شيء كريه ومكروه،

[1] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (4/ 180 – 181)
[2] لسان العرب لابن منظور (7/ 121)
[3] مختار الصحاح للرازي ص 37
[4] الكليات للكفوي ص 398
[5] التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص 81، المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص 136
[6] دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لابن علان (3/ 22)




والكره الاسم، ويقال: بل الكره: المشَقَّة، والكرْه: أن تكلَّف الشَّيء فتعمله كارهًا، ويقال: مِن الكره الكراهية والكراهيَّة وأكرهته على كذا: حملته عليه كرهًا"[1]

## في الشرع:

**قال ابن عاشور:** "الكره: الكراهية ونفرة الطَّبع مِن الشَّيء، ومثله الكره على الأصح"[2]

**قال الراغب الأصفهاني:** "الكره: المشقّة التي تنال الإنسان من خارج فيما يحمل عليه بإكراه"[3]

## أسباب البغض والكراهية

1. الغيبة والنَّمِيمَة مِن الأسباب الرَّئيسة للكَرَاهِية والبَغْضَاء والتَّشاحن، **قال بعض الحكماء:** "النَّمِيمَة تهدي إلى القلوب البَغْضَاء، ومَن واجهك فقد شتمك، ومَن نقل إليك فقد نقل عنك، والسَّاعي بالنَّمِيمَة كاذبٌ لمن يسعى إليه، وخائن لمن يسعى به"[4]

2. الكذب والغش؛ فإنَّه يترك أثر الكراهية بين الغاش والمغشوش.

3. قسوة القلب والغلظة والفظاظة: فهذه الأخلاق تنفّر بين القلوب، وتشيع الكراهية والبغضاء، قال ﷻ: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ آل عمران: ١٥٩

4. التَّجسُّس: فالتَّجسُّس سبيل إلى الكراهة والبغض بين النَّاس، **قال ابن عثيمين:** "التجسس أذية، يتأذَّى به المتجسس عليه، ويؤدي إلى البغضاء والعداوة"[5]

---

[1] مقاييس اللغة لابن فارس (5/ 172)
[2] التحرير والتنوير لابن عاشور (2/ 320)
[3] المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص 707
[4] بحر الدموع لابن الجوزي ص 130
[5] شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (6/ 251 – 252)



5. الغيرة: **قال ابن القيم**: "إنَّ الغيرة تتضمَّن البُغْض والكَرَاهَة"[1]

6. عدم العدل عمومًا سببٌ مِن أسباب البغض، فعدم العدل بين الزَّوجات يولِّد الحقد والكَراهِية بين الزَّوجات، وبين الزَّوج وزوجاته، وعدم العدل بين الأبناء يولِّد الشَّحناء والبَغْضاء، وتسود بينهم روح الكَرَاهِية.

7. التَّعدِّي على حقوق الإنسان بأي نوعٍ مِن أنواع التَّعدِّي.

8. الاستئثار بالمنافع، وعدم إعطائها لمن يستحقُّها.

9. الجدال والمراء: حيث يورِث البَغْضَاء والكَرَاهِية.

10. الخيانة وعدم الأمانة.

11. الكِبْر سببٌ مِن أسباب البُغْض، فالمتكبِّر يبغض النَّاس ويبغضونه.

12. الحسد مِن أهمِّ وأقوى الأسباب التي تُثِير البُغْض بين النَّاس.

13. كثرة العتاب واللوم، ومن أمثال العرب: "كثرة العتاب توجب البَغْضاء"[2]

## آثار البغض والكراهية

1. سببٌ في الوقوع في الافتراء والبهتان على النَّاس، والتَّحامل عليهم عند الخصومة.

2. يتولَّد عنه الحقد الشَّديد للمَبْغُوض.

3. يتسبَّب في انتشار بعض الأمراض الاجتماعيَّة الخطيرة، التي تفتك بالمجتمع وتهدِّد لُحْمَته وتماسكه، كانتشار الإشاعات المغرضة، والتَّحاسد والتَّنافس غير المحمود.

4. سببٌ في فقدان الأمن والأمان في المجتمع؛ فإذا سادت الكَرَاهِية والبَغْضَاء، أحسَّ الفرد أنه يعيش في غابة بين وحوش يتربَّصون به، ويتحيَّنون الفرص لأذيَّته، فيعيش في قلقٍ دائمٍ لا ينتهي.

---

[1] الصواعق المرسلة لابن القيم (4/ 1497)
[2] المستطرف في كل فن مستطرف للأبشيهي ص 37

5. يتسبب في فقدان الحبِّ في المجتمع الواحد، بل في العائلة الواحدة.

6. بسببه تضيع الثِّقة بين أفراد المجتمع، فلا تكاد تجد أحدًا يثق في أحدٍ.

7. انتفاء العدل في المجتمع المتَبَاغِض، ولهذا قيل للعادل: هو الذي إذا غضب لم يُدْخِله غضبه في باطل، وإذا رضي لم يُخْرِجه رضاه عن الحقّ.

8. البُغْض يتسبَّب إلى سوء الخُلق، **يقول الماوردي**: "البُغْض الذي تنفر منه النَّفس فتُحْدِث نفورًا على المبْغَض، فيؤول إلى سوء خُلُق يخصُّه دون غيره"[1]

## البغض بين المدح والذم

**قال ابن رجب**: قوله ﷺ: "ولا تباغضوا" نهى المسلمين عن التّباغض بينهم في غير الله ﷻ بل على أهواء النّفوس، فإنّ المسلمين جعلهم الله ﷻ إخوة، والإخوة يتحابّون بينهم ولا يتباغضون، وقال النّبيّ ﷺ: "والّذي نفسي بيده، لا تدخلوا الجنّة حتّى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتّى تحابّوا، ألا أدلّكم على شيء إذا فعلتموه، تحاببتم؟ أفشوا السّلام بينكم"[2]

وقد حرّم الله ﷻ على المؤمنين ما يوقع بينهم العداوة والبغضاء كما قال ﷻ: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ المائدة: ٩١، وامتنّ على عباده بالتّأليف بين قلوبهم كما قال ﷻ: ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴿١٠٣﴾ ﴾ آل عمران: ١٠٣، وقال ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ

---
[1] أدب الدنيا والدين للماوردي ص 246
[2] رواه مسلم (1/ 74)

﴿أَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ الأنفال: ٦٢ - ٦٣، ولهذا المعنى حرّم المشي بالنّميمة لما فيها من إيقاع العداوة والبغضاء، وأمّا البغض في الله ﷻ فهو من أوثق عرى الإيمان وليس داخلاً في النّهي، ولو ظهر لرجل من أخيه شرّ فأبغضه عليه– وكان الرّجل معذوراً فيه في نفس الأمر– أثيب المبغض له، وإن عذر أخوه كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "إنّا كنّا نعرفكم، إذ رسول الله ﷺ بين أظهرنا وإذ ينزل الوحي وإذ ينبئنا الله من أخباركم، ألا وإنّ رسول الله ﷺ قد انطلق به، وانقطع الوحي، وإنّما نعرفكم بما نخبركم، ألا من أظهر منكم لنا خيراً ظننّا به خيراً وأحببناه عليه، ومن أظهر منكم شرّاً ظننّا به شرّاً وأبغضناه عليه، سرائركم بينكم وبين ربّكم سبحانه وتعالى"[1]

وقال الرّبيع بن خثيم رضي الله عنه: "لو رأيت رجلاً يظهر خيراً ويسرّ شرّاً أحببته عليه آجرك الله سبحانه وتعالى على حبّك الخير، ولو رأيت رجلاً يظهر شرّاً ويسرّ خيراً بغضته عليه آجرك الله سبحانه وتعالى على بغضك الشّرّ"، ولما كثر اختلاف النّاس في مسائل الدّين وكثر تفرّقهم كثر بسبب ذلك تباغضهم وتلاعنهم، وكلّ منهم يظهر أنّه يبغض لله ﷻ وقد يكون في نفس الأمر معذوراً وقد لا يكون معذوراً بل يكون متّبعاً لهواه مقصّراً في البحث عن معرفة ما يبغض عليه، فإنّ كثيراً من البغض كذلك إنّما يقع لمخالفة متبوع يظنّ أنّه لا يقول إلّا الحقّ وهذا الظّنّ خطأ قطعاً، وإن أريد أنّه لا يقول إلّا الحقّ فيما خولف فيه، فهذا الظّنّ قد يخطئ ويصيب، وقد يكون الحامل على الميل إليه مجرّد الهوى والألفة أو العادة، وكلّ هذا يقدح في أن يكون هذا البغض لله ﷻ، فالواجب على المؤمن أن ينصح لنفسه ويتحرّز في هذا غاية التّحرّز"[2]

[1] المستدرك على الصحيحين للحاكم (4/ 485)
[2] جامع العلوم والحكم لابن رجب (2/ 265 – 267)




## أنواع البغض والكراهية

تنقسم البغضاء إلى قسمين:

الأول: منهيٌّ عنه، محرَّمٌ مذموم.

الثاني: مأمورٌ به، مُثابٌ صاحبه، ومِن صوره:

### 1. بغض وكراهية الباطل:

فإنَّ حب الحق وبغض وكراهية الباطل فضيلة خُلقيَّة، فعن عائشة رضي الله عنها: "أنَّها أخبرته أنَّها اشترت نمرقة فيها تصاوير، فلمَّا رآها رسول الله ﷺ قام على الباب، فلم يدخل، فعرفت في وجهه الكَراهِية، فقالت: يا رسول الله، أتوب إلى الله؛ ماذا أذنبت؟ فقال رسول الله ﷺ: ما بال هذه النمرقة؟ قالت: اشتريتها لتقعد عليها وتَوَسَّدَها، فقال رسول الله ﷺ: "إنَّ أصحاب هذه الصُّور يوم القيامة يعذَّبون، يقال لهم: أَحْيُوا ما خلقتم. وقال ﷺ: "إنَّ البيت الذي فيه الصُّور لا تدخله الملائكة"[1]

### 2. بغض وكراهية الكفار والفساق:

قال ﷻ: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴿٤﴾ ﴾ الممتحنة: ٤، قال ابن عاشور: "والبَغْضَاء: نُفْرَة النَّفس والكَراهِية، وقد تُطلَق إحداهما في موضع الأخرى إذا افترقتا، فذِكْرُهما معًا هنا مقصودٌ به حصول الحالتين في أنفسهم: حالة المعاملة بالعُدْوَان، وحالة النُّفْرَة والكَراهِية، أي نُسِيء معاملتكم، ونُضْمِر لكم الكَراهِية حتى تؤمنوا بالله وحده دون إشراك"[2]

---

[1] رواه البخاري (3/ 63)، رواه مسلم (3/ 1669)
[2] التحرير والتنوير لابن عاشور (28/ 145)



## الفرق بين البغض والكراهية والصفات الأخرى

### 1. الفرق بين الإِبَاء والكَرَاهَة:

**قال أبو هلال العسكري:** "إنَّ الإِبَاء هو أن يمتنع، وقد يَكْرَه الشَّيء مَن لا يقدر على إبائه، وقد رأيناهم يقولون للملك: أبيت اللَّعن، ولا يعنون أنَّك تكره اللَّعن؛ لأنَّ اللَّعن يكرهه كلُّ أحدٍ، وإنَّما يريدون أنَّك تمتنع مِن أن تلعن وتشتم؛ لِمَا تأتي مِن جميل الأفعال، وقال الرَّاجز: ولو أرادوا ظلمه أبينا أي امتنعنا عليهم أن يظلموا، ولم يَرِدْ أنَّا نَكْرَه ظلمهم إيَّاه؛ لأنَّ ذلك لا مدح فيه، وقال ﷻ: ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ ﴿٣٢﴾﴾ التوبة: ٣٢، أي: يمتنع مِن ذلك، ولو كان الله ﷻ يأبى المعاصي كما يكرهها، لم تكن معصيةٌ ولا عاصٍ"[1]

### 2. الفرق بين البُغْض والكَرَاهَة:

**قال أبو هلال العسكري:** "الفرق بين البُغْض والكَراهة أنَّه قد اتَّسع بالبُغْض ما لم يتَّسع بالكَرَاهَة، فقيل: أُبْغِض زيدًا أي: أُبْغِض إكرامه ونفعه، ولا يقال: أكرهه بهذا المعنى، كما اتَّسع بلفظ المحبَّة، فقيل: أُحِبُّ زيدًا، بمعنى: أحبُّ إكرامه ونفعه، ولا يقال: أريده، في هذا المعنى، ومع هذا فإنَّ الكَرَاهَة تُسْتَعمل فيما لا يُسْتَعمل فيه البُغْض، فيقال: أَكْرَه هذا الطَّعام، ولا يقال: أَبْغُضه، كما تقول: أُحِبُّه، والمراد أنِّي أكره أكله، كما أنَّ المراد بقولك: أريد هذا الطَّعام، أنَّك تريد أكله أو شراءه"[2]

### 3. الفرق بين الكَرَاهَة ونُفُور الطَّبع:

**قال أبو هلال العسكري:** "إنَّ الكَرَاهَة ضدُّ الإرادة، ونُفُور الطَّبع ضدُّ الشَّهوة، وقد يريد الإنسان شرب الدَّواء المرِّ مع نُفُور طبعه منه، ولو كان نُفُور الطَّبع كراهةً، لَمَا

1 معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص 8
2 الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص 129




اجتمع مع الإرادة، وقد تُسْتعمل الكَراهَة في موضع نُفُور الطَّبع مجازًا، وتُسمَّى الأمراض والأسقام: مكاره؛ وذلك لكثرة ما يَكْرَه الإنسان ما يَنْفِر طبعه منه"[1]

## مضار البغض والكراهية

"1. البغض المذموم هو كراهية النّاس والحقد عليهم بغير ذنب جنوه.

2. ولهذا كان من تلبّس بهذا الوصف مبغوضاً عند الله ﷻ وعند النّاس.

3. البغض يعمي القلب ويطفئ نور العبادة.

4. إنّ من سكن قلبه البغض والعداء للنّاس لا يستطيع أن يعيش بين النّاس بل ينطوي على نفسه ويعيش في عزلة.

5. وعلى هذا فهو غريب في كلّ مجتمع.

6. سبب في تمزيق المجتمع وتفريق كلمة المسلمين.

7. دليل خبث النّفس ولؤمها"[2]

## علاج البغض والكراهية

1. الإحسان، قال ﷻ: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ فصلت: ٣٤

2. الإنصاف: فبالإنصاف تُنْتَزَع صفات الحقد والكَرَاهِية، لتحلَّ محلَّها صفات الاحترام والحبِّ والتَّنافس في الخيرات.

3. المعاتبة دون إكثار: فالمعاتبة تنقِّي النُّفوس مِن الشَّرِّ والكَرَاهِية، وتزيد المحبَّة والألفة، إذا كانت برفق ولين، دون جدال، مع حسن انتقاء الألفاظ، وبعد عن اللوم الشديد والتجريح.

[1] الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص 129
[2] نظرة النعيم (9/ 4083)



4. الصَّبر.

5. البعد عن كلِّ ما مِن شأنه أن يكدِّر الصَّفو، ويشحن النُّفوس بالكَرَاهِية: كالجدال، والشَّتم والغيبة والنَّمِيمَة والحسد، وغيرها مِن الأدواء والأمراض.

6. الإتيان بالوسائل التي توطِّد العلاقات، وترسِّخ الصِّلات، وتحبِّب المؤمنين إلى بعضهم: كإفشاء السَّلام، والتَّهادي بين النَّاس، والتَّعاون والتَّكافل وغيرها، **قال أبو حاتم البستي:** "الواجب على العاقل أن يلزم إفشاء السَّلام على العام، والسَّلام ممَّا يذهب إفشاؤه بالمكتن مِن الشَّحناء، وما في الخَلِد مِن البَغْضَاء، ويقطع الهجران ويصافي الإخوان"[1]

7. البعد عن التَّنافس المذموم على الدُّنيا الفانية؛ فإنَّه مِن أكبر أسباب البَغْضاء والكَراهِية.

[1] روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان ص 74

www.alukah.net





# المرض الثامن والثلاثون
# الاستهزاء والسخرية

## تعريف الاستهزاء

### في اللغة:

قال ابن فارس: "الاستهزاء مصدر قولهم: استهزأ يستهزأ، وهو مأخوذ من مادّة (هـ ز أ)، الّتي تدلّ على السّخرية، أو على مزح في خفية، أو على السّخرية واللّعب"[1]، "يقال: هزئت به، واستهزأت، والاستهزاء ارتياد الهزء، وإن كان يعبّر به عن تعاطيه، كالاستجابة في كونها ارتيادا طلباً للإجابة، وإن كانت تجري مجرى الإجابة، وفي التّنزيل العزيز: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ١٤﴾ البقرة: ١٤، قيل في تفسيره: ساخرون، وقيل: مكذّبون بما ندعى إليه، وقوله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ١٥﴾ البقرة: ١٥

ذكر الرّاغب الأصفهاني: "أنّ المعنى يجازيهم جزاء الهزء، ومعناه: أنّه أمهلهم مدّة ثمّ أخذهم فسمّى إمهالهم استهزاء من حيث إنّهم اغترّوا به اغترارهم بالهزء فيكون ذلك كالاستدراج من حيث لا يعلمون، ومذهب أهل السّنّة إثبات صفة الاستهزاء لله عزّ وجلّ حقيقة على ما يليق بجلاله مع إثبات لازمها"[2]

قال القرطبيّ: "سمّى العقوبة باسم الذّنب، والعرب تستعمل ذلك كثيراً في كلامهم، ومن ذلك قول عمرو بن كلثوم:

---

[1] مقاييس اللغة لابن فارس (6/ 52)
[2] المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص 841






شبكة الألوكة - قسم الكتب

ألا لا يجهلن أحد علينا ... فنجهل فوق جهل الجاهلينا

فسمّى انتصاره جهلاً، والجهل لا يفتخر به عاقل، وإنّما قاله ليزدوج الكلام، وقيل: الله ﷻ يستهزأ بهم في الآخرة، يفتح لهم باب جهنّم من الجنّة، ثمّ يقال لهم: تعالوا، فيقبلون يسبحون في النّار، والمؤمنون على الأرائك، وهي السّرر ينظرون إليهم، فإذا انتهوا إلى الباب سدّ عنهم، فيضحك المؤمنون منهم"[1]

**قال الجوهريّ:** الهزء بالسّكون، والهزؤ بالضّمّ السّخرية، تقول: هزئت منه، وهزئت به، واستهزأت به، وتهزّأت به، وهزأت به أيضاً، هزءاً ومهزأة، ورجل هزءة بالتّسكين، أي يهزأ به، وهزأة بالتّحريك يهزأ بالنّاس"[2]

**قال ابن منظور:** "وقيل: يهزأ منه، وقال بعض اللّغويّين: الصّواب أن يقال: هزئت بك، ولا يقال: هزئت منك، وذلك عكس السّخرية، فإنّه في السّخرية يقال: سخرت منك، ولا يقال: سخرت بك، ويقال: هزأ الشّيء هزءاً: كسره، وهزأ الرّجل: مات"[3]

## في الشرع:

**قال المناويّ:** "الاستهزاء: ارتياد الهزء ويعبّر به أيضاً عنه"[4]

**قال أبو هلال العسكريّ:** "إنّ الاستهزاء لا يسبقه فعل من أجله يستهزأ بصاحبه"[5]

"الاستهزاء هو: ارتياد أو طلب الهزء دون أن يسبق من المهزوء منه فعل يقتضي ذلك"

**قال ابن تيمية:** "الاستهزاء هو: السخرية؛ وهو حمل الأقوال والأفعال على الهزل واللعب لا على الجد والحقيقة، فالذي يسخر بالناس هو الذي يذم صفاتهم وأفعالهم ذمًّا يخرجها عن درجة الاعتبار، كما سخروا بالمطوِّعين من المؤمنين في الصدقات"[6]

---

[1] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (1/ 207 – 208)
[2] الصحاح للجوهري (1/ 84)
[3] لسان العرب لابن منظور (1/ 183)
[4] التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص 50
[5] الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص 254
[6] الفتاوي الكبرى لابن تيمية (6/ 22)




## تعريف السخرية

### في اللغة:

قال الجوهري: "هي الاسم من الفعل سخر، والمصدر من ذلك هو السّخر، والمسخر والسّخر بالضّمّ، قال أعشى باهلة:

إنّي أتتني لسان لا أسرّ بها ... من علو، لا عجب منه ولا سخر"[1]

قال ابن فارس: "وكلّ ذلك مأخوذ من مادّة "س خ ر" الّتي تدلّ على احتقار واستذلال، ومن ذلك أيضاً قولهم: سخّر الله عز وجل الشّيء، وذلك إذا ذلله لأمره وإرادته، ومن الباب سخرت منه: إذا هزئت به"[2]، وفي كتاب الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ هود: ٣٨

قال الجوهريّ: "يقال سخرت منه وسخرت به كما يقال: ضحكت منه، وبه، وهزئت منه، وبه"[3]

قال ابن منظور: "وقال الفرّاء: يقال سخرت منه ولا يقال: سخرت به، قال سبحانه وتعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ ﴿١١﴾ ﴾

الحجرات: ١١، قال: وسخرت منه هي اللّغة الفصيحة وقول الرّاعي:

تغيّر قومي ولا أسخر ... وما حمّ من قدر يقدر، المعنى: لا أسخر منهم"[4]

قال الفيروز آباديّ: "سياقة إلى الغرض المختصّ به قهراً، والمسخّر هو المقيّض للفعل، والسّخريّ: هو الّذي يقهر لنا بإرادته، وسخرت منه: أي سخّرته للهزء منه، ويقال:

---

[1] الصحاح للجوهري (2/ 679)
[2] مقاييس اللغة لابن فارس (3/ 144)
[3] الصحاح للجوهري (2/ 679)
[4] لسان العرب لابن منظور (4/ 353)



رجل سخرة لمن يسخر كبراً، وسخرة كصبرة لمن يسخر منه، والسّخرية أيضاً فعل السّاخر، وقول الله ﷻ: ﴿ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا ﴿١١٠﴾ ﴾ المؤمنون: ١١٠ بالضّمّ والكسر"، حمل على التسخير وعلى السّخرية، ويدلّ على الوجه الثّاني السّخرية قوله بعده: ﴿ وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ المؤمنون: ١١٠"[1]

**وقال القرطبيّ** في تفسير هذه الآية: "فرّق أبو عمرو بينهما (أي بين القراءتين) فجعل المكسورة من جهة التّهزّؤ، والمضمومة من جهة السّخرة، وقال الكسائيّ هما لغتان بمعنى واحد كما يقال عصيّ وعصيّ، وحكى القرطبيّ عن بعضهم أنّ الكسر سخريّاً: بمعنى: الاستهزاء والسّخرية بالقول، والضّمّ سخريّاً بمعنى التّسخير والاستعباد بالفعل"[2]

**قال ابن منظور:** "والاستسخار، أن يدعو بعض النّاس بعضا إلى السخرية، وبهذا فسّر قول الله ﷻ: ﴿ وَإِذَا رَأَوۡاْ ءَايَةً يَسۡتَسۡخِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ الصافات: ١٤، **قال الرّمّانيّ:** معناه يدعو بعضهم بعضاً إلى أن يسخر بها، وقيل المعنى يسخرون، كما في قولهم: علا قرنه واستعلاه، وعجب من كذا واستعجب، وعلى هذا يكون معنى قول الله ﷻ: ﴿ يَسۡتَسۡخِرُونَ ﴾ يسخرون ويستهزئون"[3]

**يقول ابن كثير** في تفسير هذه الآية: "يستسخرون: يستهزئون (عن قتادة ومجاهد)"[4]، **قال أبو حيّان:** "يكون استسخر هنا بمعنى المجرّد أي سخر، وقيل فيه معنى الطّلب، أي يطلبون أن يكونوا ممّن يسخرون"[5]

**قال الزمخشري:** "المعنى هنا هو المبالغة أي إنّهم يبالغون في السّخرية"[6]

---

[1] بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي (3/ 203)
[2] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (12/ 154 – 155)
[3] لسان العرب لابن منظور (4/ 353)
[4] تفسير القرآن العظيم لابن كثير (7/ 8)
[5] تفسير البحر المحيط لابن حيان (9/ 95)
[6] الكشاف للزمخشري (4/ 38)




**قال ابن منظور**: "ويقال رجل سخرة، أي يسخّر في الأعمال يتسخّره من قهره، وكلّ ما ذلّ وانقاد أو تهيّأ لك على ما تريد فقد سخّر لك"[1]

## في الشرع:

**قال المناويّ**: "السّخرية هي استزراء العقل معنى، بمنزلة التّسخير، في الفعل حسّاً، ونقل عن ابن الكمال قوله: السّخرية تكون من شيء يحقّ عند صاحبه ولا يحقّ عند السّاخر"[2]

**قال الغزالي**: "معنى السخرية الاستهانة والتحقير، والتنبيه على العيوب والنقائص، على وجه يضحك منه، وقد يكون ذلك بالمحاكاة في القول والفعل، وقد يكون بالإشارة والإيماء"[3]

## حكم الاستهزاء

### 1. حكم الاستهزاء بالله ﷻ وآياته ورسوله ﷺ:

حكم الاستهزاء بالله ﷻ وآياته ورسوله ﷺ كفر، يخرج صاحبه من الملة، قال ﷻ:

﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ

[1] لسان العرب لابن منظور (4/ 354)
[2] التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص 192
[3] إحياء علوم الدين للغزالي (3/ 131)



﴿ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ التوبة: ٦٤ - ٦٦، **قال ابن تيمية**: "وهذا نصٌّ في أنَّ الاستهزاء بالله ﷻ وآياته ورسوله ﷺ كفر"[1]

**يقول الرازي**: "إنَّ الاستهزاء بالدين كيف كان كفر بالله ﷻ؛ وذلك لأنَّ الاستهزاء يدلُّ على الاستخفاف، والعمدة الكبرى في الإيمان"[2]

**يقول السعدي**: "إن الاستهزاء بالله ﷻ ورسوله ﷺ كفر يخرج عن الدين؛ لأن أصل الدين مبني على تعظيم الله ﷻ، وتعظيم دينه ورسله، والاستهزاء بشيء من ذلك منافٍ لهذا الأصل، ومناقض له أشد المناقضة"[3]

## 2. حكم الاستهزاء بالمؤمنين:

**الاستهزاء بالمؤمنين له حالتان:**

**الحالة الأولى:** الاستهزاء والسخرية بالمؤمنين بخَلقهم أو خُلقهم، وهو محرم بالإجماع، **قال ابن حجر الهيتمي**: "وقد قام الإجماع على تحريم ذلك"[4]

**الحالة الثانية:** الاستهزاء بالمؤمنين بسبب تمسكهم بالإسلام، وهذا يراعى فيه أمران:

**الأمر الأول:** أن يكون المستهزئ جاهلًا بأن ما يستهزئ به من الشريعة الإسلامية.

**الأمر الثاني:** ألا يقصد المستهزئ باستهزائه ما يقوم به المسلم من الطاعات.

فإذا انتفى هذان الأمران، وقصد الاستهزاء بالمسلم بسبب تمسكه بالدين فهذا حكمه الردة عن الإسلام.

"سب الدين والاستهزاء بشيء من القرآن والسنة، والاستهزاء بالمتمسك بهما نظرًا لما تمسك به، كإعفاء اللحية وتحجب المسلمة -هذا كفر إذا صدر من مكلف، وينبغي

---
[1] الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية ص 31
[2] مفاتيح الغيب للرازي (16/ 95)
[3] تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 342
[4] الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي (2/ 33)




أن يبين له أن هذا كفر، فإن أصر بعد العلم فهو كافر، قال ﷻ: ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ التوبة: ٦٥ ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴿٦٦﴾ ﴾ التوبة: ٦٦"[1]

قال ابن عثيمين: "هؤلاء الذين يسخرون بالملتزمين بدين الله ﷻ، المنفذين لأوامر الله ﷻ، فيهم نوع نفاق؛ لأنَّ الله ﷻ قال عن المنافقين: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ التوبة: ٧٩، ثم إن كانوا يستهزئون بهم من أجل ما هم عليه من الشرع فإن استهزاءهم بهم استهزاء بالشريعة، والاستهزاء بالشريعة كفر، أما إذا كانوا يستهزئون بهم يعنون أشخاصهم وزيهم بقطع النظر عما هم عليه من اتباع السنة، فإنهم لا يكفرون بذلك؛ لأنَّ الإنسان قد يستهزئ بالشخص نفسه بقطع النظر عن عمله وفعله، لكنهم على خطر عظيم"[2]

أما سخرية الإنسان ممن يَسخر منه فجائزة، وهذا من العدل؛ لأنه يقابل السخرية بمثلها، ومع ذلك فتركها أولى، قال ﷻ: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ النحل: ١٢٦، وقال ﷻ: ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ الشورى: ٤٠

---

[1] فتاوي اللجنة الدائمة ص 387
[2] مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (2/ 158)



وذكر الله ﷻ عن نوح عليه السلام وقومه: ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُۚ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ هود: ٣٨، فقابل نوح عليه السلام والمؤمنون معه سخرية الكفار منهم بسخرية.

وقد أخبرنا الله ﷻ أنَّه يسخر من المنافقين، مقابلة لسخريتهم ومجازاة عليها، فقال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ التوبة: ٧٩

قال ابن تيمية: "لفظ المكر والاستهزاء والسخرية المضاف إلى الله ﷻ زعموا أنه مسمى باسم ما يقابله على طريق المجاز وليس كذلك، بل مسميات هذه الأسماء إذا فعلت بمن لا يستحق العقوبة كانت ظلمًا له، وأما إذا فعلت بمن فعلها بالمجني عليه عقوبة له بمثل فعله كانت عدلًا، كما قال ﷻ: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ﴿٧٦﴾﴾ يوسف: ٧٦، فكاد له كما كادت إخوته لما قال له أبوه: ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا ﴿٥﴾﴾ يوسف: ٥، وقال ﷻ: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾ الطارق: ١٥ – ١٦، وقال ﷻ: ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ ﴿٥١﴾﴾ النمل: ٥٠ - ٥١، وقال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ





ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ التوبة: ٧٩"[1]

## حكم السخرية

يفهم من نهي المولى ﷻ عن السّخرية بأنواعها المختلفة أنّها حرام، **يقول السّفّارينيّ**:

"وتحرم السّخرية والهزء لقول الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ الحجرات: ١١، ولنهيه ﷺ عن ذلك في مواضع عديدة"[2]

## أسباب الاستهزاء والسخرية

1. الكبر على الناس الذي يلازمه بطر الحق وغمط الناس.
2. الرغبة بتحطيم مكانة الآخرين.
3. التسلية والضحك على حساب آلام الآخرين.
4. الاستهانة بأقوال الآخرين وأعمالهم، أو خلقتهم، أو طبائعهم، أو أسرهم، أو أنسابهم، وغير ذلك.
5. الفراغ وحب إضحاك الآخرين.
6. الشعور الداخلي الذي يريد تحطيم الآخرين، والتقليل من شأنهم واحتقارهم، حتى يجد المتعة في ذلك.
7. قضاء الوقت بالضحك واللعب، وذلك على حساب الآخرين ومشاعرهم.

[1] مجموع الفتاوي لابن تيمية (7/ 111)
[2] غذاء الألباب للسفاريني (1/ 135)



8. التقليل من قيمة ما يتعلق بالآخرين، من أنسابهم، وأشكالهم، وصفاتهم، وطبائعهم وغيره.

9. الفراغ الذي يملأ وقت المستهزئ، وحبّه لإضحاك الآخرين على حساب شخص منهم.

## آثار الاستهزاء والسخرية

1. أنَّ السخرية والاستهزاء تقطع الروابط الاجتماعية القائمة على الأخوة، والتواد، والتراحم.

2. تبذر بذور العداوة والبغضاء، وتورث الأحقاد والأضغان.

3. تولد الرغبة بالانتقام.

4. أنَّ ضرر استهزائهم بالمؤمنين راجع إليهم.

5. حصول الهوان والحقارة للمستهزئ.

6. المستهزئ يعرض نفسه لغضب الله عز وجل، وعذابه.

7. ضياع الحسنات يوم القيامة.

8. تولد الشعور بالانتقام.

9. السخرية نذير شؤم للساخرين، فقد كان الغرق عاقبة قوم نوح عليه السلام الذين كفروا بالله عز وجل وسخروا من نوح عليه السلام.

10. السخرية تفقد الساخر الوقار، وتسقط عنه المروءة.

11. الساخر يظلم نفسه بتحقير من وقره الله عز وجل، واستصغار من عظمه الله سبحانه وتعالى.

12. السخرية تميت القلب، وتورثه الغفلة؛ حتى إذا كان يوم القيامة ندم الساخر على ما قدمت يداه، ولات ساعة مندم، ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ۝٥٦﴾ الزمر: ٥٦

13. السخرية من سمات الكفار والمنافقين، وقد نُهينا عن التشبه بهم.

14. الساخر متعرض للعقوبة في الدار العاجلة أيضًا، بأن يحدث له مثل ما حدث للمسخور منه.

15. بعد الناس عن المستهزئ لخوفهم منه، وعدم سلامتهم منه.

16. يصرف عن قبول الحق، واستماع النصح.

17. انعدام المودة والمحبة بين أفراد المجتمع، مما يؤدي إلى قطع الروابط الاجتماعية فيما بينهم.

18. انتشار الكره والحقد والبغضاء بين الناس، وزرع الحقد تجاه بعضهم البعض في قلوبهم مما يدفعهم لأخذ حقوقهم.

19. استحقار المستهزئ من قبل الآخرين، وقلة قيمته عندهم، وانعدام وقاره أمامهم، وغضب الله ﷻ عليه، واستحقاق العذاب.

20. الخسران في الآخرة بما يضيع من حسناته نتيجة فعله.

21. مخالفة أمر الله ﷻ الذي يستدعي غضبه ثمّ دخول النار؛ فهو ارتكاب أمر حرّمه الله ﷻ ونهى عنه.

22. إهانة المستهزئ لمن عظّمه الله ﷻ وكرّمه، وانتهاكه لحقوق من أقرّ الله ﷻ حقوقه.





23. تورث صاحبها موت القلب، والغفلة عن طاعته التي تجلب الحسرة والندم يوم القيامة.

24. تعدّ صفةً من صفات المنافقين والكفار.

25. الذي يسخر من الناس في الدنيا، يضع نفسه في موضع سخرية الله ﷻ وأنبيائه منه يوم القيامة.

## أشكال الاستهزاء والسخرية

### 1. السخرية:

"إن السخرية تنافي ما يوجبه الحق، وهي ظلم قبيح من الإنسان لأخيه الإنسان، وعدوان على كرامته، وإيذاء لنفسه وقلبه، ومن آثارها أنها تقطع الروابط الاجتماعية القائمة على الأخوة والتواد والتراحم، وتبذر بذور العداوة والبغضاء، وتولد الرغبة بالانتقام، ثم أعمال الانتقام، ما استطاع المظلوم بها إلى ذلك سبيلًا"[1]

قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﷻ: ﴿ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ ﴿٤٩﴾ ﴾ الكهف: ٤٩، الصغيرة التبسم، والكبيرة الضحك بحالة الاستهزاء"[2]

قال الغزالي: "واعلم أنَّ معنى السخرية والاستحقار والاستهانة، والتنبيه على العيوب والنقائص على من يضحك منه، وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول، وقد يكون بالإشارة والإيماء، وقد يكون بالضحك؛ كأن يضحك على كلامه إذا تخبط فيه أو غلط، أو على صنعته، أو قبح في صورته ونحو ذلك"[3]

---

[1] الأخلاق الإسلامية لعبد الرحمن الميداني (2/ 223)
[2] الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (5/ 401)
[3] إحياء علوم الدين للغزالي (3/ 131)




### 2. الهمز واللمز:

وقد نهى الله ﷻ عن الهمز واللمز في كتابه، وتوعد من يفعل ذلك، **قال ابن تيمية:** "اللمز: هو العيب والطعن، ومنه قوله ﷻ: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ ﴿٥٨﴾ ﴾ التوبة: ٥٨، أي يعيبك ويطعن عليك، وقوله: ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ ﴿٧٩﴾ ﴾ التوبة: ٧٩، وقوله: ﴿ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ ﴿١١﴾ ﴾ الحجرات: ١١، أي لا يلمز بعضكم بعضًا كقوله: ﴿ لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ ﴾ النور: ١٢، والهمز: العيب والطعن بشدة وعنف، ومنه همز الأرض بعقبه، ومنه الهمزة وهي نبرة من الصدر"[1]

"واللمز هو أن يعيب الإنسان أخاه في وجهه بكلام ولو خفي، ورب لمز خفي هو أشد من طعن صريح، وأعمق جرحًا في داخل النفس؛ لأن فيه بالإضافة إلى الطعن والتجريح بالعيب معنى استغباء الملموز واستغفاله، فكأن اللامز يشعر الذين في المجلس أن الملموز غبي لا يتنبه إلى الطعن الذي يوجه ضده في رمز الكلام، واللمز قبيحة اجتماعية تورث الأحقاد والأضغان، وتقطع أواصر الأخوة الإيمانية، وهو ظلم من الإنسان لأخيه الإنسان، وعدوان على حقه عليه"[2]

قال ﷻ: ﴿ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ ﴿١١﴾ ﴾، "فجعل اللامز أخاه لامزًا نفسه؛ لأنَّ المؤمنين كرجل واحد فيما يلزم بعضهم لبعض من تحسين أمره، وطلب صلاحه، ومحبته الخير"[3]

---

[1] منهاج السنة النبوية لابن تيمية (5/ 234 – 245)
[2] الأخلاق الإسلامية لعبد الرحمن الميداني (2/ 226)
[3] جامع البيان للطبري (22/ 298)



وقال **أبو السعود** في تفسيره: "فإنَّ مناط الخيرية في الفريقين ليس ما يظهر للناس من الصور، والأشكال ولا الأوضاع والأطوار التي عليها يدور أمر السخرية غالبًا، بل إنما هو الأمور الكامنة في القلوب، فلا يجترئ أحد على استحقار أحد، فلعله أجمع منه لما نيط به الخيرية عند الله ﷻ، فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله ﷻ، والاستهانة بمن عظمه الله ﷻ"[1]

**الفرق بين الهمز واللمز:**

"الهمز هو أن يهمز الإنسان بقول قبيح من حيث لا يسمع، أو يحثه ويوسده على أمر قبيح أي يغريه به، واللمز أجهر من الهمز، وفي القرآن: ﴿ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ ﴾ المؤمنون: ٩٧، ولم يقل لمزات؛ لأنَّ مكايدة الشيطان خفية، قال: المشهور عند الناس أنَّ اللمز العيب سرًّا، والهمز العيب بكسر العين، وقال قتادة: يلمزك في الصدقات يطعن عليك، وهو دال على صحة القول الأول"[2]

**الفرق بين الهُمزة واللُّمزة:**

"قيل هما بمعنى، وقيل بينهما فرق، فإن الهمزة: الذي يعكس بظهر الغيب، واللمزة: الذي يعكس في وجهك، وقيل: الهمزة: الذي يؤذي جليسه بسوء لفظه، واللمزة: الذي يكثر عيبه على جليسه، ويشير برأسه، ويومئ بعينه"[3]

"الهُمَزَة: الذي يهمز الناس بيده ويضربهم، واللُّمَزَة: الذي يَلْمِزهم بلسانه، قاله ابن زيد، أن الهُمَزَة: الذي يهمز بلسانه، واللُّمَزَة: الذي يلمز بعينه، قاله سفيان الثوري"[4]

---

[1] إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود (8/ 121)
[2] معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص 559
[3] معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص 559
[4] زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (4/ 488)




### 3. التنابز بالألقاب:

"اللقب: هو ما يدعى به الشخص من لفظ غير اسمه وغير كنيته، وهو قسمان: قبيح، وهو ما يكرهه الشخص لكونه تقصيرًا به وذمًّا؛ وحسن، وهو بخلاف ذلك، كالصديق لأبي بكر، والفاروق لعمر، وأسد الله لحمزة رضي الله عنهم"[1]

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "التنابز بالألقاب أن يكون الرجل قد عمل السيئات ثم تاب، فنهى الله سبحانه وتعالى أن يعير بما سلف"[2]

ثم إن التنابز بالألقاب التي هي مما يؤذي الناس، إذ يحمل معنى التحقير والإهانة، نهى الله سبحانه وتعالى عنه، وجعله من المحرمات، وجعله من الفسوق والظلم، وربما يصل التنابز بالألقاب إلى مستوى الشتيمة، كالنبز بالحمار، والثور، والكلب، ونحو ذلك، ومن شأن التنابز بالألقاب أنه يقطع أواصر الأخوة الإيمانية، ويفسد المودات، ويولد العداوات والأحقاد، وربما يوصل إلى التقاتل مع ثورات الغضب، وهيجان الحماقات"[3]

ويستثنى من النهي بالتنابز بالألقاب؛ الألقاب الحسنة كالصديق، والفاروق وغيرها، وكذلك التي هي للشهرة كالأعمش وغيرها.

قال القرطبي في تفسير قوله سبحانه وتعالى: "﴿ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ﴿١١﴾ ﴾ الحجرات: ١١، من لقب أخاه وسخر به فهو فاسق، والسخرية الاستحقار والاستهانة، والتنبيه على العيوب والنقائص يوم يضحك منه، وقد يكون بالمحاكاة بالفعل، أو القول، أو الإشارة، أو الإيماء، أو الضحك على كلامه إذا تخبط فيه أو غلط، أو على صنعته، أو قبيح صورته"[4]

[1] البحر المحيط في التفسير لابن حيان (9/ 505)
[2] جامع البيان للطبري (21/ 371)
[3] الأخلاق الإسلامية لعبد الرحمن الميداني (2/ 227)
[4] الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي (2/ 34)



**وقال الخازن:** "قال بعض العلماء: المراد بهذه الألقاب ما يكرهه المنادى به أو يفيد ذمًّا له، فأما الألقاب التي صارت كالأعلام لأصحابها كالأعمش والأعرج وما أشبه ذلك فلا بأس بها، إذا لم يكرهها المدعو بها، وأما الألقاب التي تكسب حمدًا ومدحًا تكون حقًّا وصدقًا فلا يكره، كما قيل لأبي بكر: عتيق، ولعمر: الفاروق، ولعثمان: ذو النورين، ولعلي: أبو تراب، ولخالد سيف الله ﷺ ونحو ذلك"[1]

## 4. التعيير والتهكم:

معنى التعيير أن يريد الإنسان ذم رجل، وتنقصه وإظهار عيبه؛ لينفر الناس عنه؛ إما محبة لإيذائه أو لعداوته؛ أو مخافة من مزاحمته على مال أو رئاسة أو غير ذلك من الأسباب المذمومة، فلا يتوصل إلى ذلك إلا بإظهار الطعن فيه بسبب ديني"[2]

**وقال الكفوي** في معنى التهكم: "هو ما كان ظاهره جدًّا وباطنه هزلًا، والهزل الذي يراد به الجد بالعكس، ولا تخلو ألفاظ التهكم من لفظة من اللفظ الدال على نوع من أنواع الذم، أو لفظة من معناها الهجو"[3]

**وعن المعرور بن سويد** ﷺ قال: "لقيت أبا ذر بالربذة، وعليه حلة، وعلى غلامه حلة، فسألته عن ذلك، فقال: إني ساببت رجلًا فعيرته بأمه، فقال لي النبي ﷺ: يا أبا ذر أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم"[4]

---

[1] لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (4/ 181)
[2] الفرق بين النصيحة والتعيير لابن رجب ص 23
[3] الكليات للكفوي ص 303
[4] رواه البخاري (1/ 15)




## الفرق بين الاستهزاء والسخرية والصفات الأخرى

### 1. الفرق بين الاستهزاء والسخرية:

"أن الإنسان يستهزأ به من غير أن يسبق منه فعل يستهزأ به من أجله.

والسخر: يدل على فعل يسبق من المسخور منه، والعبارة من اللفظين تدل عن صحة ما قلناه، وذلك أنك تقول: استهزأت به. فتعدى الفعل منك بالباء، والباء للإلصاق كأنك ألصقت به استهزاء من غير أن يدل على شيء وقع الاستهزاء من أجله، وتقول: سخرت منه. فيقتضي ذلك من وقع السخر من أجله، كما تقول: تعجبت منه، فيدل ذلك على فعل وقع التعجب من أجله"[1]

### 2. الفرق بين السخرية واللعب:

"أن في السخرية: خديعة واستنقاصًا لمن يسخر به، ولا يكون إلا بذي حياة.

وأما اللعب: فقد يكون بجماد، ولذلك أسند ﷻ السخرية إلى الكفار بالنسبة إلى الأنبياء كقوله ﷻ: ﴿ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ ﴿٣٨﴾ ﴾ هود: ٣٨"[2]

### 3. الفرق بين المزاح والاستهزاء:

"أن المزاح لا يقتضي تحقير من يمازحه ولا اعتقاد ذلك، ألا ترى أن التابع يمازح المتبوع من الرؤساء والملوك ولا يقتضي ذلك تحقيرهم، ولا اعتقاد تحقيرهم، ولكن يقتضي الاستئناس بهم، والاستهزاء: يقتضي تحقير المستهزأ به واعتقاد تحقيره"[3]

### 4. الفرق بين السخرية والهزء:

قد يفرق بينهما بأن في السخرية معنى طلب الذلة كما مر؛ لأن التسخير في الأصل التذليل، وأما الهزء: فيقتضي طلب صغر القدر بما يظهر في القول"[4]

---

[1] الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص 254
[2] معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص 275
[3] الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص 254
[4] معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص 275



## مضار الاستهزاء

"1. دليل كبر النّفس واحتقار الآخرين.

2. طريق موصل إلى النّار وغضب الجبّار سبحانه وتعالى.

3. بعد النّاس عن المستهزئ لخوفهم منه وعدم سلامتهم منه.

4. يصرف عن قبول الحقّ واستماع النّصح.

5. يسود بين الطّغاة وسفلة الأقوام.

6. دليل على أنّ صاحبه عميّ القلب لا يرى ما فضّل الله عز وجل به غيره عليه.

7. آية على جهالة صاحبه؛ لأنّ من علم قدر الله عز وجل لم يحتقر عباده.

8. يشيع في الأمّة الكراهية المقيتة"[1]

## مضار السخرية

"1. في السّخرية مخالفة صريحة لأمر الله عز وجل ثمّ هي جالبة لسخطه مستوجبة لعذابه.

2. السّخرية تفكّك عرى المجتمع وتجعل المستسخر به ناقماً على السّاخر متربّصاً به يحاول الانتقام لنفسه.

3. السّخرية نذير شؤم للسّاخرين، فقد كان الغرق عاقبة قوم نوح عليه السلام الّذين كفروا بالله عز وجل وسخروا من نوح عليه السلام.

4. السّخرية تفقد السّاخر الوقار وتسقط عنه المروءة.

5. السّاخر يظلم نفسه بتحقير من وقّره الله عز وجل واستصغار من عظّمه الله سبحانه وتعالى.

6. السّخرية انتهاك صريح لحقوق الإنسان عامة، ومخلّة بمبدأ تكريم الإنسان على وجه الخصوص.

[1] نظرة النعيم (9/ 3883)

7. السّخرية تميت القلب وتورثه الغفلة حتّى إذا كان يوم القيامة ندم السّاخر على ما قدّمت يداه، ولات ساعة مندم ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ الزمر: ٥٦

8. السّخرية من سمات الكفّار والمنافقين، وقد نهينا عن التّشبّه بهم.

9. في ارتكاب السّخرية اقتراف أمر محرّم نهى عنه الشّرع الحنيف.

10. السّاخرون من النّاس في الدّنيا، يسخر منهم الله عز وجل، وأنبياؤه الكرام.

11. السّخرية تنسي الإنسان ذكر ربّه عز وجل، وبذلك يخسر السّاخر نفسه ويلقي بها في النّار.

12. السّخرية داء من أدواء الجاهليّة يجب تجنّبه والبعد عنه.

13. اللّامز لأخيه المؤمن السّاخر منه، إنّما يلمز نفسه ويسخر منها؛ لأنّ المؤمنين كرجل واحد.

14. السّخرية وما في معناها من الاستهزاء بالضّعفاء والمساكين والتّحقير لهم والإزراء عليهم، كلّ ذلك مبعد من الله عز وجل.

15. على السّاخر أن يتوقّع عقوبته في الدّار العاجلة أيضاً بأن يحدث له مثل ما حدث للمسخور منه"[1]

## علاج الاستهزاء والسخرية

1. معرفة أن الاستهزاء من كبائر الذنوب، وأن كلمة واحدة كفيلة بإخراج المرء من دينه.

---

[1] نظرة النعيم (10/ 4614)

2. مراقبة اللسان، وعدم إطلاق العنان له في كل شاردة وواردة، فيلزم محاسبته والمحافظة عليه، فهو سلاح ذو حدين، إن استُعمل في الخير فهو خير، وبالعكس.

3. الابتعاد – قدر الإمكان- عن مجالس الضحك والهزل وما لا نفع فيه، واستبدالها بمجالس الذكر والخير.

4. تعظيم هذا الدين، وهذا من أهم الأسباب، والقاعدة: أنه متى حصل التعظيم للشيء وقع الاهتمام به.

5. إشاعة حكم الاستهزاء في المجالس، وبيان خطره وأنه سببٌ عظيم في كفر المسلم وردَّته.

وإن من أعظم ما يعين المسلم على الابتعاد عن الاستهزاء والسخرية، العلم بأن من سخر منه سيأخذ من حسناته يوم القيامة، فإن لم يكن له حسنات حُمّل عليه من أوزاره وسيئاتهم بقدر إساءته، وكفى بذلك رادعًا لأصحاب القلوب الحية، التي تستشعر أخذ حسناتها فإذا فرغت الحسنات أخذ من سيئاتهم فوضع عليه ثم ألقي في النار، فتمت خسارته وهلاكه وإفلاسه؛ وهذا من أشد الغبن، فعن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: "أتدرون ما المفلس؟"، قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: "إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة، وصيام، وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار"[1]

فالواجب عليك التوبة إلى الله ﷻ والندم على الذنب، والعزم على عدم العود لها مستقبلاً، والإكثار من الأعمال الصالحة، والاكثار من ذكر الله ﷻ؛ فالذكر حرز من

[1] رواه مسلم (4/ 1997)




الوقوع في معصية الله عز وجل؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ العنكبوت: ٤٥، أي فذكر الله عز وجل أكبر من أن تبقى معه معصية، كما يجب عليك طلب العفو والمسامحة ممن سخرت منهم؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء، فليتحلله منه اليوم، قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه"[1]

[1] رواه البخاري (3/ 129)





# المرض التاسع والثلاثون
# الخبث

## تعريف الخبث

### في اللغة:

الخبث هو المكروه الرّديء من كلّ شيء، ومنه الخبيث ضدّ الطّيّب، **يقول ابن فارس**: "الخاء والباء والثّاء أصل واحد يدلّ على خلاف الطّيّب، يقال خبيث، أي ليس بطيّب، ومن ذلك التّعوّذ من الخبيث، فالخبيث في نفسه، والمخبث الّذي أصحابه وأعوانه خبثاء"[1]

**قال الرّاغب الأصفهاني**: "أصل الخبيث: الرّديء الدّخلة الجاري مجرى خبث الحديد، وذلك يتناول الباطل في الاعتقاد والكذب في المقال والقبيح في الفعال"[2]

"وخبث الرّجل خبثاً فهو خبيث، أي رديء، وأخبثه غيره، أي علّمه الخبث وأفسده، ويقال في النّداء: يا خبث، كما يقال: يا لكع، تريد: يا خبيث، وللمرأة يا خباث، بني على الكسر مثل يا لكاع، وخبث الحديد وغيره: ما نفاه الكير، الخبائث في قوله ﷻ: ﴿ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ الأعراف: ١٥٧، ما لا يوافق النّفس من المحظورات، والخبائث أيضاً كناية عن إتيان الرّجال، والأخبثان: البول والغائط، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ "لا يصلي أحدكم وهو بحضرة الطعام

[1] مقاييس اللغة لابن فرس (2/ 238)
[2] المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص 272

ولا وهو يدافع الأخبثين"[1]، وقد خبث بها ككرم أي فجر، وفي الحديث: "إذا كثر الخبث كان كذا وكذا"، أراد الفسق والفجور، والخابثة، الخباثة، والخبّيث- كسكّيت- الرّجل الكثير الخبث، والخبّيثى بكسر وتشديد الباء: اسم الخبث، من أخبث إذا كان أهله خبثاء، فعن أنس بن مالك ﷺ قال: كان النبي ﷺ إذا دخل الخلاء قال: "اللهمّ إنّي أعوذ بك من الخبث والخبائث"[2]، فالمراد بالخبث الكفر، والخبائث: الشّياطين، والخبيث: نعت كلّ شيء فاسد، يقال: هو خبيث الطّعم خبيث اللّون خبيث الفعل وكلام خبيث، وهي أخبث اللّغتين، يراد الرّداءة والفساد وأنا استخبثت هذه اللغة، وكلّ ذلك من المجاز، وقوله ﷻ: ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ المائدة: ١٠٠، معناه الكافر والمؤمن، والأعمال الصّالحة والأعمال الفاسدة"[3]

**قال ابن منظور:** "أنّ أصل الخبث في كلام العرب: المكروه، فإن كان من الكلام فهو الشّتم، وإن كان من الملل فهو الكفر، وإن كان من الطّعام فهو الحرام، وإن كان من الشّراب فهو الضّارّ"[4]

## في الشرع:

**قال ابن قدامة:** "العين المستقذرة شرعاً أي النجاسة الحقيقية، فالفرق بينه وبين الجنابة أنها نجاسة معنوية"[5]

**قال الجاحظ:** "الخبث: هو إضمار الشّرّ للغير وإظهار الخير له واستعمال الغيلة والمكر والخديعة في المعاملات"[6]

---

[1] السنن الصغير للبيهقي (1/ 191)
[2] رواه البخاري (8/ 71)، رواه مسلم (1/ 283)
[3] الصحاح للجوهري (1/ 281)، لسان العرب لابن منظور (2/ 142)، تاج العروس للزبيدي (5/ 233)
[4] لسان العرب لابن منظور (2/ 144)
[5] المغني لابن قدامة (1/ 168)
[6] تهذيب الأخلاق للجاحظ ص 33



قال الكفويّ والمناويّ: "الخبيث: ما يكره رداءة وخسّة محسوساً أو معقولاً، وذلك يتناول الباطل في الاعتقاد والكذب في المقال، والقبح في الأفعال"[1]

## آثار الخبث

### 1. الخُبْث سببٌ لبذاءة اللِّسان والفُحْش:

إنَّ السَّبَّ والفُحْش وبذاءة اللِّسان مذمومة، ومنهيٌّ عنها، ومصدرها الخُبْث واللُّؤم، قال الغزَّالي: "والباعث على الفُحْش: إمَّا قصد الإيذاء، وإمَّا الاعتياد الحاصل مِن مخالطة الفسَّاق وأهل الخُبْث واللُّؤم ومَن عادتهم السَّبُّ"[2]

### 2. الخُبْث سببٌ للحسد:

قال المناوي: "سبب الحسد خبث النَّفس، وأنَّه داء جِبِلِّيٌّ مُزْمِن، قلَّ مَن يسلم منه"[3]

### 3. خَبِيث النَّفس لا يحبُّ الخير لغيره، فيكره لهم الخير، ويحبُّ لهم الشَّرَّ والأذى:

قال ابن قدامة: "وأمَّا خُبْث النَّفس وشُحُّها على عباد الله، فإنَّك تجد مِن النَّاس مَن لا يشتغل برئاسة ولا تَكَبُّر، وإذا وُصِف عنده حُسْن حال عبدٍ مِن عباد الله تعالى فيما أنعم عليه به، شَقَّ عليه ذلك، وإذا وُصِف له اضطراب أمور النَّاس وإدبارهم، وتنغيص عيشهم، فرح به، فهو أبدًا يحبُّ الإدبار لغيره، ويَبْخَل بنعمة الله على عباده، كأنَّهم يأخذون ذلك مِن ملكه وخزانته، وقد قال بعض العلماء: البخيل مَن يبخل بمال نفسه، والشَّحيح الذي يبخل بمال غيره، فهذا يبخل بنعم الله على عباده الذين ليس بينهم وبينه عداوة ولا رابطة، وهذا ليس له سبب إلَّا خُبْثُ النَّفس ورَدَاءة الطَّبع، وهذا

[1] الكليات للكفوي ص 429، التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص 152
[2] إحياء علوم الدين للغزالي (3/ 122)
[3] فيض القدير للمناوي (5/ 16)




معالجته شديدة؛ لأنَّه ليس له سبب عارض، فيعمل على إزالته، بل سببه خبث الجبلَّة، فيعسر إزالته"[1]

### 4. الخُبْث سبب للعداوات بين أفراد المجتمع:

قال أبو طالب المكي: "مع الخبث والمكر تكون المنافرة، وهذا كله يذهب الألفة، وينقص المحبة، ويبطل فضيلة الأخوة"[2]

5. خبيث النَّفس غير مرتاح البال، فهو مهمومٌ مغمومٌ دائمًا.

6. الخَبِيث منشغل بتتبُّع عورات النَّاس وأخطائهم.

7. الخبيث لا يدخل الجنة، قال ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ النحل: ٣٢، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "إذا خرجت روح المؤمن تلقاها ملكان يصعدانها" – قال حماد: فذكر من طيب ريحها وذكر المسك – قال: "ويقول أهل السماء: روح طيبة جاءت من قبل الأرض، صلى الله عليك وعلى جسد كنت تعمرينه، فينطلق به إلى ربه عز وجل، ثم يقول: انطلقوا به إلى آخر الأجل"، قال: "وإن الكافر إذا خرجت روحه – قال حماد وذكر من نتنها، وذكر لعنا – ويقول أهل السماء روح: خبيثة جاءت من قبل الأرض، قال فيقال: انطلقوا به إلى آخر الأجل"، قال أبو هريرة رضي الله عنه: فرد رسول الله ﷺ ريطة كانت عليه، على أنفه، هكذا"[3]

قال ابن القيم: "فالجنة لا يدخلها خبيث، ولا من فيه شيء من الخبث. فمن تطهر في الدنيا ولقى الله طاهرًا من نجاساته دخلها بغير معوق، ومن لم يتطهر في الدنيا فإن

[1] مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة ص 187 - 188
[2] قوت القلوب لأبي طالب المكي (2/ 384)
[3] رواه مسلم (4/ 2202)




شبكة الألوكة - قسم الكتب

كانت نجاسته عينية، كالكافر، لم يدخلها بحال. وإن كانت نجاسته كسبية عارضة دخلها بعد ما يتطهر في النار من تلك النجاسة، ثم يخرج منها، حتى إن أهل الإيمان إذا جازوا الصراط حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيهذبون وينقون من بقايا بقيت عليهم، قصرت بهم عن الجنة، ولم توجب لهم دخول النار، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة"[1]

## مقتضيات الخبث

**قال ابن الأثير** في معنى حديث: نهى عن كلّ دواء خبيث، وخبثه من جهتين:

**إحداهما:** النّجاسة، وهو الحرام كالخمر والأرواث والأبوال، كلّها نجسة خبيثة، وتناولها حرام إلّا ما خصّته السّنّة من أبوال الإبل عند بعضهم وروث ما يؤكل لحمه عند آخرين.

**الجهة الثّانية:** من طريق الطّعم والمذاق، ولا ينكر أن يكون نهي عن ذلك لما فيه من المشقّة على الطّباع وكراهية النّفوس لها، ومن هذه الجهة نهي عن أكل البصل والثّوم وسمّاها خبيثتين فقال ﷺ: "من أكل من هذه الشّجرة الخبيثة فلا يقربنّ مسجدنا"[2]، وهو يريد الثّوم والبصل والكرّاث فخبثها من جهة رائحتها وطعمها، وإلّا فهي طاهرة"[3]

## أقسام الناس في الخبث

**قال ابن القيم:** "ولما كان الناس على ثلاث طبقات: طيب لا يشينه خبيث، وخبيث لا طيب فيه، وآخرون فيهم خبث وطيب، دورهم ثلاثة: دار الطيب المحض، ودار الخبيث المحض، وهاتان الداران لا تفنيان، ودار لمن معه خبث وطيب وهي الدار التي

[1] لإغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم (1/ 56)
[2] رواه مسلم (1/ 395)
[3] النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (2/ 4 – 5)

www.alukah.net



تفنى وهي دار العصاة، فإنه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحد، فإنه إذا عذبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار فأدخلوا الجنة، ولا يبقى إلا دار الطيب المحض، ودار الخبث المحض"[1]

## معاني الخبث في القرآن الكريم

قال ابن الجوزي: "ذكر أهل التفسير أن الخبيث والطيب في القرآن على ثلاثة أوجه:

أحدها: الخبيث بمعنى الحرام والطّيّب الحلال ومنه قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۝٢﴾ النساء: ٢، وقال ﷻ: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۝١٠٠﴾ المائدة: ١٠٠

والثّاني: الخبيث بمعنى الكافر والطّيّب المذكور معه هو المؤمن، ومنه قوله ﷻ: ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۝١٧٩﴾ آل عمران: ١٧٩، وقال ﷻ: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۝٥٨﴾ الأعراف: ٥٨، وقال: هذا مثل ضربه الله ﷻ للمؤمن والكافر.

والثّالث: الخبيث: كلمة الكفر، والطّيّب كلمة الإسلام، ومنه قوله ﷻ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً ۝٢٤﴾ إبراهيم: ٢٤، وهي قول: لا إله إلّا الله، وقال ﷻ: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ ۝٢٦﴾ إبراهيم: ٢٦، يعني كلمة الكفر"[2]

## مضار الخبث

"1. الخبث يحبط ثواب العمل.

[1] الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم ص 20
[2] نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي ص 270 - 271



شبكة الألوكة - قسم الكتب

2. الخبث في الثّياب يبطل الصّلاة.

3. الخبث في الأشياء يحرّم اقتناءها.

4. الخبث في المكان يعمّه بالبلوى.

5. تناول الخبيث يؤذي الجسد ويؤذي الإخوان.

6. الخبيث مغضوب عليه من الله ﷻ ورسوله ﷺ والمؤمنين"[1]

## علاج الخبث

**يرى المناويُّ** أنَّ مَن تمحَّضت فيه مادَّة الخُبْث لا مطمع في تبدُّله، فيقول: "يقال: إذا حُدِّثت أنَّ جبلًا زال عن مكانه فصدِّق، وإذا حُدِّثت أنَّ رجلًا زال عن خُلُقِه فلا تصدِّق؛ وذلك لأنَّ مَن تمحَّضت فيه مادَّة الخُبْث، فقد طُبع على الخُلُق المذموم، الذي لا مطمع في تبدُّله، ومَن تمحَّضت فيه مادَّة الطِّيب، فقد طُبع على الخُلُق الحسن المحمود، الذي لا مطمع في تبدُّله، **قال الشَّريف السَّمهودي**: وقد جرَّبت مصداقه الآن، فكم أظهر الواحد منهم التَّوبة عن أخلاقٍ ذميمةٍ بعد بذل الجهد في أسباب إزالتها، ثمَّ نكص على عقبيه ، راجعًا لما كان عليه؛ لاقتضاء خبثهم المستحكم، وعظيم بغضهم لأهل الخير"[2]

ولكن مَن اجتهد وجاهد نفسه على التَّخلُّق بالأخلاق الفاضلة، يستطيع أن يعوِّد نفسه عليها؛ وعليه أن يأخذ بالأسباب والوسائل التي تعين على التَّخلُّص مِن هذا الخُلُق، وهي كثيرة، ومِن هذه الوسائل:

1. الدُّعاء بأن يرفع الله ﷻ منه هذا الخلق السَّيِّئ، فالدعاء من أقوى الأسباب المعينة للتَّخلُّص من هذه الصفة المذمومة.

---

[1] نظرة النعيم (10/ 4469)
[2] فيض القدير للمناوي (2/ 523)

www.alukah.net



2. الرَّغبة في الأجر والثَّواب الذي يحصل بسبب سلامة الصَّدر.

3. أن يجاهد نفسه على أن يكون نقيَّ القلب، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قيل: يا رسول الله! أيُّ النَّاس أفضل؟ قال: "كلُّ مَخْمُوم القلب صدوق اللِّسان، قالوا: صدوق اللِّسان نعرفه، فما مَخْمُوم القلب؟ قال: هو التَّقيُّ، النَّقيُّ، لا إثم فيه، ولا بَغْيَ، ولا غِلَّ، ولا حَسَدَ"[1]

4. التَّربية منذ الصِّغر على حبِّ الخير للنَّاس.

5. مصاحبة أهل الخير وذوي الأخلاق الفاضلة.

6. ذكر الله ﷻ والحفاظ على الطاعات، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: "يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب كل عقدة عليك ليل طويل، فارقد، فإن استيقظ فذكر الله، انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقدة، فأصبح نشيطًا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان"[2]

7. معرفة أن دخول الجنة متعلق بطهارة النفس وصفائها من الخبث، وأنه لن يدخل الجنة من دنست نفسه بهذه الصفة، وأن من أصابته لوثة خبث وضع في النار؛ حتى يطهر ويصفو ثم يدخل الجنة بعد ذلك، **قال ابن تيمية:** "فالنفوس الخبيثة لا تصلح أن تكون في الجنة الطيبة التي ليس فيها من الخبث شيء، فإن ذلك موجب للفساد، أو غير ممكن، بل إذا كان في النفس خبث طهرت وهذبت، حتى تصلح لسكنى الجنة"[3]

[1] سنن ابن ماجه (2/ 1409)
[2] رواه البخاري (2/ 52)، رواه مسلم (1/ 538)
[3] الحسنة والسيئة لابن تيمية ص 101



شبكة الألوكة - قسم الكتب

8. اجتناب الخبيث في المطعم والمشرب والدواء، ومن ذلك ما جاء عن رافع بن خديج ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: "ثمن الكلب خبيث، ومهر البغي خبيث، وكسب الحجام خبيث"[1]، ونهى عن الدواء الخبيث، "ولا ريب أن الحرام والنجس خبيثان"[2]

[1] رواه مسلم (3/ 1199)
[2] نيل الأوطار للشوكاني (8/ 234)

www.alukah.net



# المرض الأربعون
# الشماتة

## تعريف الشماتة

### في اللغة:

مصدر قولهم: شمت به يشمت، وهو مأخوذ من مادّة (ش م ت) الّتي تدلّ على فرح ببليّة العدوّ، قال ابن منظور: "الشّماتة: فرح العدوّ أي ببليّة عدوّه، وقيل: الفرح ببليّة تنزل بمن تعاديه، والفعل منها شمت به (بالكسر) يشمت شماتة وشماتاً إذا فرح بمصيبة نزلت به، وقيل الشّمات: الخيبة، ويعدّى بالهمزة، فيقال: أشمته الله عَزَّ وَجَلَّ به، وفي التنزيل: ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ ﴿١٥٠﴾﴾ الأعراف: ١٥٠"[1]

قال القرطبيّ: "أي لا تسرّهم، وهي محرّمة منهيّ عنها، وهي في قراءة مجاهد: "لا تشمت بي الأعداء" أي لا تفعل بي ما تشمت من أجله الأعداء، أي لا يكون ذلك منهم لفعل تفعله أنت بي"[2]

قال ابن حيان: "المعنى على قراءة الجماعة: لا تسرّهم بما تفعل بي فأكون ملوماً منهم ومنك"[3]

قال ابن منظور: "وشمّته الله: خيّبه، ويقال: خرج القوم في غزاة، فقفلوا شماتى ومتشمّتين، قال: والتّشمّت أن يرجعوا خائبين، لم يغنموا، يقال: رجع القوم شماتاً من

[1] لسان العرب لابن منظور (2/ 51)
[2] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (7/ 291)
[3] البحر المحيط في التفسير لابن حيان (5/ 183)




شبكة الألوكة - قسم الكتب

متوجّههم، بالكسر: أي خائبين، وتشميت العاطس: الدّعاء له، وشمّت العاطس، وسمّت عليه: دعا له ألا يكون في حال يشمّت به فيها، والسّين لغة عن يعقوب، كأنّه دعاء للعاطس بالثّبات على طاعة الله ﷻ، وقيل: معناه أبعدك الله ﷻ عن الشّماتة وجنّبك ما يشمت به عليك. ويقال أيضاً: شمّت الرّجل إذا نسب إلى الخيبة"[1]

## في الشرع:

**قال الرّاغب الأصفهاني:** "الشّماتة الفرح ببليّة من تعاديه ويعاديك"[2]

**قال القرطبيّ:** "الشّماتة: السّرور بما يصيب أخاك من المصائب في الدّين والدّنيا"[3]

**قال المناويّ:** "الشّماتة: الفرح بمصيبة العدوّ"[4]

**قال الكفويّ:** "الشّماتة هي السّرور بمكاره الأعداء"[5]

**قال الغزالي:** "الشَّمَاتَة: الفَرَح بالشَّرِّ الواصل إلى غير المستَحِق، ممَّن يعرفه الشَّامت"[6]

**قال ابن عاشور:** "الشَّمَاتَة: سرور النَّفس بما يصيب غيرها مِن الأضرار، وإنَّما تحصل مِن العداوة والحسد"[7]

## حكم الشماتة

لا يجوز الشَّمَاتَة بالمسلم؛ لكنها في حق الكفار المحاربين والمنافقين تجوز، قال ﷻ:

﴿ قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ١٤ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡ ١٥ ﴾ التوبة: ١٤ - ١٥

[1] لسان العرب لابن منظور (2/ 51 – 52)
[2] المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص 463
[3] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (7/ 291)
[4] التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص 208
[5] الكليات للكفوي ص 508
[6] ميزان العمل للغزالي ص 286
[7] التحرير والتنوير لابن عاشور (9/ 117)





**قال السعدي**: "فإنَّ في قلوبهم من الحنق والغيظ عليهم ما يكون قتالهم وقتلهم شفاء لما في قلوب المؤمنين من الغم والهم، إذ يرون هؤلاء الأعداء محاربين لله ﷻ ولرسوله ﷺ ساعين في إطفاء نور الله ﷻ، وزوالًا للغيظ الذي في قلوبهم، وهذا يدل على محبة الله ﷻ لعباده المؤمنين، واعتنائه بأحوالهم، حتى إنه جعل من جملة المقاصد الشرعية شفاء ما في صدورهم وذهاب غيظهم"[1]

## أسباب الشماتة

1. الابتعاد عن منهج الرَّسول ﷺ.
2. ضعف الإيمان.
3. حبُّ التَّشفِّي النَّاس.
4. حبُّ الدُّنيا والتَّعلُّق بها، ونسيان الآخرة.
5. تعاظم العداوة المفضية إلى استحلال ما حرَّمه الله ﷻ"[2]

"6. الحقد والكراهية، فإنَّ خُلُق الشَّمَاتَة يقوم في النَّفس حين تخلو مِن المودَّة والحبِّ والعطف، وتمتلئ بالكراهية والحقد والبغض، فإنَّ الإنسان يتألَّم لألم الغير إلَّا إذا كان يحبُّ هذا الغير، ويودُّ الخير له، أمَّا إذا مقته وأبغضه، فإنَّه يفرح لحزنه، ويَشْمَت في مصيبته"[3]

7. الحسد أو الغرور بالنفس واحتقار للآخرين، **قال الغزالي**: "والحسد والشماتة متلازمان"[4]

8. الجهل بحكم الشماتة الشرعي.

[1] تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 331
[2] تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين للشوكاني ص 447
[3] أخلاق المنافقين ليعقوب المليجي ص 76
[4] إحياء علوم الدين للغزالي (3/ 190)



9. الكِبْر، **قال ابن القيم:** "إنَّ تعييرك لأخيك بذنبه أعظم إثمًا مِن ذنبه، وأشدُّ مِن معصيته، لما فيه مِن صولة الطَّاعة، وتزكية النَّفس وشكرها، والمناداة عليها بالبراءة مِن الذَّنب"[1]

10. العداوة، قال ﷻ: ﴿ فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ الأعراف: ١٥٠

11. النفاق، فمن صفات المنافقين كانت الشماتة بما يقع للمؤمنين، بل حتى الشماتة برسول الله ﷺ، قال ﷻ: ﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ التوبة: ٥٠

**قال الطبري:** "يقول ﷻ لنبيه محمد ﷺ: يا محمد، إن يصبك سرورٌ بفتح الله ﷻ عليك أرضَ الروم في غَزاتك هذه، يسوء الجدَّ بن قيس ونظراءه وأشياعهم من المنافقين، وإن تصبك مصيبة بفلول جيشك فيها، يقول الجد ونظراؤه: ﴿ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ ﴾، أي: قد أخذنا حذرَنا بتخلّفنا عن محمد ﷺ، وترك أتباعه إلى عدوّه ﴿ مِن قَبْلُ ﴾، يقول: من قبل أن تصيبه هذه المصيبة، ﴿ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾، يقول: ويرتدُّوا عن محمد ﷺ وهم فرحون بما أصاب محمدًا ﷺ وأصحابه ﵃ من المصيبة، بفلول أصحابه ﵃ وانهزامهم عنه، وقتل من قُتِل منهم"[2]

[1] مدارج السالكين لابن القيم (1/ 195)
[2] جامع البيان للطبري (14/ 289)

وقال ﷻ: ﴿ وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَالَ قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدٗا ﴿٧٢﴾ ﴾ النساء: ٧٢

قال الطبري: "وهذا نعت من الله ﷻ للمنافقين، نعتهم لنبيه ﷺ وأصحابه ﷺ ووصفهم بصفتهم فقال: ﴿ وَإِنَّ مِنكُمۡ ﴾ ، أيها المؤمنون، يعني: من عِدَادكم وقومكم، ومن يتشَّبه بكم، ويظهر أنه من أهل دعوتكم ومِلَّتكم، وهو منافق يبطِّئ من أطاعه منكم عن جهاد عدوكم وقتالهم إذا أنتم نفرتم إليهم، ﴿ فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ ﴾ يقول: فإن أصابتكم هزيمة، أو نالكم قتل أو جراح من عدوكم، ﴿ قَالَ قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدٗا ﴾ ، فيصيبني جراح أو ألم أو قتل، وسَرَّه تخلّفه عنكم، شماتة بكم"[1]

## آثار الشماتة

### 1. الشَّمَاتَة بالتَّعيير بالذَّنب أعظم مِن مُرْتَكِب الذَّنب:

يقول ابن القيِّم: "إنَّ تعييرك لأخيك بذنبه أعظم إثمًا مِن ذنبه، وأشدُّ مِن معصيته؛ لما فيه مِن صولة الطَّاعة، وتزكية النَّفس وشكرها، والمناداة عليها بالبراءة مِن الذَّنب، وأنَّ أخاك باء به، ولعلَّ كسرته بذنبه، وما أحدث له مِن الذِّلَّة والخضوع والإزراء على نفسه، والتَّخلُّص مِن مرض الدَّعوى والكِبْر والعُجْب، ووقوفه بين يدي الله ﷻ ناكس الرَّأس، خاشع الطَّرف، منكسر القلب أنفع له، وخيرٌ مِن صولة طاعتك، وتكثُّرك بها، والاعتداد بها، والمنَّة على الله ﷻ وخَلْقِه بها، فما أقرب هذا العاصي مِن رحمة الله ﷻ، وما أقرب هذا المدِل مِن مقت الله ﷻ، فذنب تَذِلُّ به لديه أحبُّ إليه مِن طاعة

[1] جامع البيان للطبري (8/ 538)

تدلُّ بها عليه، وإنَّك أن تَبِيتَ نائمًا وتصبح نادمًا خيرٌ مِن أن تَبِيتَ قائمًا وتصبح مُعْجَبًا؛ فإنَّ المعْجَب لا يَصْعَد له عملٌ، وإنَّك إن تضحك وأنت معترفٌ، خيرٌ مِن أن تبكي وأنت مُدِلٌّ، وأنين المذنبين أحبُّ إلى الله ﷻ مِن زجل المسبحين المدِلِّين، ولعلَّ الله ﷻ أسقاه بهذا الذَّنب دواءً استخرج به داءً قاتلًا هو فيك ولا تشعر، فلله في أهل طاعته ومعصيته أسرار لا يعلمها إلَّا هو، ولا يطالعها إلَّا أهل البصائر، فيعرفون منها بقَدْرِ ما تناله معارف البَشَر"[1]

## 2. الشَّامت قد تنعكس المصيبة عليه:

**يقول إبراهيم النخعي**: "إنِّي لأرى الشَّيء أكرهه، فما يمنعني أن أتكلَّم فيه إلَّا مخافة أن أُبْتَلَى بمثله"[2]

"فالفَرَح بمصيبة العدوِّ مذمومٌ جدًّا؛ لكونه سببًا لانعكاس المصيبة عليه بابتلاء مَن شَمَت، وعافية مَن شَمَت عليه، أو لأنَّه ارتكاب المنهيّ عنه، خصوصًا إذا حملها -أي: تلك المصيبة- على كرامة نفسه، يعني: يقول الحاقد: إنَّ مصيبة عدوّي إنَّما هي مِن كرامتي، أو على إجابة دعائه، كأن يقول: ما ابتُلِي به عدوّي مِن هذه المصيبة، إنَّما هو بإجابة دعوتي عليه؛ لأنَّه حينئذ عُجْبٌ وتزكية نفسٍ وغُرورٌ، بل يجب على الحاقد أن يخاف مِن مصيبة عدوِّه أن تكون مكرًا مِن الله ﷻ له، واستدراجًا للحاقد، حيث ابتلى عدوَّه وعافاه، ويجب على الحاقد أن يَحْزَن على احتمال كونه مَكْر الله ﷻ، ويجب أيضًا أن يدعو الله ﷷ بإزالة بلائه أي: العدو، ويدعو بأن يُخْلِفه الله ﷻ خيرًا ممَّا فات مِن النِّعم بتلك المصيبة، في الوجوب هذا نظرٌ، إلَّا أن يُرَاد بالوجوب معنى مجازي، ثمَّ إنَّ هذا الدُّعاء سبب لخلاص الحاقد مِن تلك المصيبة، كما قال ﷻ:

[1] مدارج السالكين لابن القيم (1/ 195)
[2] شعب الإيمان للبيهقي (9/ 118)




﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ﴾ النساء: ٨٥"[1]

3. الشَّمَاتَة لها تأثيرٌ سلبيٌّ على الفرد والمجتمع؛ تربِّي الحقد والحسد والعداوة، وهذا أمرٌ معلوم مشهود، **قال الشَّوكانيُّ**: "استعاذ ﷺ مِن شَمَاتَة الأعداء وأمر بالاستعاذة منها؛ لعظم موقعها، وشدَّة تأثيرها في الأنفس البَشريَّة، ونُفُور طباع العباد عنها، وقد يتسبَّب عن ذلك تعاظم العداوة المفْضِية إلى استحلال ما حرَّمه الله سبحانه وتعالى"[2]

4. الشماتة تؤدي إلى قسوة القلب، وقد توعد الله سبحانه وتعالى ذوي القلوب القاسية قائلاً:

﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ الزمر: ٢٢

## مضار الشماتة

"1. تسخط الله عز وجل والملائكة المقرّبين.

2. تنبأ عن سوء خلق الشّامت.

3. دليل على انتزاع الرّحمة من القلوب.

4. تورث العداوة والبغضاء.

5. سبيل إلى تفكّك المجتمع وتمزيقه.

6. الشّماتة خلق ذميم وصاحبه مبغوض من الله عز وجل والنّاس"[3]

## علاج الشماتة

التوبة من هذا المرض، ومن الذنوب المتعلقة بحقوق العباد، **قال شهاب الدين الرملي**: "أنواع هذا القسم من الذنوب التي بين العبد وبين الناس، وهي: في المال، وفي النفس، وفي العرض، وفي الحرمة، والدين، وذكر تفصيل ذلك وكيفية التوبة منه، فقال: أما

[1] بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية لأبي سعيد الخادمي (2/ 266)
[2] تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين للشوكاني ص 447
[3] نظرة النعيم (10/ 4773)



العرض، فإن اغتبته أو بهته أو شتمته، فحقك أن تكذب نفسك بين يدي من فعلت ذلك عنده، وأن تستحل من صاحبه إن أمكنك، هذا إن لم تخش زيادة غيظ، أو هيج فتنة في إظهار ذلك وتجديده، فإن خشيت ذلك، فالرجوع إلى الله ﷻ ليرضيه عنك، والاستغفار الكثير لصاحبه"[1]

وجملة الأمر، فما أمكنك من إرضاء الخصوم عملت، وما لم يمكنك، راجعت إلى الله ﷻ بالتضرع، والصدق ليرضيه عنك، فيكون ذلك في مشيئة الله ﷻ يوم القيامة، والرجاء منه بفضله العظيم، وإحسانه العميم، أنه إذا علم الله ﷻ الصدق من قلب العبد، فإنه ﷻ يرضي خصماءه من خزانة فضله. اهـ.

ومع الدعاء لأصحاب الحقوق عليه، ينبغي أن يكثر مَن فعل ذلك مِن أعمال البر والطاعة، تعويضاً عما فات؛ فإن الله ﷻ يقول: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤﴾ هود: ١١٤، ويقول النبي ﷺ: "أتبع السيئة الحسنة، تمحها"[2]

[1] غاية البيان شرح زبد ابن رسلان لشهاب الدين الرملي ص342
[2] مسند أحمد (36/ 380)، رواه الترمذي (4/ 355)




# قبل النهاية
# أمراض القلوب عند ابن القيم

قال ابن القيم: "القلب يعترضهُ مرضان يتوارد عليه، إذا استحكما فيه كان هلاكه ومُوته، وهما: مرض الشهوات، ومرض الشبهات، وهذان أصلُ داء الخلق إلا من عافاه الله عَزَّ وَجَلَّ، وقد ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هذين المرضين في كتابه:

أما مرض الشبهات، وهو أصعبهما وأقتلهما للقلب، ففي قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في حقِّ المنافقين: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۝١٠ ﴾ البقرة: ١٠، وأما مرض الشهوة، ففي قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ۝٣٢ ﴾ الأحزاب: ٣٢، أي: لا تَلِنَّ بالكلام فيطمعَ الذي في قلبه فجور وزنا، وللقلب أمراض أُخر من: الرياء، الكِبر، والعُجب، والحسد، والفخر، والخُيلاء، وحبِّ الرياسة والعلوِّ في الأرض، هذه الأمراض كلُّها متولدة عن الجهل، ودواؤها العلم، فأمراض القلوب أصعبُ من أمراض الأبدان؛ لأن غاية مرض البدن أن يُفضي بصاحبه إلى الموت، وأمَّا مرضُ القلب فيُفضي بصاحبه الشقاء الأبدي، ولا شفاء لهذا المرض إلا بالعلم، ولهذا سمى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كتابه شفاءً لأمراض الصدور، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٥٧ ﴾ يونس: ٥٧، فحاجة القلب



إلى العلم ليست كالحاجة إلى التنفُّس في الهواء بل أعظم، وبالجملة، فالعلم للقلب مثل الماء للسَّمك إذا فقده مات"[1]

**وقال أيضاً**: "قد يمرض القلب ويشتد مرضه، ولا يعرف به صاحبه لاشتغاله وانصرافه عن معرفة صحته وأسبابها، بل قد يموت وصاحبه لا يشعر بموته، وعلامة ذلك أنه لا تؤلمه جراحات القبائح، ولا يُوجعه جهله بالحق وعقائده الباطلة"[2]

القلب إذا كان فيه مرض آذاه أدنى شيء من الشبهة أو الشهوة، حيث لا يقدر على دفعهما إذا وردا عليه، والقلب الصحيح القوي يطرقه أضعاف ذلك، وهو يدفعه بقوته وصحته، مرض القلب نوع لا يتألم به صاحبه في الحال كمرض الجهل، ومرض الشبهات والشكوك، ومرض الشهوات، وهذا النوع هو أعظم النوعين ألماً، ولكن لفساد القلب لا يحس بالألم، وهذا أخطر المرضين وأصعبهما، وعلاجه إلى الرسل وأتباعهم، فهم أطباء هذا المرض، كما أن القلب قد يتألم بما يتألم به البدن، ويشقى بما يشقى به البدن، فكذلك البدن يتألم كثيرًا بما يتألم به القلب، ويُشقيه ما يشقيه"[3]

## العين مرآة للقلب:

"جعل ﷻ العينين مرآتين للقلب؛ يظهر فيهما ما هو مودع فيه من الحب والبغض، والخير والشر، والبلادة والفطنة، والزيغ والاستقامة، فيُستدل بأحوال العين على أحوال القلب، وهو أحد أنواع الفراسة الثلاثة، وهي: فراسة العين والأذن والقلب، فهما أي: العينان مرآة لما في القلب، ولذلك يستدل بأحوال العين على أحوال القلب من رضاه وغضبه وحبه وبغضه ونفرته وقُربِه"[4]

[1] مفتاح دار السعادة لابن القيم (1/ 111)
[2] إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان لابن القيم (1/ 68)
[3] إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان لابن القيم (1/ 18)
[4] التبيان في أقسام القرآن لابن القيم ص 306



## القلب الميت المظلم:

"القلب الميت المظلم الذي لم يعقل عن الله ولا انقاد لما بُعث به رسوله ﷺ، ولهذا يصف ﷻ هذا الضرب من الناس بأنهم أموات غير أحياء، وبأنهم في الظلمات لا يخرجون منها، ولهذا كانت الظلمة مستولية عليهم من جميع جهاتهم، فقلوبهم مظلمة ترى الحق في صورة الباطل، والباطل في صورة الحق، وأعمالهم مظلمة، وأقوالهم مظلمة، وأحوالهم كلها مظلمة، وقبورهم ممتلئة عليهم ظلمة"[1]

## حال القلب مع الملك والشيطان:

"إذا تأملت حال القلب مع الملك والشيطان رأيت أعجب العجائب؛ فهذا يلم به مرةً، وهذا يلم به مرةً، فإذا ألَمَّ به المَلَكُ حدث من لمته الانفساح والانشراح، والنور والرحمة، والإخلاص والإنابة، ومحبة الله ﷻ وإيثاره على ما سواه، وقصر الأمل والتجافي عن دار البلاء والامتحان والغرور، فلو دامت له تلك الحالة، لكان في أهنأ عيش وألذه وأطيبه، ولكن تأتيه لَمَّة الشيطان، فتحدث له من الضيق والظلمة، والهم والغم والخوف، والسخط على المقدور، والشك في الحق، والحرص على الدنيا وعاجلها، والغفلة عن الله ﷻ ما هو من أعظم عذاب القلب، ثم للناس في هذه المحنة مراتب لا يحصيها إلا الله ﷻ: فمنهم من تكون لمة الملك أغلب عليه من لمة الشيطان وأقوى، فإذا ألم به الشيطان وجد من الألم والضيق والحصر وسوء الحال بحسب ما عنده من حياة القلب، فيبادر إلى محو تلك اللمة ولا يدعها تستحكم؛ فيصعب تداركها، ومنهم من تكون لمة الشيطان أغلب عليه من لمة الملك وأقوى، فيموت

[1] اجتماع الجيوش الإسلامية على حرب المعطلة والجهمية لابن القيم (2/ 39 – 40)




القلب فلا يحس بما ناله الشيطان، مع أنه غاية العذاب والألم والضيق والحصر ولكن سكر الشهوة والغفلة حجب عنه الإحساس بذلك المؤلم"[1]

## القرآن شفاء لأمراض القلب:

"أنفع الأغذية: غذاء الإيمان، وأنفع الأدوية: دواء القرآن، وكل منهما فيه الغذاء والدواء"[2]، "قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧﴾ يونس: ٥٧، وجماع أمراض القلب أمراض الشبهات والشهوات، والقرآن شفاء للنوعين، ولكن ذلك موقوف على فهمه ومعرفة المراد منه، القرآن شفاؤه لمرض الشهوات بما فيه من الحكمة والموعظة الحسنة، بالترغيب والترهيب والتزهيد في الدنيا، والترغيب في الآخرة، والأمثال والقصص التي فيها أنواع العبر والاستبصار فيرغب القلب السليم إذا أبصر ذلك فيما ينفعه في معاشه ومعاده.

القرآن مزيل للأمراض الموجبة للإرادات الفاسدة، فيصلح القلب، فتصلح إرادته، ويعود إلى فطرته التي فُطِرَ عليها، فتصلح أفعاله الاختيارية الكسبية، فيتغذى القلب من الإيمان والقرآن بما يزكيه ويقويه، ويؤيده ويفرحه، ويسره وينشطه"[3]

## زكاة القلب:

القلب إذا تخلص من الذنوب بالتوبة فقد استفرغ من تخليطه فتخلصت قوة القلب وإرادته للخير، فاستراح من تلك الجواذب الفاسدة والمواد الرديئة، زكا ونما، وقوي واشتد، وجلس على سرير ملكه، ونفذ حكمه في رعيته، فسمعت له وأطاعت.

[1] التبيان في أقسام القرآن لابن القيم ص 417 - 418
[2] إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم (1/ 70)
[3] إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم (1/ 44 – 45)





القلب لا سبيل له إلى زكاته إلا بعد طهارته، كما قال ﷻ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝٣٠﴾ النور: ٣٠، فجعل الزكاة بعد غض البصر وحفظ الفرج"[1]

## من علامات صحة القلب:

كلما صح القلب من مرضه ترحل إلى الآخرة، وقرب منها، حتى يصير من أهلها، وكلما مرض القلب واعتل آثر الدنيا واستوطنها، حتى يصير من أهلها، من علامات صحة القلب: ألا يفتر عن ذكر ربه ﷯، ولا يسأم من خدمته، ولا يأنس بغيره، إلا بمن يدله عليه، ويُذكر به، ويذاكره بهذا الأمر، وإذا فاته ورده وجد لفواته ألماً أعظم من تألم الحريص بفوات ماله وفقده، ومن علامات صحة القلب: أنه لا يزال يضرب على صاحبه، حتى ينيب إلى الله ﷯ ويخبت إليه، ويتعلق به تعلق المحب المضطر إلى محبوبه، لذي لا حياة له ولا فلاح ولا نعيم ولا سرور إلا برضاه وقربه والأنس به، ومن علامات صحته: أنه إذا دخل في الصلاة ذهب عنه همُّه وغمُّه بالدنيا، واشتد عليه خروجه منها، ووجد فيها راحته ونعيمه، وقُرة عينه وسرور قلبه، ومنها: أن يكون أشحَّ بوقته أن يذهب ضائعًا من أشد الناس شحًا بماله، ومنها: أن يكون اهتمامه بتصحيح العمل أعظم منه بالعمل، فيحرص على الإخلاص فيه والنصيحة والمتابعة والإحسان، ويشهد مع ذلك منة الله ﷯ عليه فيه، وتقصيره في حق الله ﷯"[2]

وفي الختام يقول طبيب القلوب ابن القيم: "القلب يمرضُ كما يمرض البدن، وشفاؤهُ في التوبة والحمية، ويصدأُ كما تصدأ المرآةُ وجلاؤهُ الذكر، ويعرى كما يعرى الجسم

[1] إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم (1/ 46 – 47)
[2] إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم (1/ 71 – 72)



وزينته التقوى، ويجوعُ ويظمأُ كما يجوع البدن، وطعامه وشرابه المعرفةُ والمحبة والتوكل والإنابة والخدمةُ"[1]

[1] الفوائد لابن القيم ص 98




# نهاية المطاف

القلب مضغة في الجسد إن حسنت صارت حياة المرء نعيماً وكان من ربه عَزَّ وَجَلَّ قريباً ومن العباد محبوباً، وإن فسدت ساءت حياة المرء وصار من ربه عَزَّ وَجَلَّ بعيداً ومن العباد مذموماً، قال عنه أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "القلب ملك، والأعضاء جنوده، فإذا طاب الملك طابت جنوده، وإذا خبث القلب خبثت جنوده"[1]

ومع ذلك يغفل كثير من الناس حقيقة هذا الأمر فلا يهتمون بتطهير قلوبهم وبتزكيتها كما أمرنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالقلب ميزان الحياة لذا من أراد إصلاح حياته والتقرب من المولى عَزَّ وَجَلَّ للفوز بجنات النعيم عليه أن يصلح قلبه ويخلصه مما يعتريه من أمراض لا يمكن للطبيب مداواتها أو الكشف عنها ولكن يمكن لأي كان أن يلمس أثرها في حياة المرء في كل كبيرة وصغيرة يقوم بها، فالقلب هو المقود الذي يحرك صاحبه، فإن كان للخير فقد صلح ونجا وإن كان للشر فقد فسد وهلك، فلا ينفع المرء في الدنيا والآخرة سوى سلامة قلبه، كما يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ الشعراء: ٨٨ – ٨٩، فأمراض القلوب لا تأتي للمرء فجأة من حيث لا يدري بل هي نتاج للنهج الذي وضعه لنفسه في الحياة ولمدى قربه من الله عَزَّ وَجَلَّ ولمدى تفكره في الآخرة وحرصه على إرضاء الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا المخلوقين، فإن كان قلبه متعلقاً بإرضاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تمكن من مدافعتها عن قلبه قبل أن تتمكن منه وتصبح مجاهدتها أمراً شاقاً وإن كان قلبه متعلقاً بالدنيا غفل عنها وتمكنت منه وتدافعت الواحدة تلو الأخرى حتى يصير قلبه أسوداً لا يرى سوى نفسه ولا يتبع سوى وساوس الشياطين،

[1] الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي (1/ 131)



فما أن يسكن القلب مرضاً واحداً من أمراض القلوب حتى تتدافع جميعها لتأخذ نصيباً من حياة المرء، لذا من أفلح في هذه الحياة هو من انتبه لسلامة قلبه وعمل على تزكيتها بطاعة الرحمن ﷻ ومكارم الأخلاق، والاعتقاد السائد لدى غالبية المسلمين أن الله ﷻ يختبر قلوب عباده بالمعاصي والشهوات فقط، لذا فمن تركها فقد نجا، لكن في الحقيقة الله ﷻ يمتحن عباده بالخير والشر كما جاء في قوله ﷻ: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ الأنبياء: ٣٥، لذا فالمواطن التي يمتحن بها القلب متعددة ومنها:

يمتحن العبد فيما يفرضه الله ﷻ عليه من عبادات، والامتحان يكون في كيفية تأديته لها فهل يصلي ويخشع تاركاً ما يشغله في الحياة الدنيا وراء ظهره أم يسجد ويركع ويشغله من الدنيا ما يشغله، هل يحافظ على عباداته ويحرص عليها أم يتهاون بها؟

أيضاً يمتحن في حرصه على طلب العلم النافع والتعلم في مختلف شؤون الحياة خاصة في شئون الدين، فعلى المسلم أن يتعرف على دينه وما أمر به الله ﷻ ليفعله وما نهى عنه لتجنبه، كذلك يمتحن القلب في الجدال مع الغير فصاحب القلب السليم يعرف أن الله ﷻ يأمرنا بالجدال بالحكمة والموعظة الحسنة، فلا يرفع صوته ولا يحتد على الآخرين ولا يسعى سوى لإثبات الحق ولا يقحم نفسه في جدالات عقيمة لا طائل منها، والشهوات من الأمور التي تمتحن بها القلوب وهي كل أمر ينساق له القلب ليحصل منه شيء في الدنيا لا يرضى عنه الله ﷻ، لذا على كل مرء أن ينجو بقلبه من اتباع الشهوات، فإنه متى تبع شهوة واحدة لن يتوقف عن طلب المزيد، والشهوات من أكثر الأمور التي تميت القلب وتفسده، كما يمتحن القلب في بعض النعم التي يمن الله ﷻ بها على بعض من عباده مثل الجاه والسلطان، فهناك من يغتر بها ويسعى في




الأرض فساداً ويبطش ويتكبر على العباد، وهناك من يتبع ما أمر به الله ﷻ حتى لا تكون فتنة تفسد قلبه فيخسر دنياه وآخرته.

## أسباب أمراض القلوب:

هناك العديد من الأسباب التي تقف وراء فساد القلوب والتي يستهين بها كثير من الأشخاص غير مدركين لسوء عواقبها على حياتهم وآخرتهم، ومنها:

1. أول الأسباب هو الجهل الذي يهلك صاحبه ويفسد دنياه وآخرته، فالجهل ظلمة تعمي القلب عن الحق وتضله عن الطريق الصحيح الذي يرضى عنه الله ﷻ.

2. صحبة السوء، قال رسول الله ﷺ: "المرءُ على دينِ خليلِه فلينظرْ أحدُكم مَن يُخاللُ"[1]، فصديق السوء يدفعك لطريق الضلال والصديق الحق يقودك لطريق النجاة.

3. الانشغال بفتن الحياة الدنيا والسعي وراء زينتها الفانية من مال وبنون ومناصب وسلطان، والغفلة عن الآخرة ويوم البعث الذي سنحاسب فيه عن كل كبيرة وصغيرة.

4. غفلة المرء عن ذكر الله ﷻ، فمن يداوم على ذكر الله ﷻ ويجعل مرضاته نصب عينيه ويذكره في كل كبيرة وصغيرة يقدم عليها في الحياة الدنيا ينجو بقلب سليم.

## الشفاء من أمراض القلوب

هناك الكثير من الأمور التي يمكن للمسلم أن يداوم عليها ليشفي ويحمي قلبه من مختلف الأمراض التي تفسدها، ومنها:

1. المداومة على قراءة القرآن الكريم وتدبر آياته والتمعن فيها، ففي القرآن شفاء للقلوب، قال ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴿٤٤﴾﴾ فصلت: ٤٤، لذا فالخطوة الأولى هي العناية بتدبر آيات القرآن الكريم والإكثار من الاستماع إليه وقراءته.

[1] مسند أحمد (14/ 142)، المستدرك على الصحيحين للحاكم (4/ 189)




2. التوبة للخالق ﷻ مما يعتري القلب من أمراض توبة نصوحة بالعدول عن كل ما يغضب الله ﷻ، ففي التوبة صلاح للنفس والقلب وزوال للسيئات.

3. المداومة على ذكر الله ﷻ والالتزام بورد يومي من الأذكار، لجعل القلب متيقظ دائماً لتذكر المولى ﷻ.

4. الإكثار من الخيرات والأعمال الصالحة التي يرضى عنها المولى ﷻ وتقرب العبد من ربه ﷻ، مثل إخراج الصدقات والإكثار من صلاة وصوم النافلة وغيرها الكثير.

5. الابتعاد عن مصاحبة السيئين ممن يدعون القلب للبعد عن ذكر الله ﷻ ويدفعونه للمعصية، والحرص على مصاحبة الأخيار ممن يتجمعون على محبة الله ﷻ ويتفرقون على محبته.

6. محاسبة النفس أولاً بأول وتتبع ما يرتكبه المرء من ذنوب ومعاصي ليعرف مواطن الضعف لديه وليعرف ما أصاب قلبه من أمراض حتى يتمكن من التخلص منها، فغفلة المرء عن محاسبة نفسه قبل أن يحاسب هي السبب الأول وراء تمكن أمراض القلوب منه.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلى وسلم على نبينا محمد ﷺ وآله وصحبه أجمعين

**كتبه**

**العبد الفقير إلى ربه ﷻ**

**محمود حسن حجازي**

**أبو حازم**

**فلسطين – غزة**





# الفهرس


















# أمراض القلوب

محمود حسن حجازي

فلسطين – غزة

2023 – 1444


كل الحقوق محفوظة

